نبوءات وغيبيات

من وحي القرآن والتوراة

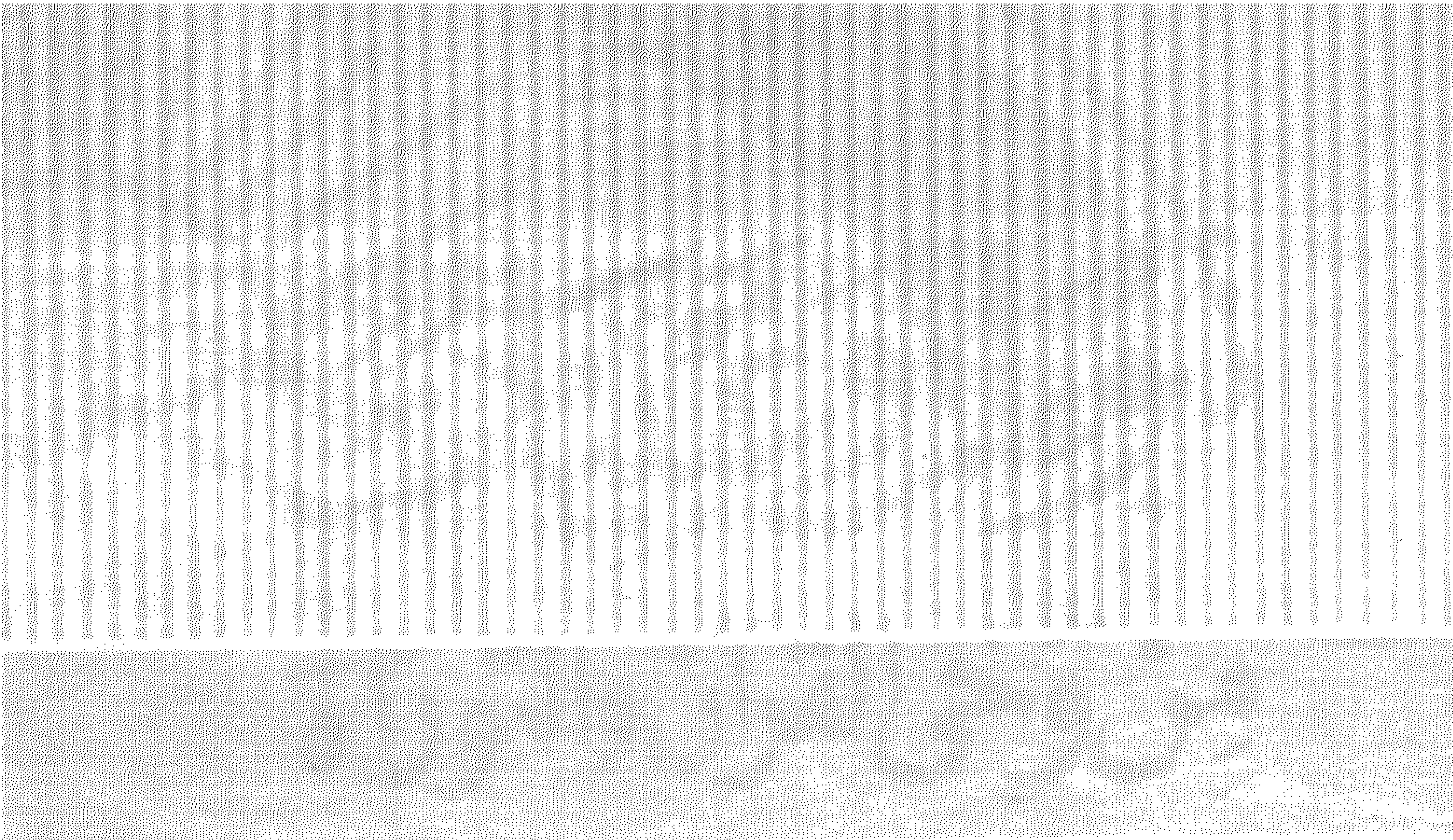
أحمد محمد السيد سليمان



دار الفكر العربي

شركة مساهمة مصرية

للطباعة والنشر والتوزيع



نبوءات وغيبيات

من وحي القرآن والتوراة

إعداد

أحمد محمد السيد سليمان

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٧٩٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسني - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com

info@darelfikrelarabi.com

٢٢٩,٨ أحمد محمد السيد سليمان.

أ ح ن ب نبوءات وغيبيات من وحي القرآن والتوراة/ إعداد أحمد محمد السيد سليمان.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.

٤٤٠ص؛ ٢٤ سم.

ببليوجرافية: ص٤٣٥.

تدمك: ٦-٢٦٥٢-١٠- ٩٧٧.

١- النبوءات. ٢- الغيبيات. ٣- القرآن الكريم، خواص وأسرار. ٤- التوراة، خواص وأسرار. أ- العنوان.

جمع إلكترونى وطباعة



التنفيذ الفنى

حسن الشريف

شكر وتقدير

في عجالة أودّ أن أتقدّم بوافر شكري وعظيم تقديري لكل من تفضّل بقراءة الجزء الأول من كتابي: نشأة كل من الدولتين اليهودية والإسلامية - حقائق ونتائج، والجزء الأول من كتابي الثاني: متماثلات ومتناقضات من وحي القرآن والتوراة. وأنا مُمتنّ جدا لكل من تفضّل بالتعليق على هذين العملين؛ سواء بالسلب أو بالإيجاب، وأنوّه إلى أن رأي القارئ الكريم يكون دائما محلّ تقدير واعتزاز لدى شخصنا الذي لا همّ له سوى تقديم نصوص الكتابين المقدّسين وتحليلها ليسهل على القارئ الكريم استيعاب محتواهما. أما آراؤنا فهي مجرد اجتهادات قد تصيب وقد تخطئ، والخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية كما هو متعارف عليه بين المتحاورين.

كما أن «دار الفكر العربي» تستحقُّ منّي كل تحيّة وتقدير كدار نشر محترمة؛ قَبِلَتْ أن تنشر أعمالي وأنا على أول طريق النشر دون تردُّد أو تهيُّب، جزي الله جميع القائمين على أمر تلك الدار والعاملين فيها كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم أجمعين إنه سميع مجيب.

وأحِبُّ أن أنوّه إلى أنني قد نشرت بعض الفصول من الكتابين المذكورين من خلال متتديين على شبكة الانترنت هما: معهد العالم العربي، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذهب المعاصر لمن أراد أن يقرأها.

ويسعدني أن أتواصل مع مَنْ يشاء ممن قرأ أعمالي أو سمع عنها عن طريق البريد الالكتروني الخاص بي الآتي بيانه:

amssoliman@hotmail.com أو amssoliman2@yahoo.com

وفي الختام تقبّلوا تحيّاتي وتقديري، وأسألكم صالح الدعاء.

بقلم

أحمد محمد السيد سليمان

مقدمة

بين يدي القارئ الكريم مؤلَّفنا الذي أطلقنا عليه اسم «نبوءات وغيبيات من وحي القرآن والتوراة» سجَّلتُ فيه خلاصة أبحاثي عن الأمور الغيبية والنبوءات التي ورد ذكرها في (التوراة) كتاب اليهود المقدس؛ وما يسمى بـ (العهد القديم) عند أتباع المسيح عليه السلام؛ وما لهؤلاء من آراء تجاه بعض النصوص التي تناولناها في بحثنا، وتأويلاتهم لتلك النصوص، وما يقابلها في القرآن الكريم؛ بهدف إبراز أوجه التشابه أو الاختلاف أو التناقض فيما بين تناول كل من التوراة والقرآن لها، ومن ثمَّ تسجيل رأينا مُدعَمًا بالحُجّة التي تؤيِّده، والبيِّنة التي تؤكِّده.

ويأتي بحثنا هذا استكمالا لسلسلة أبحاث قمت بها بعون من الله وفضل على كل من التوراة والقرآن لكشف النقاب عن حقائق ومسلّمات مترسِّخة ومتجذِّرة عند كل من اليهود والمسلمين ولها أصولها في الكتاب المقدَّس لدى كل منهما. علما بأنني تناولت كذلك تأويلات النصارى لبعض نصوص التوراة أو العهد القديم كما يسمّونه.

وقد ركّزتُ في بحثي الأول على كيفية قيام ونشأة كل من الأمّتين اليهودية والإسلامية، والتحدِّيات التي واجهت الرُّوّاد الأُوَلْ الذين حملوا على أكتافهم مسئولية تحقيق تلك النشأة في بداياتها وحتى سبي بني إسرائيل إلى بابل فيما يتعلّق باليهود، وحتى مقتل علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- آخر الخلفاء الراشدين الأربعة فيما يتعلّق بالمسلمين. وقد صدر هذا البحث بعنوان «نشأة كل من الدولتين اليهودية والإسلامية - حقائق ونتائج»، تم نشر الجزء الأول منه، وبقي جزءان اثنان سوف ينشران قريبا إن شاء الله تعالى.

وفي بحثي الثاني تناولتُ المواد والمعلومات الوارد ذكرها في كل من الكتابين المذكورين؛ والتي يكون لها سمة التشابه أو التضاد من خلال أمور مثل بداية الخلق، وأنبياء وشخصيات، وأحكام ومعاملات، وأمور أخرى ورد ذكرها في كل من التوراة والقرآن. وقد صدر هذا البحث بعنوان «متماثلات ومتناقضات من وحي القرآن والتوراة» تم نشر الجزء الأول منه، وسوف يُنْشر الجزء الثاني قريبا إن شاء الله تعالى.

وفي كتابنا الذي هو بين يدي القارئ الكريم تناولتُ أمورا مثل الذّات الإلهية، وعالَم الملائكة، وعالَم الجِنّ، وإفساد بني إسرائيل، ويأجوج ومأجوج، والجنّة والنّار كما وردت في كل من التوراة والقرآن. كما تناولت بعض النبوءات لمتنبئي بني إسرائيل ضدّ بعض الأمم والتي تتناول قضايا خلافية بين أصحاب الديانتين اليهودية والإسلامية؛ وضمنا المسيحية لتصدِّي أتباعها لتفسير بعض تلك القضايا مثل اليوم الآخر (نهاية العالم)، ومسائل أخرى.

وبهذا أرجو أن أكون قد قدّمْتُ إجابات لتساؤلات تدور في أذهان الكثيرين من أتباع الديانات السماوية الثلاث، كما كانت تدور في ذهني من قبل؛ ودفعتني إلى إجراء هذه الأبحاث التي أخذَتْ من وقتي وجهدي الكثير. سائلا المولى عز وجل أن يجعلها في ميزان حسناتي، وأن يهدي بها كل من يسعى إلى الهداية؛ إنه سميع مجيب.

وأنوِّه أنّني بما أقوم به من دراسات وأبحاث أحاول جاهدا أن أتجنّب أي اتهامات أو همزات أو لمزات تسيء إلى أي من أتباع الديانات الثلاث، ولكني أتناول النصوص كما وردت دون زيادة أو نقصان، وأقوم مجتهدا بالتعليق عليها. ولا يسيئُني أن يتقدّم أي من الباحثين أو المفكرين بالتعليق عليها أو حتى بنقضها؛ راجيا أن يكون ذلك في إطار من الموضوعية وجدِّية الطرح، والله من وراء القصد.

بقلم،،،

أحمد محمد السيد سليمان

الفصل الأول

الذات الإلهية

الفصل الأول: الذات الإلهية

الذات الإلهية في التوراة

الربُّ بأشكال ماديّة

قدّمت التوراةُ الربَّ في صور شتّى وأشكال متعدِّدة؛ ففي البدء كان روحا ترفرف على سطح الماء، ثم صار سحابة تتشكّل، أو نارا تتكلّم أو تحْرِقْ. ويقول الربُّ عن نفسه لسليمان: إنه (أي الرب) كان يسْكُن في الضباب قبل أن يبْني له (أي سليمان) بيتا كما نرى في المقتطفات التالية:

حين خلق اللهُ السماوات والأرض، كانت الظلمة تكتنف وجه المياه، وكانت روح الربِّ ترفرف على سطح الماء: فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، ٢وَإِذْ كَانَتِ الأَرْضُ مُشَوَّشَةً وَمُقْفِرَةً وَتَكْتَنِفُ الظُّلْمَةُ وَجْهَ الْمِيَاهِ، وَإِذْ كَانَ رُوحُ اللهِ يُرَفْرِفُ عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ. (التكوين ١)

والربُّ عمود سحاب في النهار، وعمود نار في الليل، وهو مسخّر لخدمة بني إسرائيل وإرشادهم في سيرهم. فهو سحابة تظلّلهم نهارا، ونارٌ ترشُدهم ليلا: ٢٠وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَخَيَّمُوا فِي إِيثَامَ عَلَى طَرَفِ الصَّحْرَاءِ. ٢١وَكَانَ الرَّبُّ يَتَقَدَّمُهُمْ نَهَاراً فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. ٢٢وَلَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَاراً وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ. (الخروج ١٣)

والربُّ عمودُ سحاب يقف بين بني إسرائيل وبين المصريِّين ليحجز بين الفريقين؛ فيكون ظلاما على المصريين، وضياء على بني إسرائيل: ١٥وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا بَالُكَ تَسْتَغِيثُ بِي؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا. ١٦ارْفَعْ عَصَاكَ وَابْسِطْ يَدَكَ فَوْقَ الْبَحْرِ وَشُقَّهُ، فَيَجْتَازَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ..... ١٩وَانْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ الَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُ عَسْكَرَ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمُؤَخِّرَةِ خَلْفَهُمْ، وَكَذَلِكَ انْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. ٢٠فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ الإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَصَارَ عَمُودُ السَّحَابِ ظَلاَماً قَاتِماً عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، وَضِيَاءً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَقْتَرِبْ أَحَدُهُمَا مِنَ الآخَرِ طَوَالَ اللَّيْلِ. (الخروج ١٤)

والربُّ ينزل على هيئة سحابة، ويقف مع موسى، ويعبُر من أمامه، ويُعْلن له عن اسمه وعن صفته: ٥فَنَزَلَ بِهَيْئَةِ سَحَابٍ، وَوَقَفَ مَعَهُ هُنَاكَ حَيْثُ أَعْلَنَ لَهُ اسْمَهُ: «الرَّبُّ»، ٦وَعَبَرَ مِنْ أَمَامِ مُوسَى مُنَادِياً: «أَنَا الرَّبُّ. الرَّبُّ إِلَهٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. (الخروج ٣٤)

والربُّ يأتي في سحابة مظلمة ليخاطب شعب بني إسرائيل من أجل أن يُعزِّز ثقتهم بموسى: ٩فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنَا مُقْبِلٌ عَلَيْكَ فِي هَيْئَةِ سَحَابٍ مُظْلِمٍ، فَيَسْمَعُنِي الشَّعْبُ حِينَمَا أُخَاطِبُكَ، فَيَثِقُونَ أَيْضاً بِكَ دَائِماً». (الخروج ١٩)

والربُّ يحيطُ نفسَه بالرعود والبروق ودويِّ البوق، ويُدخّن الجبل ليُرعب شعبه، ويُجبرهم على إتباع الوصايا التي أوصى بها نبيَّه موسى: ١٦وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَدَثَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ، وَخَيَّمَ سَحَابٌ كَثِيفٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَدَوَّى صَوْتُ بُوقٍ قَوِيٌّ جِدّاً، فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمُخَيَّمِ،..... ١٨وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ مُغَطًّى بِدُخَانٍ، لأَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ فِي هَيْئَةِ نَارٍ. وَتَصَاعَدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَاهْتَزَّ الْجَبَلُ كُلُّهُ بِعُنْفٍ. ١٩وَازْدَادَ دَوِيُّ الْبُوقِ أَكْثَرَ فِيمَا كَانَ مُوسَى يَتَكَلَّمُ، وَالرَّبُّ يُجِيبُهُ بِرَعْدٍ. (الخروج ١٩)،

١٨وَعِنْدَمَا عَايَنَ الشَّعْبُ كُلُّهُ الرُّعُودَ وَالْبُرُوقَ، وَسَمِعُوا دَوِيَّ صَوْتِ الْبُوقِ، وَرَأَوُا الْجَبَلَ يُدَخِّنُ ارْتَجَفُوا خَوْفاً وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، ١٩وَقَالُوا لِمُوسَى: «كَلِّمْنَا أَنْتَ بِنَفْسِكَ فَنَسْمَعَ، لِئَلاَّ نَمُوتَ إِذَا ظَلَّ اللهُ يُخَاطِبُنَا». ٢٠فَأَجَابَ مُوسَى: «لاَ تَخَافُوا. إِنَّمَا الرَّبُّ قَدْ جَاءَ لِيَمْتَحِنَكُمْ حَتَّى تَظَلَّ مَخَافَةُ الرَّبِّ تُلازِمُكُمْ فَلاَ تُخْطِئُوا». ٢١وَبَيْنَمَا كَانَ الشَّعْبُ وَاقِفاً مِنْ بَعِيدٍ، اقْتَرَبَ مُوسَى مِنَ الظَّلامِ الْمُتَكَاثِفِ حَيْثُ كَانَ اللهُ. (الخروج ٢٠)

والربُّ نار تندلع؛ فتحرق حينما يحتدم غضبُه على بني إسرائيل، وتخمُد استجابة لتوسُّلاتهم: وَرَاحَ الشَّعْبُ يَتَذَمَّرُ فِي مَسْمَعِ الرَّبِّ وَكَأَنَّ شَرّاً أَصَابَهُمْ، فَاحْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ، وَانْدَلَعَتْ فِيهِمْ نَارُهُ وَأَحْرَقَتْ طَرَفَ الْمُخَيَّمِ، ٢فَصَرَخُوا إِلَى مُوسَى، فَصَلَّى مُوسَى إِلَى الرَّبِّ فَخَمِدَتِ النَّارُ، ٣فَدُعِيَ ذَلِكَ الْمَكَانُ «تَبْعِيرَةَ» لأَنَّ نَارَ الرَّبِّ اشْتَعَلَتْ فِيهِمْ. (العدد ١١)

ويقول الملك سليمان: إن الربَّ قد أخبره أنه كان يسكن في الضباب قبل أن يبني له (أي سليمان) بيتا: عِنْدَئِذٍ قَالَ سُلَيْمَانُ: «قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. ٢وَلَكِنِّي بَنَيْتُ هَيْكَلاً رَائِعاً، مَقَرّاً لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ». (أخبار الأيام الثاني ٦)

ملاك الربِّ وهاجر

قابل ملاك الربّ هاجر بالقرب من عين الماء عندما كانت هاربة من بيت سيّدتها سارة، ودار بينهما حوار أمرها فيه أن تعود إلى مولاتها، وأن تخضع لها، وبشّرها بأنها ستضع ولدا تسمّيه إسماعيل: ٧فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ بِالْقُرْبِ مِنْ عَيْنِ الْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى شُورٍ. ٨فَقَالَ: «يَاهَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَأَجَابَتْ: «إِنَّنِي هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ سَيِّدَتِي سَارَايَ». ٩فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «عُودِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي لَهَا». ١٠وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسْلَكِ فَلاَ يَعُودُ يُحْصَى»، ١١وَأَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «هُوَذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ ابْناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (التكوين ١٦)

ونادى ملاك الله؛ هاجر من ناحية السماء وقال لها: لا تخافي على ابنك لأن الله سوف يباركه ويجعل منه أمّة عظيمة. ولمّا نظرت حولها رأت بئر ماء لم تكن من قبل في مكانها فأسرعت وملأت قربتها من مائها وسقت الصبي: ١٧وَسَمِعَ اللهُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا الَّذِي يُزْعِجُكِ يَاهَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُلْقًى. ١٨قُومِي وَاحْمِلِي الصَّبِيَّ، وَتَشَبَّثِي بِهِ لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». ١٩ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ وَسَقَتِ الصَّبِيَّ (التكوين ٢١)

إسحاق هو المحرقة

لما همَّ إبراهيمُ عليه السلام بذبح ابنه إسحاق كما أمره الربُّ، ناداه ملاكُ الربِّ أن لا يمُدّ يده على الصبي، وأن لا يمسّه بسوء لأن الله قد فداه بكبش عظيم جزاء له على طاعته إيّاه، وإقدامه على ذبح ابنه تنفيذا لأمره:..... ١٠وَمَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَتَنَاوَلَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. ١١فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «إِبْرَاهِيمُ، إِبْرَاهِيمُ» فَأَجَابَ: «نَعَمْ». ١٢فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الصَّبِيِّ وَلاَ تُوْقِعْ بِهِ ضُرّاً لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ اللهَ وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ

عَنِّي». ١٣وَإِذْ تَطَلَّعَ إِبْرَاهِيمُ حَوْلَهُ رَأَى خَلْفَهُ كَبْشاً قَدْ عَلِقَ بِفُرُوعِ أَشْجَارِ الْغَابَةِ، فَذَهَبَ وَأَحْضَرَهُ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضاً عَنِ ابْنِهِ (التكوين ٢٢)

رؤية الربّ

ويظهر الربُّ لكل من أبرام ويعقوب وموسى ويتكلّم مع كل منهم، ويراه بنو إسرائيل كذلك: وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ...... ٧وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «سَأُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ»..... (التكوين ١٢)

ولمّا خاف يعقوب من أبناء خاله لابان، وخشي على أملاكه من أن يصادروها، قال له الربُّ: عُدْ إلى أرض آبائك وأنا معك أؤيِّدُك. وقال له ملاك الربِّ في الحلم أنا إله بيت إيل الذي رأيته من قبل وآمرك أن تمضي من هذه الأرض إلى الأرض التي وُلِدْت فيها: وَسَمِعَ يَعْقُوبُ مَا يُرَدِّدُهُ أَبْنَاءُ لاَبَانَ قَائِلِينَ: «لَقَدِ اسْتَوْلَى يَعْقُوبُ عَلَى كُلِّ مَا لأَبِينَا، وَجَمَعَ ثَرْوَتَهُ مِمَّا يَمْلِكُهُ وَالِدُنَا». ٢وَرَأَى يَعْقُوبُ أَنَّ مُعَامَلَةَ لاَبَانَ لَهُ قَدْ طَرَأَ عَلَيْهَا تَغْيِيرٌ فَاخْتَلَفَتْ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ سَابِقاً. ٣وَقَالَ الرَّبُّ لِيَعْقُوبَ: «عُدْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكَ وَإِلَى قَوْمِكَ وَأَنَا أَكُونُ مَعَكَ»..... ١١وَقَالَ لِي مَلاَكُ اللهِ فِي الْحُلْمِ: يَايَعْقُوبُ، ١٢تَطَلَّعْ حَوْلَكَ وَانْظُرْ، فَتَرَى أَنَّ جَمِيعَ الْفُحُولِ الصَّاعِدَةِ عَلَى الْغَنَمِ هِيَ مُخَطَّطَةٌ وَرَقْطَاءُ وَمُنَمَّرَةٌ. فَإِنِّي رَأَيْتُ مَا يَصْنَعُهُ بِكَ لاَبَانُ. ١٣أَنَا إِلَهُ بَيْتِ إِيلَ، حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُوداً، وَحَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْراً. الآنَ قُمْ وَامْضِ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ وَارْجِعْ إِلَى أَرْضِ مَوْلِدِكَ»..... (التكوين ٣١)

٩وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَهْلِ أَرَامَ وَبَارَكَهُ، ١٠وَقَالَ لَهُ: «لَنْ يُدْعَى اسْمُكَ يَعْقُوبَ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ إِسْرَائِيلَ. (التكوين ٣٥)

وعند جبل حوريب (جبل الربِّ) تجلّى ملاك الربِّ لموسى كلهيب نار وسط عليقة (شجرة كثيفة الأوراق)، ولمّا حاول موسى أن يقترب ليستطلع الأمر، ناداه الربُّ من وسط العليقة أن لا يقترب وهو منتعل حذاءه لأنه يقف على أرض مقدسة: وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ حَمِيهِ يَثْرُونَ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَقَادَ الْغَنَمَ إِلَى مَا وَرَاءِ الطَّرَفِ الأَقْصَى مِنَ الصَّحْرَاءِ

حَتَّى جَاءَ إِلَى حُورِيبَ جَبَلِ اللهِ. ٢وَهُنَاكَ تَجَلَّى لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ وَسَطَ عُلَّيْقَةٍ. فَنَظَرَ مُوسَى وَإِذَا بِالْعُلَّيْقَةِ تَتَّقِدُ دُونَ أَنْ تَحْتَرِقَ. ٣فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الآنَ لأَسْتَطْلِعَ هَذَا الأَمْرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟» ٤وَعِنْدَمَا رَأَى الرَّبُّ أَنَّ مُوسَى قَدْ دَنَا لِيَسْتَطْلِعَ الأَمْرَ، نَادَاهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ قَائِلاً: «مُوسَى». فَقَالَ: «هَا أَنَا». ٥فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى هُنَا: اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». (الخروج ٣)

٢٠وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى قِمَّةِ جَبَلِ سِينَاءَ، وَنَادَى مُوسَى لِيَصْعَدَ إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ. (الخروج ١٩)

وصعد موسى وهارون وشيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، وأكلوا وشربوا؛ لأن الله لم يمُدّ يده ليُهلكهم: ٩ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَرُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، ١٠وَرَأَوْا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ قَدَمَيْهِ أَرْضِيَّةٌ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ تُمَاثِلُ السَّمَاءَ فِي النَّقَاءِ، ١١وَلَكِنَّ اللهَ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ لِيُهْلِكَ أَشْرَافَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا. (الخروج ٢٤)

وطلب موسى من الربِّ أن يرى مجده، وردَّ الربُّ عليه بقوله: إنك لن ترى وجهي لأن الإنسان الذي يراني يموت: ١٨وَقَالَ مُوسَى: «أَرِنِي مَجْدَكَ». ١٩فَقَالَ الرَّبُّ: «أُجِيزُ إِحْسَانَاتِي أَمَامَكَ، وَأُذِيعُ اسْمِي (الرَّبَّ) أَمَامَكَ. أُغْدِقُ رَأْفَتِي عَلَى مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي عَلَى مَنْ أُرِيدُ»، ٢٠وَأَضَافَ:«وَلَكِنَّكَ لَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَرَانِي لاَ يَعِيشُ». (الخروج ٣٣)

وينزل الربُّ في عمود سحاب، وينادي هارون ومريم ليؤنِّبهما على تقوُّلهما على موسى، ويقول لهما: إنه قد اختار موسى فقط ليُكلِّمه وجها لوجه دون سواه: وَانْتَقَدَتْ مَرْيَمُ وَهرونُ مُوسَى لِزَوَاجِهِ مِنِ امْرَأَةٍ كُوشِيَّةٍ، ٢وَقَالاَ: «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضاً؟» فَسَمِعَ الرَّبُّ..... ٥فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي عَمُودِ سَحَابٍ وَحَلَّ عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ، وَنَادَى هَرُونَ وَمَرْيَمَ، فَتَقَدَّمَا وَحْدَهُمَا، ٦فَقَالَ: «اسْمَعَا كَلاَمِي: إِنْ كَانَ بَيْنَكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَإِنِّي أَسْتَعْلِنُ لَهُ بِالرُّؤْيَا، وَأُكَلِّمُهُ بِالْحُلْمِ، ٧أَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَسْتُ أُعَامِلُهُ هَكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي بَيْتِي، ٨لِذَلِكَ أُكَلِّمُهُ وَجْهاً لِوَجْهٍ، وَبِوُضُوحٍ مِنْ غَيْرِ أَلْغَازٍ، وَيُعَايِنُ صُورَةَ الرَّبِّ (العدد ١٢)

الربُّ بصفات بشرية

الربُّ في التوراة كسائر مخلوقاته؛ يجري عليه ما يجري على مخلوقاته من نصب وتعب، ويحتاج للراحة مثل بقية الخلق بعد أي مجهود يقوم به؛ فبعد أن أتم عملية الخلق خلُد للراحة: وَهَكَذَا اكْتَمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ بِكُلِّ مَا فِيهَا. ٢وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ أَتَمَّ اللهُ عَمَلَهُ الَّذِي قَامَ بِهِ، فَاسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا عَمِلَهُ. ٣وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ اسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِ الْخَلْقِ. (التكوين ٢)

والربُّ يتجوّل في الجنّة، ويتكلّم بصوت يسمعه آدم فيختبئ، فيسأله الربُّ أين أنت؟ فيجيبه آدم سمعتُ صوتك في الجنة فاختبأتُ خشية منك لأنّي عريان: ٨ثُمَّ سَمِعَ الزَّوْجَانِ صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ مَاشِياً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَآ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ الإِلَهِ بَيْنَ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٩فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: «أَيْنَ أَنْتَ؟» ١٠فَأَجَابَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَاخْتَبَأْتُ خِشْيَةً مِنْكَ لأَنِّي عُرْيَانٌ». (التكوين ٣)

والربُّ يغضب من خطايا البشر، ويندم أنّه خلقهم، ويُهدِّد ويتوعّد، ويعلن حُزْنه وأسفه لذلك: ٥وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ فِكْرِ قَلْبِهِ يَتَّسِمُ دَائِماً بِالإِثْمِ، ٦فَمَلأَ قَلْبَهُ الأَسَفُ وَالْحُزْنُ لأَنَّهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ. ٧وَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ». (التكوين ٦)

والربُّ يفتقد الفُلْك الذي فيه نوح ولا يعرف أين هو، فيُرسل ريحا على الأرض لتجفِّف المياه، ويحبس المطر حتى يستقر الفلك فيراه: ثُمَّ افْتَقَدَ اللهُ نُوحاً وَمَا مَعَهُ فِي الْفُلْكِ مِنْ وُحُوشٍ وبَهَائِمَ، فَأَرْسَلَ رِيحاً عَلَى الأَرْضِ فَتَقَلَّصَتِ الْمِيَاهُ ٢وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ اللُّجَجِ وَمَيَازِيبُ السَّمَاءِ، وَاحْتَبَسَ الْمَطَرُ. ٣وَتَرَاجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ تَدْرِيجِيّاً. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً نَقَصَتِ الْمِيَاهُ. ٤وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ السَّابِعِ لِلطُّوفَانِ. (التكوين ٨)

والربُّ يتراجع عن غضبه على بني الإنسان حينما يبني له نوح مذبحا، ويتقرّب إليه ببعض الطيور والبهائم الطاهرة كمحرقات على المذبح. ويعلن الربُّ أنه لن يلعن

الأرض مرّة أخرى من أجل الإنسان المتقلّب قلبه، ويَعِدُ بأن تكون كل أيام الأرض زرع وحصد، وأن تستمر دورة الحياة دون توقف، وأن يستمتع الإنسان بكل ما على الأرض من حيوان، وما في جوّها من طيور، وما في مياهها من أسماك ٢٠وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ ثُمّ اخْتَارَ بَعْضاً مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَقَرَّبَهَا مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ. ٢١فَتَقَبَّلَهَا الرَّبُّ بِرِضًى، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَنْ أَلْعَنَ الأَرْضَ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ أَهْوَاءَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرَةٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ وَلَنْ أُقْدِمَ عَلَى إِهْلاَكِ كُلِّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. ٢٢وَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامِ الأَرْضِ مَوَاسِمَ زَرْعٍ وَحَصَادٍ وَبَرْدٍ وَحَرٍّ وَصَيْفٍ وَشِتَاءٍ وَنَهَارٍ وَلَيْلٍ، لَنْ تَبْطُلَ أَبَداً». (التكوين ٨)

ويُبرم الربُّ ميثاقا مع نوح وذريته وجميع المخلوقات الحيّة التي كانت معه في الفلك بأن لا يكون هناك طوفان ليقضي على الحياة في الأرض، ويضع الله قوسه في السحاب ليُذكّره بهذا الميثاق: ٨وَخَاطَبَ الرَّبُّ نُوحاً وَأَبْنَاءَهُ مَعَهُ قَائِلاً: ٩«هَا أَنَا أُبْرِمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ ذُرِّيَّتِكُمْ، ١٠وَمَعَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ، مِنْ طُيُورٍ وَبَهَائِمَ، وَمِنْ كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ الَّتِي خَرَجَتْ مَعَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ، مَعْ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ عَلَى الأَرْضِ. ١١أُبْرِمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ بِأَنْ لاَ يُبِيدَ الطُّوفَانُ كُلَّ ذِي جَسَدٍ ثَانِيَةً، وَأَنْ لاَ يَكُونَ هُنَاكَ طُوفَانٌ لِيَقْضِيَ عَلَى الْحَيَاةِ فِي الأَرْضِ». ١٢وَقَالَ الرَّبُّ: «وَهَذِهِ هِيَ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الأَبَدِيِّ الَّذِي أُقِيمُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: ١٣أَضَعُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. ١٤فَيَكُونُ عِنْدَمَا أُخَيِّمُ بِالسَّحَابِ فَوْقَ الأَرْضِ، وَتَظْهَرُ الْقَوْسُ. ١٥أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ مِنْ ذَوَاتِ الْجَسَدِ، فَلاَ تَتَحَوَّلُ الْمِيَاهُ إِلَى طُوفَانٍ يُبِيدُ كُلَّ حَيَاةٍ. ١٦وَتَكُونُ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، فَأُبْصِرُهَا، وَأَذْكُرُ الْمِيثَاقَ الأَبَدِيَّ الْمُبْرَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ عَلَى الأَرْضِ». ١٧وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «هَذِهِ هِيَ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَبْرَمْتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ حَيٍّ عَلَى الأَرْضِ». (التكوين ٩)

والربُّ ينزل بنفسه إلى مدينة بابل ليرى ما يصنعُه أهلُها. كما أن الربَّ يخاف من البشر أن يكونوا متحدين فيقومون بأعمال تتجاوز قدرتَه؛ فلا يستطيع أن يسيطر عليهم: ٥وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا. ٦فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ كَانُوا، كَشَعْبٍ وَاحِدٍ يَنْطِقُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْ عَمِلُوا هَذَا مُنْذُ أَوَّلِ الأَمْرِ، فَلَنْ يَمْتَنِعَ إِذاً

عَلَيهِمْ أَيُّ شَيْءٍ عَزَمُوا عَلَى فِعْلِهِ. ٧هَيَّا نَنْزِلْ إِلَيْهِمْ وَنُبَلْبِلْ لِسَانَهُمْ، حَتَّى لا يَفْهَمَ بَعْضُهُمْ كَلامَ بَعْضٍ». (التكوين ١١)

ويظهر الربُّ لإبراهيم في هيئة رجل ومعه رجلان اثنان؛ فيسجُد لهم إبراهيم (لتحِيَّتِهم) ويستضيفهم، ويقدِّم لهم الطعام الذي يأكلونه؛ وهو واقف في خدمتهم: ثُمَّ ظَهَرَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَقْتَ اشْتِدَادِ حَرِّ النَّهَارِ، ٢فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَإِذَا بِهِ يَرَى ثَلاَثَةَ رِجَالٍ مَاثِلِينَ لَدَيْهِ. فَأَسْرَعَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ. ٣وَقَالَ: «يَاسَيِّدِي، إِنْ كُنْتُ قَدْ حَظِيتُ بِرِضَاكَ فَلاَ تَعْبُرْ عَنْ عَبْدِكَ. ٤بَلْ دَعْنِي أُقَدِّمُ لَكُمْ بَعْضَ مَاءٍ تَغْسِلُونَ بِهِ أَرْجُلَكُمْ وَتَتَّكِئُونَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، ٥ثُمَّ آتِي لَكُمْ بِلُقْمَةِ خُبْزٍ تُسْنِدُونَ بِهَا قُلُوبَكُمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُوَاصِلُونَ مَسِيرَتَكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ مِلْتُمْ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمْ». فَأَجَابُوهُ: «حَسَناً، لِيَكُنْ كَمَا قُلْتَ». ٦فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى دَاخِلِ الْخَيْمَةِ إِلَى زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَقَالَ: «هَيَّا أَسْرِعِي وَاعْجِنِي ثَلاَثَ كَيْلاَتٍ مِنْ أَفْضَلِ الدَّقِيقِ وَاخْبِزِيهَا». ٧ثُمَّ أَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ نَحْوَ قَطِيعِهِ وَاخْتَارَ عِجْلاً رَخْصاً طَيِّباً وَأَعْطَاهُ لِغُلامٍ كَيْ يُجَهِّزَهُ. ٨ثُمَّ أَخَذَ زُبْداً وَلَبَناً وَالْعِجْلَ الَّذِي طَبَخَهُ، وَمَدَّهَا أَمَامَهُمْ، وَبَقِيَ وَاقِفاً فِي خِدْمَتِهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهُمْ يَأْكُلُونَ. (التكوين ١٨)

والربُّ حائر في أمر سدوم وعمّورة، ولا يدري إن كانت الشكوى ضدهم تُطابق أعمالهم حقا، وينزل إلى الأرض بنفسه ليقف على حقيقة أمرهم: ١٦ثُمَّ نَهَضَ الرِّجَالُ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. فَمَشَى إِبْرَاهِيمُ مَعَهُمْ لِيُوَدِّعَهُمْ. ١٧فَقَالَ الرَّبُّ: «أَأَكْتُمُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ؟..... ٢٠وَقَالَ الرَّبُّ: «لأَنَّ الشَّكْوَى ضِدَّ مَظَالِمِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَتْ وَخَطِيئَتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدّاً ٢١أَنْزِلُ لأَرَى إِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُطَابِقَةً لِلشَّكْوَى ضِدَّهُمْ وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ». (التكوين ١٨)

والربُّ رجل يُصارع مثل بني البشر؛ كما حدث مع يعقوب الذي اشتبك مع الربِّ في صراع طوال الليل ولم يقدر عليه الربُّ، بل وتوسّل إليه أن يطلقه قبل طلوع الفجر حتى لا يفتضح أمره (أي الرب). ولمّا يئس الربُّ من الفكاك من قبضة يعقوب، ضربه على فخذه ليتخلّص من قبضته، وقال له أطلقني فقد طلع الفجر، وأجابه يعقوب بقوله لا أطلقك

حتى تباركني: ٢٢ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَصَحِبَ مَعَهُ زَوْجَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ
عَشَرَ، وَعَبَرَ بِهِمْ مَخَاضَةَ يَبُوقَ، ٢٣وَلَمَّا أَجَازَهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُ عَبْرَ الْوَادِي، ٢٤وَبَقِيَ وَحْدَهُ،
صَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ. ٢٥وَعِنْدَمَا رَأَى أَنَّهُ لَمْ يَتَغَلَّبْ عَلَى يَعْقُوبَ، ضَرَبَهُ عَلَى
حُقِّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ مِفْصَلُ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. ٢٦وَقَالَ لَهُ: «أَطْلِقْنِي، فَقَدْ طَلَعَ
الْفَجْرُ». فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «لاَ أُطْلِقُكَ حَتَّى تُبَارِكَنِي». ٢٧فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَأَجَابَ:
«يَعْقُوبُ». ٢٨فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ
مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». ٢٩فَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: «أَخْبِرْنِي مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ
اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. ٣٠وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ إِذْ قَالَ: «لأَنِّي شَاهَدْتُ اللهَ وَجْهاً
لِوَجْهٍ وَبَقِيتُ حَيّاً». (التكوين ٣٢)

والربُّ يتباهى أمام موسى بأنّه قد أظهر قوّته لآبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب، ويعلن له اسمه الذي لم يعلنه من قبل وهو «يهوه» أي الربُّ. كما يقول الربُّ: إنّه تذكّر ميثاقه لآبائه، وأنه سوف يُخلّص بني إسرائيل من ظلم المصريين بسبب هذا الميثاق: فَأَجَابَ
الرَّبُّ مُوسَى: «سَتَرَى الآنَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ بِفِرْعَوْنَ، لأَنَّنِي بِيَدٍ قَدِيرَةٍ سَأَجْعَلُهُ يُطْلِقُهُمْ، بَلْ
يَطْرُدُهُمْ طَرْداً أَيْضاً». ٢وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَنَا هُوَ الرَّبُّ. ٣قَدْ ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ
وَيَعْقُوبَ إِلَهاً قَدِيراً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا اسْمِي يَهْوَهْ فَلَمْ أُعْلِنْهُ لَهُمْ. ٤وَقَدْ أَبْرَمْتُ مَعَهُمْ أَيْضاً
مِيثَاقِي بِأَنْ أَهَبَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ حَيْثُ أَقَامُوا فِيهَا كَغُرَبَاءَ. ٥كَذَلِكَ أَصْغَيْتُ إِلَى أَنِينِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ الْمُسْتَعْبَدِينَ لِلْمِصْرِيِّينَ، وَتَذَكَّرْتُ مِيثَاقِي ٦لِهَذَا قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّنِي أَنَا الرَّبُّ وَأَنَا
أُحَرِّرُكُمْ مِنْ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ، وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَأَحْكَامٍ
قَوِيَّةٍ. ٧وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً، فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مُحَرِّرُكُمْ مِنْ أَثْقَالِ
الْمِصْرِيِّينَ. ٨وَأَقُودُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ أَنْ أَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ
لأُعْطِيَهَا لَكُمْ مِلْكاً. أَنَا هُوَ الرَّبُّ». (الخروج ٦)

ويطلب الربُّ لنفسه مكانا مقدّسا يَحِلُّ فيه، بل ويُقدّم لهم بنفسه مواصفات هذا المكان، وكيف يكون بناؤه وتأثيثه: وَخَاطَبَ الرَّبُّ مُوسَى: ٢«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا
لِي تَقْدِمَةً مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ يَحُثُّهُ قَلْبُهُ عَلَى ذَلِكَ. ٣أَمَّا التَّقْدِمَاتُ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا مِنْهُمْ فَهِيَ: ذَهَبٌ
وَفِضَّةٌ وَنُحَاسٌ ٤وَأَقْمِشَةٌ زَرْقَاءُ وَبَنَفْسَجِيَّةٌ وَحَمْرَاءُ، وَمَنْسُوجَاتٌ كَتَّانِيَّةٌ وَشَعْرُ مِعْزَى،

٥وَجُلُودُ كِبَاشٍ مُصَبَّغَةٌ بِالْحُمْرَةِ، وَجُلُودُ دَلاَفِينَ وَخَشَبُ السَّنْطِ، ٦وَزَيْتٌ لِلْمَنَارَةِ، وَأَطْيَابٌ لِدُهْنِ الْمَسْحَةِ وَلِلْبَخُورِ الْعَطِرِ ٧وَحِجَارَةُ جَزْعٍ كَرِيمَةٌ وَحِجَارَةٌ كَرِيمَةٌ أُخْرَى لِتَرْصِيعِ رِدَاءِ الْكَاهِنِ وَصُدْرَتِهِ. ٨فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِساً حَيْثُ أُقِيمُ فِيهِ بَيْنَهُمْ. ٩تَصْنَعُونَهُ وَفْقاً لِمِثَالِ الْمَسْكَنِ وَالآنِيَةِ الَّتِي أَنَا أُرِيكَ. (الخروج ٢٥)

والربُّ حائر لا يدري ما يفعله مع بني إسرائيل، ويؤجّل قراره حتى يستقر على أمر ما بشأنهم: وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اتْرُكْ هَذَا الْمَكَانَ أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَامْضِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: سَأَهَبُهَا لِنَسْلِكَ. ٢وَسَأُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلاَكاً..... أَمَّا أَنَا فَلَنْ أَسِيرَ فِي وَسَطِكُمْ لأَنَّكُمْ شَعْبٌ مُتَصَلِّبُ الْقَلْبِ لِئَلاَّ أُفْنِيَكُمْ فِي الطَّرِيقِ»..... ٥وَكَانَ الرَّبُّ قَدْ قَالَ لِمُوسَى: «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْتُمْ شَعْبٌ مُتَصَلِّبُ الْقَلْبِ، لِهَذَا إِنْ بَقِيتُ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي وَسَطِكُمْ أُفْنِيكُمْ. وَلَكِنِ الآنَ انْزَعُوا زِينَتَكُمْ عَنْكُمْ إِلَى أَنْ أَتَّخِذَ قَرَارِي بِشَأْنِكُمْ». (الخروج ٣٣)

إعلان الربِّ عن نفسه

يعلن الربُّ عن وجوده بظواهر غريبة، ويلجأ إلى حيل عجيبة لإنفاذ قضائه في بني إسرائيل، أو لإنقاذ أنبيائه. فالربُّ يطلب من إيليا أن يخرج إليه من المغارة، وأن يقف على الجبل لأنه سوف يعبُر من أمامه. وتهب ريح عاتية تتشقّق من هولها الجبال، وتتحطّم الصخور، وتتزلزل الأرض، وتمرُّ نار محرقة، ثم يسمع إيليا همسا فيلف وجهه بردائه ويخرج إلى باب الكهف فيخاطبه الربُّ: ٩فَدَخَلَ مُغَارَةً هُنَاكَ وَبَاتَ فِيهَا وَقَالَ الرَّبُّ لإِيلِيَّا: «مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَاإِيلِيَّا؟» ١٠فَأَجَابَ: «غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ الإِلَهِ الْقَدِيرِ..... ١١فَقَالَ لَهُ: «اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامِي، لأَنِّي مُزْمِعٌ أَنْ أَعْبُرَ». ثُمَّ هَبَّتْ رِيحٌ عَاتِيَةٌ شَقَّتِ الْجِبَالَ وَحَطَّمَتِ الصُّخُورَ، وَلَكِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَكُنْ فِي الرِّيحِ. ثُمَّ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ. ١٢وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ اجْتَازَتْ بِهِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ. وَبَعْدَ النَّارِ رَفَّ فِي مَسَامِعِ إِيلِيَّا صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ هَامِسٌ. ١٣فَلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَّا الصَّوْتَ، لَفَّ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ، وَخَرَجَ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْكَهْفِ. وَإِذَا بِصَوْتٍ يُخَاطِبُهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَاإِيلِيَّا؟» (الملوك الأول ١٩)

والربُّ يُخيّر عبده داود بين أمور ثلاثة ليختار واحدة منها تكون عقابا له على جُرْم اقترفه وهو إحصاء الشعب دون أمر من الرب: ٩ فَقَالَ الرَّبُّ لِجَادَ رَائِي دَاوُدَ: ١٠ «اذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ ثَلاَثَةَ أُمُورٍ، اخْتَرْ وَاحِداً مِنْهَا فَأُجْرِيَهُ عَلَيْكَ». ١١ فَمَثَلَ جَادُ أَمَامَ دَاوُدَ وَخَاطَبَهُ: «هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: هَيَّا اخْتَرْ. ١٢ إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ مَجَاعَةٌ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ يُطَارِدُكَ فِيهَا أَعْدَاؤُكَ، وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ وَإِمَّا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَتَسَلَّطُ فِيهَا عَلَيْكَ سَيْفُ الرَّبِّ فَيَتَفَشَّى الْوَبَأُ فِي الأَرْضِ، إِذْ يَجُولُ مَلاَكُ الرَّبِّ يُدَمِّرُ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ إِسْرَائِيلَ. فَكِّرْ مَلِيّاً فِي الأَمْرِ لأَرُدَّ جَوَاباً عَلَى مَنْ أَرْسَلَنِي». (أخبار الأيام الأول ٢١)

وجاء ملاك الربِّ إلى قرية عَفْرَةَ، وجلس تحت شجرة البلّوط، وتجلّى لجِدْعُون بن يُوآشَ الأَبِيعَزَرِيُّ وقال له: الربُّ معك أيها المحارب الجبّار، فردّ عليه جِدْعُونُ متسائلا إن كان الربُّ معنا فلماذا أصابنا بكل هذا البلاء؟ فالتفت إليه الربُّ وأجاب أنت الذي سوف تُنقذ بني إسرائيل من قبضة المديانيين، فطلب جِدْعُونُ علامة من الربِّ، وتضرّع إليه أن لا يذهب قبل أن يأتي له بتقْدُمة (قربان)، ودخل إلى بيته وأحضر فطيرا ولحما وحساء وقدّمها لملاك الربِّ، فقال له الملاك ضعها فوق تلك الصخرة. ومدّ ملاك الربِّ طرف عُكّازه الذي بيده، ومسّ بها تقْدُمة جدعون؛ فاندلعت نار من الصخرة والتهمتها، ثم توارى ملاك الرب عن عينيه: ١١ ثُمَّ جَاءَ مَلاَكُ الرَّبِّ إِلَى قَرْيَةِ عَفْرَةَ، وَجَلَسَ تَحْتَ شَجَرَةِ الْبَلُّوطِ الَّتِي يَمْلِكُهَا يُوآشُ الأَبِيعَزَرِيُّ. وَكَانَ ابْنُهُ جِدْعُونُ يَخْبِطُ حِنْطَةً فِي الْمِعْصَرَةِ لِكَيْ يُهَرِّبَهَا مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ. ١٢ فَتَجَلَّى لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَالَ لَهُ: «الرَّبُّ مَعَكَ أَيُّهَا الْمُحَارِبُ الْجَبَّارُ». ١٣ فَقَالَ لَهُ جِدْعُونُ: «دَعْنِي أَسْأَلُكَ يَاسَيِّدِي: إِنْ كَانَ الرَّبُّ مَعَنَا، فَلِمَاذَا أَصَابَنَا كُلُّ هَذَا الْبَلاَءِ؟ وَأَيْنَ كُلُّ عَجَائِبِهِ الَّتِي حَدَّثَنَا بِهَا آبَاؤُنَا..... ١٤ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الرَّبُّ وَأَجَابَ: «اذْهَبْ بِهَا تَمْلِكُهُ مِنْ قُوَّةٍ وَأَنْقِذْ إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْضَةِ الْمِدْيَانِيِّينَ. أَلَسْتُ أَنَا الَّذِي أَرْسَلَكَ؟».... «سَأَكُونُ مَعَكَ فَتَقْضِي عَلَى الْمِدْيَانِيِّينَ وَكَأَنَّكَ تَقْضِي عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ». ١٧ فَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتُ حَقّاً قَدْ حَظِيتُ بِرِضَاكَ، فَأَعْطِنِي عَلاَمَةً أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تُخَاطِبُنِي. ١٨ أَرْجُوكَ أَلاَ تَمْضِيَ مِنْ هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ وَأَضَعَ تَقْدِمَتِي أَمَامَكَ». فَأَجَابَهُ: «سَأَبْقَى حَتَّى تَرْجِعَ». ١٩ فَدَخَلَ جِدْعُونُ إِلَى بَيْتِهِ وَأَعَدَّ جَدْياً وَإِيفَةَ دَقِيقٍ فَطِيراً، وَوَضَعَ اللَّحْمَ فِي سَلٍّ وَالْحِسَاءَ فِي قِدْرٍ، وَحَمَلَهَا إِلَيْهِ تَحْتَ الْبَلُّوطَةِ وَقَدَّمَهَا لَهُ. ٢٠ فَقَالَ الْمَلاَكُ لَهُ: «خُذِ اللَّحْمَ وَالْفَطِيرَ، وَضَعْهُمَا فَوْقَ تِلْكَ الصَّخْرَةِ وَاسْكُبِ الْحِسَاءَ»

فَنَعَلَ جِدْعُونُ ذَلِكَ. ٢١ فَمَدَّ مَلاَكُ الرَّبِّ طَرَفَ الْعُكَّازِ الَّذِي بِيَدِهِ وَمَسَّ بِهِ اللَّحْمَ وَالْفَطِيرَ، فَانْدَلَعَتْ نَارٌ مِنَ الصَّخْرَةِ وَالْتَهَمَتْهُمَا. وَتَوَارَى مَلاَكُ الرَّبِّ عَنْ عَيْنَيْهِ (القضاة ٦)

وتجلّى ملاك الربِّ لامرأة مَنُوح العاقر وقال لها سوف تحبلين وتلدين ابنا، فلا تحلقي شعر رأسه، وانذريه للرب منذ مولده؛ وسوف يكون على يديه إنقاذ بني إسرائيل من تسلُّط الفلسطينيين عليهم. ولما أخبرت زوجة منوح زوجها بالأمر تضرّع إلى الربِّ أن يُرسل إليهما رجل الربِّ ليعلِّمهما كيف يربِّيان الصبي. واستجاب الربُّ لصلاة منوح؛ فتجلّى ملاك الربِّ لزوجته التي أسرعت إلى زوجها لتخبره. ولما قدم منوح إلى حيث يقف ملاك الربِّ سأله منوح إن كان هو الرجل الذي خاطب زوجته من قبل، فقال نعم أنا هو فسأله منوح كيف نقوم بتربية الصبي الذي بشّرت به؟ فأوصاه بأن تحرص زوجته على إطاعة كل ما أوصاها به. فقال له منوح ليتك تمكث معنا حتى نُجهِّز لك طعاما، فردّ عليه لن آكل من خبزك، لكن قرِّب مذبحة للربِّ. أعدّ منوح تقدُمته ووضعها على الصخرة، والتهمت النار تقدُمة منوح، ورأى منوح الملاك يصعد في ألسنة اللهب المرتفعة من المذبح: ٢ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مِنْ بَلْدَةِ صُرْعَةَ مِنْ عَشِيرَةِ الدَّانِيِّينَ يُدْعَى مَنُوحَ، وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ لَمْ تُنْجِبْ. ٣ فَتَجَلَّى مَلاَكُ الرَّبِّ لِلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا: «إِنَّكِ عَاقِرٌ لَمْ تُنْجِبِي، وَلَكِنَّكِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً. ٤ إِنَّمَا إِيَّاكِ أَنْ تَشْرَبِي خَمْراً أَوْ مُسْكِراً أَوْ تَأْكُلِي شَيْئاً مُحَرَّماً ٥ لأَنَّكِ سَتَحْمِلِينَ وَتُنْجِبِينَ ابْناً. فَلاَ تَحْلِقِي شَعْرَ رَأْسِهِ لأَنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيراً للهِ مِنْ مَوْلِدِهِ، وَهُوَ يَشْرَعُ فِي إِنْقَاذِ إِسْرَائِيلَ مِنْ تَسَلُّطِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ..... ٨ فَتَضَرَّعَ مَنُوحُ إِلَى الرَّبِّ قَائِلاً: «أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ يَاسَيِّدِي أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْنَا رَجُلَ اللهِ الَّذِي بَعَثْتَهُ، لِيُعَلِّمَنَا كَيْفَ نُرَبِّي الصَّبِيَّ الَّذِي يُولَدُ». ٩ فَاسْتَجَابَ اللهُ صَلاَةَ مَنُوحَ، فَتَجَلَّى مَلاَكُ اللهِ أَيْضاً لِلْمَرْأَةِ وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي الْحَقْلِ، وَلَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا مَنُوحُ مَعَهَا.
١٠ فَأَسْرَعَتْ وَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا قَائِلَةً: «تَرَاءَى لِيَ الرَّجُلُ الَّذِي ظَهَرَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ».
١١ فَهَبَّ مَنُوحُ فِي إِثْرِ زَوْجَتِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الرَّجُلِ وَسَأَلَهُ: «أَأَنْتَ الرَّجُلُ الَّذِي خَاطَبَ زَوْجَتِي مِنْ قَبْلُ؟» فَأَجَابَهُ: «أَنَا هُوَ». ١٢ فَقَالَ مَنُوحُ: «عِنْدَمَا يَتَحَقَّقُ كَلاَمُكَ فَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ نَقُومَ بِتَرْبِيَةِ الصَّبِيِّ وَمُعَامَلَتِهِ؟» ١٣ فَأَجَابَهُ الْمَلاَكُ: «لِتَحْرِصِ الْمَرْأَةُ عَلَى طَاعَةِ كُلِّ مَا أَمَرْتُهَا بِهِ..... ١٥ فَقَالَ لَهُ مَنُوحُ: «نَوَدُّ أَنْ تَمْكُثَ مَعَنَا رَيْثَمَا نُجَهِّزُ لَكَ جَدْياً». ١٦ فَأَجَابَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «وَلَوْ أَعَقْتَنِي لَنْ آكُلَ مِنْ خُبْزِكَ، وَإِنْ قَرَّبْتَ مُحْرَقَةً فَلِلرَّبِّ قَدِّمْهَا»..... ١٩ ثُمَّ

أَخَذَ مَنُوحُ جَدْياً وَتَقْدِمَةَ حُبُوبٍ وَقَرَّبَهُمَا عَلَى الصَّخْرَةِ لِلرَّبِّ. فَقَامَ الْمَلاَكُ بِعَمَلٍ عَجِيبٍ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ مَنُوحَ وَزَوْجَتِهِ ٢٠ فَقَدْ صَعِدَ فِي أَلْسِنَةِ اللهِيبِ الْمُرْتَفِعَةِ مِنَ الْمَذْبَحِ نَحْوَ السَّمَاءِ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْهُمَا، فَخَرَّا عَلَى الأَرْضِ سَاجِدَيْنِ. (القضاة ١٣)

خلقُ الأشياء صُدفة

لمّا خلق الله السماوات والأرض لم يكن في سابق علمه ما سوف يكون فيها من مخلوقات، بل خلق الله الخلق صدفة واستحسن ما خلقه، حتى مُسمّيات تلك الأشياء ووظائفها جاءت عفو الخاطر، وحسب الشكل الذي وُجِدَتْ عليه تلك المخلوقات. وسوف نجد ذلك واضحا في تسلسل الخلق ومرور الأيام التي تم فيها الخلق الأول. وسوف أكتفي ببعض الأمثلة على ذلك.

في اليوم الأول من الخلق تقول التوراة آنّه لمّا كان الظلام هـو السائد؛ فقد أمر الله أن يكون هناك نور يُبدِّد هذا الظلام. ولمّا رأى الله النور؛ استحسنه، وفصل بينه وبين الظلام، وسمّى النورَ نهارا، وسمّى الظلامَ ليلا: ٣أَمَرَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ». فَصَارَ نُورٌ، ٤وَرَأَى اللهُ النُّورَ فَاسْتَحْسَنَهُ وَفَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الظَّلامِ. ٥وَسَمَّى اللهُ النُّورَ نَهَاراً، أَمَّا الظَّلامُ فَسَمَّاهُ لَيْلاً. (التكوين ١)

وفي اليوم الثاني أمر الله أن تكون هناك طبقة فاصلة بين المياه التي تغمر الأرض والمياه التي تحملها السحب؛ فكان الجَلَدُ الذي يعرّفه المفسّرون للتوراة بأنه الهواء. وسماه الله سماء من السمو والارتفاع: ٦ثُمَّ أَمَرَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ يَحْجُزُ بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». ٧فَخَلَقَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْمِلُهَا السُّحُبُ وَالْمِيَاهِ الَّتِي تَغْمُرُ الأَرْضَ. وَهَكَذَا كَانَ. ٨وَسَمَّى اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. (التكوين ١)

ولمّا انتهى الله من جميع خلقه، وما أعدّه لحياة الإنسان، أراد أن يخلق الإنسان، فخلقه على صورته. ورأى الله ما خلقه؛ فاستحسنه جدّا: ٢٤ثُمَّ أَمَرَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ كَائِنَاتٍ حَيَّةً، كُلاً حَسَبَ جِنْسِهَا، مِنْ بَهَائِمَ وَزَوَاحِفَ وَوُحُوشٍ وَفْقاً لأَنْوَاعِهَا». وَهَكَذَا كَانَ..... وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَاسْتَحْسَنَهُ. ٢٦ثُمَّ قَالَ اللهُ: «لِنَصْنَعِ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا، كَمِثَالِنَا،.....

٢٧فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ..... ٣١وَرَأَى اللهُ مَا خَلَقَهُ فَاسْتَحْسَنَهُ جِدّاً. (التكوين ١)

ولمّا كان آدم وحيدا فكّر الربُّ في أن يؤنس وحدته؛ بأن يخلق له شبيها يسكن إليه ويشاركه حياته، فخلق له حوّاء: ١٨ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «لَيْسَ مُسْتَحْسَناً أَنْ يَبْقَى آدَمُ وَحِيداً. سَأَصْنَعُ لَهُ مُعِيناً مُشَابِهاً لَهُ». (التكوين ٢)

أدب الأنبياء مع الربّ

يُجادلُ إبراهيمُ ربَّه حين أبلغه بأنّه سوف يُنْزل الهلاك بقوم لوط، ويقول له: أتُهْلك البار مع الأثيم؟ ويجيبه الرب أنه لو وجد فيهم خمسين بارا فلن يُهْلك الجميع بسببهم. ويسأله إبراهيم قائلا ماذا لو نقص الخمسون بارا خمسة فيجيبه الربُّ بأنّه لن يهلكهم. وتستمر مساومة إبراهيم مع ربّه حتى يصل عدد البررة من قوم لوط الذين وعدد الربُّ إبراهيم بعدم إهلاك قوم لوط بسببهم إلى عشرة، والرب يوافقه: ٢٣فَاقْتَرَبَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ ٢٤لَوْ وُجِدَ فِي الْمَدِينَةِ خَمْسُونَ بَارّاً، فَهَلْ تُدَمِّرُهَا وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهَا مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارّاً الَّذِينَ فِيهَا؟ ٢٥تَنَزَّهْتَ عَنْ أَنْ تُهْلِكَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ؛ حَاشَا لَكَ. أَدَيَّانُ الأَرْضِ كُلِّهَا لاَ يُجْرِي عَدْلاً؟» ٢٦فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارّاً فَإِنَّنِي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ»..... ٢٨مَاذَا لَوْ نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارّاً خَمْسَةً؟ أَفَتُهْلِكُ الْمَدِينَةَ كُلَّهَا مِنْ أَجْلِ الْخَمْسَةِ؟» فَأَجَابَهُ: «إِنْ وَجَدْتُ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ بَارّاً لاَ أُهْلِكُهَا». ٢٩فَخَاطَبَهُ إِبْرَاهِيمُ ثَانِيَةً: «وَمَاذَا لَوْ وُجِدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ بَارّاً فَقَطْ؟». فَأَجَابَهُ: «لاَ أُهْلِكُهَا مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ». ٣٠وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ..... مَاذَا لَوْ وُجِدَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ بَارّاً؟». فَأَجَابَهُ: «لاَ أُهْلِكُهَا إِنْ وَجَدْتُ ثَلاَثِينَ». ٣١وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:..... فَمَاذَا لَوْ وَجَدْتَ هُنَاكَ عِشْرِينَ بَارّاً؟» فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُهَا مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ». ٣٢وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:..... مَاذَا لَوْ وُجِدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ؟». فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «لاَ أُهْلِكُهَا مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ». (التكوين ١٨)

ويجادل موسى ربّه بخصوص موقف قومه منه، ويضطر الربُّ أن يُثْبت أمام نبيّه أنه ربٌّ قبل أن يرسله بآياته إلى فرعون. بل ويحتدم غضب الربِّ على نبيّه قبل أن يباشر الرسولُ تبليغ رسالته: فَقَالَ مُوسَى: «مَاذَا إِذَا لَمْ يُصَدِّقُونِي وَلَمْ يَصْغُوا إِلَيَّ وَقَالُوا: إِنَّ الرَّبَّ

لَمْ يَظْهَرْ لَكَ؟» ٢فَسَأَلَهُ الرَّبُّ: «مَا تِلْكَ الَّتِي بِيَدِكَ؟» فَأَجَابَ: «عَصاً». ٣فَقَالَ: «أَلْقِهَا عَلَى
الأَرْضِ». فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ، فَهَرَبَ مِنْهَا مُوسَى. ٤فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَاقْبِضْ
عَلَيْهَا مِنْ ذَيْلِهَا». فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهَا، فَارْتَدَّتْ عَصاً فِي يَدِهِ..... ٦ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ
أَيْضاً: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبِّكَ». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّهِ. وَعِنْدَمَا أَخْرَجَهَا إِذَا بِهَا بَرْصَاءُ كَالثَّلْجِ.
٧وَأَمَرَهُ الرَّبُّ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبِّكَ ثَانِيَةً». فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ ثَانِيَةً ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّهِ، وَإِذَا بِهَا
قَدْ عَادَتْ مِثْلَ بَاقِي جَسَدِهِ. ٨وَقَالَ الرَّبُّ: «إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوكَ،..... فَاغْرِفْ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ
وَاسْكُبْهُ عَلَى الأَرْضِ الْجَافَّةِ، فَيَتَحَوَّلَ الْمَاءُ الَّذِي غَرَفْتَهُ مِنَ النَّهْرِ إِلَى دَمٍ فَوْقَ الأَرْضِ».
١٠فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اصْغَ يَارَبُّ، أَنَا لَمْ أَكُنْ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ فَصِيحاً،..... إِنَّمَا أَنَا بَطِيءُ
النُّطْقِ عَيِيُّ اللِّسَانِ». ١١فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: «مَنْ هُوَ بَارِيءُ فَمِ الإِنْسَانِ؟ أَوْ مَنْ يَجْعَلُهُ أَخْرَسَ
أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ كَفِيفاً؟ أَلَسْتُ أَنَا الرَّبُّ؟ ١٢فَالآنَ انْطَلِقْ فَأَلَقِّنَ فَمَكَ النُّطْقَ، وَأُعَلِّمَكَ
مَاذَا تَقُولُ». ١٣لَكِنَّ مُوسَى أَجَابَ: «يَاسَيِّدُ، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُرْسِلَ مَنْ تَشَاءُ غَيْرِي».
١٤فَاحْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَرُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يُحْسِنُ
الْكَلاَمَ، وَهَا هُوَ أَيْضاً قَادِمٌ لِلِقَائِكَ. وَحَالَمَا يَرَاكَ يَبْتَهِجُ قَلْبُهُ. ١٥فَتُحَدِّثُهُ وَتُلَقِّنُ فَمَهُ الْكَلاَمَ،
فَأُعِينُكُمَا عَلَى الْقَوْلِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَفْعَلاَنِ، (التكوين ٤)

ويظهر الربُّ في هيئة رجل يجادل موسى ويجادله موسى، بل ويهم أن يقتل موسى لولا حيلة قامت بها زوجته لتخليصه من القتل:
٢١وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «حَالَمَا تَرْجِعُ إِلَى
مِصْرَ، تَذَكَّرْ أَنْ تُجْرِيَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي مَنَحْتُكَ الْقُوَّةَ عَلَى إِجْرَائِهَا،.....
٢٤وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، بِالْقُرْبِ مِنْ خَانٍ، الْتَقَاهُ الرَّبُّ وَهَمَّ أَنْ يَقْتُلَهُ. ٢٥فَأَخَذَتْ صَفُّورَةُ
صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ قُلْفَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ بِهَا قَدَمَيْ مُوسَى قَائِلَةً: «حَقّاً إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي». ٢٦فَعَفَا
الرَّبُّ عَنْهُ (التكوين ٤)

ويخاطب موسى ربَّه بصيغة لا تخلو من توبيخ ومساءلة حينما يشكو بنو إسرائيل إليه من زيادة فرعون من تنكيله بهم بعد دعوته له بإطلاقهم، والرب يتودّد إلى بني إسرائيل، ويعِدهم بأنه سيخلِّصهم من فرعون، وأنه سيُحقِّق وعده الذي وعده لآبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب بإخراجهم من مصر إلى الأرض الموعودة، وأنه سوف يتّخِذهم شعبا له، ويكون إلها لهم وحدهم: ١٩فَوَجَدَ رُؤَسَاءُ عُمَّالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْفُسَهُمْ فِي وَرْطَةٍ سَيِّئَةٍ

بَعْدَ أَنْ قِيلَ لَهُمْ أَنْتِجُوا مِنْ لِبْنِكُمْ فَرِيضَةَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ. لاَ تُنْقِصُوا مِنْهَا شَيْئاً ٢٠وَصَادَفُوا
مُوسَى وَهَرُونَ وَهُمَا وَاقِفَانِ فِي انْتِظَارِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ ٢١فَقَالُوا لَهُمَا:
«لِيَنْظُرْ إِلَيْكُمَا الرَّبُّ وَيَقْضِ. لَقَدْ كَرَّهْتُمَا بِنَا فِرْعَوْنَ وَحَاشِيَتَهُ، وَأَعْطَيْتُمَاهُمْ سَيْفاً فِي أَيْدِيهِمْ
لِيَقْتُلُونَا». ٢٢فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى شَعْبِكَ يَارَبُّ؟ لِمَاذَا أَرْسَلْتَنِي؟
٢٣فَمُنْذُ أَنْ جِئْتُ لأُخَاطِبَ فِرْعَوْنَ بِاسْمِكَ، أَسَاءَ إِلَى الشَّعْبِ، وَأَنْتَ لَمْ تُخَلِّصْ شَعْبَكَ عَلَى
الإِطْلاقِ» (الخروج ٥)

فَأَجَابَ الرَّبُّ مُوسَى: «سَتَرَى الآنَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ بِفِرْعَوْنَ، لأَنَّنِي بِيَدٍ قَدِيرَةٍ سَأَجْعَلُهُ
يُطْلِقُهُمْ، بَلْ يَطْرُدُهُمْ طَرْداً أَيْضاً». ٢وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَنَا هُوَ الرَّبُّ. ٣قَدْ ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ إِلَهاً قَدِيراً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا اسْمِي يَهْوَهْ فَلَمْ أُعْلِنْهُ لَهُمْ. ٤وَقَدْ أَبْرَمْتُ
مَعَهُمْ أَيْضاً مِيثَاقِي بِأَنْ أَهَبَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ حَيْثُ أَقَامُوا فِيهَا كَغُرَبَاءَ. ٥كَذَلِكَ أَصْغَيْتُ إِلَى
أَنِينِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُسْتَعْبَدِينَ الْمِصْرِيِّينَ، وَتَذَكَّرْتُ مِيثَاقِي ٦لِهَذَا قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّنِي أَنَا
الرَّبُّ وَأَنَا أُحَرِّرُكُمْ مِنْ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ، وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ
وَأَحْكَامٍ قَوِيَّةٍ. ٧وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً، فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مُحَرِّرُكُمْ مِنْ
أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ. ٨وَأَقُودُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ أَنْ أَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ
لأُعْطِيَهَا لَكُمْ مِلْكاً. أَنَا هُوَ الرَّبُّ». (الخروج ٦)

ويجادل موسى الربَّ بقوله لقد قلت لي قم بقيادة هذا الشعب لكنك لم تخبرني عمّن سترسله معي ليعينني في مهمتي، وإن كنتُ قد حظيتُ برضاك حقّا فأرشدني حتى أسلك طريقك الذي ترضى، ولا تتخلّى عن شعبك، ويجب أن تُميّزهم عن باقي الأمم. ويضيف موسى قائلا إن لم ترافقنا بحضورك الدائم فلا تُخْرجنا من هذه الأرض. ويجيب الربُّ بأنه سوف يفعل ما طلبه موسى لأنه راض عنه: ١٢وَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «هَا أَنْتَ قَدْ قُلْتَ لِي:
قُدْ هَذَا الشَّعْبَ، وَلَكِنْ لَمْ تُعْلِمْنِي مَنْ سَتُرْسِلُ مَعِي. ثُمَّ قُلْتَ: إِنِّي عَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ وَحَظِيتَ
بِرِضَايَ. ١٣فَالآنَ إِنْ كُنْتُ حَقّاً قَدْ حَظِيتُ بِرِضَاكَ، فَأَرْشِدْنِي إِلَى طَرِيقِكَ لِكَيْ أَسْلُكَ
حَسَبَ قَصْدِكَ، وَأَحْظَى بِمَسَرَّتِكَ، وَاذْكُرْ أَيْضاً أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ هِيَ شَعْبُكَ». ١٤فَأَجَابَهُ:
«إِنَّ حُضُورِي يُرَافِقُكَ فَأُرِيحُكَ». ١٥فَقَالَ مُوسَى: «إِنْ لَمْ تُرَافِقْنَا بِحُضُورِكَ، فَلاَ تُصْعِدْنَا
مِنْ هُنَا، ١٦إِذْ كَيْفَ يُدْرَكُ أَنِّي وَشَعْبَكَ قَدْ حَظِينَا بِرِضَاكَ؟ أَلَيْسَ بِمُرَافَقَتِكَ لَنَا، فَنَتَمَيَّزُ

أَنَا وَشَعْبُكَ بِذَلِكَ عَنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ السَّاكِنِينَ فِي الأَرْضِ؟» ١٧فَأَجَابَ الرَّبُّ مُوسَى: «سَأَفْعَلُ عَيْنَ هَذَا الأَمْرِ الَّذِي الْتَمَسْتَ. لأَنَّكَ حَظِيتَ بِرِضَايَ وَأَنَا عَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ». (الخروج ٣٣)

ويتمرّد موسى على الربِّ لّما رأى غضبه على بني إسرائيل، فيقول لربّه: لماذا أسأت إليّ، وحمّلتني مسئولية هذا الشعب وحدي، إن كنتَ ستظلُّ تعاملني هكذا فالأفضل لي أن تقتلني: ١٠فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى بُكَاءَ جَمِيعِ أَفْرَادِ الشَّعْبِ، كُلٌّ أَمَامَ بَابِ خَيْمَتِهِ، وَرَأَى احْتِدَامَ غَضَبِ الرَّبِّ الشَّدِيدِ اعْتَرَاهُ الاسْتِيَاءُ. ١١فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى عَبْدِكَ وَلَمْ تَرْضَ عَنْهُ حَتَّى إِنَّكَ حَمَّلْتَهُ مَسْؤُولِيَّةَ هَذَا الشَّعْبِ؟ ١٢أَلَعَلِّي حَبِلْتُ بِهِ أَوْ وَلَدْتُهُ، حَتَّى تَقُولَ لِي احْمِلْهُ فِي حِضْنِكَ كَمَا يَحْمِلُ الْمُرَبِّي الرَّضِيعَ، وَقُدْهُ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتَ بِهَا آبَاءَهُ. ١٣مِنْ أَيْنَ أَجِيءُ بِلَحْمٍ يَكْفِي جَمِيعَ هَذَا الشَّعْبِ؟ فَإِنَّهُمْ يَبْكُونَ إِلَيَّ قَائِلِينَ: أَعْطِنَا لَحْماً لِنَأْكُلَ. ١٤إِنَّنِي عَاجِزٌ عَنْ حَمْلِ عِبْءِ هَذَا الشَّعْبِ وَحْدِي لأَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَيَّ. ١٥إِنْ كُنْتَ سَتُعَامِلُنِي هَكَذَا، فَاقْتُلْنِي، إِنْ حَظِيتُ بِرِضَاكَ، فَلاَ أَشْهَدُ بَلِيَّتِي». (العدد ١١)

والربُّ الغاضب على بني إسرائيل لعبادتهم العجل، يستأذن موسى ليُفْني هذا الشعب المتصلِّب، فيقول موسى للربِّ: لماذا يحتدُّ غضبُك عليهم فتفنيهم بعد أن أخرجتهم من مصر بقوتك فيشمت فيهم المصريون، ارجع عن غضبك ولا توقع بهم العذاب. ويُذكّر موسى الربَّ بوعوده لآبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب بأن يكثّر نسلهم ويهبهم جميع الأرض. ويسكت غضبُ الربِّ عنهم رأفة بهم، ويرجع عن توعُّدِه لهم: ٧فَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى: «قُمْ وَانْزِلْ فَإِنَّ الشَّعْبَ الَّذِي قَدْ أَخْرَجْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، قَدْ فَسَدَ. ٨إِذِ انْحَرَفُوا سَرِيعاً عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، فَصَاغُوا لَهُمْ عِجْلاً وَعَبَدُوهُ وَذَبَحُوا لَهُ الذَّبَائِحَ هَاتِفِينَ: هَذَا هُوَ إِلَهُكَ يَاإِسْرَائِيلُ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ». ٩وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَإِذَا بِهِ شَعْبٌ عَنِيدٌ مُتَصَلِّبُ الْقَلْبِ. ١٠وَالآنَ دَعْنِي وَغَضَبِي الْمُحْتَدِمَ فَأُفْنِيَهُمْ، ثُمَّ أَجْعَلَكَ أَنْتَ شَعْباً عَظِيماً». ١١فَابْتَهَلَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «لِمَاذَا يَحْتَدِمُ غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَذِرَاعٍ مُقْتَدِرَةٍ؟ ١٢لِمَاذَا يَشْمَتُ الْمِصْرِيُّونَ فِينَا قَائِلِينَ: لَقَدِ احْتَالَ عَلَيْهِمْ إِلَهُهُمْ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ هَهُنَا لِيُهْلِكَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ وَلاَ تُوقِعْ هَذَا الْعِقَابَ بِشَعْبِكَ. ١٣اذْكُرْ وُعُودَكَ

لِعَبِيدِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَإِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقْسَمْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ قَائِلاً: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأَهَبُكُمْ جَمِيعَ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتُ بِهَا فَتَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». ١٤ فَتَرَاءَفَ الرَّبُّ وَلَمْ يُوْقِعْ بِشَعْبِهِ الْعِقَابَ الَّذِي تَوَعَّدَ بِهِ. (الخروج ٣٢)

ولّما تمرّد بنو إسرائيل على موسى وهارون وأبوا دخول الأرض المُقدّسة، خاطب الربُّ موسى بنبرة فيها أسى قائلا إلى متى يظلُّ بنو إسرائيل لا يصدِّقونه (أي الرب) رغم ما أجراه عليهم من معجزات. ولما قرّر الربُّ معاقبتهم لام موسى الربَّ على تفكيره في إهلاكهم، وحذّره مما قد يقوله أعداؤهم من أنه الربُّ القدير قد عجز عن إدخالهم الأرض التي وعدهم إياها: ١١وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «إِلَى مَتَى يُمْعِنُ هَذَا الشَّعْبُ فِي إِهَانَتِي، وَإِلَى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مُعْجِزَاتِي الَّتِي أَجْرَيْتُهَا فِي وَسَطِهِمْ؟ ١٢سَأُبِيدُهُمْ بِالْوَبَأِ، وَأَجْعَلُكَ شَعْباً أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ». ١٣فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «عِنْدَئِذٍ يَسْمَعُ الْمِصْرِيُّونَ، الَّذِينَ أَخْرَجْتَ هَذَا الشَّعْبَ مِنْ بَيْنِهِمْ بِقُدْرَتِكَ، بِهَذَا ١٤وَيُخْبِرُونَ بِهِ أَهْلَ هَذِهِ الأَرْضِ، الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا يَارَبُّ أَنَّكَ قَائِمٌ فِي وَسَطِ هَذَا الشَّعْبِ،..... ١٥فَإِنْ أَهْلَكْتَ هَذَا الشَّعْبَ دَفْعَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّ الأُمَمَ الَّتِي سَمِعَتْ بِخَبَرِكَ تَقُولُ ١٦إِنَّكَ قَدْ عَجَزْتَ عَنْ أَنْ تُدْخِلَ هَذَا الشَّعْبَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ بِهَا، فَأَهْلَكْتَهُمْ فِي الصَّحْرَاءِ. (العدد ١٤)

والربُّ في موضع اختبار من جدعون؛ الذي يطلب منه علامة تؤكِّد له أنه سيُنْقِذ بني إسرائيل على يديه: ٣٦وَقَالَ جِدْعُونُ للهِ: «إِنْ كُنْتَ حَقّاً سَتُنْقِذُ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيَّ كَمَا وَعَدْتَ (فَأَعْطِنِي عَلاَمَةً عَلَى ذَلِكَ): ٣٧سَأَضَعُ اللَّيْلَةَ جَزَّةَ صُوفٍ فِي الْبَيْدَرِ، فَإِنِ ابْتَلَّتِ الْجَزَّةُ وَحْدَهَا بِالنَّدَى، وَبَقِيَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا جَافَّةً، أُدْرِكُ أَنَّكَ تُنْقِذُ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيَّ كَمَا وَعَدْتَنِي». (القضاة ٦)

تعدُّد الآلهة

لما أكل آدمُ من شجرة معرفة الخير والشر قال الربُّ: إن آدم قد صار كواحد منا يميِّز بين الخير والشر، وقد يأكل من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد؛ ومن ثَمّ طرده من الجنة حتى لا يبقى في مصاف الآلهة: ٢٢ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «هَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا، يُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَدْ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَتَنَاوَلُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ وَيَأْكُلُ، فَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». ٢٣فَأَخْرَجَهُ

مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْ تُرَابِهَا. ٢٤وَهَكَذَا طَرَدَ اللهُ الإِنْسَانَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، وَأَقَامَ مَلائِكَةَ الْكَرُوبِيمِ وَسَيْفاً نَارِيّاً مُتَقَلِّباً شَرْقِيَّ الْجَنَّةِ لِحِرَاسَةِ الطَّرِيقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى «شَجَرَةِ الْحَيَاةِ». (التكوين ٣)

من أسماء الله في التوراة

إيــل: إله، وتعني الله الواحد الأحد.

إلوهيم: صيغة الجمع للاسم إيل، وتعني قادر، وقوي وقوته لا نهائية، وسائد فوق الكل، وخالق. ويقال إلوهيم للإشارة إلى أن الله إله كل الخليقة.

يهـوه: الكائن القائم بنفسه، الواجب الوجود. ويقال يهوه للإشارة إلى علاقة الله بشعبه الخاص (بني إسرائيل) الذي يخلِّصهم ويقدِّسهم.

أدوني: لما رأى الكهنة أن اليهود يردِّدون اسم (يهوه) بكثير من الاستهانة، حرّموا على الجميع النطق بهذا الاسم؛ فلم يعد يحلُّ لأحد أن ينطق به إلا رئيس الكهنة وحده أثناء الصلاة في الهيكل، وبدلا منه يستعملون تلك التسمية والتي تعني الرب أو السيد.

الملـك: وأصلها العبري (أدوناي) الذي له السيادة المطلقة على كل الشعوب.

العلـي: مالك كل شيء.

الإله السرمدي: الذي يفوق المكان والزمان، فلا نهاية له، ولا أحد بعده. بالعبرية (إيل عولام).

القديـر: القوي المقتدر. وأصلها العبري (شدّاي) وتفيد القدرة، وهو اسم مرتبط بالخلْق، فهو الذي يُغذِّي ويعول ويُشبع، وهو القادر الذي فيه كل الكفاية.

العزيز: أصلها العبري (أبير) وتفيد معنى القدرة والقوة.

المهوب: ذو الهيبة

الأول والآخر: ويندر استعمالها في التوراة.

الذات الإلهية في القرآن

أسماء الله الحُسنى

إن أسماءَ الله هي أحسنُ الأسماء وأجلّها، وهي التي تنبئ بأحسن المعاني وأشرفها، وتليق بذاته وصفاته جلّ شأنه. أما ما يدّعيه الكفار من مُسمّيات يطلقونها على أصنامهم فسوف ينالهم بسببها عذاب أليم في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الأعراف).

ولمّا سُئِل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن صفات الله جلَّ في علاه قال: هو إله واحد لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه. ومن أسماء الله عزّ وجلّ:

الله: وهو الاسم الأعظم الذي تفرّد به الحقُّ سبحانه وتعالى، وخصّ به نفسه، وجعله أوّل أسمائه، فهو علَمٌ على ذاته جلّ شأنه.

الرحْمنُ الرَّحيمْ: كثير الرحمة؛ فرحمته وسِعَتْ كلَّ شيء، وعمّت كلَّ حيّ.

المَلِكْ: ملِكُ الملوك، المالك المُطْلق لكل الأشياء، المُتفرِّد بتصريف أمورها بكمال قدرته وبديع صنعته، مالك يوم الدين.

القُدُّوسْ: الطاهر المنزّه عن كل عيب أو نقص، وعن كل ما تحيط به العقول أو تدركه الأبصار.

السلامْ: الذي سلِم من كل نقْص وآفة.

المؤمِنْ: الذي صدّق رُسُلَه، وأيّدهم بمعجزاته.

المُهَيْمِن: الذي لا يخرج شيء عن سلطانه.

الجَبَّارْ: الذي تنفُذ مشيئتُه في جميع المخلوقات، ولا يَخْرُجُ أحد عن تقديره.

المُتكبِّرْ: المتعالي عن صفات الخلْق، المنفرد بالعظمة والكبرياء.

الخالِقُ: المبدع لكل شيء، والمُقدِّر له، والموجِد للأشياء من عدم.

البارئُ: الذي خلق الخلْق بقدرته ووفق تقديره؛ لا عن مثال سابق.

المُصوِّرُ: الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها؛ فأعطى كل شيء منها صورة خاصّة، وهيئة منفرِدة يتميّز بها على اختلاف المخلوقات وكثرتها .

الحكيمُ: المُحِقّ في تدبيره، اللطيف في تقديره، الذي يضع الأشياء في مواضعها، ويعلم خواصّها ومنافعها. كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحشر)

العَزيزُ: المتفرِّد بالعِزّة، المُمْتَنِعُ؛ فلا يغلُبه شيء، وهو بعِزَّته غالبٌ لكل شيء، ودانت لعِزَّته جميعُ المخلوقات،

الغفّارُ: الذي يغفُر الذنوب، ويستُر العيوب في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ (ص).

الأحدُ الصَمَدُ: الأحد فلا ثاني له ولا نظير، ولا ينقسم ولا يتبعَّض (لا أجزاء له كما في سائر مخلوقاته). الصمد الذي يُقصد في قضاء الحوائج؛ فهو وحده مقصِد عباده كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ (الإخلاص)

الواحِدُ: المتفرِّد في ذاتِهِ وصِفاتِهِ وأفعالِهِ، واحد في مُلْكِهِ لا ينازعه أحد، لا شريك له سبحانه،

القهّارُ والقاهِرُ: الغالبُ الذي لا يُغلب، الذي قهر الخلق بسلطانه وقدرته، وخضع لجلاله كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ

﴿ ... سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ (الزمر)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنعام)

الوهّـابُ: المُنعم على العباد، الذي يهب بغير عِوَض، ويُعْطي بغير سؤال، كثير النعم، دائم العطاء كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (آل عمران)

الرزّاقُ: الذي يخلُقُ الأرزاق، ويعطى كلَّ كائن ما يحتاجه، وبها يحفظ عليه حياته ويُصْلِحه.

المتينُ: الشديد؛ الذي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد أو معين كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الذاريات)

الفتّاحُ: الذي يفتح مغالق الأمور، ويُسهِّل عسيرها، وبيده مفاتيح الغيب والرزق.

العليمْ: الذي يعلم تفاصيل الأمور، ودقائق الأشياء، وخفايا الضمائر والنفوس؛ فعلمُه يحيط بجميع الأشياء.

القديرْ: العظيم القدرة كما قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سبأ)، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الروم).

السميعْ: السميع لجميع الموجودات، ولا يشغله نداءٌ عن نداء، ولا يمنعه دعاءٌ عن دعاء.

البصيرْ: الذي يرى الأشياء كلّها ظاهرها وباطنها، وهو المحيط بكل المرئيات وغير المرئيات كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء).

اللطيفُ: المُدرك بلطفه لأدقِّ السرائر والخفايا، الرفيق بعباده؛ يرزقهم ، ويُيسِّر أمورهم، ويُحْسن إليهم، ويرفق بهم، ويتفضّل عليهم.

الخبيرُ: الخبير بشئون مخلوقاته؛ لا يخفى عليه شيء منها صَغُرَ أو كَبُرَ، ولا تتحرّك حركة إلا ويعلم مستقرّها ومستودعها كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ... لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام)

الحيّ: المُتّصِف بالحياة الأبدية؛ إلتي لا بداية لها ولا نهاية، فهو الباقي أزلا وأبدا، وهو الحيُّ الذي لا يموت.

القيُّومُ: القائم بنفسه على أمور الخلق والأكوان، المُستغني بقدرته عن جميع مخلوقاته، ولا وجود لشيء إلا به.

العليّ: الرفيع القدر؛ فلا يحيط به وصف الواصفين، المتعالي عن الأنداد والأضداد.

العظيمُ: الذي ليس لعظمته بداية، ولا لجلاله نهاية، أعظم من كل عظيم، وكل ما سواه حقير كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (البقرة)

الغفورُ: المتجاوز عن خطايا عباده وذنوبهم، غافر الذنب، وقابل التوب؛ يغْفُر لمن يشاء برحمته، ويعذّب من يشاء بذنبه.

الودودُ: المُحبّ لعباده، والمحبوب في قلوب أوليائه.

المَجيدُ: البالغ النهاية في المجد، الشريف في ذاته، الجميل في أقواله وأفعاله كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ (البروج).

ويقول ابن كثير يرحمه الله في تنسيره لسورة البروج: إن المجيد فيه قراءتان: الرفعُ على أنه صفة للرب عز وجل، والجرُّ على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح.

الكبيرُ: ذو الكبرياء في صفاته وأفعاله؛ فلا يحتاج إلى شيء، ولا يُعجزه شيء.

المتعالْ: المتناهي في عُلُوِّ ذاته، والمُستغني عن جميع مخلوقاته كما في قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ (الرعد)

الكريمْ: الجوّاد، المُعْطي الذي لا ينفذ عطاؤه، كثير الإحسان دون سؤال كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ (الانفطار)

الحقّ: الموجود حقيقة، والموجود على وجه لا يقبل العدم ولا التغيُّر، والكلُّ منه وإليه، ولا وجود للوجود إلا به، وكل شيء هالك إلا وجهه، وهو الثابت الذي لا يزول، المُتحقّق وجودُه أزلا وأبدا كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الحج)

القويّ: صاحب القُدْرة التامة البالغة الكمال، غالبٌ لا يُغْلَب؛ فقوّتُه فوق كل قوّةْ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ (الشورى)

الوليّ: المتولي أمر عباده بالحفظ والتدبير، ينصُر أولياءه، ويقهرُ أعداءه، يتّخِذه المؤمن وليّا فيتولاّه بعنايته، ويحفظه برعايته، ويختصُّه برحمته.

الحميد: المحمود في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الشورى)

الغنيّ: الغنيُّ بذاته؛ فلا يحتاج لأحد من خلقه، المُفْتَقِر إليه جميع مخلوقاته كما في قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الحج)

البَـرّ: العطوف على عباده بِبِرّه ولُطْفِه، والمُمْتَنُّ على السائلين بحسن عطائه، والصدوق في وعوده كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الطور)

التوّابُ: الذي يوفّق عباده للتوبة؛ حتى يتوب عليهم ويقبل توبتهم، ويقابل الدعاء بالعطاء، والتوبة بغفران الذنوب كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (البقرة)

الأوّلُ والآخِرُ: الأوّلُ الذي لم يسبقه في الوجود شيء؛ فليس قبله شيء، والآخِرُ الباقي بعد فناء خلقه، يفنى الكلُّ وله البقاء وحده؛ فليس بعده شيء.

الظاهِرُ والباطِنُ: الظاهرُ لكثرة البراهين والدلائل على إلوهيته وربوبيته ووحدانيته. والباطن المحتجب عن عيون خلقه، وحقيقته غير معلومة لأحد. وهو الظاهر بقدرته على كل شيء، والباطن بعلمه بحقيقة كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (الحديد)

تنزيه الله عن الشريك

فهو إله واحد، متفرِّد في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله، ليس له سمِيّ (شبيه في أسمائه) ولا كُفْء ولا مثيل ولا نظير كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (البقرة)

ولو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم هؤلاء المشركين فلن يتوانى هؤلاء الآلهة عن اتخاذ كافة السبل التي توصِّلهم إلى ذي العزة والجلال لمغالبته وسلْب مُلْكه كما يفعل ملوك الدنيا ببعضهم البعض، وهو جلّ شأنه أعلى وأعظم من ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الإسراء)

ويُنْكر المولى سبحانه وتعالى على من يقولون: إن في الأرض آلهة، ويسأل موبِّخا لهم هل هؤلاء الذين يدّعون أنهم آلهة من دون الله يقدرون على إحياء الموتى وإعادتهم من رقدتهم. ويُفنِّد المولى سبحانه وتعالى مزاعم هؤلاء المشركين بقوله لو كان في السماوات والأرض آلهة غيرُه جل شأنه لفسدتا، واختلّ النظام المحكم الذي يُسيّرهما بإرادته وحكمته، وينزّه نفسه عن قولهم هذا؛ فهو الذي يملُك حقّ محاسبة عباده، ولا أحد من مخلوقاته يملك هذا الحق كما في

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأنبياء)

ويتوعّد المولى سبحانه وتعالى الكفّار بأنهم وما يعبدون من أصنام وغيرها من دون الله سوف يكونون وقود جهنم وحطبها الذي تُسعّر به نارُها، ويقول لهم بأن خلود هؤلاء الذين يُعبدون من دون الله في نار جهنم يدحض إدعاءهم بأنهم آلهة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأنبياء)

ويُسفِّه الله جلّ في علاه عقول هؤلاء الكُفّار التي قادتهم لعبادة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة، ولا تستطيع أن تخلُق خلْقا من أصغر مخلوقات الله وهو الذباب، بل هي أحقر من أن تستردَّ لنفسها ما سلبه الذبابُ منها حتى ولو اجتمعت جميعها (ما يعبدونه من دون الله) من أجل ذلك، فهي أضعف حتى من ذلك الذباب الذي هو من أضعف خلق الله. وهم بعبادتهم لتلك الأصنام لم يوفّوا الله حقّه من التقدير؛ إذ يُسوّونه جلّ شأنه بشيء من مخلوقاته وهو الأقوى من كل قويّ، والأعزُّ من كل عزيز، وكل ما في الكون لا يخرُجْ عن مشيئته وسلطانه كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الحج)

ويُخْبر المولى سبحانه وتعالى عن نفسه أنه لم يتّخِذْ له ولدا من مخلوقاته، ولم يكُنْ معه آلهة. ويقول أنه لو كان معه آلهة كما يزعمون؛ يخلقون كخلقه، فسوف يستأثر كل إله بما خلق، ويحاول بعضهم أن تكون له الغلبة على غيره. ويُنزِّه الله جلّ شأنه نفسَه عن مثل هذه الصغائر من الأمور، ويؤكّد أنه عالم بكل شيء مما غاب عن علم البشر أو علموه، وأنه أعظم وأجلُّ ممّن يدعونهم شركاء له كما في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (المؤمنون)

ويقول المولى سبحانه وتعالى عن هؤلاء الذين يعبدون غير الله ويتّخِذونهم أولياء: إن مَثَلَهم كمثل العنكبوت التي تبني بيتها بخيوط واهية وتعيش فيه معتقدة أنه يحميها من أي عدوان عليها، وأنهم ضعفاءُ مثلَ العنكبوت، وأن من اتّخذوهم أولياء هم أضعف منهم. والله يعلم أن هؤلاء الذين عبدوهم من دونه ليسوا شيئا يمكن الاعتماد عليه، فالله هو العزيز الذي بعزَّته يقهر كل المخلوقات، والحكيم الذي يضع كل أمر في موضعه. ويضرب الله تلك الأمثال للناس لكي يعقلها من له عقل منهم كما في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (العنكبوت)

تنزيه الله عن الولد

لم يكْتَفِ هؤلاء المشركين بادِّعاء أن الجِنَّ الذين هم خلق من خلق الله جلّ شأنه؛ شركاء له في مُلْكه، بل ادَّعوا له الولد من بنين وبنات كباقي المخلوقات. ويتساءل كيف يكون له الولد وهو لم يتّخِذ له زوجة ولا خليلة - حاشاه، ولا حاجة له إلى ذلك؛ فهو خالقُ السماوات والأرض على غير مثال سابق، وعلمُه محيط بكل شيء كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الأنعام)

ويُنزِّه المولى جلّ شأنه ذاتَه العلِيّة عن أن يكون له ولد؛ فلا حاجة له في ذلك لأن هيمنته تحيط بكل ما في السماوات والأرض، وكل ما فيهن مُسخّر لإرادته كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ (البقرة)

وهم ينسبون إلى الرحمن الولد، ويا له من أمر شنيع قاموا به. ومن شناعته تكاد السماوات مع عظمها أن تتصدّع لقولهم هذا، وتنشقُّ الأرض على صلابتها، وتندكُّ الجبال

الشامخات؛ إذ لا يليق بالرحمن أن يتّخذ له ولدا، فهو الغني عن ذلك، وكل من في السماوات والأرض سوف يأتيه ذليلاً منقاداً لمشيئته؛ فهم جميعا في محيط علمه، وتحت إرادته، ولا تخفى عليه خافية من أمورهم، وكُلُّهم سوف يأتي يوم القيامة فرداً لا نصير له من دون الله؛ فيوفّيه حسابه بلا زيادة أو نقصان كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (مريم)

ويُنزِّه المولى سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذه ولدا من بين ملائكته، ويُخبر عن ملائكته بأنّهم عباد له منزّهون عن الرذائل، وممتثلون لجميع أوامره، ولا يخفى عنه خافية من شئونهم كلها، ولا يملكون الشفاعة إلا لمن أذن له منهم بهذه الشفاعة، وأنّهم دائما في خوف منه خاضعين لعزّته وسلطانه. ويتوعّد من يدّعي منهم أنه إله من دون الله بعذاب جهنّم الذي هو مآل كل مشرك كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنبياء)

ويقول المولى سبحانه وتعالى: إنه لو أراد أن يكون له ولد كما يدّعون لاختار ممّا يخلُق ما يشاء ليكون له ولدا، وأنه أسمى من ذلك وأجلُّ، وهو الواحد في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله، القهّار لجميع مخلوقاته كما في قوله تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ (الزمر)

ويُنزِّه المولى سبحانه وتعالى ذاته العليّة عمّا يقولـه المشركون من أنّه قد اتخذ له ولدا، ويعلن أنه هو الغني عن خلقه لأنه مالك ما في السماوات وما في الأرض من مخلوقات؛ تأتمر بأمره، وتسير وفق سُنَنِه. ويسأل المشركين عن دليل يقدّمونه على افتراءاتهم هذه، ويوبّخهم لقولهم عليه عزّ وجلّ ما لا يملكون عليه دليلا كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ

وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (يونس)

تفرُّد الله بعِلْم الغيب

لقد أحاط الله علما بكل شيء ظهر أو خفي من أمور مخلوقاته، وقد يُطْلِع اللهُ بعض عباده على بعض الأمور الغيبية، إلا أنه استأثر في علمه بأمور خمسة لم يُطْلِع عليها أحدا من خلقه وهي: موعد قيام الساعة، موعد وكيفية نزول المطر، ما تحمله الأرحام من ذكر أو أنثى وشقي أم سعيد وأجله ورزقه وسائر شأنه كله. ما يحمله المستقبل للنفس البشرية من رزق وغيره من أحداث، متى تكون ساعة (مَنِيّة) كلٍّ منّا؛ فعلمُه محيط بكل شيء لا تخفى عنه خافية كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (لقمان)

ومن كمال علم الله أنه يعلم ما تحمل كل أنثى من مخلوقاته، وما تُسْقطه الأرحام من أجنّة، وما تحتفظ به ليكتمل خلقُه فيها، وكل شيء عنده بمقدار لا يتقدّم عليه ولا يتأخّر، ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمتُه وعلمُه. ولا عجب فهو عالم الغيب والشهادة؛ فلا يغيب عن علمه شيء، وهو الكبير في ذاته، والمتعالي على جميع مخلوقاته كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ (الرعد)

والله علمه محيط وشامل بالغيوب كلها، فهو يعلم ما في البراري والقفار، وما في البحار من مخلوقات كبُرت أو صغُرت ظهرت أو خفيت عن خلقه، وما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، ولا حبّة من ثمرة، ولا رطب ولا يابس على وجه الأرض أو في غياباتها إلاّ هي مدوّنَة ومسجّلة في اللوح المحفوظ عنده فعلمُه محيط بجميع الأشياء، وكتابُه (سِجلّه) محيط بجميع الأحداث كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام)

من كمال علم الله أن كل شيء من أقدار العباد مسجّل عنده في اللوح المحفوظ، وهو وحده القادر على أن يمحو ما يشاء من أقدار العباد التي قدّرها عليهم سلفا، ويُثبت ما يشاء منها. وكل ما يقع في الكون من محو أو تثبيت يجري حسب ما هو مسجل عنده في اللوح المحفوظ منذ الأزل كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ (الرعد)

الله نور السماوات والأرض

يقول المولى جلّ شأنه عن نفسه: إنه نورُ السماوات والأرض، فهو أصل النور الذي يأتينا من أي مصدر؛ حسّيا كان أو معنويا. ويضرب الله مثلا لنوره المعنوي في قلب المؤمن بأنه ككُوَّة (طاقة) فيها مصباح تُجَمّع نوره ولا تُشتِّته، وهذا المصباح في زجاجة تُشبه في صفائها وبهائها الكوكب المضيء في جوف السماء كأنّه الدُرُّ، وهذا المصباح يستمدُّ زيته (مصدر وقوده) من شجرة مباركة؛ هي شجرة الزيتون التي نبتت في موضع وسط، لا هو شرقي فتلفحُها حرارةُ الشمس في أول النهار، ولا غربي فتلفحُها حرارةُ الشمس في آخر النهار. وهذا الزيت يكاد من صفائه ونقائه أن يضيء بنفسه دون أن تمسسه نار، فإذا مسّته النار كانت إضاءته أكثر بياضا وبهاء؛ فيجتمع لهذا النور نوران، نور الزيت الذي هو منير بذاته، ونور النور الذي انبثق منه. وينطبق هذا المثل على المؤمن الذي يمثّل نورُ الله في قلبه الزيت الصافي، فهو مستعِدّ بفطرته لاستقبال أوامر الله والعمل بمقتضاها، فإذا تمكّن الإسلام من قلبه عمل به ودعا من حوله للدخول فيه؛ فينتشر الإسلام، ويعُمُّ الخلقَ أجمعين مثل نور المصباح الذي يضيء ما حوله. ويقول الله جلّ في علاه: إنه يهدي لدينه الحقّ من يعلمُ فيه الخير. ويضربُ الله الأمثال للناس ليعتبروا ويتدبّروا علّهم يهتدون للإيمان، وهو أعلم بكل شيء من أحوال مخلوقاته كما في قوله تعالى: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ (النور)

الله قريب من عباده

يُخبر المولى جلّ شأنه عن نفسه أنّه قريب منّا، ومُطّلع على أسرارنا وما تُخفي صدورُنا، ويسمع نجوانا، ويستجيب لدعاء من دعاه. ويدعو الله جلّ في علاه الناسَ للإيمان به وبرسله إذا كانوا يريدون الهداية والرشاد كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقرة)

تعقيب

ممّا سبق نجدُ أن الربَّ في التوراة ليس إلها واحدا، وأنّه يتجسّد ويتشكّل في أشكال مادّيّة تناقض ذاته العليّة؛ فهو روح ترفرف على سطح الماء، أو سحابة تتشكّل، أو نار تتكلّم أو تحرق، وأنه يسكن في الضباب، وأنه في حاجة إلى من يبني له بيتا على وجه الأرض ليستقرّ فيه.

والربُّ في التوراة يعلن عن نفسه بأمور غير مستساغة مثل الرعد والبرق ودوي البوق، ويظهر على هيئة نار مندلعة، أو على هيئة إنسان نصفه العلوي كأنّه نحاس لامع، ونصفه السفلي كأنّه نار، وحواليه يشع ضياء ولمعان يشبه قوس قزح في يوم مطير. ويأتي الرب على مركبة تحملها الملائكة.

والربُّ في التوراة إنسان يجري عليه ما يجري على البشر من نصب وتعب وحاجة إلى الراحة، وشعور بالغبطة لعمل عظيم قام به مثل عملية الخلق، ويتباهى بما صنعه وينفعل به؛ وكأنّ ما صنعه كان محضُ صُدْفة.

والربُّ في التوراة يأسف على شيء فعله، وينسى ويحتاج إلى من يُذكِّره، وينزل بنفسه إلى الأرض ليطّلع على أحوال أهلها، ويحتارُ ويتردّد في قرار بشأنهم.

والربُّ في التوراة يجادلُ أنبياءه ويجادلونه، ويحاول أن يبرِّر لهم ما فعله أو ما ينوي فعله، بل ويحاول أن يُقدِّم لهم أدِلّة على صواب موقفه، ويستأذنهم في أمر يريده، أو يعتذر لهم عن أمر فعله.

والربُّ في التوراة يتصارع كما يتصارع البشر، ويتكلّم مع البشر، ويأكل ممّا يأكلون، ويشرب ممّا يشربون.

وتُطْلق التوراةُ على الرب لقب ملاك الربّ أو ملاك الله بدليل أن هذا الملاك يبشّر من يظهر له بالبشارات، ويمنّيه بالأمنيات، ويبلغه بما سيفعله به كما في حالة هاجر؛ فمن يكون إذا هذا الكائن غير الرب أو الإله؟ لكننا في حالة إبراهيم عندما همّ بذبح ابنه إسحاق نرى

ملاك الرب الذي ظهر له يقول له: لا تذبح ابنك لأن الله فداه بكبش عظيم؛ فملاك الرب هنا ليس هو الله، والتناقض واضح في الحالين.

وعلاقة الله ببني إسرائيل لا تختلف كثيرا عن أب بشري مع أبنائه، يُعطي ويمنع، ويعفو ويصفح حسب حال أبنائه، ولا يغضب عليهم أبدا مهما كانت أحوالهم. والأدهى من ذلك أنه يشعر بالخطأ في حقهم، ويعترف بخطئه لهم ويرجع عنه. وهم يتعاملون مع الله على قاعدة أنهم أبناء الله وأحبائه؛ بل وأصفيائه، وأن الله قد اختارهم دون غيرهم لحمل رسالة السماء. لذلك فهم يتعاملون مع الله كما يتعامل الطفل المُدلّل مع أبيه الذي يُحبُّه ويعطف عليه، ولا يعاقبه أبدا على جُرْم اقترفه.

وهذا كلُّه يتناقض مع ما ذكره القرآن الكريم عن الله جل شأنه من أنّ له الأسماء الحُسْنى والصفات العُلَى التي تليق بسموِّ ذاته وجميل صفاته؛ فهو مالك الملك الذي لا ينازعه في ملكه أحد، ولا يحتاج في تنفيذ أمره إلى جند أو مدد، المنزّه عن كل نقص أو عيب مما نعرفه من صفات الخلق كالحاجة إلى الراحة أو إلى من يُذكِّره إذا نسي.

وقد أكّد القرآن الكريم أن الله قد خصّ ذاته بعلم الغيب، وأن أقدار العباد وجميع أحوالهم مسجّلة عنده في اللوح المحفوظ من قبل أن يَخلُق الخلق، وأنه لم يخلق الأشياء صدفة أو يُسمِّيها بعد خلقها كما ورد في التوراة.

وقد وصفه القرآنُ الكريمُ جلّ شأنُه بأنه قريب من عباده، ومطّلع على خفاياهم؛ فلا يحتاج للنزول بأي هيئة أو صفة، وإنّما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كُنْ فيكون. فالله جلّ شأنه لا يتجسّد، ولا يتشكّل، ولا نعرف عن ذاته إلا ما أخبرنا به عنها، وننطلق في معرفتنا عنه من قاعدة ليس كمثله شيء.

الفصل الثاني

عالم الملائكة

الفصل الثاني: عالم الملائكة

عالم الملائكة في التوراة

ملائكة الكروبيم

هم الملائكة العارفون؛ فمعرفتهم بالله غير محدودة، وهم يرون الله، ويشفعون في كل الخليقة. لمّا طرد اللهُ آدمَ وزجه حوّاء من جنّة عدن، أقام ملائكة الكروبيم سيفا ناريّا متوهّجا شرقيّ الجنّة لحراسة الطريق الموصلة إلى شجرة الحياة حتى لا يأكلا منها فيصيرا
خالدين ولا يموتان: ٢٢ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «هَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا، يُمَيِّزُ بَيْنَ
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَدْ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَتَنَاوَلُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ وَيَأْكُلُ، فَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». ٢٣فَأَخْرَجَهُ
مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْ تُرَابِهَا. ٢٤وَهَكَذَا طَرَدَ اللهُ الإِنْسَانَ مِنْ جَنَّةِ
عَدْنٍ، وَأَقَامَ مَلائِكَةَ الْكَرُوبِيمِ سَيْفاً نَارِيّاً مُتَقَلِّباً شَرْقِيَّ الْجَنَّةِ لِحِرَاسَةِ الطَّرِيقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى
«شَجَرَةِ الْحَيَاةِ». (التكوين ٣)

ملائكة السَّرَافِيم

الملائكة المتوهّجون، المشتعلون حبّا لله، وهم دائمو التسبيح، ومستعدّون لتنفيذ أمر الله، ومنظرُهم ساطع كلهيب النار. يقول أشعياء أنه شاهد الربَّ جالسا على عرش مرتفع سام، وقد أحاطت به مَلاَئِكَةُ السَّرَافِيم، لكل واحد منهم ستّة أجنحة: وَفِي سَنَةِ وَفَاةِ الْمَلِكِ
عُزِّيَّا، شَاهَدْتُ السَّيِّدَ جَالِساً عَلَى عَرْشٍ مُرْتَفِعٍ سَامٍ، وَقَدِ امْتَلأَ الْهَيْكَلُ مِنْ أَهْدَابِهِ، ٢وَأَحَاطَ
بِهِ مَلاَئِكَةُ السَّرَافِيمِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، أَخْفَى وَجْهَهُ بِجَنَاحَيْنِ، وَغَطَّى قَدَمَيْهِ
بِجَنَاحَيْنِ، وَيَطِيرُ بِالْجَنَاحَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ (إشعياء ٦)

الملائكة الحفظة

يقول داود في هذا المزمور: إن المحتمي بقدس الأقداس العليّ، يكون في حصن حصين؛ فينجيه الله من أعدائه، ويظلّله بريش أجنحته الناعم، ويوصي ملائكته به لكي
يحفظوه في جميع دروبه: ١الْمُحْتَمِي بِقُدْسِ أَقْدَاسِ الْعَلِيِّ، فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ، ٢أَقُولُ لِلرَّبِّ:

أنت ملجإي وحصني، إلهي الّذي بهِ وَثقْتُ ٣لأنّهُ يُنقِذكَ حقّاً مِنْ فخّ الصّيّادِ وَمِنَ الْوَبَاءِ الْمُهلِكِ. ٤بريشهِ النّاعِم يُظَلّلُكَ، وَتحْتَ أجْنحتِهِ تحْتمي...... ٩لأنّكَ قلْتَ: الرّبُّ مَلْجَإي، واتّخذْتَ الْعَليَّ مَلاذاً، ١٠فلَنْ يُصِيبَكَ شَرٌّ وَلَنْ تقْترِبَ بَليّةٌ مِنْ مَسْكنِكَ ١١فإنّهُ يُوصِي ملائكتهُ بكَ لِكَيْ يَحْفظُوكَ فِي جَمِيعِ طُرُقِكَ..... (المزمور ٩١)

الملائكة المؤتمرون

يدعو داود نفسه، كما يدعو ملائكة الله المقتدرين والمتحفّزين لتنفيذ أوامره وجميع خلق الله أن يقدّسوا الله ويباركوه لأنه أهل لذلك: ١بَارِكِي يَانَفْسِي الرَّبَّ، وَلْيَحْمَدْ كُلُّ مَا فِي دَاخِلِي اسْمَهُ الْقُدُّوسَ..... ٢٠بَارِكُوا الرَّبَّ يَامَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ فَوْرَ صُدُورِ كَلِمَتِهِ. ٢١بَارِكُوا الرَّبَّ يَاجَمِيعَ جُنُودِهِ، يَاخُدَّامَهُ الْعَامِلِينَ رِضَاهُ. ٢٢بَارِكُوا الرَّبَّ يَاكُلَّ خَلِيقَتِهِ، فِي كُلِّ مَوَاضِعِ سُلْطَانِهِ. بَارِكِي يَانَفْسِي الرَّبَّ. (المزمور ١٠٣)

الملائكة الرياح

يصف داود الربَّ في هذا المزمور بأنه قد جعل السُحُب مركبة له، وأجنحة الريح درباً يسير عليه، وأنه قد جعل ملائكته رياحا، وجعل خدّامه لهيب نار: ١بَارِكِي يَانَفْسِي الرَّبَّ..... ٣الْمُقِيمُ بَيْتَكَ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْعُلْيَا، الْجَاعِلُ مِنَ السُّحُبِ مَرْكَبَتَكَ، السَّائِرُ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ. ٤الصَّانِعُ ملاَئِكَتَكَ رِيَاحاً وَخُدَّامَكَ لَهِيبَ نَارٍ. (المزمور ١٠٤)

الزائرون الثلاثة لإبراهيم

ظهر الربُّ لإبراهيم وبصحبته اثنين من الملائكة؛ وهو جالس تحت شجرة يحتمي بظلّها من حرِّ النهار. واستقبلهم إبراهيم استقبال الضيوف، وقدّم لهم الطعام، وانتظر حتى فرغوا من أكلهم: ثُمَّ ظَهَرَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَقْتَ اشْتِدَادِ حَرِّ النَّهَارِ. ٢فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَإِذَا بِهِ يَرَى ثَلاَثَةَ رِجَالٍ مَاثِلِينَ لَدَيْهِ. فَأَسْرَعَ لاسْتِقْبَالِهِمْ..... ٧ثُمَّ أَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ نَحْوَ قَطِيعِهِ وَاخْتَارَ عِجْلاً رَخْصاً طَيِّباً وَأَعْطَاهُ لِغُلامٍ كَيْ يُجَهِّزَهُ. ٨ثُمَّ أَخَذَ زُبْداً وَلَبَناً وَالْعِجْلَ الَّذِي طَبَخَهُ، وَمَدَّهَا أَمَامَهُمْ، وَبَقِيَ وَاقِفاً فِي خِدْمَتِهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهُمْ يَأْكُلُونَ. (التكوين ١٨)

لوط يستضيف الملَكَيْن

في سدوم استقبل لوطُ الملَكَيْن اللذيْن قدما لإهلاك أهل سدوم وعمّورة، وأعدّ لهم طعاما فأكلا قبل أن يرقدا ليلتهما: وَأَقْبَلَ الْمَلاَكَانِ عَلَى سَدُومَ عِنْدَ الْمَسَاءِ..... ٢وَقَالَ: «يَاسَيِّدَيَّ، انْزِلاَ فِي بَيْتِ عَبْدِكُمَا لِتَقْضِيَا لَيْلَتَكُمَا، وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا...... ٣فَأَصَرَّ عَلَيْهِمَا جِدّاً حَتَّى قَبِلاَ الذَّهَابَ مَعَهُ وَالنُّزُولَ فِي بَيْتِهِ. فَأَعَدَّ لَهُمَا مَأْدُبَةً وَخَبَزَ فَطِيراً فَأَكَلاَ. (التكوين ١٩)

حلم يعقوب في بيت إيل

بينما كان يعقوب في طريقه من بئر سبع إلى حاران؛ هربا من أخيه عيسو، بات ليلته في الطريق؛ فرأى في حلمه سُلّما قائمتاه على الأرض ورأسه يمُسُّ السماء، وملائكة الله تصعد وتنزل عليه، والربُّ نفسُه واقف فوقه: ١٠أَمَّا يَعْقُوبُ فَتَوَجَّهَ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ نَحْوَ حَارَانَ، ١١فَصَادَفَ مَوْضِعاً قَضَى فِيهِ لَيْلَتَهُ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، فَأَخَذَ بَعْضَ حِجَارَةِ الْمَوْضِعِ وَتَوَسَّدَهَا وَبَاتَ هُنَاكَ. ١٢وَرَأَى حُلْماً شَاهَدَ فِيهِ سُلَّماً قَائِمَةً عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَمَلاَئِكَةُ اللهِ تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهَا، ١٣وَالرَّبُّ نَفْسُهُ وَاقِفٌ فَوْقَهَا(التكوين ٢٨)

ولمّا مضى يعقوب كما أمره الربُّ، لاقته ملائكةُ الله في الطريق فقال عنهم؛ هؤلاء هم جندُ الله، وسمّى المكان الذي رآهم فيه بهذا الاسم: وَلَمَّا مَضَى يَعْقُوبُ فِي سَبِيلِهِ لاَقَتْهُ مَلاَئِكَةُ اللهِ. ٢فَقَالَ يَعْقُوبُ: «هَذَا جُنْدُ اللهِ». فَدَعَا اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ مَحَنَايِمَ. (وَمَعْنَاهُ: الْمُعَسْكَرَانِ). (التكوين ٣٢)

الملاك القائد لموسى

قال الربُّ لموسى: إنّه سوف يُرْسل ملاكه أمامه ليحرسه طوال الطريق، ويقودَه إلى الأرض الموعودة؛ إلى بلاد الأموريين. وأمر الربُّ موسى أن يمتثل لأمر الملاك، ولا يعصيه لأن اسمه فيه: ٢٠هَا أَنَا مُرْسِلٌ مَلاَكِي أَمَامَكَ لِيَحْرُسَكَ طَوَالَ الطَّرِيقِ، وَيَقُودَكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَعْدَدْتُهَا لَكَ. ٢١فَاصْغَ إِلَيْهِ وَامْتَثِلْ لَهُ وَلاَ تَعْصَهُ لأَنَّهُ لاَ يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ إِذْ أَنَّ اسْمِي فِيهِ. ٢٢إِنْ حَرِصْتَ عَلَى الاسْتِمَاعِ إِلَى أَقْوَالِهِ وَفَعَلْتَ كُلَّ مَا قُلْتُهُ، أُعَادِي مَنْ يُعَادِيكَ، وَأُقَاوِمُ

مُقَاوِمِيكَ، ٢٣إِذْ يَسِيرُ مَلاَكِي أَمَامَكَ حَتَّى يُدْخِلَكَ بِلاَدَ الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا أُبِيدُهُمْ.... (الخروج ٢٣)

وأمر الربُّ موسى أن يترك هو وبنو إسرائيل المكان الذي هم فيه، ويمضون إلى الأرض الموعودة، وقال له: إنه سوف يرسل ملاكه أمامه ليقوده: وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اتْرُكْ هَذَا الْمَكَانَ أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَامْضِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: سَأَهَبُهَا لِنَسْلِكَ. ٢وَسَأُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلاَكاً،..... (الخروج ٣٣)

الملاك وأتان بلعام

استدعى بَالاَق بْنُ صِفُّورَ ملك مُوآب؛ بَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ ليتنبأ له ضدّ بني إسرائيل الذين احتشدوا لقتاله. وبينما هو في طريقه إليه راكبا أتانه (أنثى الحمار) اعترضه ملاك الربِّ، ورأت الأتان ملاك الربِّ منتصبا في الطريق شاهرا سيفه؛ فحادت عن الطريق، وظلّ الملاك مترصّدا لأتان بلعام يمنعها من السير في اتجاه جيش مؤاب. ولما رأى بلعام ملاك الربِّ منتصبا في الطريق وسيفه مسلول في يده خرّ على وجهه ساجدا، فقال له ملاك الربِّ امض في طريقك ولكن لا تنطق إلا بما آمرك به: ٢١فَنَهَضَ بَلْعَامُ صَبَاحاً وَأَسْرَجَ أَتَانَهُ، وَانْطَلَقَ مَعَ رُؤَسَاءِ مُوآبَ. ٢٢فَاحْتَدَمَ غَضَبُ اللهِ لأَنَّهُ مَضَى مَعَهُمْ، فَاعْتَرَضَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ فِي الطَّرِيقِ لِيُقَاوِمَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى أَتَانِهِ وَغُلاَمَاهُ مَعَهُ. ٢٣فَأَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاَكَ الرَّبِّ مُنْتَصِباً فِي الطَّرِيقِ، وَقَدِ اسْتَلَّ سَيْفَهُ بِيَدِهِ، فَحَادَتْ عَنِ الطَّرِيقِ وَمَشَتْ فِي الْحَقْلِ..... ٣١عِنْدَئِذٍ كَشَفَ الرَّبُّ عَنْ عَيْنَيْ بَلْعَامَ، فَشَاهَدَ مَلاَكَ الرَّبِّ مُنْتَصِباً فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ فِي يَدِهِ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ سَاجِداً..... ٣٥فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لِبَلْعَامَ: «امْضِ مَعَ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا آمُرُكَ بِهِ فَقَطْ». فَانْطَلَقَ بَلْعَامُ مَعَ رُؤَسَاءِ بَالاَقَ. (العدد ٢٢)

وصف الكروبين

أمر الله موسى أن يصنع غطاء من الذهب الخالص، وأن يخرط تمثالين لِلْمَلَكَيْن من الذهب الخالص، ويقيمهما على طرفي الغطاء، وأن يكون الكروبان (تمثالا الملكين)

متواجهين وباسطي أجنحتيهما إلى فوق ووجهيهما نحو الغطاء، وأن يضع الغطاء فوق التابوت الذي بداخله لوحي الشهادة: ١٧وَتَصْنَعُ غِطَاءً مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، هُوَ كُرْسِيُّ الرَّحْمَةِ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ (نَحْوَ مِتْرٍ وَرُبْعِ الْمِتْرِ) وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ (نَحْوَ خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ سَنْتِيمِتْراً) ١٨وَتَخْرِطُ كَرُوبَيْنِ (تِمْثَالَيْ مَلاَكَيْنِ) مِنْ ذَهَبٍ وَتُقِيمُهُمَا عَلَى طَرَفَيِ الْغِطَاءِ. ١٩فَتَصْنَعُ كَرُوباً وَاحِداً عَلَى كُلِّ طَرَفٍ مِنَ الْغِطَاءِ، مَخْرُوطَيْنِ مِنَ الْغِطَاءِ نَفْسِهِ، وَقَائِمَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. ٢٠وَيَكُونُ الْكَرُوبَانِ مُتَوَاجِهَيْنِ أَيْضاً، بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ، يُظَلِّلاَنِ بِهَا الْغِطَاءَ، وَيَتَّجِهَانِ بِوَجْهَيْهِمَا نَحْوَهُ. ٢١وَتَضَعُ الْغِطَاءَ فَوْقَ التَّابُوتِ الَّذِي تَحْتَفِظُ بِدَاخِلِهِ بِلَوْحَيِ الشَّهَادَةِ الَّتِي أُعْطِيكَ..... (الخروج ٢٥)

ملاك الربِّ وإيليا

لمّا وصلت إيليا تهديداتُ إيزابل له بالقتل انتقامـا لمقتل أنبياء البعل، هرب لينجو بنفسه. وفي صحراء بئر سبع، وبعد سير مُضْن نام تحت ظل شجرة مُجْهدا وجائعا. وبينما هو مستغرق في نومه أيقظه ملاك وقال له: قُمْ وكُلْ. ولمّا تطلّع حوله رأى عند رأسه رغيف خبز وجرّة ماء، فأكل وشرب ثم عاد ونام. وأيقظه ملاك الربِّ ثانية وقال له قم وأكمل أكلك لأن أمامك مسافة طويلة. ودخل إيليا مغارة وبات فيها فكلّمه الربُّ: وَأَخْبَرَ أَخْآبُ إِيزَابَلَ بِمَا صَنَعَهُ إِيلِيَّا، وَكَيْفَ قَتَلَ جَمِيعَ أَنْبِيَاءِ الْبَعْلِ بِالسَّيْفِ، ٢فَبَعَثَتْ إِيزَابَلُ رَسُولاً إِلَى إِيلِيَّا قَائِلَةً: «لِتُعَاقِبْنِي الآلِهَةُ أَشَدَّ عِقَابٍ وَتَزِدْ، إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ غَداً، فَتَكُونَ كَمِثْلِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ». ٣فَلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَّا ذَلِكَ هَرَبَ لِيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ، وَوَصَلَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ التَّابِعَةِ لِيَهُوذَا، حَيْثُ تَرَكَ خَادِمَهُ. ٤ثُمَّ هَامَ وَحْدَهُ فِي الصَّحْرَاءِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى شَجَرَةَ شِيحٍ، فَجَلَسَ تَحْتَهَا،..... ٥وَاضْطَجَعَ وَنَامَ تَحْتَ شَجَرَةِ الشِّيحِ، وَإِذَا بِمَلاَكٍ يَمَسُّهُ وَيَقُولُ: «قُمْ وَكُلْ». ٦فَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ وَإِذَا بِهِ يَرَى عِنْدَ رَأْسِهِ رَغِيفاً مَخْبُوزاً عَلَى الْجَمْرِ وَجَرَّةَ مَاءٍ. فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ عَادَ وَنَامَ. ٧وَمَسَّهُ مَلاَكُ الرَّبِّ ثَانِيَةً قَائِلاً: «قُمْ وَكُلْ، لأَنَّ أَمَامَكَ مَسَافَةً طَوِيلَةً لِلسَّفَرِ»..... ٩فَدَخَلَ مُغَارَةً هُنَاكَ وَبَاتَ فِيهَا وَقَالَ الرَّبُّ لإِيلِيَّا: «مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَاإِيلِيَّا؟» ١٠فَأَجَابَ: «غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ الإِلَهِ الْقَدِيرِ،..... (الملوك الأول ١٩)

ملاك الربّ والآشوريين

لمّا حاصرت قوّاتُ سَنْحَارِيب مَلِكِ أَشُّورَ أورشليم في عهد حزقيا الملك، بعث أَشَعْيَاء بْنُ آمُوصَ إلى حزقيا من يقول له أن الربّ رغم خطاياهم فإنه لن يسمح لملك آشور أن يدخل مدينتهم ولا حتى يُطْلِق عليها سهما، وأنه سوف ينقذها إكراما لداود عبده. وتحقيقا لذلك قتل ملاك الربّ في تلك الليلة ١٨٥, ٠٠٠ ألفا من جنود آشور، وفي الصباح كانت جثثهم تملأ المكان؛ فانسحب ملك آشور وارتدّ إلى بلاده: ٣٥وَحَدَثَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ قَتَلَ مِئَةً وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفاً مِنْ جَيْشِ الأَشُّورِيِّينَ، فَمَا إِنْ طَلَعَ الصَّبَاحُ حَتَّى كَانَتِ الْجُثَثُ الْمَيْتَةُ تَمْلأُ الْمَكَانَ. ٣٦فَانْسَحَبَ سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُّورَ وَارْتَدَّ إِلَى بِلاَدِهِ وَمَكَثَ فِي نِينَوَى. ٣٧وَفِيمَا هُوَ يَتَعَبَّدُ فِي هَيْكَلِ إِلَهِهِ نِسْرُوخَ، اغْتَالَهُ ابْنَاهُ، أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَاصَرُ، وَفَرَّا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ، فَخَلَفَهُ ابْنُهُ آسَرْحَدُّونُ عَلَى الْعَرْشِ. (الملوك الثاني ١٩)

ملاك الربّ والوباء

لمّا كان إحصاء الشعب الذي أجراه داود غير مُسْتحبّ عند الله، فقد خيّر الله داود بين عقاب من ثلاث عقوبات؛ إما ثلاث سنين مجاعة يعيشها هو وشعبه، أو ثلاثة أشهر يطارده فيها أعداؤه، أو ثلاثة أيام يتفشّى فيها وباء يُدمِّر جميع أرجاء إسرائيل، فاختار داود الوباء. أرسل الربُّ وباء أهلك ٧٠, ٠٠٠ ألف رجل، وأمر الربُّ ملاكه بإهلاك أورشليم. ولما رأى داود؛ ملاك الربّ منتصبا بين السماء والأرض وقد شهر سيفه بيده مادّا إيّاه تجاه أورشليم، انكبّ على الأرض ساجدا وتبعه شيوخ بني إسرائيل. عندئذ عفا الله عنهم، وأمر نبيّه داود أن يبني مذبحا للربّ، وأمر الملاكَ أن يعيد سيفه إلى غمده: ٧وَإِذْ كَانَ إِجْرَاءُ هَذَا الإِحْصَاءِ مَمْقُوتاً فِي عَيْنَيِ اللهِ، عَاقَبَ اللهُ الإِسْرَائِيلِيِّينَ..... ٩فَقَالَ الرَّبُّ لِجَادَ رَائِي دَاوُدَ: ١٠«اذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ ثَلاَثَةَ أُمُورٍ، اخْتَرْ وَاحِداً مِنْهَا فَأُجْرِيَهُ عَلَيْكَ»..... ١٢إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ مَجَاعَةً، أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ يُطَارِدُكَ فِيهَا أَعْدَاؤُكَ، وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ وَإِمَّا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَتَسَلَّطُ فِيهَا عَلَيْكَ سَيْفُ الرَّبِّ فَيَتَفَشَّى الْوَبَأُ فِي الأَرْضِ..... ١٣فَأَجَابَ دَاوُدُ جَاداً: «إِنَّنِي وَاقِعٌ فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ، وَلَكِنْ خَيْرٌ لِي أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِقَبْضَةِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ، مِنْ أَنْ أَقَعَ تَحْتَ رَحْمَةِ إِنْسَانٍ». ١٤فَأَرْسَلَ الرَّبُّ

وَبَأً تَفَشَّى فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، مَاتَ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُلٍ. ١٥ وَأَمَرَ الرَّبُّ مَلاَكَهُ بِإِهْلاَكِ أُورُشَلِيمَ..... ١٦ وَتَلَفَّتَ دَاوُدُ حَوْلَهُ فَرَأَى مَلاَكَ الرَّبِّ مُنْتَصِباً بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَقَدْ شَهَرَ سَيْفَهُ بِيَدِهِ وَمَدَّهُ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَارْتَدَى هُوَ وَالشُّيُوخُ الْمُسُوحَ وَسَجَدُوا بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ..... ١٨ فَأَوْعَزَ مَلاَكُ الرَّبِّ لِجَادَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ دَاوُدَ أَنْ يَصْعَدَ لِيَبْنِيَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ. ١٩ فَانْطَلَقَ دَاوُدُ يُنَفِّذُ مَا نَطَقَ بِهِ جَادُ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ..... ٢٧ وَأَمَرَ الرَّبُّ الْمَلاَكَ فَأَعَادَ السَّيْفَ إِلَى غِمْدِهِ..... (أخبار الأيام الأول ٢١)

مركبة الرب

ورد في المزامير أن الربَّ يتخذ لنفسه مركبة من الملائكة المقرّبين؛ يطوف بها على مخلوقاته:..... ٦ فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ وَصَرَخْتُ إِلَى إِلَهِي، فَسَمِعَ صَوْتِي مِنْ هَيْكَلِهِ، وَصَعِدَ صُرَاخِي أَمَامَهُ، بَلْ دَخَلَ أُذُنَيْهِ. ٧ عِنْدَئِذٍ ارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَتَزَلْزَلَتْ. ارْتَجَفَتْ أَسَاسَاتُ الْجِبَالِ وَاهْتَزَّتْ، لأَنَّ الرَّبَّ غَضِبَ. ٨ نَفَثَ أَنْفُهُ دُخَاناً، وَانْقَذَفَتْ نَارٌ آكِلَةٌ مِنْ فَمِهِ، وَكَأَنَّهَا جَمْرٌ مُلْتَهِبٌ. ٩ طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، فَكَانَتِ الْغُيُومُ الْمُتَجَهِّمَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. ١٠ امْتَطَى مَرْكَبَةً مِنْ مَلاَئِكَةِ الْكَرُوبِيمِ، وَطَارَ مُسْرِعاً عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ. ١١ جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتَاراً لَهُ، وَصَارَ ضَبَابُ الْمِيَاهِ وَسُحُبُ السَّمَاءِ الدَّاكِنَةُ مِظَلَّتَهُ الْمُحِيطَةَ بِهِ..... (المزمور ١٨)

رؤيا حزقيال في الهيكل

يقول حزقيال في هذه الرؤيا: إنه رأى الربَّ في هيئة إنسان، وإن الربَّ قد حلّق بروحه (أي حزقيال) بين السماء والأرض حتى أوصله إلى أورشليم، ثم نادى ليقترب محافظو المدينة؛ فاقترب ستة من ملائكته في هيئة رجال يحمل كل واحد منهم أداة تدمير بيده يتوسّطهم رجل مختلف عنهم ويرتدي ثوبا من الكتان (الملاك جبرائيل) ويحمل في يده دواة (محبرة). وأمر الربُّ الرجل الذي يرتدي ثوب الكتان أن يجول في المدينة ويوسم جباه الذين لم يتدنّسوا بعلامة تميّزهم عن غيرهم من المذنبين، وأمر الستّةَ الآخرين أن يسيروا خلفه وأن يقتلوا كل من لا يجدوا تلك العلامة على جبهته:..... حَلَّتْ عَلَيَّ قُوَّةُ السَّيِّدِ الرَّبِّ هُنَاكَ، ٢ فَنَظَرْتُ وَإِذَا بِشِبْهِ إِنْسَانٍ وَكَأَنَّهُ مِنْ نَارٍ،..... ٣ ثُمَّ مَدَّ شِبْهَ يَدٍ

وقبض عَلَيَّ بِنَاصِيَةِ رَأْسِي، وَحَلَّقَ بِي رُوحٌ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَحْضَرَنِي فِي رُؤَى اللهِ إِلَى أورُشَلِيمَ،..... (حزقيال ٨).

ثُمَّ صَرَخَ فِي مَسْمَعِي بِصَوْتٍ عَالٍ قَائِلاً: «لِيَقْتَرِبْ مُحَافِظُو الْمَدِينَةِ. لِيَقْتَرِبْ كُلُّ وَاحِدٍ مُتَزَوِّداً بِأَدَاةِ تَدْمِيرِهِ». ٢فَأَقْبَلَ سِتَّةُ رِجَالٍ مِنْ طَرِيقِ الْبَابِ الشِّمَالِيِّ الأَعْلَى، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَحْمِلُ عُدَّةَ تَدْمِيرِهِ بِيَدِهِ، يَتَوَسَّطُهُمْ رَجُلٌ مُرْتَدٍ كَتَّاناً، وَعَلَى خَاصِرَتِهِ دَوَاةُ كَاتِبٍ. فَدَخَلُوا وَوَقَفُوا إِلَى جُوَارِ مَذْبَحِ النُّحَاسِ. ٣فَارْتَفَعَ مَجْدُ الرَّبِّ مِنْ حَيْثُ كَانَ حَالاً فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ عَتَبَةِ الْبَابِ. وَنَادَى الرَّجُلَ الْمُرْتَدِيَ ثَوْبَ الْكَتَّانِ، الْحَامِلَ عَلَى خَاصِرَتِهِ دَوَاةَ الْكَاتِبِ ٤وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اجْتَزْ وَسَطَ مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ وَارْسُمْ سِمَةً عَلَى جِبَاهِ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَئِنُّونَ وَيَزْفِرُونَ عَلَى كُلِّ مَا ارْتُكِبَ مِنْ أَرْجَاسٍ فِيهَا». ٥ثُمَّ قَالَ لِلسِّتَّةِ الآخَرِينَ عَلَى مَسْمَعِي: «اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ خَلْفَهُ وَاقْتُلُوا..... وَلَكِنْ لاَ تَقْرَبُوا مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ،..... (حزقيال ٩)

ملاك الربّ ينجي المتوكّلين على الربّ

يقول داود في هذا المزمور: إن ملاك الربِّ يكون دائما قريبا من الخائفين من الله، ويحميهم من أي أخطار قد يتعرّضون لها: ٦هَذَا الْمِسْكِينُ اسْتَغَاثَ، فَسَمِعَهُ الرَّبُّ وَأَنْقَذَهُ مِنْ جَمِيعِ ضِيقَاتِهِ. ٧مَلاَكُ الرَّبِّ يُخَيِّمُ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ. ٨ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ..... (المزمور ٣٤)

ملاك الربّ يحاربُ أعداء الربّ

يطلب داود من ملاك الربِّ أن يهزم أعداءه، وأن يخلّصه من مطارديه، وأن يتعقّبهم أينما حلّوا: ١يَارَبُّ كُنْ خَصْماً لِمَنْ يُخَاصِمُونَنِي، وَحَارِبِ الَّذِينَ يُحَارِبُونَنِي..... وَلْيَدْحَرْهُمْ مَلاَكُ الرَّبِّ. ٦لِتَكُنْ طَرِيقُهُمْ مُظْلِمَةً وَزَلِقَةً، وَلْيَتَعَقَّبْهُمْ مَلاَكُ الرَّبِّ. ٧فَإِنَّهُمْ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ أَخْفَوْا لِي شَبَكَةً فَوْقَ الْهُوَّةِ،..... (المزمور ٣٥)

رؤية دانيال للملاك

يقول دانيال: إنه رأى في الرؤيا رجلا مرتديا ثوبا من الكتّان، متمنطقا بحـزام من ذهب، وجسمه كالزبرجد، وعيناه تتوهّجان كمصباحي نار، وذراعاه ورجلاه تلمعان

كنحاس مصقول (الملاك جبرائيل). ويقول دانيال أن الرجل أخبره أن الشيطان في مملكة فارس كان يقاوم كل محاولات الإصلاح التي يقوم بها بين الناس فأقبل الملاك ميخائيل (أحد كبار رؤساء الملائكة) لمعاونته في مهمته: وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِحُكْمِ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ،..... ٤وَفِي الْيَوْمِ الرَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ، بَيْنَمَا كُنْتُ إِلَى جِوَارِ نَهْرِ دِجْلَةَ الْكَبِيرِ، ٥تَطَلَّعْتُ حَوْلِي فَإِذَا بِرَجُلٍ مُرْتَدٍ كَتَّاناً، وَحَقَوَاهُ مُتَحَزِّمَانِ بِنِطَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، ٦وَجِسْمُهُ كَالزَّبَرْجَدِ، وَوَجْهُهُ يَتَأَلَّقُ كَالْبَرْقِ وَعَيْنَاهُ تَتَوَهَّجَانِ كَمِصْبَاحَيْ نَارٍ، وَذِرَاعَاهُ وَرِجْلاَهُ لاَمِعَةٌ كَالنُّحَاسِ الْمَصْقُولِ،..... ١٠وَإِذَا بِيَدٍ لَمَسَتْنِي وَأَقَامَتْنِي، وَأَنَا أَرْتَجِفُ عَلَى يَدَيَّ وَرُكْبَتَيَّ.... ١٢فَقَالَ لِي: «لاَ تَخَفْ يَادَانِيآلُ، فَمُنْذُ الْيَوْمِ الأَوَّلِ الَّذِي عَزَمْتَ فِيهِ عَلَى الْفَهْمِ، وَتَذَلَّلْتَ أَمَامَ إِلَهِكَ، سُمِعَتْ تَضَرُّعَاتُكَ، وَهَا أَنَا جِئْتُ تَلْبِيَةً لَهَا. ١٣غَيْرَ أَنَّ رَئِيسَ مَمْلَكَةِ فَارِسَ قَاوَمَنِي وَاحِداً وَعِشْرِينَ يَوْماً. فَأَقْبَلَ مِيخَائِيلُ، أَحَدُ كِبَارِ الرُّؤَسَاءِ لِمَعُونَتِي، بَعْدَ أَنْ حُجِزْتُ هُنَاكَ عِنْدَ مُلُوكِ فَارِسَ..... (دانيال ١٠)

الأيّام الأخيرة

يقول دانيال: إنّه في آخر الزمان سوف يكون هناك ضيق شديد يعانيه المؤمنون، وأن الملاك العظيم ميخائيل سوف يكون حارسا على بني إسرائيل يحميهم من فتنة اليوم الآخر: «وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْمَلاَكُ مِيخَائِيلُ حَارِسُ شَعْبِكَ، وَذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَثِيلٌ مُنْذُ أَنْ وُجِدَتْ أُمَّةٌ حَتَّى ذَلِكَ الزَّمَانِ. غَيْرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ اسْمُهُ مُدَوَّناً فِي الْكِتَابِ مِنْ شَعْبِكَ يَنْجُو فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ..... (دانيال ١٢)

رؤية حزقيال للكائنات الأربعة

يقول حزقيال: إنّه رأى سحابة هائلة ومن داخلها بدا له أربعة كائنات حيّة تُشْبه الإنسان ولكل واحد منها أربعة أوجه؛ واحد على شكل إنسان، وآخر على شكل أسد، وآخر على شكل ثور، وآخر على شكل نسر. ولكل منها أربعة أجنحة؛ جناح على كل جانب من جوانبها الأربعة، وتحت أجنحتها أيدي بشر، وتشبه أقدامُها أقدامَ العِجْل: ٤فَأَبْصَرْتُ رِيحاً عَاصِفَةً تَهُبُّ مِنَ الشِّمَالِ مَصْحُوبَةً بِسَحَابَةٍ هَائِلَةٍ،..... ٥وَمِنْ دَاخِلِهَا بَدَا شِبْهُ أَرْبَعَةِ كَائِنَاتٍ حَيَّةٍ تُمَاثِلُ فِي صُوَرِهَا شِبْهَ إِنْسَانٍ، ٦وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ

وَأَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ. ٧وَكَانَتْ سِيقَانُهَا مُسْتَقِيمَةً، وَأَقْدَامُهَا مُشَابِهَةً لأَقْدَامِ الْعِجْلِ،..... ٨وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهَا الْقَائِمَةِ عَلَى جَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ، أَيْدِي بَشَرٍ،..... (حزقيال ١)

ويقول النصارى عن هذه الكائنات الأربعة: إنهم ملائكة الكاروبيم، وهم طائفة من الملائكة يعرفون الله حقّ المعرفة، وفسّر الآباء كلمة كاروب بأنها المعرفة. ويقول النصارى عن الملائكة أنهم مجموعات من ألوف ومن عشرات ألوف، وأنهم لا يموتون، وأنهم لا يكُفّون عن التسبيح، وأنهم ليست لهم شهوة أرضية، وأنهم يسبّحون الله على خلاص الإنسان وعلى فداء الله له.

ويقولون عن ملائكة الكروبيم: إن لهم أربعة أجنحة، أما ملائكة السرافيم فلهم ستة أجنحة، وأن طائفة من الكاروبيم لهم ستة أجنحة أيضا. وقيل في عدد أجنحة الملائكة كلام متضارب لا فائدة من وراء البحث فيه هنا.

ويفسّرون الحكمة من أن لهم أربعة وجوه بأن الله حين يستخدمهم في تنفيذ قضائه ضد أعدائه فهم يكونون في عنفهم وقوّتهم كالأسد، وفي تتبُّعهم للفريسة يكونون في حِدّة نظرهم كالنسر، وحين يستخدمهم الله لخدمة شعبه يكونون كالثور في قوة التحمُّل والميل إلى خدمته، وهم كالإنسان في مجال الوعي والإدراك.

ويفسّرون وجود (كاروبين) ملكين مظلّلين فوق تابوت العهد بأن الله يُكلِّم من خلالهما موسى ورؤساء الكهنة.

أما عن حمل الملائكة للعرش فيقولون أن الله يحمل الملائكة، وأنه ليس فى حاجة لمن يحمل عرشه؛ فهو حامل الجميع حتى الملائكة، ولكنّه يعطى لهم كرامة؛ بأن يجعلهم حاملي العرش.

ويقول حزقيال: إنه رأى عرش الربّ تغطّيه قبّة من حجر العقيق وتحمله ملائكة الكروبيم. ويقول قال هذا الذي فوق العرش (الربّ) للرجل المرتدي الكتان (الملاك جبرائيل) أدخل بين العجلات (التي تحمل العرش) واملأ كفّيك بجمر النار، وانثره فوق المدينة. عندئذ ملأت سحابة فناء الهيكل، ثم ارتفع مجد الربّ عن العرش ليستقر على عتبة

الهيكل؛ فامتلأ الفناء بنور مجد الربِّ، وسُمع حفيف أجنحة الملائكة الذي يشبه صوتُه صوتَ الربِّ. ودخل الملاك جبرائيل ليأخذ النار كما أمره الربُّ، فناوله أحد الملائكة جمرة من نار أخذها وخرج. وكان للملائكة تحت أجنحتهم أيد تشبه أيدي البشر: ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا عَلَى أَدِيمِ الْمُقَبَّبِ الَّذِي فَوْقَ رَأْسِ الْكَرُوبِيمِ مَا يُشْبِهُ الْعَرْشَ، وَكَأَنَّهُ مِنْ حَجَرِ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ. ٢وَقَالَ لِلرَّجُلِ الْمُرْتَدِي الْكَتَّانَ: «ادْخُلْ بَيْنَ الْعَجَلاَتِ تَحْتَ الْكَرُوبِ وَامْلأْ كَفَّيْكَ جَمْرَ نَارٍ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبِيمِ، وَذَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ». فَدَخَلَ عَلَى مَرْأًى مِنِّي. ٣وَكَانَ الْكَرُوبِيمُ وَاقِفِينَ عَنْ يَمِينِ الْبَيْتِ حِينَ دَخَلَ بَيْنَ الْعَجَلاَتِ، فَمَلأَتِ السَّحَابَةُ الْفِنَاءَ الدَّاخِلِيَّ. ٤ثُمَّ ارْتَفَعَ مَجْدُ الرَّبِّ عَنِ الْكَرُوبِ وَاسْتَقَرَّ عَلَى عَتَبَةِ الْهَيْكَلِ، فَامْتَلأَ الْهَيْكَلُ مِنَ السَّحَابَةِ، وَغَمَرَ الْفِنَاءَ لَمَعَانٌ مِنْ مَجْدِ الرَّبِّ. ٥وَبَلَغَ صَوْتُ أَجْنِحَةِ الْكَرُوبِيمِ الْفِنَاءَ الْخَارِجِيَّ كَصَوْتِ اللهِ الْقَدِيرِ إِذَا تَكَلَّمَ. ٦فَلَمَّا أَمَرَ الرَّجُلَ الْمُرْتَدِيَ الْكَتَّانَ أَنْ يَأْخُذَ نَاراً مِنْ بَيْنِ الْعَجَلاَتِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبِيمِ دَخَلَ الرَّجُلُ وَوَقَفَ إِزَاءَ الْعَجَلَةِ. ٧فَمَدَّ كَرُوبٌ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبِيمِ يَدَهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْكَرُوبِيمِ، وَتَنَاوَلَ مِنْهَا جَمْراً، وَوَضَعَهُ فِي كَفَّيِ الْمُرْتَدِي الْكَتَّانَ، فَأَخَذَهَا هَذَا وَخَرَجَ. ٨وَبَدَا أَنَّ لِلْكَرُوبِيمِ تَحْتَ أَجْنِحَتِهِمْ يَداً تُشْبِهُ يَدَ الْبَشَرِ. (حزقيال ١٠)

ويقول حزقيال: إنه رأى مقابل كل ملاك من الملائكة الأربعة عجلة كأنها صُنِعت من حجر الزبرجد (حجر كريم أخضر اللون)، متماثلة الشكل، وكل واحدة منها في وسط عجلة من العجلات الأربع التي تحمل العرش. ويقول أن العجلات جميعا تتّجه وفقا لاتجاه الرأس (الربِّ) فتسير خلفه ولا تحيد عن طريقها. وكانت العجلات مليئة بالعيون، وكان لكل واحد من الكائنات (يقصد الملائكة) أربعة أوجه؛ وجه ملاك، ووجه إنسان، ووجه أسد، ووجه نسر: ٩وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِأَرْبَعِ عَجَلاَتٍ إِزَاءَ الْكَرُوبِيمِ؛ كُلُّ عَجَلَةٍ بِجُوَارِ كَرُوبٍ. وَكَانَ مَنْظَرُ الْعَجَلاَتِ كَمَنْظَرِ حَجَرِ الزَّبَرْجَدِ. ١٠وَكَانَتِ الأَرْبَعُ مُتَمَاثِلَةَ الشَّكْلِ وَكَأَنَّمَا كُلُّ عَجَلَةٍ فِي وَسَطِ عَجَلَةٍ. ١١وَإِذَا تَحَرَّكَتْ لِتَسِيرَ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَتَّجِهُ فِي سَيْرِهَا فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ مِنَ الاتِّجَاهَاتِ الأَرْبَعَةِ، وَفْقاً لاتِّجَاهِ الرَّأْسِ، فَتَسِيرُ خَلْفَهُ وَلاَ تَحِيدُ عَنْ طَرِيقِهَا. ١٢وَكَانَتْ جَوَانِبُ أَجْسَامِ الْكَائِنَاتِ وَظُهُورُهَا وَأَيْدِيهَا وَأَجْنِحَتُهَا وَالْعَجَلاَتُ الَّتِي تَخُصُّهَا مَلأَى بِالْعُيُونِ. ١٣وَدُعِيَتِ الْعَجَلاَتُ عَلَى مَسْمَعِي بِالْعَجَلاَتِ. ١٤وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ: الْوَجْهُ الأَوَّلُ وَجْهُ كَرُوبٍ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي وَجْهُ إِنْسَانٍ وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ وَجْهُ أَسَدٍ،

والْوجهُ الرَّابعُ وَجهُ نَسر. ١٥ ثُمَّ ارْتَفَعَ الْكَرُوبِيمُ، فَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْكَائِنَاتُ الَّتِي شَاهَدْتُهَا بجوار نهر خَابُورَ. ١٦ وَعِنْدَمَا تَحَرَّكَ الْكَرُوبِيمُ تَحَرَّكَتِ الْعَجَلاَتُ بِجُوَارِهِمْ، وَعِنْدَمَا فَرَدَ الْكَرُوبِيمُ أَجْنِحَتَهُمْ لِيُحَلِّقُوا فَوْقَ الأَرْضِ، حَلَّقَتِ الْعَجَلاَتُ إِلَى جُوَارِهِمْ بِنَفْسِ الاتِّجَاهِ، وَلَمْ تَحِدْ عَنْهُمْ. ١٧ فَإِنْ تَوَقَّفُوا تَوَقَّفَتْ، وَإِنْ حَلَّقُوا تُحَلِّقْ مَعَهُمْ، لأَنَّ رُوحَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ كَانَ فِيهَا أَيْضاً. ١٨ وَفَارَقَ مَجْدُ الرَّبِّ عَتَبَةَ الْهَيْكَلِ وَخَيَّمَ فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ. ١٩ وَعِنْدَمَا ارْتَفَعَ الْكَرُوبِيمُ فَرَدُوا أَجْنِحَتَهُمْ وَحَلَّقُوا فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى مَرْأَى مِنِّي، وَحَلَّقَتِ الْعَجَلاَتُ مَعَهُمْ، ثُمَّ تَوَقَّفُوا عِنْدَ مَدْخَلِ بَوَّابَةِ بَيْتِ الرَّبِّ الشَّرْقِيِّ، وَمَجْدُ الرَّبِّ مَا بَرِحَ مُخَيِّماً عَلَيْهِمْ. ٢٠ هَذِهِ هِيَ الْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ الَّتِي شَاهَدْتُهَا تَحْتَ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ. فَعَرَفْتُ أَنَّهُمُ الْكَرُوبِيمُ. ٢١ وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ وَأَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ، وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِمْ أَيْدٍ مُمَاثِلَةٌ لأَيْدِي الْبَشَرِ. ٢٢ أَمَّا أَشْكَالُ وُجُوهِهِمْ فَكَانَتْ نَفْسَ الْوُجُوهِ الَّتِي رَأَيْتُهَا عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ، لاَ تَخْتَلِفُ عَنْهَا فِي صُوَرِهَا وَمَعَالِمِهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَتَحَرَّكُ إِلَى الأَمَامِ حَسَبَ اتِّجَاهِهِ. (حزقيال ١٠)

الفرسان بين أشجار الآس

يقول زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا: إنه رأى رجلا يمتطي فرسا أحمر اللون يقف بين أشجار الآس (إشارة إلى الربِّ) وخلفه رجال راكبون على خيل حُمْرٍ وَشُقْرٍ وَبِيضٍ، ولما سأل عنهم أجابه الفارس الواقف بين أشجار الآس هؤلاء هم الذين أوفدهم الربُّ ليجولوا في الأرض يتدبّرون أحوال الناس:..... أَوْحَى الرَّبُّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى النَّبِيِّ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا بْنِ عِدُّو قَائِلاً: ٨ «شَاهَدْتُ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ وَإِذَا بِرَجُلٍ يَمْتَطِي فَرَساً أَحْمَرَ اللَّوْنِ يَقِفُ بَيْنَ أَشْجَارِ الآسِ الْمُتَوَارِيَةِ فِي الْوَادِي، وَخَلْفَهُ رِجَالٌ رَاكِبُونَ عَلَى خَيْلٍ حُمْرٍ وَشُقْرٍ وَبِيضٍ. ٩ فَسَأَلْتُ: «مَنْ هَؤُلاَءِ يَاسَيِّدِي؟» فَأَجَابَنِي الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: «أَنَا أُخْبِرُكَ مَنْ هَؤُلاَءِ». ١٠ قَالَ الْفَارِسُ الْوَاقِفُ بَيْنَ الآسِ: «هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَوْفَدَهُمُ الرَّبُّ لِيَجُولُوا فِي الأَرْضِ». ١١ عِنْدَئِذٍ قَالَ رَاكِبُو الْجِيَادِ لِلْمَلاَكِ الْوَاقِفِ بَيْنَ الآسِ: «قَدْ جُلْنَا فِي الأَرْضِ، فَإِذَا بِهَا كُلُّهَا آمِنَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ». (زكريا ١)

عالم الملائكة في القرآن

وجوب التصديق بوجود الملائكة

الإيمان بوجود الملائكة، وبما صح من أعمالهم، وإنزالهم منازلهم؛ أصل أصيل من أصول الإيمان، بل لا يصحُّ إيمان العبدِ ما لم يؤمن بهم بدليل قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴿١٧٧﴾ ... ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ (النساء)

موعِدُ خلقِ الملائكة

موعِدُ خلْقِ الملائكة غير معلوم على وجه التّحديد، والمؤكّد أن خلقهم سابق على خلق آدم عليه السلام لأن الله جلّ شأنه لمّا أراد أن يخلُق آدم، أعلم ملائكته أنه سوف يجعل في الأرض خليفة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة) ومن الجدير بالذكر أن تساؤل الملائكة هنا هو من باب الاستعجاب لا من باب الاعتراض؛ لأنهم خشوا من إفساد بني آدم في الأرض لمّا يستعمرونها كما فعلت الجنُّ من قبل.

أما قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الحجر) يفيد أن الله جلّ شأنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عندما تدُبُّ فيه الروح؛ فأطاعوا الأمر وسجدوا. وكان سجودهم لآدم سجود تحيّة لا سجود عبوديّة كما في حال المخلوقات مع خالقها جلّ شأنه.

قوّة الملائكة وجمال خلقتهم

خلق الله جلّ في علاه الملائكة على صور حسنة جميلة، وجعلهم ذوي قدرات هائلة لا تقاس بها قدرات بقيّة مخلوقاته. ولا عجب فهم جنود الله المؤتمرون بأمره، المنفّذون لمشيئته بدليل قوله تعالى عن جبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (النجم)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (التكوير) فهو شديدُ القوّة، حسنُ المنظر، ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة عند الله جلّ في علاه.

والسائد عند الناس أن يصفوا الجميل منهم بالملاك بدليل ما قالته النّسوة عن نبيّ الله يوسف عليه السلام عندما رأينه كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (يوسف)

أجنحة الملائكة

أخبر المولى عز وجلّ أن للملائكة أجنحة؛ فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة، ومنهم من له أكثر بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (فاطر) وعدد أجنحة المَلَكْ يختلف من واحد لآخر حسب طبيعة كل مَلَكْ، وحسب المُهِمّة التي خلقه الله من أجلها.

الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون

خلق الله الملائكة خلقا خاصّا، وجعلهم لا يحتاجون إلى الطعام أو الشراب ككثير من خلقه بدليل قوله تعالى عن ضيفي إبراهيم عليه السلام من الملائكة: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الذاريات)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ (هود) فإبراهيم عليه السلام ظنّهم من البشر كما هي هيأتهم، فأعدّ لهم عجلا سمينا مشويا مبالغة منه في الحفاوة بهم، وقدّمه إليهم ليطعموا، ولما لم يُقبلوا على الطعام كعادة البشر أنكر عليهم ذلك، وخاف منهم؛ لكنّهم طمأنوه، وبشّروه بإسحاق، وأخبروه أنهم أُرسلوا بالعذاب إلى قوم لوط.

الملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة

زعم مشركو العرب أن الملائكة إناث، ولم يقفوا عند هذا الحدّ فنسبوهم إلى الله عزّ وجلّ، وقالوا بنات الله؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الصافات)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الزخرف)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (الإسراء)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾ (النجم)

في هذه الآيات الكريمات يأمر المولى عزّ وجلّ نبيّه محمّدا صلى الله عليه وسلم أن يسألهم عن دليلهم على ذلك، وإن كانوا قد رأوه بأم أعينهم وهو يخلقهم بالكيفية التي يدّعونها. ويخبر المولى عزّ وجلّ عن الملائكة أنهم خلقٌ من خلقه وعبادٌ من عباده.

رؤية الملائكة

إن رؤية الملائكة بالصورة النورانية التي خُلِقوا عليها غير مُمْكنة. وقد منحهم الله جلّ شأنه القدرة على التمثُّل في أي صورة من صور المخلوقات كالبشر مثلا، وفي هذه الحالة فقط يمكن رؤيتهم بالصورة التي تمثّلوها كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ

غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ (مريم)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾.... ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ (هود) فقد أرسل الله جلّ في علاه جبريل عليه السلام إلى مريم في صورة بشر، وجاء الرُّسُل إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وجاءوا لوطا عليه السلام في صورة شباب حسان الخلقة.

علمُ الملائكة ومكانتهم

علمُ الملائكة مما علّمهم الله إيّاه، وليست عندهم القدرة التي أُعطيت للإنسان على التعرُّف على الأشياء أو إدارك كُنْهها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (البقرة) فقد ميّز الله الإنسان عن سائر مخلوقاته بالقدرة على التفكير والاستنباط وغيرها من الأمور العقلية، إلا أن علم الملائكة يكون بالتلقّي المباشر عن الله سبحانه وتعالى.

ودرجاتُهم متفاوتة، ومقامُ كل منهم عند الله يختلف عن الآخر كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الصافات) فمنهم من هو قائم يصلّي فلا يفتُر (لا يتكاسل ولا يتوقّف)، ومنهم من هو دائم التسبيح فلا ينطق بغير تقديس الله وتنزيهه.

عصمة الملائكة وأتمارهم بأمر الله

خلق الله جلّ في علاه الملائكة غير مختارين، ومن ثمّ فإنهم معصومون من أي عمل يخالف أمر الله بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ (النحل)

كما أنهم خُلقوا لعبادة الله الواحد الأحد، وتسبيحه وتقديسه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ

﴿ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأنبياء) وهم يقومون بعبادتهم لله خير قيام؛ لا يتكاسلون، ولا يملّون، ولا مجال لسهو أو خطأ أو تقصير.

كما أنهم يقومون بدورهم كرسل من قبل الله جلّ في علاه إلى خلقه بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (الأنعام)

كما أن نزولهم لا يكون إلا بأمر من الله جلّ في علاه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (مريم)، وقوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الحجر)، وقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (النحل) لمّا أبطأ جبريل عليه السلام بالتنزُّل على رسول الله عليه الصلاة والسلام وسأله عن سبب ذلك، أمر الله جلّ في علاه المَلَك جبريل أن يقول للرسول:إن نزوله لا يكون إلا بأمر من الله، وأن نزول الملائكة لتبليغ أمر الله وإنفاذ مشيئته؛ لا كما يشاءون هم.

من أسماء الملائكة

أعداد الملائكة لا تُحصى لكثْرتها، لكن ما هو معروف لنا من أسمائها قليل جدّا نسبة لأعدادها التي لا يعلمُها إلا الله جل في علاه. وفيما يلي بعضا من أسمائها التي أخبر الله جل شأنه بها:

جبريل: كبير الملائكة الذي أوْكل الله إليه مُهمّة عظيمة جليلة؛ ألا وهي تبليغ رسالاته إلى أنبيائه ليبلّغوها إلى أقوامهم. وكان دورُه عظيما جدا في حال رسولنا محمّدا عليه الصلاة والسلام؛ إذ كانت مهمته الأعظم هي تنزيل آيات القرآن الكريم على قلبه، وكان همزة الوصل بين السماء (المولى عزّ وجلّ) والأرض (محمّدا عليه الصلاة والسلام) منذ بدء الوحي حتى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا

لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (البقرة)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (النحل)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء)، وقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (النجم)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التكوير) فهو رسول مكلّف بالوحي من قبل الله جلّ في علاه إلى رسوله الكريم، وهو الروح القُدُسُ، وهو الروح الأمين ، وذو قوة تُمكّنه من أداء مهمته، وله قدْرٌ كبير ومكانة عظيمة عند الله جلّ شأنه وبين جميع الملائكة، وهو أمين على الوحي الذي يوحيه الله إليه؛ فهو يُبْلِغه بدون تغيير وبدون زيادة أو نقصان.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التكوير)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ (النجم) تأكيد على أن الرسول عليه الصلاة والسلام رآه على هيئته التي خلقه الله عليها، وذكر أن له ستمائة جناح كانت تسدُّ الأفق لمّا رآه أوّل مرة.

وهو الروح الذي أُرسل إلى مريم عليها السلام من قبل المولى عز وجلّ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ (مريم) كانت مريم عليها السلام تعتكف بعيدا عن قومها لعبادة الله، فأرسل الله جلّ شأنه إليها ملاكه جبريل في صورة بشرية، فخافت منه وتوجّست شرا، واستعاذت بالله منه أن لا يسيء إليها، فطمأنها جبريل عليه السلام، وأخبرها أنه مُرْسل من قبل المولى عز وجلّ ليُبشّرها بعيسى عليه السلام.

ميكال: ويعرف أيضا بميكائيل، وهو موكل بأرزاق الخلق والزرع والمطر. وقد ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (البقرة)

مالك: خازن النار، كبير الملائكة المكلّفين بأمر النار. وقد ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الزخرف).

حملة العَرْش: من الملائكة من يتولّون مهمة عظيمة جليلة؛ ألا وهي حملُ عرشِ الرحمن، وهم ثمانية من الملائكة الكرام. والعرش هو سقف المخلوقات، ولا يعلم قدْرُه إلا الله جلّ في علاه. وقد ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...﴿٧﴾ ﴾ (غافر)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحاقة)

الملائكة المُقرّبون: هم أشرف الملائكة، وهم حافّون حول العرش يسبّحون الله ويقدّسونه، ويستغفرون للمؤمنين، ويدعون لهم بالقبول كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الزمر)

الحفظة: أوكل الله جلّ شأنه بكل عبد من عباده حفظة من الملائكة يسجّلون عليه عمله طيلة حياته. وإذا حان أجلُه، قبضت روحه الملائكةُ الموكلة بقبض الأرواح في الوقت المحدّد من قبله جل شأنه، وفي المكان وبالكيفية التي حدّدها بلا تقديم ولا تأخير ولا تغيير كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنعام)

المبشّرات: من الملائكة من تتنزّل على عباد الله المؤمنين عند موتهم لتُبشّرْهم بالجنة، وتُثبّت قلوبهم على الإيمان لحظة خروج الروح من الجسد كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (فصلت)

المنذرات: من الملائكة من تتنزّل على الكفّار والمجرمين عند الموت لتنذرهم بالنار وغضب الجبّار، وتقول لهم متشفّية لحظة خروج الروح من الجسد، أنقذوا أنفسكم من الموت إن استطعتم؛ ولن تستطيعوا، وسترون أشدّ العذاب كما في قوله تعالى: ﴿ ...وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الأنعام)

المعقّبات: من الملائكة من أوكلهم الله بالقيام على أمر العبد؛ يحفظونه من أمر لم يكتُبه الله عليه، فلا يستطيع أحدٌ أن يصيبه بمكروه لم يأمر به الله. فهما يحفظانه من الحوادث والإصابات، ومن أذى هوام الأرض، ومن كل قدر لم يكتبه الله له كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ... ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد)

الكرام الكاتبون: أوكل الله جلّ شأنه بكلّ إنسان أربعة ملائكة؛ أحدُهم عن يمينه، وآخر عن شماله، وآخر من أمامه، وآخر من خلفه. فالذي عن يمينه يكتب حسناته، والذي عن شماله يكتب سيّئاته، واللذان من أمامه ومن خلفه يحفظانه من أن يقع عليه أمر لم يأمر الله به؛ فهم يحيطون بنا، ولكن لا نراهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الانفطار)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (ق)

هاروت وماروت: كان الله جلّ في علاه قد ابتلى أهل بابل بأن أنزل عليهم ملكين في هيئة رجلين عليمين بالسحر؛ هما هَارُوتَ وَمَارُوتَ، فكان الناس يلجأون إليهما ليعلّماهم السحر فيقولان لمن يرغب في ذلك: إن السحر كُفْر بالله، فينصرف عنهم من يخاف الله، ومن يُصرُّ على تعلّم السحر يعلّمانه إياه؛ حتى صار للسحر شأن عظيم في حياة الناس. وكانت الشياطين تساند السحرة، وتُمُدُّهم بأكاذيب عن الغيب فيدوِّنوها في كتب ليوهموا الناس أنهم يعلمون الغيب كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ...﴿١٠٢﴾ ﴾ (البقرة)

ملائكة الموت: من الملائكة من أوكل المولى عز وجلّ إليهم مُهِمَّة قَبْضِ أرواح العباد، فإذا حان أجلُ الإنسان أرسل الله إليه ملك الموت لقبض روحه كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (السجدة) فيقبضها دون تأجيل أو تقصير.

سائقٌ وشهيد: في يوم القيامة هناك ملَكان موكلان بالإنسان، ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه يوم الحساب بما قدّمت يداه في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ق) ففي يوم القيامة يلازم الكافر ملكان (سائق وشهيد). ويكون الكافر في يوم القيامة مبصرا للحق عارفا به، لكن ذلك لا ينفعه لأن الآخرة دار حساب لا دار عمل. وبعد الحكم على الكافر بدخول النار يسوقه الملك (قرينه السائق) إلى النار، ويقول الآخر (قرينه الشاهد) لخزنة جهنم خذوا هذا الكافر العنيد الذي عاش مُصِرّا على الكفر والشرك وارتكاب المعاصي وتجنُّب فعل الخيرات؛ فألقياه في نار جهنّم ليذوق العذاب الشديد جزاء وفاقا.

من وظائف الملائكة

الملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله جلّ في علاه، ولا يسأمون منها لكمال محبتهم لله وقدرتهم التي جبلهم الله عليها. وهم مستغرقون في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم لا يشغلهم عنها شاغل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأنبياء)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الصافات)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ (فصلت) وهم يقومون بعملهم خير قيام بخضوع تام وتذلّل، ويقضون ليلهم ونهارهم في تسبيح دائم بلا كلل ولا ملل.

ومن الملائكة المكرّمين من كانت مهمتهم الجليلة هي نسخ آيات القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا من أجل أن يقوم جبريل عليه السلام بحملها إلى نبي الله محمّدا عليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (عبس) وقد وصفهم الله جلّ في علاه بأنهم كرامٌ عنده، ومطيعون لأوامره؛ لا يتكاسلون ولا يفرّطون.

ومن الملائكة من يُرسله الله جلّ شأنه لنُصرة عباده المؤمنين في قتالهم ضد الكافرين كما في قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾... إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأنفال) فقد أرسل الله ألفا من الملائكة لينصروا المسلمين في موقعة بدر. وتأييد الملائكة لا يظهر للعيان، ولكن نتيجته تكون ملموسه وموجعة.

وإذا احتاج النصر إلى مزيد من الملائكة يُرسِل الله ما يشاء منهم لتحقيق نصر المؤمنين على أعدائهم كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (آل عمران) وقد شارك الملائكةُ في موقعة بدر يتقدّمُهم جبريل عليه السلام، وكانوا سببا مباشرا في تحقيق النصر للقلّة المؤمنة على الكثرة الكافرة.

ومن الملائكة من يرسلهم الله لعذاب أقوام مثل ما حدث مع قوم لوط كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ (النجم) فقد اقتلع جبريل قراهم بريشة من جناحه، ورفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها وأهوى بها إلى الأرض.

تعقيـــب

من أصناف الملائكة التي ورد ذكرها في التوراة؛ ملائكة الكروبيم، وهم يرون الله ويعرفونه حق المعرفة. ومنهم ملائكة السرافيم، وهم منشغلون بالتسبيح. ومنهم الحفظة، الموكل بهم حفظ المحتمين بقدس الأقداس. ومنهم المقتدرون، وهم متحفّزون لتنفيذ أوامر الربّ. ومنهم الملائكة الرياح التي تحمل مركبة الرب على متنها. وهم جند من جنود الله يؤيّد بهم من يشاء من عباده، كهذا الذي أرسله الله ليحرس موسى عليه السلام ويقوده إلى الأرض الموعودة. والملائكة بوصفهم هذا يتّفقون مع ما أورده القرآن الكريم عنهم، ما عدا هؤلاء الذين يحملون ملائكة الرب؛ فالرب لا يحتاج لأن يتنقل في ملكوته، وبالتالي لا يحتاج إلى مركبة من أي نوع كان؛ وهو مستو على عرشه، وموجود في كل مكان بعلمه وسمعه وبصره.

وتقول المزامير: إن الربّ يتخذ لنفسه مركبة من الملائكة المقرّبين؛ يطوف بها على مخلوقاته، ووصف حزقيال لمركبة الرب ذات العجلات الأربع جميعها تتناقض مع قول النصارى أن الله هو الذي يحمل الملائكة، وأنه ليس فى حاجة لمن يحمل عرشه، ولكنّه يعطى لهم كرامة بأن يجعلهم حاملي العرش.

وقد أوردت التوراة أن الملائكة تتشكّل في هيئة بشر، وتمارس بعض أفعال البشر كالأكل والشرب مثلا كما حدث مع ضيوف إبراهيم عليه السلام. ويجري عليها ما يجري على البشر كالرغبة في النوم مثلا كما حدث مع ضيفي لوط عليه السلام. وهم ينزلون من السماء إلى الأرض ويصعدون من الأرض إلى السماء مستخدمين سلما كما رآهم يعقوب عليه السلام.

وتشكُّل الملائكة يتفق ما أورده القرآن الكريم عنهم، أما حاجتهم إلى الأكل أو الشرب أو النوم أو ما شابهه فإنّه يتعارض مع رؤية القرآن الكريم للملائكة من أنهم خلق آخر غير خلق الإنس والجن وسائر المخلوقات، لا يسري عليهم ما يسري على سائر المخلوقات من إنس وحيوان وطير وخلافه.

ومصطلح ملاك الربِّ كما ورد في التوراة غير صريح؛ فتارة يشير إلى ملاك مرسل من قبل الربِّ كهذا الذي اعترض بلعام وهو في طريقه إلى ملك مؤاب ليتنبأ له ضد بني إسرائيل، وكما حدث مع قوات سَنْحَارِيب مَلِكِ أَشُّورَ حيث قام ملاك الرب بقتل ١٨٥,٠٠٠ من جنوده منتصرا لحزقيا ملك إسرائيل، وكما حدث لمّا أمر الربُّ ملاكه بإهلاك أورشليم، وتضرُّع داود إلى الرب أن ينجيهم من الهلاك؛ لمّا رأى ملاك الرب منتصبا بين السماء والأرض وقد شهر سيفه بيده مادا إيّاه تجاه أورشليم، فعفا الله عنهم وأمر الملاك أن يعيد سيفه إلى غمده. أما في حالة إيليا لما كان هاربا من تهديدات إيزابل له بالقتل فهو ملاك مرسل من قبل الرب يتحوّل إلى الربِّ ذاته. وهناك حالات أخرى.

ورؤية دانيال للملاك جبرائيل في هيئة رجل مرتديا ثوبا من الكتان، متمنطقا بحزام من ذهب، وجسمه كالزبرجد، وعيناه تتوهجان كمصباحي نار، وذراعاه ورجلاه تلمعان كنحاس مصقول تقدِّم لنا التوراة وصفا مادّيا غريبا لأحد الملائكة.

ورؤيا حزقيال التي تقدم لنا وصفا آخر للملائكة بأنها كائنات حيّة تشبه الإنسان، ولكل واحد منها أربعة أوجه؛ واحد على شكل إنسان، وآخر على شكل أسد، وآخر على شكل ثور، وآخر على شكل نسر، ولكل منها أربعة أجنحة؛ جناح على كل جانب من جوانبها الأربعة، وتحت أجنحتها أيدي بشر، وتشبه أقدامُها أقدام العجل؛ فتعدُّ أوصافا أكثر غرابة وتعقيدا.

وقول دانيال عن الملاك ميخائيل: إنه سوف يكون حارسا على بني إسرائيل يحميهم من فتنة اليوم الآخر، هو تفسير مادّي غير مبرّر؛ فالفتنة شيء معنوي يصيب النفس، ولا نحتاج لمدافعتها إلى قوّة مادِّية كملاك أو غيره.

ويقول النصارى عن الملائكة: إنّهم لا يموتون، وهذا يتناقض مع عقيدة المسلمين الراسخة أن كل شيء هالك إلا وجهَه (أي الله جلّ شأنه). أما قولهم: إنه ليس لهم شهوات أرضية فهذا لا يتناقض مع ما أورده القرآن الكريم عنهم.

ويقول النصارى عن الرجل الذي يرتدي الكِتَّان إنه هو المسيح، وهذا يتناقض مع قول اليهود عنه أنه الملاك جبرائيل.

الفصل الثالث

عالم الجن

الفصل الثالث: عالم الجن

عالم الجن في التوراة

الحيّة هي الشيطان

قامت الحيّة بدور الشيطان في إغواء حوّاء للأكل من الشجرة التي أمر الله كلاً من آدم وحوّاء بعدم الأكل منها: وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَمْكَرَ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي صَنَعَهَا الرَّبُّ الإِلَهُ، فَسَأَلَتِ الْمَرْأَةَ: «أَحَقّاً أَمَرَكُمَا اللهُ أَلاَّ تَأْكُلاَ مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» ٢فَأَجَابَتِ الْمَرْأَةُ: «يُمْكِنُنَا أَنْ نَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ كُلِّهَا، ٣مَاعَدَا ثَمَرَ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَلْمُسَاهُ لِكَيْ لاَ تَمُوتَا». ٤فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا، ٥بَلْ إِنَّ اللهَ يَعْرِفُ أَنَّهُ حِينَ تَأْكُلاَنِ مِنْ ثَمَرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا فَتَصِيرَانِ مِثْلَهُ، قَادِرَيْنِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»..... (التكوين ٣)

الشيطان وداود

تآمر الشيطان ضدّ بني إسرائيل، فوسوس لداود، وأغراه بأن يقوم بعمل إحصاء للشعب على غير إرادة الله. وكان ذلك سببا في ضرب بني إسرائيل بالوباء: وَتَآمَرَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، فَأَغْرَى دَاوُدَ بِإِحْصَاءِ الشَّعْبِ. ٢فَأَمَرَ دَاوُدُ يُوآبَ وَرُؤَسَاءَ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: «اذْهَبُوا وَعِدُّوا الشَّعْبَ، مِنْ بِئْرِ سَبْعَ إِلَى دَانَ، وَارْفَعُوا إِلَيَّ تَقْرِيرَكُمْ فَأَعْلَمَ كَمْ عَدَدُهُ»..... ٧وَإِذْ كَانَ إِجْرَاءُ هَذَا الإِحْصَاءِ مَمْقُوتاً فِي عَيْنَيِ اللهِ، عَاقَبَ اللهُ الإِسْرَائِيلِيِّينَ..... ٩فَقَالَ الرَّبُّ لِجَادَ رَائِي دَاوُدَ: ١٠«اذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ ثَلاَثَةَ أُمُورٍ، اخْتَرْ وَاحِداً مِنْهَا فَأُجْرِيَهُ عَلَيْكَ»..... هَيَّا اخْتَرْ. ١٢إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ مَجَاعَةٌ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ يُطَارِدُكَ فِيهَا أَعْدَاؤُكَ، وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ وَإِمَّا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَتَسَلَّطُ فِيهَا عَلَيْكَ سَيْفُ الرَّبِّ فَيَتَفَشَّى الْوَبَأُ فِي الأَرْضِ، إِذْ يَجُولُ مَلاَكُ الرَّبِّ يُدَمِّرُ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ إِسْرَائِيلَ..... (أخبار الأيام الأول ٢١)

تدمير الربّ للأرض

يقول أشعياء عن هذا اليوم: إن الربّ سوف يخرّب أرض يهوذا ويُشتّت سكّانها. ويقول كذلك: إن الربَّ سوف يعاقب الشياطين والملوك المتغطرسين، ويزُجّ بهم في سجن مغلق حتى يتم عقابهم: هَا إِنَّ الرَّبَّ يُخْرِبُ أَرْضَ يَهُوذَا وَيُقْفِرُهَا وَيَقْلِبُ وَجْهَهَا وَيُشَتِّتُ سُكَّانَهَا..... ٢١في ذَلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ الْمَلاَئِكَةَ السَّاقِطِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَالْمُلُوكَ الْمُتَغَطْرِسِينَ عَلَى الأَرْضِ، ٢٢فَيُجْمَعُونَ مَعاً كَمَا يُجْمَعُ الأَسَارَى فِي الْجُبِّ، وَيُزَجُّونَ فِي سِجْنٍ مُغْلَقٍ، وَيَتِمُّ عِقَابُهُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ عَدِيدَةٍ..... (أشعياء ٢٤)

الشيـطان وأيّـوب

اندسّ الشيطان بين الملائكة المجتمعين في حضرة الربِّ، وأخذ يجادل الربَّ في شأن أيّوب، ويشكّك في تقواه. عندئذ كلّفه الربُّ باختبار إيمان أيّوب، وحذّره من أن يؤذيه: ٦وَحَدَثَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ مَثَلَ بَنُو اللهِ أَمَامَ الرَّبِّ، فَانْدَسَّ الشَّيْطَانُ فِي وَسَطِهِمْ. ٧فَسَأَلَ الرَّبُّ الشَّيْطَانَ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «مِنَ الطَّوَافِ فِي الأَرْضِ وَالتَّجَوُّلِ فِيهَا». ٨فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ رَاقَبْتَ عَبْدِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لاَ نَظِيرَ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَهُوَ رَجُلٌ كَامِلٌ صَالِحٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ». ٩فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «أَمَجَّاناً يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ ١٠أَلَمْ تُسَيِّجْ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا يَمْلِكُ. لَقَدْ بَارَكْتَ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، فَمَلأَتْ مَوَاشِيهِ الأَرْضَ. ١١وَلَكِنْ حَالَمَا تَمُدُّ يَدَكَ وَتَمَسُّ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». ١٢فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا أَنَا أُسَلِّمُكَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ. إِنَّمَا لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَيْهِ لِتُؤْذِيَهُ». ثُمَّ انْصَرَفَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ. (أيّوب ١)

الشيطان ويهوشع رئيس الكهنة

الشيطانَ يقاوم يهوشع رئيس الكهنة في حضرة الربِّ، والربُّ ينهر الشيطانَ بسبب ذلك ويوبّخه: ثُمَّ أَرَانِي الرَّبُّ يَهُوشَعَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ وَاقِفاً فِي حَضْرَةِ مَلاَكِ الرَّبِّ، وَعَنْ يَمِينِهِ يَنْتَصِبُ الشَّيْطَانُ لِيُقَاوِمَهُ. ٢فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «إِنَّ الرَّبَّ يَنْتَهِرُكَ يَاشَيْطَانُ، الرَّبُّ الَّذِي اصْطَفَى أُورُشَلِيمَ يَنْتَهِرُكَ،..... (زكريا ٣)

عالم الجن في القرآن

اصلُ خلق الجِنّ

خلق الله جلّ شأنه الجِنَّ من النار بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحجر)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن) وسُمِّيت النار التي خُلِق منها الجنُّ نار السموم لأنها تنفذ في مسام البدن لشدّة حرِّها، أمّا مارج النار فهو اللهب الذي لا دخان فيه، وهو يشير إلى خاصية جذوة النار التي خُلِق منها الجنّ. وخلْق الجنّ من نار لا يقتضي أن تكون أشكالهم وهيئاتهم كالنار، فالبشر خلقوا من تراب وهيأتهم ليست كالتراب.

الشيطان من الجِنّ

الشيطان من الجنِّ وليس من الملائكة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف) وأمْرُ السجود موجّه للملائكة بعامّة، ولإبليس من بينهم بصفة خاصّة. وقد سجدت الملائكةُ امتثالا لأمر ربّها، لكن إبليس منعه غرورُه وتكبُّره فلم ينفِّذ أمر ربِّه؛ وكان هذا سببا في لعنه وطرده من رحمة الله. والشيطان هو من عتاة الجن.

قُبح صورة الشياطين

الشياطين غاية في قُبح الخِلْقة بدليل قوله تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الصافات) فرءوس الشياطين بلغت درجة من القبح تستحق أن يُشبَّه بها المولى عزّ وجلّ ثمار شجرة الزقوم التي تنبُت في النار، وتتغذّي من حميمها؛ ليأكل من ثمارها العُصاة والمذنبون الذين يُعذّبون في نار جهنم، ولا تقِلّ بشاعة في شكلها عن بشاعة عن تلك النار التي تعيش على حرِّها.

رؤية الجن

لا يُمكن رؤية الجن بعامّة على صورتهم الحقيقية، والشيطان من بينها بدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأعراف)

لكن الله جلّ شأنه منحهم إمكانية التحوُّل من خِلْقتهم التي خلقهم عليها إلى صور أخرى من صور المخلوقات كالإنسان أو الحيوان أو غيرهما كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأنفال) لمّا أجمَعَتْ قريش على الخروج إلى حرب المسلمين في بدرٍ ذكروا ما بينهم وبين قبيلة كنانة من الحرب؛ فكاد ذلك أن يثنيهم عن الخروج. وجاءهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي من أشراف بني كنانة فقال لهم: أنا جار لكم (ضامن) من أن تأتيكم كنانة بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا والشيطان جار لهم لا يفارقهم. فلما دار القتال ورأى عدوُّ الله جندَ الله (الملائكة) قد نزلت من السماء ركض من الميدان، فقالوا إلى أين يا سراقة؟ قال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون.

عداوة الشيطان وكيده لبني آدم

بدأت عداوةُ الشيطان لبني آدم قبل أن تُنْفخُ الروح في أبينا آدم عليه السلام، فعندما نفخ الله جلّ في علاه الروحَ في آدم، وأمر الشيطان بالسجود له أبي واستكبر وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأعراف) فهو الحسد من الشيطان لأبينا آدم الذي خلقه الله بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمره بالسجود له؛ سجود تكريم وتعظيم.

ولم تتوقّف عداوة الشيطان لأبينا آدم عند هذا الحد، بل توعّده هو وذرِّيته بالغواية والتضليل بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الإسراء)

وقد لعنه الله بسبب ذلك، وطرده من رحمته؛ لكن الشيطان سأل الله أن يُمْهله إلى حين. ولمّا أمهله الله، نذر الشيطانُ على نفسه أن يترصّد لبني آدم كل مرصد؛ ليُضِلّ كثيرا منهم عن طريق الله المستقيم، ويمنّيهم بطول الأجل؛ فلا يخافون بعثا ولا نشورا، ويأمرهم أن يُقطّعوا آذان الأنعام (لتصنيفها حسب أشوائهم)؛ فيُحِلّوا ما حرّم الله، ويُحَرِّموا ما أحلّ الله كما حصل في البحيرة (الناقة يوقف لبنها للأصنام) والسائبة (الناقة يوقف ظهرها للأصنام) والوصيلة (الناقة تُبكّر بأنثى ثم تُثنّي بأنثى فتُترك للأصنام) والحام (فحل الإبل يلقِّح عشر مرات فيُترك للأصنام فلا يُحْمل عليه)، ويأمرهم أن يغيّروا خلق الله؛ بالوشم والنمص وغيره ممّا لم يأمر به الله كما في قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ (النساء)

وقد حذّر الله جلّ شأنُه بني آدم من الشيطان، وأمرهم أن يتّخِذوه (يعتبروه) عدوّا، وحذّرهم من أن يتّبعوه فيكونوا من أصحاب النار وبئس المصير كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ (فاطر)

ونبّه الله جلّ شأنه بني آدم من حِيَلْ الشيطان ومكائده كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المائدة) يقول تعالى: إن الخمر (كل ما هو مُسْكِر)، والميسر (القمار)، والأنصاب (حجارة كانوا يذبحون عندها القرابين)، والأزلام (أقداح كانوا يستفتونها إذا همّوا بأمر لا يدركون عواقبه) قَذَر ونَجَس من تزيين الشيطان، ويأمرهم أن لا يقربوها لأن

الشيطان بهذه الرذائل يعمل على إيقاع العداوة والبغضاء بينهم بسببها، ويُبعدهم بإغوائهم بمعاقرتها (الإدمان عليها) عن ذكر الله وعن الصلاة.

ويُقدِّم المولى عزّ وجلّ لعباده المؤمنين الترياق الشافي من كيد الشيطان بقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف) يقول جلّ شأنه أن عمل الشيطان هو الوسوسة، والاستعاذة بالله تطرد عن المؤمن وسوسة الشيطان، وتمنع الشيطان من التسلُّط على نفسه وإغوائها؛ فينجو من حبائله.

الجنُّ مكلّفون

الجن كبني البشر مكلّفون (مأمورون بعبادة الله) بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات)

فالغاية من خلق الله للإنس والجنّ هي عبادته، ولا فرق بين الجنسين من هذه الناحية. ومطيعُهم في الجنة، وعاصيهُم في النار كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الجن) وهذا ما يقوله الجنُّ عن أنفسهم.

والجنُّ قد بلغتهم دعوة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (الأنعام) فهذا إقرار من الجنّ والإنس بأن الرُسُل قد بلّغت وأوضحت وحذّرت وأنذرت. وقد يُكلّف الجن بتكاليف شرعية غير تلك التي يُكلّف بها الإنس لاختلاف الجنسين، ولا غضاضة في ذلك.

قُدُراتُ الجنّ

قُدْرة الشيطان على بني الإنسان لا تتعدّى الوسوسة والإيحاء، وليس له أي قدرات مادية بدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ

﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ...﴿٢٢﴾ ﴾ (إبراهيم) ففي يوم القيامة يتبرّأ الشيطانُ من هؤلاء الذين اتّبعوه في الحياة الدنيا؛ فأوردوا أنفسهم موارد التهلُكة، وينفي عن نفسه أيّ سلطان كان له عليهم غير وسوسته لهم.

وكان الجنُّ قبل بعثة محمّدٍ عليه الصلاة والسلام يتطرّقون إلى السماء الدنيا ليستمعوا إلى أخبارها كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ (الجن) وكان قعودهم في مقاعد لاستراق خبر السماء يدُلّ على قدرة عظيمة ميّزهم الله بها. ويقول الجنُّ أنّهم لما حاولوا بلوغ السماء لاستراق السمع كعادتهم وجدوها قد مُلِئت بحرّاس كثيرين من الملائكة، وبالشُهب المحرقة التي تُقذف على من يحاول الاقتراب منها فتحرقه وتهلكه.

أصناف الجنّ

الجنُّ ليسوا جميعا على شاكلة واحدة، بل هم درجات من القوة والقدرة؛ فمنهم:

إبليس: وهو أكثرهم فسقا وعداوة لبني آدم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف)،

الشياطين: بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأنعام)، وقوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ص) والشياطين هم عُتاةُ الجن ومردَتُهم، وهم الطائفة من الجنّ الأشدُّ عداوة لرُسُل الله. وقد سخّر الله لنبيه سليمان من الجن الشياطين من يبنون له ما يعجز عنه بنو البشر، ويغوصون في البحار لجلب كنوزها ليُجمِّل بها قصوره ومعابده.

العفاريت: كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (النمل)

والعفريت من الجن هو الشديد القوي. وقد سخّر الله عزّ وجل فريقا من هؤلاء العفاريت لخدمة نبيّ الله سليمان عليه السلام، ومنهم هذا الذي عرض على نبي الله سليمان أن يأتيه بعرش بلقيس من سبأ باليمن إلى بيت المقدس قبل أن يقوم من مجلسه. وتعهُّد العفريت والتزامه بإحضار العرش؛ مع قطعه تلك المسافات الشاسعة دليل على شِدّته وقوّته وعظيم قدرته.

الجنُّ يتناسلون ويموتون

الجن يتناسلون ولهم ذرية بدليل قوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ (الجن) فوجود الرجال فيهم، يقتضي وجود الإناث؛ لتتم عملية التناسل ووجود الذرية.

وهم يموتون أيضا بدليل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأحقاف) وهكذا فإنّ قَدَرَ الموتِ يجري عليهم طائفة بعد أخرى كبني البشر وغيرهم من خلق الله.

الجنُّ وعلْمُ الغيب

استأثر الله جلّ شأنه بعلم الغيب كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (النمل)

واستئثار الله وحده بعلم الغيب ينفي علمَ الغيب عن جميع المخلوقين، ومن بينهم الجنُّ الذين هم خلق من خلقه. ولا تعارض في ذلك مع قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الجن)

فالله جلّ شأنه عالم بما هو كائن إلى يوم الساعة، ولا يُطلع على غيبه أحداً من خلقه، واستثنى من ذلك بعضَ رسله؛ فإنّه يطلعهم على ما يشاء من الغيب ليكون ذلك معجزة لهم أمام أقوامهم. وفي هذه الحالة فإنّه يحيط هذا الرسول بملائكة يحرسونه ويحفظونه من تسلُّط الجن عليه حتى يبلغ رسالته دون زيادة أو نقصان كما في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ...وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (آل عمران) فقد أيّد الله جلّ شأنه رسوله عيسى عليه السلام بأن أطلعه على ما يدّخره أناس من قومِه في بيوتهم، وما يأكلونه؛ وهو لم يدخلها من قبل.

ومن المؤكد أن الجن لا علم لهم بالغيب بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ (سبأ) فقد شاع بين الناس في عهد نبي الله سليمان عليه السلام أن الجنّ يعلمون الغيب، فجعل الله موت سليمان آية للناس تدحض هذه الفرية، وذلك أن سليمان كان يجلس في شرفة قصره يرقُب الجن وهم يعملون حتى لا يتكاسلون، وكان مُتّكِئا على عصاه شاخصا ببصره إلى ناحيتهم. وقد فاضت روحه إلى بارئها وهو على هذه الحال، وظل ردحا من الزمن على حاله هذه حتى أكلت القرضةُ عصاته التي كان متكئا عليها؛ فخرّ جسدُه إلى الأرض. ولما اكتشفت الجنُّ موته، حزنوا أشد الحزن لأنهم مكثوا في العمل دون توقُّف فترة طويلة وهم يظنّون أنّه يرقبهم، وتأكّد للناس أن الجنَّ لا يعلمون الغيب كما كانوا يدّعون.

مصير الجنّ في الآخرة

كما هو شأن الإنس فإن كفّار الجن سيُعذّبون في نار جهنم يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ...﴿١٧٩﴾ ﴾ (الأعراف)، وقوله تعالى: ﴿ ...وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (هود)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (السجدة) يقول عزّ وجلّ أن خلقا كثيرا ممن خلق

من الجن والإنس سيكونون في النار بسبب انحرافهم عن طريقه المستقيم. ويقول جلّ شأنه: إنه لو أراد هداية جميع الخلق لفعل، لكنَّ ذلك ينافي حكمته من خلقهم وجعلِهم مختارين، وأنه يريد منهم الإِيمان بطريق الاختيار لا بطريق الإِكراه والإِجبار.

ويتعجّب من يتعجّب من كون الجنّ سوف يعذّبون بالنار وهم مخلوقون منها، ويرون في الأمر شبهة. ودفع هذه الشبهة بسيط غاية البساطة بدليل أن الإنسان الذي خُلِق من طين لا تشبه طبيعته التي هو عليها وهو الطين الذي خُلِق منه، بل تختلف عنه تماما؛ اللهم إلا في عناصره التي لا تختلف كثيرا عن عناصر الطين. كذلك الجن فإن الطبيعة التي هم عليها لا شك لن تكون نارا وإلا أحرقوا كل ما حولهم؛ وهم كما هو معلوم منتشرون بيننا وحوالينا ولكن لا نراهم.

القريـــن

القرين من الشياطين هو شيطان يوكل بالإنسان منذ مولده وحتى وفاته، وعملُه أن يوسوس للإنسان بفعل الشر. ولكل واحد منا قرينين، قرين من الملائكة يحثُّه على فعل الخير، وآخر من الجن يحثُّه دائما على فعل الشر كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (النساء) يُشبِّه المولى جلّ شأنه هؤلاء الكفار الذين ينفقون أموالهم ليقول الناس أنّهم منفقون بأن الشيطان زيّن لهم ذلك، وصدّهم عن سبيل الله؛ فصاروا مثله، وصار هو قرينا لهم؛ وما أسوأه من قرين.

ويقوله تعالى: إنه قد أوكل بهؤلاء الكافرين قرناء من الشياطين ليزيِّنوا لهم أعمالهم الدنيوية الفانية، ويشجِّعونهم على الانغماس في الشهوات والمعاصي؛ موهمين إيّاهم بأنه لا بعث بعد الموت، ولا حساب يوم البعث؛ فيكون مصيرُهم إلى النار كما حدث لمن سبقهم من الإنس والجن كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (فصلت)

وهؤلاء هم أهل الجنَّةِ يجتمعون ويتسامرون ويتذكّرون أحوالهم في الدنيا، فيقول أحدهم أن قرينه كان يوسوس له ويشكّكه في أن يكون هناك بعث أو نشور أو حساب بعد الموت وبلاء أجسادنا. ولمّا ينظر أحدُهم إلى المعذّبين في النار ويرى قرينه يصطلي بلهيبها، يحمد الله جلّ شأنه أن نجّاه من عذابها كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الصافات) وهو القرين من الإنس أيضا.

المتغافل عن ذكر الله يوكِلُ به الله قرينا من الشياطين يُضلُّه عن الهدى، وعن اتّباع طريق الحقِّ؛ فيكون مصيره النار وبئس المصير هو وقرينه. وفي يوم القيامة يندم ندما شديدا لأنه اتبع قرين السوء، ويتمنّى لو لم يقابله أبدا في حياته. كما أن اشتراكه مع قرينه في تلقّي العذاب لن يخفِّف عنه شيئا من حرِّها كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الزخرف)

ويقول الكافر ساعة الحساب مخاطبا المولى عزّ وجلّ: إن قرينه من الشياطين هو الذي أضلّه عن الحقِّ وأغواه باتباع الباطل، ويقول قرينه أنه لم يُضْلله بل هو ضالٌّ بطبيعته، وميّالٌ للباطل، ومائلٌ عن الحق. ويأمر المولى عزّ وجلّ كليهما بالسكوت فلا مجال لأخذ وردّ بين يديه جلّ شأنه، ولا حُجّة لهم بعد أن أعذرهم بإرسال رُسُلِه، وتنزيل كتبه بالحجج والبراهين. ويقول تعالى أنه قد قضى وقضاؤه نافذ، وأنه لا يُعذِّبُ أحدا من خلقه إلا بذنبه، وأنه لا يظلم أحدا من خلقه كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ق)

تعقيب

لم تذْكُر التوراة عن عالم الجنّ أو الشياطين شيئا ذا بال، واقتصر ذكر الشيطان على إطلاق صفته على الحيّة كما ورد عن إغوائها لحوّاء للأكل من الشجرة، والإغراء بفعل المنكرات كما حدث مع داود لقيامه بإحصاء الشعب ضد إرادة الرب.

وأن تكون الحيّة هي الشيطان فهذا لا يستقيم مع حقائق نلمسها، وهي أن الحية مخلوق من مخلوقات الله، عجماء لا فكر لها ولا عقل ولا أي قدرات ذهنية لتقوم بدور الشيطان الذي نعلم جميعا كم هو بارع في القيام بمهامه التي خلقه الله من أجلها، وهي الوسوسة إلى الإنسان وإغوائه.

وتقول التوراة عن الشيطان: إنه كان من صنف الملائكة بدليل جداله مع الرب بشأن أيّوب، وتكليف الربِّ له باختبار إيمانه. وبدليل ما قاله النبي أشعياء من أن الربَّ سوف يعاقب الملائكة الساقطين؛ أي الشياطين. وهذا يصطدم بحقيقة اختلاف المادة التي خُلِق منها كل من الملائكة والشياطين، علاوة على المهمة التي خلق الله جلّ شأنه من أجلها كل صنف من الصنفين.

وتقول التوراة: إن الشيطان يمكن رؤيته كما حدث مع النبي زكريا حيث أراه الربُّ الشيطان وهو يقاوم رئيس الكهنة. وهذا لا يصطدم مع ما ذكره القرآن الكريم عن إمكانية رؤية الجنِّ ومن ضمنهم الشياطين.

وتقول التوراة: إن الشياطين سوف يعاقبون بأن يُزجُّ بهم في سجن مغلق حتى يأتي وقت عقابهم. والسؤال هو متى سيكون ذلك؟ وهل سيكون في حياتنا الدنيا؟ ولو كان الجواب بنعم فإن هذا يتعارض مع ما يؤكده القرآن من أن الدنيا دار عمل لا دار حساب. وإن كان العقاب المذكور في الحياة الآخرة فإن مثل هذا اليوم لم يرد ذكره في التوراة التي هي محلُّ بحثنا.

ويقول النصارى: إن الشيطان سوف يُقيّد بسلسلة حتى يأتي الزمان الأخير، فيُلقى به في البحيرة المتّقِدة بالنار. ويقولون كذلك: إن تقييده بالسلسلة قد تمّ بصلب المسيح، وهذا

لا يستقيم مع واقع الحال. فلو أنّ الشيطان قد تمّ تقييده فعلا منذ أن صُلب المسيح عليه السلام حسب زعمهم، فكيف له أن يواصل دوره في الوسوسة والإغواء لبني آدم دون توقُّف حتى يومنا هذا بدليل أن كثيرا من الناس مخالفون لشرع الله، وسوف يظل قائما بدوره حتى تنتهي حياة الإنسان على وجه الأرض بقيام الساعة. فما هي النتيجة الملموسة لتقييده بالسلسة؛ لو كان ذلك قد تم فعلا؟

أما أن يُلْقى به في البحيرة المتَقِدة بالنار فلا يختلف كثيرا عن مقولة تعذيبه في نار جهنم التي يقول بها القرآن الكريم.

الفصل الرابع

نبوءات بالأرض والذرية

الفصل الرابع

نبوءات بالأرض والذُرِّيَّة

وعد الربّ لإبراهيم

أمر الربُّ أبرام (إبراهيم) أن يترُك أرضه التي نشأ فيها، وأهله الذين ترعرع بينهم إلى أرض قال أنه سوف يريه إيّاها واعدا إيّاه أن يجعل منه أمّة كبيرة. ارتحل إبراهيم كما أمره الربُّ إلى حاران، ومن ثَمّ إلى أرض كنعان. وفي أرض كنعان ظهر الربُّ لإبراهيم وقال له سأُعطي هذه الأرض لذريتك: وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، ٢فَأَجْعَلَ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ،..... ٤فَارْتَحَلَ أَبْرَامُ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَرَافَقَهُ لُوطٌ..... ٥وَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ زَوْجَتَهُ وَلُوطاً ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مَا جَمَعَاهُ مِنْ مُقْتَنَيَاتٍ وَكُلَّ مَا امْتَلَكَاهُ مِنْ نُفُوسٍ فِي حَارَانَ، وَانْطَلَقُوا جَمِيعاً إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ..... ٧وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «سَأُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ» (التكوين ١٢)

وظهر الربُّ لإبراهيم وقطع معه عهدا أن يُكثِّر نسله، ويجعلهم أمما كثيرة، ويجعل منهم ملوكا. وقال الربُّ لإبراهيم: إن عهده معه سيكون مع نسلـه كذلك، وأنه سيكون لهم إلها. وقال الربُّ لإبراهيم: إنـه سوف يهبه جميع أرض كنعان هو وذريته من بعده؛ ملكا أبديا: وَعِنْدَمَا كَانَ أَبْرَامُ فِي التَّاسِعَةِ وَالتِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ، ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: «أَنَا هُوَ اللهُ الْقَدِيرُ.... ٣فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَاطَبَهُ اللهُ قَائِلاً: ٤«هَا أَنَا أَقْطَعُ لَكَ عَهْدِي، فَتَكُونُ أَباً لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ..... ٦وَأُصَيِّرُكَ مُثْمِراً جِدّاً، وَأَجْعَلُ أُمَماً تَتَفَرَّعُ مِنْكَ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَسْلِكَ مُلُوكٌ. ٧وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلَهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً». (التكوين ١٧)

عهد الربّ مع إبراهيم

قال الربُّ لإبراهيم: إن نسله سوف يتغرّب في أرض ليست لهم، ويستعبدهُم أهلُها ويذلّونهم مدة أربعمائة سنة. وقال الربُّ: إنه سوف يتدخّل لصالحهم، ويجعلهم يخرجون

من بلادهم بأموال طائلة، وأنهم سوف يرجعون بعد أربعة أجيال (أربعمائة سنة) إلى أرض فلسطين فيكون قد حان وقتُ القصاص من الأموريين (بعض شعوب المنطقة): ١٢وَلَمَّا مَالَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ غَرِقَ أَبْرَامُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، وَإِذَا بِظُلْمَةٍ مُخِيفَةٍ وَمُتَكَاثِفَةٍ تَكْتَنِفُهُ. ١٣فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «تَيَقَّنْ أَنَّ نَسْلَكَ سَيَتَغَرَّبُ فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، فَيَسْتَعْبِدُهُمْ أَهْلُهَا وَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ١٤وَلَكِنَّنِي سَأَدِينُ تِلْكَ الأُمَّةَ الَّتِي اسْتَعْبَدَتْهُمْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْوَالٍ طَائِلَةٍ. ١٥أَمَّا أَنْتَ فَسَتَمُوتُ بِسَلاَمٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ. ١٦أَمَّا هُمْ فَسَيَرْجِعُونَ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى هُنَا، لأَنَّ إِثْمَ الأَمُورِيِّينَ لَمْ يَكْتَمِلْ بَعْدُ». (التكوين ١٥)

وقد ورد في سفر الخروج أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت أربعمائة وثلاثين سنة، بزيادة ثلاثين سنة عن قول الرب لإبراهيم كما سبق في التكوين. ونصُّ الخروج يؤكِّد على ذلك، وقد جعل بنو إسرائيل ليلة خروجهم عيدا يحتفلون به: ٤٠وَكَانَتْ مُدَّةُ غُرْبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. ٤١وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ بِالذَّاتِ، فِي خِتَامِ أَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً خَرَجَ جَمِيعُ أَجْنَادِ الرَّبِّ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٤٢هِيَ لَيْلَةٌ تُكَرَّسُ لِلرَّبِّ إِذْ أَخْرَجَهُمْ فِيهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ، يُكَرِّسُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ أَجْيَالِهِمْ. (الخروج ١٢)

وبمقارنة نص التكوين ونص الخروج نجد فرقا قدره ثلاثين سنة. وللنصارى في ذلك تفسير يقول: إن مصر تشير إلى الغربة والعبودية عموما، وأن فترة الـ ٤٣٠ سنة المذكورة في الخروج محسوبة منذ دعوة الله لإبرام بالخروج من أور حتى خروج الشعب من أرض مصر. أما فترة الـ ٤٠٠ سنة المذكورة في التكوين فهي محسوبة منذ بدء اضطهاد إسماعيل لإسحاق حتى خروج الشعب من أرض مصر.

ويقول الأب أنطونيوس فكري في تفسيره لنَصِّ التكوين: إن مدة بقاء الشعب في مصر كانت حوالي ٢١٠ سنة، يضاف إليها المدة قبل دخولهم مصر وهي ٢٢٠ سنة، فيكون الإجمالي ٤٣٠ سنة. ويبرِّر ذلك بقوله: إن ذلك من باب إطلاق الجزء على الكل؛ باعتبار أن فترة إقامتهم في مصر كانت الجزء الأعظم أهمِّية في تاريخ تغرُّبهم. ويقول: إن الترجمة السبعينية قد أضافت كنعان على مصر كحاشية توضيحية.

ويضيف الأب أنطونيوس فكري أن الله لم يكشف اسم مصر في النبوءة لسببين: أوّلهما أن الغربة شاملة مصر وكنعان في أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وثانيهما حتى لا يرفض يعقوب ونسله النزول إلى مصر.

وعْدُ الربِّ لهاجر

ظهر ملاك الربِّ لهاجر عندما كانت هاربة من وجه سارة، وقال لها: إن الربَّ قد سمع أنينك، وهو يبشّرك بمولود تسمِّيه إسماعيل؛ يكون إنسانا قويّ البنية، مندفعا، يعيش في حرب مع جيرانه، ومتحدِّيا لجميع إخوته: ١٠ وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسْلَكِ فَلاَ يَعُودُ يُحْصَى»، ١١ وَأَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «هُوَذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ ابْناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (وَمَعْنَاهُ: اللهُ يَسْمَعُ) لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَائِكِ. ١٢ وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ». (التكوين ١٦)

وعْدُ الربِّ لسارة

طلب إبراهيمُ من الربِّ أن يحفظ له إسماعيل ويباركه، فأجابه الربُّ بأنه سوف يباركه، ويكثِّر ذريته؛ فيكون أبا لاثني عشر رئيسا. وبشّره الرب بمولد سارة لإسحاق، وأخبره أنه سيقيم عهده مع إسحاق ومع ذريته من بعده؛ عهدا لا ينفكُّ ولا ينقطع: ١٨ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَحْيَا فِي رِعَايَتِكَ». ١٩ فَأَجَابَ الرَّبُّ: «إِنَّ سَارَةَ زَوْجَتَكَ هِيَ الَّتِي تَلِدُ لَكَ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحقَ (وَمَعْنَاهُ يَضْحَكُ). وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ وَمَعَ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَهْداً أَبَدِيّاً. ٢٠ أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً. (التكوين ١٧)

وعْدُ الربِّ لإسحاق

لمّا حدثت مجاعة في عهد إسحاق حدّثتْهُ نفسُه بالذهاب إلى مصر كما فعل أبوه إبراهيم لكن الربَّ أمره أن لا يفعل، ونصحه أن يقيم في أرض كنعان لأنه سيعطيها له ولذريّته وفاء بقسمه لأبيه إبراهيم: وَحَدَثَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَارْتَحَلَ إِسْحقُ إِلَى مَدِينَةِ جَرَارَ حَيْثُ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ٢ فَظَهَرَ لَهُ

الرَّبُّ قَائِلاً: «لاَ تَمْضِ إِلَى مِصْرَ، بَلِ امْكُثْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أُعَيِّنُهَا لَكَ. ٣أَقِمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الأَرْضِ وَفَاءً بِقَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. ٤وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأَهَبُهَا جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ. وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ. ٥لأَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَطَاعَ قَوْلِي، وَحَفِظَ أَوَامِرِي وَوَصَايَايَ وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي». ٦فَأَقَامَ إِسْحقُ فِي مَدِينَةِ جَرَارَ. (التكوين ٢٧)

ويقول النصارى: إن إبراهيم ذهب إلى مصر دون استشارة الربِّ؛ فكاد أن يفقد زوجته نتيجة لذلك، أما إسحاق لما سمع لصوت الربِّ، ولم ينزل إلى مصر، قام الربُّ بتجديد العهد معه (تجديد العهد يعني إعطاء الأرض له ولذريته من بعده).

مباركة إسحاق لابنه يعقوب

لمّا طلب إسحاق من ابنه الأكبر عيسّو أن يُعِدَّ له وجبة شهية؛ ويأتي ليباركه، احتالت زوجتُه رفقة لينال ابنهما يعقوب البركة بدلا من أخيه عيسّو، وقامت بحيلة خبيثة في سبيل ذلك؛ بأن جعلت يعقوب يبدو من ملمسه كأنه أخيه عيسّو أمام أبيه إسحاق الذي كلّ (ضعُف) بصرُه (تفاصيل ذلك في كتاب لنا عنوانه: متماثلات ومتناقضات من وحي القرآن والتوراة). ونجحت الحيلة، ودعا إسحاقُ ليعقوب بأن يُنْعِم الربُّ عليه من بركات السماء وخيرات الأرض، وأن يكثِّر له الحنطة والخمر، وأن تخدمه جميع الشعوب، وتسجُد له القبائل، ويكون سيِّدا على إخوته، وأن يلعن الربُّ مبغضيه، ويبارك محبيّه:..... ٢٨فَلْيُنْعِمْ عَلَيْكَ الرَّبُّ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، فَيُكَثِّرُ لَكَ الْحِنْطَةَ وَالْخَمْرَ. ٢٩لِتَخْدُمْكَ الشُّعُوبُ، وَتَسْجُدْ لَكَ الْقَبَائِلُ، لِتَكُنْ سَيِّداً عَلَى إِخْوَتِكَ. وَبَنُو أُمِّكِ لَكَ يَنْحَنُونَ. وَلْيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ». (التكوين ٢٧)

ويقول النصارى في تفسير دعوة إسحاق ليعقوب أن يكون سيِّدا على إخوته: إن ذلك تمّ في أيام داود حيث فرض على نسل عيسّو مُلْكه، وظلّوا خاضعين له ولبعض أولاده من بعده فترة طويلة. أما البركات الزمنية (خيرات الأرض وغيرها) فيقولون: إنها تشير إلى البركات الروحية التي تحققت بمجيء المسيح.

وعد الربّ ليعقوب

لمّا توجّه يعقوبُ من بئر سبع نحو حاران، بات ليلته في الطريق فرأى الربَّ الذي قال له: إن الأرض التي ترقُد عليها أعطيها لك ولذريتك التي ستكون من كثرتها كتراب الأرض، وسوف تمتد حدود أرضك غربا وشرقا وشمالا وجنوبا. وقال الربُّ: إنه سوف يرعاه حيثما يذهب، ويرُدَّه إلى الأرض التي يرقُد عليها، وأنه سوف يفي له بكل وعوده: ١٠أَمَّا يَعْقُوبُ فَتَوَجَّهَ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ نَحْوَ حَارَانَ، ١١فَصَادَفَ مَوْضِعاً قَضَى فِيهِ لَيْلَتَهُ..... ١٢وَرَأَى حُلْماً شَاهَدَ فِيهِ سُلَّماً قَائِمَةً عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَمَلاَئِكَةُ اللهِ تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهَا، ١٣وَالرَّبُّ نَفْسُهُ وَاقِفٌ فَوْقَهَا يَقُولُ: «أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحقَ. إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَرْقُدُ عَلَيْهَا الآنَ أُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ. ١٤الَّتِي سَتَكُونُ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْباً وَشَرْقاً، وَشِمَالاً وَجَنُوباً، وَتَتَبَارَكُ بِكَ وَبِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ. ١٥هَا أَنَا مَعَكَ وَأَرْعَاكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ. وَلَنْ أَتْرُكَكَ إِلَى أَنْ أَفِيَ بِكُلِّ مَا وَعَدْتُكَ بِهِ». (التكوين ٢٨)

وتجلّى الربُّ ليعقوب مرة أخرى وقال له أنه سيجعل منه أمّة وطوائف، ومنهم يخرج ملوك، وأن الأرض التي وهبها لإبراهيم وإسحاق سوف يعطيها له ولذريّته من بعده: ٩وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَهْلِ أَرَامَ وَبَارَكَهُ،..... ١١وَقَالَ اللهُ لَهُ: «أَنَا هُوَ اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ، فَيَكُونَ مِنْكَ أُمَّةٌ وَطَوَائِفُ أُمَمٍ، وَمِنْ صُلْبِكَ يَخْرُجُ مُلُوكٌ. ١٢وَالأَرْضُ الَّتِي وَهَبْتُهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ أُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَيْضاً». (التكوين ٣٥)

وعد الربِّ لموسى

لمّا ظهر الربُّ لموسى في العليقة (شجرة كثيفة الخضرة) التي تحترق قال له: لقد شهدتُ مذلة شعبي الذي في مصر، فنزلت لأُنقذهم من يد المصريين، وأُخرجهم من تلك الأرض إلى أرض طيّبة تفيض لبنا وعسلا؛ أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ: ٧فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ شَهِدْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ جَرَّاءِ عُتُوِّ مُسَخِّرِيهِمْ وَأَدْرَكْتُ مُعَانَاتَهُمْ، ٨فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ

يدِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ رَحِيبَةٍ تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً، أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. (الخروج ٣)

وقال الربُّ لموسى: أُتْرك هذا المكان أنت والشعب، وامضوا إلى الأرض التي أقسمتُ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن أهبها لنسلهم وأطرد منها الْكَنْعَانِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ: وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اتْرُكْ هَذَا الْمَكَانَ أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَامْضِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: سَأَهَبُهَا لِنَسْلِكَ. ٢وَسَأُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلاَكاً، وَأَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. (الخروج ٣٣)

وعود الربِّ ليشوع

بعد موت موسى قال الربُّ ليشوع بن نون قُمْ واعْبُر نهر الأردن أنت والشعب إلى الأرض التي أنا واهبها لبني إسرائيل، وكلَّ موضع تطؤه بطون أقدامكم أهبه لكم كما وعدتُ موسى؛ فتمتد حدودكم من صحراء النقب في الجنوب إلى جبال لبنان في الشمال، ومن البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى نهر الفرات في الشرق، بما في ذلك بلاد الحثيين: بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ، قَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ بْنِ نُونٍ، خَادِمِ مُوسَى: ٢«وَالآنَ وَقَدْ مَاتَ مُوسَى عَبْدِي، قُمْ وَاعْبُرْ نَهْرَ الأُرْدُنِّ هَذَا، أَنْتَ وَهَذَا الشَّعْبُ كُلُّهُ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا وَاهِبُهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. ٣كُلُّ مَوْضِعٍ تَطَؤُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ أَهَبُهُ لَكُمْ، كَمَا وَعَدْتُ مُوسَى، ٤فَتَمْتَدُّ حُدُودُكُمْ مِنْ صَحْرَاءِ النَّقَبِ فِي الْجَنُوبِ إِلَى جِبَالِ لُبْنَانَ فِي الشِّمَالِ، وَمِنَ الْبَحْرِ الأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ فِي الْغَرْبِ إِلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ فِي الشَّرْقِ، بِمَا فِي ذَلِكَ بِلاَدُ الْحِثِّيِّينَ. (يشوع ١)

تحقُّق الوعْدِ بالأرض

بعد أن تم الاستيلاء على الأرض الموعودة، بقي سبعةُ أسباط من بني إسرائيل لم يتسلّموا نصيبهم من الميراث، فأمرهم يشوع بأن ينتخبوا ثلاثة رجال من كل سبط، ثم أرسلهم لاكتشاف الأرض وتخطيطها، وأمرهم أن يقسّموها إلى سبعة أقسام توزّع عليهم بالقرعة: وَبَعْدَ أَنْ تَمَّ اسْتِيلاَءُ الإِسْرَائِيلِيِّينَ عَلَى الأَرْضِ اجْتَمَعُوا فِي شِيلُوهَ، حَيْثُ نَصَبُوا

خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ. ٢وَكَانَ هُنَاكَ سَبْعُ أَسْبَاطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَسَلَّمُوا بَعْدُ نَصِيبَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ. ٣فَقَالَ يَشُوعُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ مُتَقَاعِسُونَ عَنِ الشُّرُوعِ فِي امْتِلاَكِ الأَرْضِ الَّتِي وَهَبَهَا لَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ؟ ٤انْتَخِبُوا ثَلاَثَةَ رِجَالٍ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ، فَأُرْسِلَهُمْ لاِسْتِكْشَافِ الأَرْضِ وَتَخْطِيطِهَا بِمُوْجِبِ أَنْصِبَتِهِمْ، ثُمَّ يَرْجِعُوا إِلَيَّ. ٥وَلْيَقْسِمُوهَا إِلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ،..... ٨فَانْطَلَقَ الرِّجَالُ لاِسْتِكْشَافِ الأَرْضِ وَتَخْطِيطِهَا وَتَسْجِيلِهَا عَمَلاً بِوَصِيَّةِ يَشُوعَ، ثُمَّ الْعَوْدَةِ إِلَيْهِ لِيُلْقِيَ عَلَيْهَا الْقُرْعَةَ فِي مَحْضَرِ الرَّبِّ فِي شِيلُوهَ. ٩فَسَارَ الرِّجَالُ وَتَجَوَّلُوا فِي الأَرْضِ وَخَطَّطُوهَا وَسَجَّلُوهَا فِي كِتَابٍ حَسَبَ مَا فِيهَا مِنْ مُدُنٍ بَعْدَ أَنْ قَسَمُوهَا إِلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى يَشُوعَ إِلَى الْمُخَيَّمِ فِي شِيلُوهَ. ١٠فَأَلْقَى يَشُوعُ بَيْنَهُمُ الْقُرْعَةَ فِي شِيلُوهَ فِي مَحْضَرِ الرَّبِّ، حَيْثُ قَسَمَ الأَرْضَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفْقاً لأَسْبَاطِهِمْ. (يشوع ١٨)

وتحقّق وعد الربِّ لبني إسرائيل بامتلاك جميع الأرض التي أقسم أن يُعْطيها لآبائهم فورثوها وأقاموا فيها ولم يستطع أحد من أعدائهم أن يقاومهم: ٤٣وَهَكَذَا وَهَبَ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الأَرَاضِي الَّتِي حَلَفَ أَنْ يُعْطِيَهَا لآبَائِهِمْ فَوَرِثُوهَا وَأَقَامُوا فِيهَا، ٤٤فَأَرَاحَهُمُ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا أَقْسَمَ لآبَائِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ أَنْ يُقَاوِمَهُمْ، بَلْ أَسْلَمَهُمُ الرَّبُّ لَهُمْ جَمِيعاً. (يشوع ٢١)

تعقيب

ورد في (الإصحاح ١٢ من سفر التكوين) أن الربّ ظهر لإبراهيم في أرض كنعان وقال له سأُعْطي هذه الأرض لذريتك، كما ورد في (الإصحاح ٢٧ من نفس السفر) أن الربَّ وعد إسحاق أن يعطيه أرض كنعان له ولذريته، كما ورد في (الإصحاح ٢٨ من نفس السفر) أن الربَّ وعد يعقوب أن يعطيه الأرض التي يرقُد عليها له ولذريته، وتكرّر الوعد ليعقوب في (الإصحاح ٣٥ من نفس السفر).

وفي (الإصحاح ٣ من سفر الخروج) وعد الرب موسى أن يخرجهم من مصر إلى الأرض التي تفيض لبنا وعسلا، وتكرر الوعد لموسى في (الإصحاح ٣٣ من نفس السفر).

وفي (الإصحاح ١ من سفر يشوع) وعد الربُّ يشوع بن نون أن يهب لبني إسرائيل كل موضع تطؤه بطون أقدامهم.

وهكذا؛ وعود من الربِّ لكل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى بأن يهبهم الأرض لا تتحقّق. أيُعْقل أن يعد الربُّ ولا يفي بما وعد؟ بدليل أن وعوده لم تتحقق لأي من هؤلاء الذين وعدهم. أما وعده ليشوع بن نون على ما فيه من مبالغات، فلم يتحقّق كما ذكرت التوراة؛ بدليل أنه بقي سبعة أسباط من بني إسرائيل لم يتسلّموا نصيبهم من الميراث.

أما ما ذكرته التوراة من أن يشوع قد أرسلهم لاكتشاف الأرض وتخطيطها؛ فأمر مبهم، إذ أن التوراة سكتت عن ذكر وضع هذه الأرض التي ذهبوا لاستكشافها، وما إذا كانت خالية أم مأهولة؛ ومن غير المعقول أن تكون الأرض المقصودة غير مأهولة، فكيف لهم أن يستطلعوها ويقيسوها في حضور أصحابها؟

ورد في (الإصحاح ١٥ من سفر التكوين) أن الربَّ أخبر إبراهيم أن نسله سوف يتغرّبون مُدَّة أربعمائة سنة، ثم يعودون إلى أرض فلسطين، كما ورد في (الإصحاح ١٢ من سفر الخروج) أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت أربعمائة وثلاثين سنة. وتفسير النصارى

للفرق بين السفرين في تقدير مُدّة تغرُّبهم فيها خلط وتشويش. فالنصُّ صريح في كلا السفرين، والأرقام لا تُؤوَّل حسب الهوى، والفرق واضح لا غموض فيه.

أما قولُهم: إن الربَّ لم يشأْ أن يكشف اسم مصر في النبوءة حتى لا يرفُض يعقوب ونسلُه النزول إلى مصر؛ فغير منطقيّ لأن مشيئة الربِّ لا تخضع لرغبة أحد من خلقه، وإذا شاء الربُّ شيئا، كان هذا الشيء حسب مشيئته هو لا مشيئة غيره.

ورد في (الإصحاح ١٦ من سفر التكوين) أن الربَّ بشّر هاجر بمولد إسماعيل يكون في حرب مع جيرانه، ومتحدِّيا لجميع إخوته. فإن هذه الصفات التي ذكرتها التوراة عن إسماعيل هي من إسقاطات بني إسرائيل على جميع نسل إبراهيم عليه السلام من غير يعقوب عليه السلام؛ ليمنحوا أنفسهم غطاءً شرعيا دينيا يبرِّر عداءهم لهؤلاء القوم.

ورد في (الإصحاح ١٧ من سفر التكوين) أن الربَّ وعد إبراهيم أن يهبه جميع أرض كنعان هو وذريته من بعده؛ ملكا أبديا، كما وعده أن يبارك له في إسماعيل، وأن يقيم عهده مع إسحاق وذريته من بعده عهدا أبديا.

ومما ورد في هذا الإصحاح يدعم رأينا السابق في أن التوراة تجرِّد ذرية إبراهيم من غير يعقوب من أي صفة حميدة، وتنزع عنهم أي حقٍّ في البركة التي قصروها على يعقوب وبنيه. فإبراهيم طلب على استحياء من الرب أن يبارك إسماعيل، في حين أن الربَّ بنفسه يعدُه بأن يقيم عهده مع إسحاق وذريته من بعده؛ ولا دور لإسماعيل في هذا العهد لأنه لا يستحقُّه كما هو دأْبُهم.

ورد في (الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين) أن إسحاق دعا لابنه يعقوب بأن تخدُمه جميع الشعوب، وتسجُد له القبائل. وهذا لم يحدُث مطلقا في عهد يعقوب ولا في عهد أحد من نسله. وإن كان قد تحقّق لداود بعض المُلْك، إلا أن ملكه كان محدودا جدًا، ولم يمتد سلطانه على جميع الشعوب والقبائل كما ذكرت التوراة، كما أن دعوة إسحاق كانت ليعقوب نفسه وليس لأحد من ذريته.

أما وعد الربّ ليعقوب بأن يعطيه ذرية تكون من كثرتها كتراب الأرض فنرى فيه مبالغة غير منطقية، كما أنه لم يتحقق منه شيء؛ بدليل أن مملكتهم لم تتعدّ جزءا من أرض فلسطين، كما أن عددهم لم يتجاوز بضعة آلاف عندما تم أسرُهم إلى بابل، وكان العائدون من السبي حسب عزرا ٤٣,٠٠٠ فقط. ومن وقتها لم تقم لهم قائمة، ولم يُثْبت أيُّ إحصاء تكاثُرَهم المزعوم.

الفصل الخامس

مباركة الآباء للأبناء

الفصل الخامس

مباركة الآباء للأبناء

يعقوب يبارك أبناءه

لمّا قرُبَت ساعة وفاة يعقوب، جمع أبناءه وطلب منهم الإصغاء إليه جيّدًا لأنه سوف يُنبئهم بما سيحدُث لهم في الأيام المقبلة: ثُمَّ اسْتَدْعَى يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ وَقَالَ: «الْتَفُّوا حَوْلِي لأُنْبِئَكُمْ بِمَا سَيَحْدُثُ لَكُمْ فِي الأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ. ٢اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَاأَبْنَاءَ يَعْقُوبَ، وَاصْغَوْا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ. (تكوين ٤٩).

مباركة يعقوب لابنه رأوبين

قال يعقوب لرأوبين أكبر أبنائه: رغم أنّك بكري وأوّل مظاهر رجولتي، فإنّك محروم من التفوُّق بسبب تدنيسك لفراشي: ٣رَأُوبَيْنُ أَنْتَ بِكْرِي وَقُوَّتِي وَأَوَّلُ مَظْهَرِ رُجُولَتِي، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ ٤لَكِنَّكَ فَائِرٌ كَالْمَاءِ لِذَلِكَ لَنْ تَظَلَّ مُتَفَوِّقاً، لأَنَّكَ اضْطَجَعْتَ فِي فِرَاشِ أَبِيكَ. صَعِدْتَ عَلَى سَرِيرِي فَدَنَّسْتَهُ. (تكوين ٤٩) وحسب التوراة فإنه قد ارتكب فاحشة الزنا مع زوجة أبيه بلهة.

مباركة يعقوب لابنيه شمعون ولاوي

وقال يعقوب عن ابنيه شمعون ولاوي: أنّهما محرومان من مباركته، لأنّهما سريعا الغضب، عنيفان في انتقامهما من مخالفيهما، ودعا عليهما أن لا تجتمع لهما كلمة، وأن يتفرّق شملُهما؛ فلا يكون لهما كيان مستقلّ عن بقية إخوتهما: ٥شِمْعُونُ وَلاَوِي أَخَوَانِ سُيُوفُهُمَا آلاَتُ ظُلْم. ٦فَيَانَفْسِي لاَ تَدْخُلِي فِي مَجْلِسِهِمَا، وَيَارُوحِي لاَ تَنْضَمِّي إِلَى مَجْمَعِهِمَا. ٧لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا اغْتَالاَ إِنْسَاناً، وَفِي عَبَثِهِمَا عَرْقَبَا ثَوْراً. مَلْعُونٌ سَخَطُهُمَا لأَنَّهُ عَنِيفٌ وَغَضَبُهُمَا لأَنَّهُ ضَارٍ. أُفَرِّقُهُمَا فِي يَعْقُوبَ وَأُشَتِّتُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ (تكوين ٤٩) وحسب التوراة فإن سبط لاوي قد تم توزيعهم في كل إسرائيل، وأن سبط شمعون لم يُعيّن لهم نصيبا مستقلا بل دخلوا في نصيب يهوذا، ثم تشتّتوا في أماكن أخرى كقبائل.

مباركة يعقوب لابنه يهوذا

وقال يعقوب عن يهوذا: إنه سوف يكون محمودا لدى إخوته وذو سلطان عليهم، وأنه سوف ينتصر دائما على أعدائه ويستذلّهم، وأن المُلك سوف يكون في ذريته وكذلك علماء الشريعة حتى يأتي شيلوه (المرسل من الله) فتخضع له الأمم. وفي عهد شيلوه سوف يعُمُّ الخير ويفيض عن حاجة الناس: ٨يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، وَتَكُونُ يَدُكَ عَلَى عُنُقِ أَعْدَائِكَ، وَيَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. ٩يَهُوذَا شِبْلُ أَسَدٍ، عَنْ فَرِيسَةٍ قُمْتَ يَاابْنِي. ثُمَّ جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ أَوْ كَلَبْوَةٍ، فَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى إِثَارَتِهِ؟ ١٠لاَ يَزُولُ صَوْلَجَانُ الْمُلْكِ مِنْ يَهُوذَا وَلاَ مُشْتَرِعٌ مِنْ صُلْبِهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُوهُ (وَمَعْنَاهُ: مَنْ لَهُ الأَمْرُ) فَتُطِيعُهُ الشُّعُوبُ. ١١يَرْبِطُ بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِأَفْضَلِ جَفْنَةٍ ابْنَ أَتَانِهِ. بِالْخَمْرِ يَغْسِلُ لِبَاسَهُ وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. ١٢تَكُونُ عَيْنَاهُ أَشَدَّ سَوَاداً مِنَ الْخَمْرِ، وَأَسْنَانُهُ أَكْثَرَ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ. (تكوين ٤٩). وحسب التوراة فإن القوّة والملك قد تحقّقتا في حروب داود وانتصاراته، وأنه من نسل داود خرج ملوك ومشرّعون.

ويرى النصارى أن يعقوب قد بارك يهوذا إنباءً منه بمجيء المسيح الملك والكاهن من نسله، وقالوا: إن يهوذا الذي يحمده إخوته ويرفعونه ويسبّحونه ما هو إلا المسيح. ويقولون: إن المُلك والشريعة زالتا من يهوذا بمجيء المسيح الذي هو من نسل يهوذا جسديا. ويقولون أن شيلوه هو المسيح الذي أنبأ عنه يعقوب.

كما يرى النصارى أن يهوذا هو أبو المسيح بالجسد، ومن أجل ذلك فقد نال نصيب الأسد في البركة؛ إذ رأى يعقوبُ أن السيد المسيح الملك الكاهن يأتي من نسله، ويرون أن كل إشارات النبوءة تنطبق على المسيح.

فيقولون في تفسير قول يعقوب لابنه يهوذا (يدك على عنق أعدائك): إن المسيح وضع بصليبه يده على قفا إبليس عدوّه؛ فحطّمه وحرّر البشريّة من سلطانه.

ويقولون في تفسير قول يعقوب (يسجد لك بنو أبيك): إن المسيح تجثو له كلُّ رُكْبَة، ويفسّرون السجود بمعنى العبادة.

ويقولون في تفسير قول يعقوب (يهوذا شبل أسد): إن شبل الأسد يشير إلى ولادة المسيح كابن، أما الأسد فيشير إلى المَلِك، وأن المسيح قد ملك على الصليب.

ويقولون في تفسير قول يعقوب (لاَ يَزُولُ صَوْلَجَانُ الْمُلْكِ مِنْ يَهُوذَا وَلاَ مُشْتَرِعٌ مِنْ صُلْبِهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُوهُ) أن هذا تحقق في أثناء الحكم الروماني حين قال اليهود ليس لنا ملك سوى قيصر، وأن اليهود كانوا خاضعين للحكم الروماني ولا سلطان لهم على القضاء. ويقولون: إن شيلوه أو شيلون هو المسيح.

مباركة يعقوب لابنه زبولون

وقال يعقوب عن أبناء زبولون: إنهم سوف يسكنون عند ساحل البحر، ويعملون بالصيد، وتمتد حدودهم حتى مدينة صيدا: ١٣زَبُولُونُ يَسْكُنُ عِنْدَ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ، وَيُصْبِحُ مَقَرُّهُ مَرْفَأً لِلسُّفُنِ، وَتَمْتَدُّ تُخُومُهُ نَحْوَ صَيْدَا. (تكوين ٤٩). وحسب التوراة فإن سبط زبولـون قد سكنوا بجوار الفينيقيين على ساحل البحر، وتعاملوا معهم بالبيع والشراء، وصاروا تجّارا مثلهم.

ويقول النصارى: إن المسيحية انتشرت على يد هؤلاء اليهود الذين اعتنقوها وعملوا على نشرها بين الشعوب التي كانوا يتاجرون معها.

مباركة يعقوب لابنه يسّاكر

وقال يعقوب عن أبناء يسّاكر: إنهم سوف يعملون بالزراعة في أرض خصبة، وإنهم بسبب طبيعتهم المسالمة وبسبب جَلَدِهم (مثابرتهم) سوف ينجحون في زراعتهم، لكنهم سوف يتعرّضون لمن يفرِض سلطانه عليهم، ويفرض عليهم دفع الجزية مقابل مسالمتهم. وهم سوف يستسلمون لذلك بسبب خصب أراضيهم ووفرة ثمارهم: ١٤يَسَّاكَرُ حِمَارٌ قَوِيٌّ رَابِضٌ بَيْنَ الْحَظَائِرِ. ١٥عِنْدَمَا يَرَى خُصُوبَةَ مَرْتَعِهِ وَبَهْجَةَ أَرْضِهِ، تَسْتَكِينُ كَتِفَاهُ لِلأَثْقَالِ، وَيُسْتَعْبَدُ لِلْعَمَلِ الشَّاقِ. (تكوين ٤٩)

مباركة يعقوب لابنه دان

وقال يعقوب عن أبناء دان: إنهم سوف يكونون كالأفاعي في سلوكهم، غادرون في معاملاتهم، ويدعو الرب أن يخلّص الناس من شرورهم: ١٦دَانُ يَقْضِي لِشَعْبِهِ كَأَحَدِ

أَسْبَاطِ إِسْرَائِيل. ١٧ دَانُ يَكُونُ ثُعْبَاناً عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَأُفْعُوَاناً عَلَى السَّبِيلِ، يَلْسَعُ عَقِبَي الْفَرَسِ فَيَهْوِي رَاكِبُهُ إِلَى الْوَرَاءِ. ١٨ إِنَّنِي انْتَظَرْتُ خَلاَصَكَ يَارَبُّ. (تكوين ٤٩) وحسب التوراة فإن سبط دان عُرِفوا بالدهاء والمكر، وأنهم أول من أدخل العبادة الوثنية في إسرائيل بوضعهم تمثال ميخا في مدينة دان.

ويفسّر النصارى هذه النبوءة بأن يعقوب قد تنبأ بأن ضد المسيح سوف يأتي من سبط دان، وأنه بسبب الآلام الكثيرة التي سيوقعونها بالمسيح جأر يعقوب بالشكوى إلى الربِّ كي يخلِّص البشرية من شرورهم، وأن المسيح هو المخلِّص الحقيقي الذي جاء تلبية لدعوة يعقوب بالخلاص، وأن هذه الآية هي إيمان بعمل المسيح المخلِّص.

مباركة يعقوب لابنه جاد

وقال يعقوب عن أبناء جاد: إنهم سوف يتعرّضون دائما لغزو الغزاة؛ لكن الدائرة تكون لهم على أعدائهم: ١٩ جَادُ يَقْتَحِمُهُ الْغُزَاةُ، وَلَكِنَّهُ يُطَارِدُ فُلُولَهُمْ وَيَقْتَحِمُهُمْ. (تكوين ٤٩) وحسب التوراة فإن سبط جاد استوطنوا شرقي نهر الأردن، وكانوا معرّضين دائما للغزو من جيرانهم، وأن النصر كان دائما حليفهم.

مباركة يعقوب لابنه آشير

وقال يعقوب عن أبناء أشير: إنهم سيتمتّعون بخيرات أرضهم، وسوف تكون موائدُهم عامرة بلذيذ الطعام كموائد الملوك: ٢٠ طَعَامُ أَشِيرَ دَسِمٌ، وَأَطَايِبُهُ صَالِحَةٌ لِمَوَائِدِ الْمُلُوكِ. (تكوين ٤٩) وحسب التوراة فإن سبط أشير استوطنوا أرضا خصبة وغلاّتها وفيرة، وكانوا يُصدِّرون منها لبقية الأسباط وللملوك من حولهم.

مباركة يعقوب لابنه نفتالي

وقال يعقوب عن أبناء نفتالي: إنهم سوف يحيون حياتهم بلا قيود أو تعقيدات، وسوف تكون معاملاتُهم مع غيرهم مبنيّة على أساس من الود وحسن الجوار: ٢١ نَفْتَالِي غَزَالَةٌ طَلِيقَةٌ يُرَدِّدُ أَقْوَالاً جَمِيلَةً. (تكوين ٤٩)

مباركة يعقوب لابنه يوسف

وقال يعقوب عن يوسف: إن خيره سيعُمّ الجميع، وإنه سوف ينتصر على كل أعدائه، وإنه سيكون مؤيّدا من الربِّ إله إسرائيل رغم نبذ إخوته له. ودعا له بالبركة: ٢٢يُوسُفُ كَرْمَةٌ مُثْمِرَةٌ إِلَى جُوَارِ عَيْنٍ، تَسَلَّقَتْ أَغْصَانُهُ الْحَائِطَ. ٢٣يُهَاجِمُهُ الرُّمَاةُ بِمَرَارَةٍ، وَيُطْلِقُونَ سِهَامَهُمْ عَلَيْهِ بِعَدَاوَةٍ. ٢٤وَلَكِنْ قَوْسُهُ ظَلَّتْ مَتِينَةً، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ بِفَضْلِ سَوَاعِدِ عَزِيزِ يَعْقُوبَ، الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ..... ٢٦إِنَّ بَرَكَاتِ أَبِيكَ أَعْظَمُ مِنْ بَرَكَاتِ الْجِبَالِ الدَّهْرِيَّةِ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَخَائِرِ التِّلاَلِ الْقَدِيمَةِ، فَلْتَحُلَّ جَمِيعُهَا عَلَى رَأْسِكَ يَايُوسُفُ وَعَلَى جَبِينِ الَّذِي انْفَصَلَ عَنْ إِخْوَتِهِ (تكوين ٤٩)

مباركة يعقوب لابنه بنيامين

وقال يعقوب عن أبناء بنيامين: إنهم سيكونون محاربين أشداء، يقتلون أعداءهم في الصباح، ويقتسمون غنائمهم في المساء: ٢٧بَنْيَامِينُ ذِئْبٌ ضَارٍ، يَفْتَرِسُ ضَحِيَّتَهُ فِي الصَّبَاحِ، وَيُفَرِّقُ الْغَنِيمَةَ فِي الْمَسَاءِ (تكوين ٤٩)

موسى يبارك أسباط إسرائيل

لما اقتربت منيّةُ موسى جمع بني إسرائيل وأبلغهم أن الربَّ قد فرح باجتماعهم، وأنه (أي الرب) قد صار مِلْكا لهم دون غيرهم. ودعا موسى لأسباط إسرائيل بدعوات نفصّلها فيما يلي:

دعوة موسى لسبط رَأُوبين

دعا موسى لسبط رَأُوبين أن تدوم حياتهم، وأن يتكاثر رجالهم: ٦لِيَحْيَ رَأُوبَيْنُ وَلاَ يَمُتْ، وَلْيَتَكَاثَرْ رِجَالُهُ» (تثنية ٣٣) ورأوبين هذا هو الذي أخطأ في حقِّ أبيه يعقوب، وبسبب خطيئته حُرم من البكورية، كما ظهر من نسله داثان وأبيرام وجماعتيهما الذين أهلكهم الرب.

دعوة موسى لسبط يهوذا

ودعا موسى لسبط يهوذا بأن يجمع الربُّ شملهم، وأن يعينهم على أعدائهم فيدافعوا بأنفسهم عن قضيتهم: ٧وَقَالَ عَنْ يَهُوذَا: «اسْمَعْ يَارَبُّ دُعَاءَ يَهُوذَا، وَاجْمَعْ شَمْلَهُ بِقَوْمِهِ، فَإِنَّهُ بِيَدَيْهِ يُدَافِعُ عَنْ قَضِيَّتِهِ فَأَعِنْهُ عَلَى أَعْدَائِهِ» (تثنية ٣٣) وحسب التوراة فإن ذلك تحقق بقيام رجال دين وملوك أقوياء من بينهم.

أما النصارى فيفسّرون عبارة (اسمع يارب دعاء يهوذا واجمع شمله بقومه) بقولهم: استجب يا رب لشهوة قلب المسيح في أن يتجسّد في وسط إخوته الذين سيأخذ لنفسه جسدا منهم. أما عبارة (بيديه يقاتل) فيفسّرونها بأنها صراع المسيح ضد الموت وضد إبليس بصليبه.

دعوة موسى لسبط لاوي

ودعا موسى لسبط لاوي بأن يبارك الربُّ عملهم، وأن يحطِّم أعداءهم؛ فلا تقوم لهم قائمة، وأن يوفِّقهم في القيام بأعباء الكهنوت ليُعلِّموا الشعب أصول دينهم، وتطبيق شريعته: ٨وَقَالَ عَنْ سِبْطِ لاَوِي: ..... ١٠هُمْ يُعَلِّمُونَ يَعْقُوبَ أَحْكَامَكَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ شَرِيعَتَكَ، يُحْرِقُونَ بَخُوراً أَمَامَ أَنْفِكَ وَقَرَابِينَ عَلَى مَذْبَحِكَ ١١بَارِكْ يَارَبُّ مَهَارَاتِهِمْ وَاغْتَبِطْ بِعَمَلِ أَيْدِيهِمْ. حَطِّمْ مُتُونَ مُقَاوِمِيهِمْ وَمُبْغِضِيهِمْ فَلاَ تَقُومَ لَهُمْ قَائِمَةٌ» (تثنية ٣٣) وسبط لاوي يتمثَّل في نسل هارون أخي موسى ومن يخلُفهم.

ويقول النصارى: إن الكهانة قد انتهت في اليهود، لأن رئيس كهنة اليهود هو الذي تآمر على صلب المسيح؛ وهو بهذا يكون قد فقد صفته الدينية وقداسته التي أضفاها الربُّ على رؤساء الكهنة من سبط لاوي.

دعوة موسى لسبط بنيامين

ودعا موسى لسبط بنيامين أن يعيشوا في حمى الربِّ وفي طاعته، وأطلق على سبط بنيامين صفة حبيب الرب: ١٢وَقَالَ عَنْ سِبْطِ بَنْيَامِينَ: «إِنَّهُ حَبِيبُ الرَّبِّ، يَسْكُنُ لَدَيْهِ آمِناً، يَصُونُهُ طُولَ النَّهَارِ، وَبَيْنَ مَنْكِبَيْهِ يَسْكُنُ مُطْمَئِناً» (تثنية ٣٣)

ويقول النصارى: إن بنيامين تعني ابن اليمين، وأن المسيح بعد أن قدّم نفسه ذبيحة جلس عن يمين الآب. لذلك فهو المقصود بهذه النبوءة.

دعوة موسى لسبط يوسف

ودعا موسى لسبط يوسف بأن يبارك الربُّ أرضهم، وأن يرزُقْهم من خيرات أمطارها وأنهارها وعيونها، وأن يُكثّر محاصيلهم وغلاّتهم، وأن لا يحرمهم من كنوز الجبال أو الوديان، ودعى لهم برضا الربِّ عنهم. وقال عن يوسف أنه الأمير بين إخوته، وشبّهه بثور قوي قرناه هما ابنيه أَفْرَايِمَ ومَنَسَّى، وأنه سوف يضرب بهما جميع شعوب الأرض من أدناها إلى أقصاها: (١٣وَقَالَ عَنْ سِبْطِ يُوسُفَ: «لِيُبَارِكِ الرَّبُّ أَرْضَهُ بِنَفَائِسِ قَطَرَاتِ نَدَى السَّمَاءِ، وَبِلُجَجِ الْمِيَاهِ الْغَائِرَةِ مِنْ تَحْتُ، ١٤وَبِخَيْرِ مَا تُنْمِيهِ الشَّمْسُ وَمَا تُغِلُّهُ الأَقْمَارُ، ١٥وَبِأَنْفَسِ مَا تَدَّخِرُهُ الْجِبَالُ الْقَدِيمَةُ، وَبِأَثْمَنِ كُنُوزِ التِّلاَلِ الأَبَدِيَّةِ، ١٦وَبِأَفْضَلِ خَيْرَاتِ الأَرْضِ وَبَرَكَاتِهَا، وَبِرِضَى السَّاكِنِ فِي الْعُلَّيْقَةِ. فَلْتَنْسَكِبْ هَذِهِ جَمِيعُهَا عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ، عَلَى جَبِينِ الأَمِيرِ بَيْنَ إِخْوَتِهِ. ١٧فَهُوَ فِي جَلاَلِهِ كَالثَّوْرِ الْبِكْرِ، وَقَرْنَاهُ مِثْلُ قَرْنَيْ ثَوْرٍ وَحْشِيٍّ، يَنْطَحُ بِهِمَا الشُّعُوبَ، حَتَّى أُولَئِكَ الْمُقِيمِينَ فِي أَقَاصِي الأَرْضِ. لِتَكُنْ هَكَذَا عَشَرَاتُ أُلُوفِ أَفْرَايِمَ، لِتَكُنْ هَكَذَا أُلُوفُ مَنَسَّى») (تثنية ٣٣) وحسب التوراة فإن ذلك قد تحقّق بأن أخذ منسي نصيبه شرقي الأردن، وأفرايم غربي الأردن في أخصب البقاع.

ويقول النصارى: إن الأرض هي الكنيسة، وإن الندى والمياه هي الروح القدس الذي انسكب على الكنيسة بعد فداء المسيح؛ وهو يقودها ويرشدها للآن. ويقولون أن الجبال القديمة تشير للعهد القديم، والآكام تشير للعهد الجديد.

ويقولون عن (الساكن في العليقة): إنه المسيح المتجسّد، وإن التجسُّد هو منبع كل البركات التي انسكبت على المسيح بتجسُّده؛ ومن ثم فاضت على الكنيسة كلها.

دعوة موسى لسبطي زبولون ويسّاكر

ودعا موسى لسبط زبولون بأن يبارك الربُّ لهم في تجارتهم، ولسبط يسّاكر في زراعتهم، وأن لا يحرمهم من خيرات البحار ولا من ذخائر الأرض، وأن يكونوا دعاة

للخير: ١٨ وَقَالَ عَنْ سِبْطَيْ زَبُولُونَ وَيَسَّاكَرَ: «افْرَحْ يَازَبُولُونُ بِخُرُوجِكَ، وَأَنْتَ يَايَسَّاكَرُ بِخِيَامِكَ، ١٩ فَإِنَّهُمَا يَدْعُوَانِ الشَّعْبَ إِلَى الْجَبَلِ حَيْثُ يُقَرِّبَانِ مُحْرَقَاتِ الْبِرِّ، لأَنَّهُمَا يَشْبَعَانِ مِنْ خَيْرَاتِ الْبِحَارِ، وَمِنَ الذَّخَائِرِ الْكَامِنَةِ فِي الرَّمْلِ» (تثنية ٣٣) وحسب التوراة فإن ذلك قد تحقّق لهما، فكان أبناء زبولون كثيري الخروج للتجارة، وكانت لهم موانئ وعلاقات تجارية مع الشعوب الفينيقية، وأنهم عملوا على نشر دين اليهودية. وأن أبناء يساكر قد استقروا في محِلّتِهم، ونجحوا في زراعة أرضهم الخصبة وفي تربية الماشية.

ويفسر النصارى عبارة (إِنَّهُمَا يَدْعُوَانِ الشَّعْبَ إِلَى الْجَبَلِ حَيْثُ يُقَرِّبَانِ مُحْرَقَاتِ الْبِرِّ) بأن معظم تلاميذ المسيح كانوا من أرض زبولون والأراضي المحيطة بها، وأنهم انتشروا منها للتبشير بالمسيحية في كل أنحاء الأرض.

دعوة موسى لسبط جاد

ودعا موسى لسبط جاد بأن تحلّ البركة عليهم في الأرض التي قُسمت لهم: ٢٠ وَقَالَ عَنْ سِبْطِ جَادٍ: «لِتَحِلَّ الْبَرَكَةُ عَلَى مَنْ وَسَّعَ تُخُومَ جَادٍ حَيْثُ يَرْبِضُ جَادٌ هُنَاكَ كَالأَسَدِ، يَفْتَرِسُ الذِّرَاعَ مَعَ قِمَّةِ الرَّأْسِ. ٢١ اخْتَارَ خَيْرَ الأَرْضِ لِنَفْسِهِ، وَاحْتَفَظَ لِنَفْسِهِ بِنَصِيبِ الْقَائِدِ: وَعِنْدَمَا اجْتَمَعَ شُيُوخُ الشَّعْبِ أَجْرَى حَقَّ الرَّبِّ الْعَادِلِ وَأَحْكَامَهُ مَعَ إِسْرَائِيلَ» (تثنية ٣٣) وحسب التوراة فإنهم عمروا الأرض التي قُسِمت لهم، ودافعوا عنها ببسالة، وأنهم شاركوا مع بقية الأسباط في حروبهم من أجل المزيد من الأرض.

ويقول النصارى: إن جاد يرمُز لكنيسة المسيح، وأن المسيح هو الأسد الخارج من سبط يهوذا، وإن الكنيسة هي عروسه التي يلتهم من أجلها مؤامرات إبليس وتدبيراته.

دعوة موسى لسبط دان

وقال موسى عن سبط دان: إنهم سوف ينقضُّون من شرقي الأردن كشبل الأسد على أعدائهم ليزدادوا غنى على غناهم: ٢٢ وَقَالَ عَنْ سِبْطِ دَانٍ: «دَانٌ مِثْلُ شِبْلِ أَسَدٍ يَنْقَضُّ مِنْ بَاشَانَ» (تثنية ٣٣) وحسب التوراة فإن أفراد سبط دان تميّزوا بالقـوة في حروبهم مع أعدائهم؛ ومنهم شمشون الجبّار.

ويقول النصارى: إن الكنيسة بالرغم من كل ما أعطاه الله لها من عِزة، فهي تجاهد من أجل المزيد.

دعوة موسى لسبط نفتالي

ودعا موسى لسبط نفتالي بمزيد من الرضا والبركات، وبأن يمتلك ساحل البحر الأبيض المتوسط والنقب: ٢٣وَقَالَ عَنْ سِبْطِ نَفْتَالِي: «اشْبَعْ يَانَفْتَالِي رِضًى، وَامْتَلِئْ بَرَكَةً مِنَ الرَّبِّ، وَامْلِكْ سَاحِلَ الْبَحْرِ الأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ وَالنَّقَبِ» (تثنية ٣٣) وحسب التوراة فإن نصيبهم من الأرض غربي بحر الجليل كانت تربته خصبة جدا، وكان البحر أسماكه وفيرة.

ويقول النصارى: إنه من هذه الأرض خرج تلاميذ المسيح ليبشّروا بالنصرانية، وليملأوا الأرض خيرا وبركة.

دعوة موسى لسبط أشير

ودعا موسى لسبط أشير بالبركة، وبحُبّ إخوته له، وأن يبارك له في زرعه، وأن تكون ديارُه حصينة ضد أعدائه: ٢٤وَقَالَ عَنْ سِبْطِ أَشِيرَ: «أَشِيرُ الابْنُ الأَكْثَرُ مُبَارَكَةً. فَلْيَكُنْ صَاحِبَ حُظْوَةٍ عِنْدَ إِخْوَتِهِ، وَلْيَغْمِسْ فِي الزَّيْتِ قَدَمَيْهِ. ٢٥وَلْتَكُنْ مَزَالِيجُ أَبْوَابِكَ مِنْ حَدِيدٍ وَنُحَاسٍ، وَلْتُعَادِلْ قُوَّتُكَ امْتِدَادَ أَيَّامِكَ (تثنية ٣٣) وحسب التوراة فإن سبط أشير قد نال نصيبا من الأرض على البحر المتوسط يمتد من جبل الكرمل جنوبا إلى صيدا شمالا، وكانت أرضه غنيّة بأشجار الزيتون، ودياره غاية في التحصين، ويصعُب على العدوّ اقتحامها.

ويفسر النصارى الزيت بأنه رمز للروح القُدُس، والروح القدس فيْضٌ من الله يُعْطي النفس راحة واطمئنانا.

دعوة موسى لجميع بني إسرائيل

ودعا موسى لجميع بني إسرائيل بأن يرعاهم الربُّ، ويبارك لهم في مياههم وزروعهم، وينصرهم على أعدائهم؛ فيدكُّون حصونهم، ويحطِّمون معابد أوثانهم: ٢٦لَيْسَ نَظِيرَ الرَّبِّ

يَابني إِسْرَائِيلَ يَمْتَطِي السَّمَاءَ لِمَعُونَتِكُمْ وَالْغَمَامَ فِي عَظَمَتِهِ، ٢٧فَالإِلَهُ الأَبَدِيُّ هُوَ مَلْجَأُكُمْ،
وَتَحْتَكُمْ تَنْبَسِطُ الأَذْرُعُ الأَبَدِيَّةُ، يَطْرُدُ أَمَامَكُمْ أَعْدَاءَكُمْ قَائِلاً: أَهْلِكُوهُمْ. ٢٨لِيَسْكُنْ بَنُو
إِسْرَائِيلَ آمِنِينَ وَحْدَهُمْ، وَلْتَجْرِ يَنَابِيعُ مَاءِ يَعْقُوبَ إِلَى أَرْضِ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ، وَتَقْطُرْ سَمَاؤُهُ
بِالنَّدَى. ٢٩طُوبَاكُمْ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ، أَيُّ شَعْبٍ مِثْلُكُمْ مُنْتَصِرٌ بِالرَّبِّ؟ إِنَّهُ تُرْسُكُمْ وَعَوْنُكُمْ
وَسَيْفُكُمُ الْمَجِيدُ. لَكُمْ يَخْضَعُ أَعْدَاؤُكُمْ، وَأَنْتُمْ تَطَأُونَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ» (تثنية ٣٣)

تعقيب

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب لما دنا أجلُه، جمع أبناءه ليُنبئهم بما سيحصل لهم في قادم الأيام. فقال عن ابنه البكر رأوبين أنه لن يفضُل أحدا من إخوته، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من التثنية) أن موسى قد دعا هو الآخر لأسباط بني إسرائيل، فدعا لسبط رَأُوبَيْن أن تدوم حياتُهم، وأن يتكاثر رجالُهم. وفي هذا تناقض فَجٌ بين أمنيات يعقوب لابنه رَأُوبَيْن ودعوة موسى له؟

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنيه شمعون ولاوي أنهما محرومان من البركة، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط لاوي بالبركة والنصر على أعدائهم، فهل من تفسير لهذا التناقض بين دعوة يعقوب ودعوة موسى لهما.

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنه زبولون أن ذرِّيته سوف يسكنون عند ساحل البحر قرب صيدا، وعن ابنه يساكر أن ذريته سوف يعملون بالزراعة في أرض خصبة، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط زبولون بأن يبارك الربُّ لهم في تجارتهم، ولسبط يسّاكر في زراعتهم. دعوات وأمنيات لا نبوءات، وفي كل الأحوال لم يتحقّق منها شيء.

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنه أشير أن ذرِّيَّته سيتمتّعون بخيرات أرضهم، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط أشير بالبركة، وأن تكون ديارُه حصينة ضد أعدائه. هل بطُلت دعوة يعقوب لهم بالخير والبركة، ودعوة موسى لهم بالنصر والتمكين؛ فسيقوا إلى السبي خزايا ومخذولين؟

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنه دان أن ذرِّيَّته سيكونون كالأفاعي في سلوكهم، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى قال عن سبط دان: بأنهم سوف ينقضُّون من شرقي الأردن كشبل

الأسد على أعدائهم ليزدادوا غنى على غناهم. والتساؤل هنا هل يستوي شبل الأسد في سلوكه هو والأفعى؟ الفارق كبير بين هذا وذاك.

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنه نفتالي أن ذرِّيَّته سوف تكون معاملاتهم مع غيرهم على أساس من الوُدِّ وحسن الجوار، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط نفتالي بمزيد من الرضا والبركات، وبأن يمتلك ساحل البحر الأبيض المتوسط والنقب. ونعجب من ذكر موسى للبحر الأبيض المتوسط، ولم يكن البحر يُعْرف بهذا الاسم في زمنه، كما أن بني إسرائيل لم يتعاملوا مع جيرانهم بأي ودٍّ أو احترام؛ بل كانوا دائما في حالة صراع مع أصحاب الأرض الأصليين ومع جيرانهم.

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنه جاد: إن ذريته سوف يتعرّضون دائما للغزو، وتكون الدائرة لهم دائما على أعدائهم، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط جاد بأن تحلّ البركة عليهم في الأرض التي قُسمت لهم. ودعوة يعقوب بأن تكون لهم الدائرة دائما على أعدائهم لا تصدُق على ما أصابهم من هزائم وانكسارات انتهت بهم إلى السبي في أرض بابل.

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنه بنيامين أن ذرِّيَّته سيكونون محاربين أشداء، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط بنيامين أن يعيشوا في حمى الربِّ وفي طاعته، وهذا يتناقض مع ما حدث لهم من استئصال على يد بقيَّة الأسباط في جبعة (القضاة ٢٠).

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) أن يعقوب قال عن ابنه يوسف أن خيرَه سيعُمَّ الجميع، وأنه سوف ينتصر على كل أعدائه، كما ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط يوسف بأن يبارك الربُّ أرضهم وخيراتهم، وشبّهه بثور قوي قرناه هما ابنيه أَفْرَايِمَ ومَنَسَّى، وأنه سوف يضرب بهما جميع شعوب الأرض من أدناها إلى أقصاها. والتساؤل هنا هو أين تلك الأرض التي ضربوها من أدناها إلى أقصاها، وهل تعدّت حدودهم تلك البقعة من أرض فلسطين التي شاركهم فيها أهلُها الأصليّون، وكانوا يتنازعونها فيما بينهم.

أما قول النصارى: إن الأرض هي الكنيسة، وأن الندى والمياه هي الروح القُدُس الذي انسكب على الكنيسة بعد فداء المسيح؛ فهو قول فضفاض، لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع.

وفي (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين) قال يعقوب عن ابنه يهوذا أن المُلك سوف يكون في ذرِّيَّته، ويأتي شيلوه من صلبه. وحسب التوراة فإن ذلك قد تحقّق في داود ونسله، ويقول النصارى أن شيلوه هو المسيح. وينسب النصارى المسيح إلى داود، وهذا يتناقض مع كونه وُلِد من غير أب، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن التساؤل الملح هو أي مُلْك تحقّق في حياة المسيح عليه السلام؟

ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لسبط يهوذا بأن يجمع الربُّ شملهم، وأن يعينهم على أعدائهم فيدافعوا بأنفسهم عن قضيتهم. وحسب تاريخ بني يهوذا فإنهم لم يحافظوا على المَمْلكة كما كانت في عهد سليمان، وانتهى بهم الأمر إلى السبي في مملكة بابل.

ورد في (الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية) أن موسى دعا لجميع بني إسرائيل بأن ينصرهم الربُّ على أعدائهم؛ فيدكُّون حصونهم، ويحطِّمون معابد أوثانهم. أي نصر حقّقته لهم دعوة موسى عليه السلام؟ ثم أليست دعوة الأنبياء واجبة التحقيق بحكم أنهم مؤيّدون من الله جل في علاه؟

والتساؤل المُلِحّ هو هل فيما سبق ما يمكن أن نُطْلق عليه مصطلح نبوءات حتى يمكننا أن نقول: إن هذه قد تحقّقت أم لم تتحقّق؟ إننا أمام كلام مرسل وأمنيات قد تقال من أي أب لأبنائه، كما أن واقع الحال لا يشير إلى أن بني إسرائيل قد عاشوا ضمن أي تقسيمات أو تجمُّعات أو كيانات تميِّزهم عن بعضهم البعض؛ كأن يقال أن هذا السبط تميّز بصفة ما عن غيره من الأسباط؛ فكلُّهم واحد، وصفاتُهم مشتركة، وقد يجمع الواحد منهم كلّ تلك الصفات التي وصفهم بها الآباء في آن واحد.

الفصل السادس

فساد بني إسرائيل

الفصل السادس

إفساد بني إسرائيل في التوراة

نبوءات ضد يهوذا (المملكة الجنوبية)

يقول أشعياء: إنه بسبب فساد يهوذا ونبذهم لشريعة الربّ، فإن الربَّ سوف يصيبهم بالويلات والأمراض التي تجعل جثث موتاهم تَرِمُّ (تَبلى) في الشوارع، وإن لم يرتدعوا فسوف يرسل عليهم أعداء من أمم بعيدة؛ سهامُهم مسنّنة، وقِسيُّهم مشدودة؛ ينقضّون عليهم كما ينقضُّ الأسدُ على فريسته؛ فلا يكون لهم أي أمل في الخلاص: ٢٤لِهَذَا كَمَا تَلْتَهِمُ النَّارُ الْقَشَّ، وَكَمَا يَفْنَى الْحَشِيشُ الْجَافُّ فِي اللَّهَبِ، كَذَلِكَ يُصِيبُ أُصُولَهُمُ الْعَفَنُ، وَيَتَنَاثَرُ زَهْرُهُمْ كَالتُّرَابِ، لأَنَّهُمْ نَبَذُوا شَرِيعَةَ اللهِ وَاسْتَهَانُوا بِكَلِمَةِ قُدُوسِ إِسْرَائِيلَ ٢٥لِذَلِكَ احْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ ضِدَّ شَعْبِهِ، فَمَدَّ يَدَهُ عَلَيْهِمْ وَضَرَبَهُمْ، فَارْتَعَشَتِ الْجِبَالُ، وَأَصْبَحَتْ جُثَثُ مَوْتَاهُمْ كَالْقَاذُورَاتِ فِي الشَّوَارِعِ. وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَرْتَدَّ غَضَبُهُ وَلَمْ تَبْرَحْ يَدُهُ مَمْدُودَةً بِالْعِقَابِ. ٢٦فَيَرْفَعُ رَايَةً لأُمَمٍ بَعِيدَةٍ، وَيَصْفِرُ لِمَنْ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ، فَيُقْبِلُونَ مُسْرِعِينَ (إِلَى أُورُشَلِيمَ)،..... ٢٨سِهَامُهُمْ مُسَنَّنَةٌ، وَقِسِيُّهُمْ مَشْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ كَأَنَّهَا صَوَّانٌ. عَجَلاَتُ مَرْكَبَاتِهِمْ مُنْدَفِعَةٌ كَالإِعْصَارِ. ٢٩زَئِيرُهُمْ كَأَنَّهُ زَئِيرُ أَسَدٍ يُزَمْجِرُ وَيَنْقَضُّ عَلَى فَرِيسَتِهِ وَيَحْمِلُهَا وَلَيْسَ مِنْ مُنْقِذٍ. ٣٠يُزَمْجِرُونَ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَهَدِيرِ الْبَحْرِ. وَإِنْ جَاسَ أَحَدٌ فِي الْبِلاَدِ مُتَفَرِّساً لاَ يَرَى سِوَى الظُّلْمَةِ وَالضِّيقِ، حَتَّى (انْفِرَاجَاتِ) الضَّوْءِ (أَيْ وَمَضَاتِ الرَّجَاءِ) قَدِ احْتَجَبَتْ وَرَاءَ سُحُبِهِ. (أشعياء ٥)

ويقول أشعياء: إن أهل أورشليم قد استكانوا للّهو والدَعَةْ والمجون (الفسق)، ولم يستمعوا لنصح أنبيائهم أو يعملوا بمشورتهم. ويقول أن الربّ يحذّرهم من عدوٍّ لا طاقة لهم به، يباغتهم في ديارهم؛ فلا يقدرون على مواجهته، فيخرِّب عليهم دورهم، ويذيقهم مرارة الذلّ والاضطهاد. وأن الأعداء (آشور وحلفاءها) سوف يهجمون عليهم بمركباتهم الحربيّة التي تملأ الوديان المحيطة بالمدينة، وأن فرسانهم سوف يترصّدونهم على بوّاباتها فلا يفلت منهم أحد؛ لأن الربّ قد هتك ستر يهوذا، وتخلّى عن حمايتها. ويقول أشعياء أنهم سوف يحاولون البحث عن السلاح، وترميم الأسوار، وبناء الخزّانات لتحويل مياه بركة أورشليم

إلى داخل المدينة للاستعانة بها على الحصار، وأنهم رأوا أن النّصر يأتي من هذه الأشياء ونسوا أن الربَّ هو ناصرهم لو لجئوا إليه. والأدهى من كل ذلك أنهم انكبّوا على أكل لحوم الثيران والغنم وشرب الخمر والتظاهر بالبهجة والسرور، وهم يردّدون لنأكل ونشرب ونفعل كل ما نشتهي لأننا غدا ميّتون. ويقول أشعياء أن رؤساءهم سوف يحاولون الهرب من مواجهة العدو ليحتموا بالجبال لكنّهم لن يفلتوا من الأسر: نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ أُورُشَلِيمَ: مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكُمْ جَمِيعاً صَعِدْتُمْ إِلَى سُطُوحِ الْمَنَازِلِ؟ ٢أَيَّتُهَا الْمَدِينَةُ الْمُمْتَلِئَةُ جَلَبَةً، الْعَجَّاجَةُ الْمَرِحَةُ، إِنَّ قَتْلاَكِ لَيْسُوا قَتْلَى سَيْفٍ أَوْ صَرْعَى حَرْبٍ. ٣قَدْ فَرَّ رُؤَسَاؤُكِ جَمِيعاً. أُسِرُوا مِنْ غَيْرِ مُقَاوَمَةٍ. وَسُبِيَ كُلُّ مَنْ عُثِرَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُمْ هَرَبُوا بَعِيداً. ٤لِذَلِكَ أَقُولُ: «ابْتَعِدُوا عَنِّي لأَبْكِيَ بِمَرَارَةٍ، لاَ تَتَكَبَّدُوا جَهْداً فِي تَعْزِيَتِي مِنْ أَجْلِ دَمَارِ ابْنَةِ شَعْبِي، ٥لأَنَّ لِلسَّيِّدِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ فِي أُورُشَلِيمَ يَوْماً يَبُثُّ فِيهِ الرُّعْبَ، وَالذِّلَّةَ، وَالْفَوْضَى. فِيهِ يَنْقُبُ أَهْلُهَا الأَسْوَارَ وَيَسْتَجِيرُونَ بِالْجِبَالِ. ٦إِذْ أَنَّ عِيلاَمَ قَدْ حَمَلَتِ السِّهَامَ وَاجْتَمَعَتْ بِمَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ، وَقِيرَ جَرَّدَتِ الدُّرُوعَ، ٧فَاكْتَظَّتْ خَيْرُ أَوْدِيَتِكِ بِالْمَرْكَبَاتِ، وَاصْطَفَّ الْفُرْسَانُ عِنْدَ الْبَوَّابَاتِ، لأَنَّ الرَّبَّ هَتَكَ سِتْرَ يَهُوذَا. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَبْحَثُونَ عَنْ سِلاَحِ بَيْتِ الْغَابَةِ، ٩وَتَجِدُونَ أَنَّ صُدُوعَ مَدِينَةِ دَاوُدَ قَدْ كَثُرَتْ، وَتَجْمَعُونَ الْمِيَاهَ مِنَ الْبُحَيْرَةِ السُّفْلَى، ١٠ثُمَّ تَعُدُّونَ بُيُوتَ أُورُشَلِيمَ وَتَهْدِمُونَ بَعْضاً مِنْهَا لِتُحَصِّنُوا السُّورَ. ١١وَتَبْنُونَ خَزَّاناً بَيْنَ السُّورَيْنِ لِتَخْزِينِ مَاءِ الْبِرْكَةِ الْقَدِيمَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَأْبَهُوا لِبَانِيهَا، أَوْ تَكْتَرِثُوا لِمَنْ صَمَّمَهَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ. ١٢فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَدْعُوكُمُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ لِلْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ وَحَلْقِ الشَّعْرِ وَالتَّنَطُّقِ بِالْمُسُوحِ. ١٣وَلَكِنَّكُمُ انْهَمَكْتُمْ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَذَبْحِ الثِّيرَانِ وَتَضْحِيَةِ الْغَنَمِ وَأَكْلِ اللَّحْمِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ قَائِلِينَ: «لِنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَداً نَمُوتُ». (أشعياء ٢٢)

ويقول عاموس: إنه بسبب معاصي يهوذا التي لا تُحصى، وبسبب رفضهم شريعة الربِّ، وتقدُماتهم التي كانوا يقدِّمونها لأصنام الأمم الأخرى؛ فإن الرب سوف يُسلِّط عليهم عدوّا يحرق حصون عاصمتهم أورشليم: ٤هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ مَعَاصِي يَهُوذَا الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهُمْ سَخَطِي، لأَنَّهُمْ رَفَضُوا شَرِيعَةَ الرَّبِّ وَلَمْ يُطِيعُوا فَرَائِضَهُ، فَأَضَلَّتْهُمْ أَكَاذِيبُهُمُ الَّتِي غَوَى وَرَاءَهَا آبَاؤُهُمْ. ٥لِهَذَا أُرْسِلُ نَاراً عَلَى يَهُوذَا فَتَلْتَهِمُ حُصُونَ أُورُشَلِيمَ. (عاموس ٢)

ويحذِّر ميخا رؤساء إسرائيل وقضاتها بسبب فسادهم، وظُلمهم للضعفاء من الشعب، وتعاطيهم الرشوة. ويحذِّر الكهنة من أخذهم الأجرة مقابل طقوسهم، والأنبياء من تكسُّبهم من خداع الناس وإيهامهم بعلمهم للغيب. ويتعجب من أنهم رغم كل مفاسدهم يدّعون أنهم أحبابُ الربِّ، وأن الربَّ سوف يحفظهم من كل مكروه. ويقول ميخا أن الربَّ سوف يُسلِّط عليهم من يخرِّب ديارهم، ويهدم معابدهم التي بنوها للأصنام؛ فتصير منبتا لأعشاب البرية: ٩اسْتَمِعُوا هَذَا يَارُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَقُضَاةَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْعَدْلَ وَيُحَرِّفُونَ الْحَقَّ. ١٠الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيَوْنَ بِالدَّمِ وَأُورُشَلِيمَ بِالظُّلْمِ. ١١إِذْ يَحْكُمُ رُؤَسَاؤُهَا بِالرِّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالأُجْرَةِ وَيَتَعَاطَى أَنْبِيَاؤُهَا الْعَرَافَةَ لِقَاءَ الْمَالِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ الاتِّكَالَ عَلَى اللهِ قَائِلِينَ: «أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسَطِنَا؟ لِذَلِكَ لَنْ يُصِيبَنَا مَكْرُوهٌ». ١٢لِهَذَا مِنْ جَرَّاءِ أَعْمَالِكُمْ سَتُحْرَثُ صِهْيَوْنُ كَالْحَقْلِ وَتُصْبِحُ أُورُشَلِيمُ كَوْمَةً مِنَ الْخَرَائِبِ، وَجَبَلُ الْهَيْكَلِ مُرْتَفَعاً تَنْمُو عَلَيْهِ أَشْجَارُ الْغَابِ. (ميخا ٣)

ويقول صفنيا: إن الربَّ يتوعّد أورشليم بالويل لأنها تدنّست بأفعال أهلها الذين لم يستمعوا لنصح، وأبوا كل دعوة للإصلاح، وبعدوا عن طريق الربِّ واعتمدوا على سواه، وأصبح حكّامُها كأسود مفترسة، وقضاتُها كذئاب جائعة، وأنبياؤها مغرورين وخونة، وكهنتُها لا يقدِّسون الهيكل ولا يعملون بالشريعة، ولم يعمل أي منهم بمقتضى العدل الذي أمرهم الله به، ولم يتّعظوا بما أجراه الله على أمم قبلهم من ويلات جعلت قلاعهم أطلالا ومدنهم خرابا. ويقول الربُّ: لو أنهم خافوني وعملوا بنصيحتي لجنّبتُهم كلَّ ما أصبتُ به غيرَهم، إلا أنهم مُصرّون على السير في طريق الفساد: وَيْلٌ لِلْمَدِينَةِ الظَّالِمَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ الدَّنِسَةِ، ٢الَّتِي لاَ تُصْغِي لِصَوْتِ أَحَدٍ، وَتَأْبَى التَّقْوِيمَ، وَلاَ تَتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ، وَلاَ تَتَقَرَّبُ مِنْ إِلَهِهَا. ٣رُؤَسَاؤُهَا فِي دَاخِلِهَا أُسُودٌ زَائِرَةٌ، وَقُضَاتُهَا كَذِئَابِ الْمَسَاءِ الْجَائِعَةِ الَّتِي لاَ تُبْقِي شَيْئاً مِنْ فَرَائِسِهَا إِلَى الصَّبَاحِ. ٤أَنْبِيَاؤُهَا مَغْرُورُونَ وَخَوَنَةٌ، وَكَهَنَتُهَا يُدَنِّسُونَ الْمَقْدِسَ وَيَتَعَدُّونَ عَلَى الشَّرِيعَةِ. ٥وَلَكِنَّ الرَّبَّ مَا بَرِحَ صِدِّيقاً فِي وَسَطِهَا، لاَ يَرْتَكِبُ خَطَأً، وَيُبْدِي فِي كُلِّ صَبَاحٍ عَدْلَهُ وَفِي كُلِّ فَجْرٍ حَقَّهُ. لاَ يُخْفِقُ قَطُّ؛ أَمَّا الأَثِيمُ فَلاَ يَعْرِفُ مَا هُوَ الْخِزْيُ. ٦اسْتَأْصَلْتُ أُمَماً فَغَدَتْ بُرُوجُهُمْ أَطْلاَلاً. أَقْفَرْتُ شَوَارِعَهُمْ فَلاَ يَعْبُرُ بِهَا أَحَدٌ. صَارَتْ مُدُنُهُمْ خَرَاباً لاَ يُقِيمُ فِيهَا إِنْسَانٌ أَوْ سَاكِنٌ. ٧فَقُلْتُ: لَوْ إِنَّ أَهْلَهَا يَخَافُونَنِي وَيَقْبَلُونَ تَقْوِيمِي، فَلاَ تُسْتَأْصَلُ

مَسَاكِنُهُمْ وَلاَ يَنْصَبُّ عَلَيْهِمْ كُلُّ غَضَبِي. وَلَكِنَّهُمْ جَدُّوا مُبَكِّرِينَ بِارْتِكَابِ الْفَسَادِ فِي كُلِّ عَمَلٍ أَقْدَمُوا عَلَيْهِ. (صفنيا ٣)

ويقول إرميا: إن الربَّ أعلن له أنه سوف يذهب لكل من يبعثه إليه، وينطق بكل ما يأمرَه به. وأن الربّ مدّ يده ولمس فمه وقال له ها أنا ذا أضــع كلامي في فمك فتتكلّم باسمي، وقد ولّيتُك على أمم وشعوب لتستأصل وتهدم وتُبدِّدْ، وتقلب وتبني وتغرس كما تشاء. ويقول صفنيا أن خراب أورشليم عاصمة مملكة يهوذا واقع لا محالة، وأن الربَّ قد شبّهها بغصن لوز (كناية عن سرعة زوالها). كما شبّه أعداءها بقِدْر تغلي فوّهتُه، وأن تحوُّل اتجاهها من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب؛ إشارة إلى قدومهم من ناحية الشمال (الآشوريين) في جيوش كثيرة العدد، تحوط بها من جميع الجبهات، وتستولي على كافة مدنهم. وأن الربَّ قد حكم عليهم بهذا الجزاء بسبب فسادهم، وعبادتهم لأصنام يصنعونها بأيديهم، وتقرُّبُهم إليها بالتقدمات (النذور)، وحرقهم البخور تقديسا لها: هَذِهِ نُبُوءَةُ إِرْمِيَا بْنِ حَلْقِيَّا ،،،،، ٤ فَأَوْحَى الرَّبُّ إِلَيَّ قَائِلاً:..... «لاَ تَقُلْ إِنِّي لَسْتُ سِوَى وَلَدٍ، لأَنَّكَ سَتَذْهَبُ إِلَى كُلِّ مَنْ أَبْعَثُ بِكَ إِلَيْهِ، وَتَنْطِقُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ بِهِ. ٨ لاَ تَخَفْ مِنْ حَضْرَتِهِمْ لأَنِّي أَنَا مَعَكَ لأُنْقِذَكَ»..... ٩ ثُمَّ مَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ فَمِي وَقَالَ: «هَا أَنَا أَضَعُ كَلِمَاتِي فِي فَمِكَ. ١٠ انْظُرْ. هَا أَنَا قَدْ وَلَّيْتُكَ عَلَى أُمَمٍ وَشُعُوبٍ لِتَسْتَأْصِلَ وَتَهْدِمَ وَتُبَدِّدَ وَتَقْلِبَ وَتَبْنِيَ وَتَغْرِسَ»..... ١١ وَسَأَلَنِي الرَّبُّ: «مَاذَا تَرَى يَاإِرْمِيَا؟» فَأَجَبْتُ: «أَرَى غُصْنَ لَوْزٍ». ١٢ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: «قَدْ أَحْسَنْتَ الرُّؤْيَةَ، لأَنِّي سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُتَمِّمَهَا». ١٣ وَعَادَ الرَّبُّ يَسْأَلُنِي مَرَّةً أُخْرَى: «مَاذَا تَرَى؟» فَأَجَبْتُ: «أَرَى قِدْراً تَغْلِي، وَوَجْهُهَا مُتَحَوِّلٌ عَنِ الشِّمَالِ نَحْوَ الْجَنُوبِ». ١٤ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: «مِنَ الشِّمَالِ يَكُونُ تَدَفُّقُ الشَّرِّ عَلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ. ١٥ لأَنِّي هَا أَنَا دَاعٍ جَمِيعَ عَشَائِرِ الْمَمَالِكِ الشِّمَالِيَّةِ لِيَأْتُوا، فَيَنْصِبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَرْشَهُ عِنْدَ مَدْخَلِ بَوَّابَاتِ مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ وَعَلَى جَمِيعِ أَسْوَارِهَا الْمُحِيطَةِ بِهَا وَعَلَى جَمِيعِ مُدُنِ يَهُوذَا. ١٦ وَأُصْدِرُ عَلَيْهِمْ حُكْمَ قَضَائِي مِنْ أَجْلِ كُلِّ شَرِّهِمْ لأَنَّهُمْ تَرَكُونِي، وَأَحْرَقُوا بَخُوراً لآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدُوا صَنْعَةَ أَيْدِيهِمْ. (إرميا ١)

ويقول إرميا: إن الرب أخبره بما سيحِلُّ بشعب يهوذا من جرّاء غزو الآشوريين لبلادهم؛ فقال أنهم (الآشوريين) سوف ينبشون قبورهم بحثا عن النفائس التي قد تكون

مدفونة فيها، وأنهم سوف يُخرجون عظام ملوكهم وكبار قادتهم وكهنتهم وأنبيائهم من قبورها، ويرمون بها على وجه الأرض استهزاءا بهم. ويقول أنه من هول ما سيحدث لهم من أعدائهم؛ فإنهم سوف يتمنّون الموت على بقائهم أحياء: وَيَقُولُ الرَّبُّ: «فِي ذَلِكَ الْحِينِ يَنْبُشُونَ مِنَ الْقُبُورِ عِظَامَ مُلُوكِ يَهُوذَا وَعِظَامَ رُؤَسَائِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ، وَعِظَامَ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ. ٢وَيَعْرِضُونَهَا أَمَامَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَكَوَاكِبِ السَّمَاءِ الَّتِي أَحَبُّوهَا وَعَبَدُوهَا وَضَلُّوا وَرَاءَهَا، وَاسْتَشَارُوهَا وَسَجَدُوا لَهَا، فَلاَ تُجْمَعُ وَلاَ تُدْفَنُ، بَلْ تَصِيرُ نُفَايَةً فَوْقَ وَجْهِ الأَرْضِ، ٣وَجَمِيعُ الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْعَشِيرَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُشَتَّتَةِ فِي جَمِيعِ الْبِقَاعِ الَّتِي نَفَيْتُهُمْ إِلَيْهَا، يُؤْثِرُونَ الْمَوْتَ عَلَى الْحَيَاةِ». (إرميا ٨)

لما كان نبوخذناصر ملك بابل يحاصر أورشليم تمهيدا للانقضاض عليها أرسل الملك صدقيا رسولين من قبله إلى إرميا يسأله أن يدعو الله لهم بالنصر على عدوِّهم، فأخبرهما إرميا أن الربَّ قد أبلغه أنهم لن ينتصروا، ونصحهما بأن يبلغا صدقيا بالاستسلام حفاظا على سلامة البلاد من الدمار ونجاة العباد من الهلاك. ولمّا لم يستمع الملك لنصحه ، قال إرميا: إن غضب الله عليهم شديد، وحنقه بسببهم عظيم، وإنـه سوف يسلِّط عليهم وباء رهيبا فيبيدهم، وأنه سوف يُسلم ملكهم ومن بقي منهم إلى يد عدوِّهم؛ فيقتلونهم بحدِّ السيف بلا شفقة ولا رحمة: الْكَلاَمُ الَّذِي أَوْحَى بِهِ الرَّبُّ إِلَى إِرْمِيَا النَّبِيِّ، عِنْدَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ صِدْقِيَّا فَشْحُورَ بْنَ مَلْكِيَّا وَصَفَنْيَا بْنَ مَعْسِيَّا الْكَاهِنَ، قَائِلاً: ٢«اسْأَلِ الرَّبَّ عَنَّا، لأَنَّ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ قَدْ أَعْلَنَ عَلَيْنَا حَرْباً، لَعَلَّ الرَّبَّ يُجْرِي لَنَا مُعْجِزَةً كَسَابِقِ مُعْجِزَاتِهِ، وَيَصْرِفُهُ عَنَّا». ٣فَقَالَ لَهُمَا إِرْمِيَا: «هَذَا مَا تَقُولاَنِ لِصِدْقِيَّا: ٤هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أَرُدُّ أَسْلِحَتَكُمُ الَّتِي بِأَيْدِيكُمُ الَّتِي تُحَارِبُونَ بِهَا مَلِكَ بَابِلَ وَالْكِلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَكُمْ مِنْ خَارِجِ السُّورِ، وَأَجْمَعُهُمْ فِي وَسَطِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ. ٥وَأُحَارِبُكُمْ بِنَفْسِي بِيَدٍ مَمْدُودَةٍ وَذِرَاعٍ شَدِيدَةٍ، بِغَضَبٍ وَحَنَقٍ وَسُخْطٍ عَظِيمٍ. ٦وَأُبِيدُ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ رِجَالاً وَبَهَائِمَ، فَيَمُوتُونَ بِوَبَأٍ رَهِيبٍ،٧وَأُسْلِمُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا وَخُدَّامَهُ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، النَّاجِينَ مِنَ الْوَبَأِ وَالسَّيْفِ وَالْجُوعِ، إِلَى يَدِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، وَإِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ وَطَالِبِي نُفُوسِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَلاَ يَرْثِي لَهُمْ وَلاَ يَشْفُقُ أَوْ يَرْحَمُ. (إرميا ٢١)

وتوعّد الرب على لسان إرميا أهل أورشليم بأن صراخهم لن يسمعه أحد حين يدهمهم الأعداء، وأنهم سوف يُرحّلون من ديارهم، ويُذّلُّ كبرياؤهم، ويساقون مجللين بالعار إلى السبي: ٢٠«اصْعَدِي يَاأُورُشَلِيمُ إِلَى لُبْنَانَ وَاصْرُخِي. أَطْلِقِي صَوْتَكِ فِي بَاشَانَ وَأَعْوِلِي مِنْ عَبَارِيمَ لأَنَّ جَمِيعَ مُحِبِّيكِ قَدْ سُحِقُوا. ٢١حَذَّرْتُكِ فِي أَثْنَاءِ عِزِّكِ فَقُلْتِ: لَنْ أَصْغِيَ. أَنْتِ مُتَمَرِّدَةٌ مُنْذُ صِبَاكِ لاَ تَسْمَعِينَ لِصَوْتِي. ٢٢سَتَعْصِفُ الرِّيحُ بِكُلِّ رُعَاتِكِ، وَيَذْهَبُ مُحِبُّوكِ إِلَى السَّبْيِ. عِنْدَئِذٍ يَعْتَرِيكِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ لِشَرِّكِ. ٢٣يَاسَاكِنَةَ لُبْنَانَ الْمُعَشِّشَةَ فِي الأَرْزِ، لَشَدَّ مَا تَئِنِّينَ عِنْدَمَا تُفَاجِئُكِ الأَوْجَاعُ، فَتَكُونِينَ كَامْرَأَةٍ تُقَاسِي مِنَ الْمَخَاضِ». (إرميا ٢٢)

خاطب إرميا شعب يهوذا قائلا لقد مكثت فيكم ثلاثا وعشرين سنة أُبلغكم ما يوحي به الربُّ إلي لترجعوا عن أعمالكم الشريرة التي يبغضها، وتقلعوا عن شرككم وعبادتكم لآلهة الوثنيين وتقديم القرابين باسمها. وقال لهم أن عدم انصياعهم لأوامر الربِّ قد أثار غيظه عليهم، وجلب عليهم نقمته. وقال أن الربَّ قد أعلن أنه سوف يثير عليهم جميع قبائل الشمال بقياد نَبُوخَذْنَاصَّرَ؛ فيجتاحون أرضهم، ويعيثون فيها فسادا وتخريبا؛ فيتوقَّف دولابُ حياتهم عن الدوران، فلا تُسْمع لهم أهازيج فرح ولا أغنيات، ولا يُشْعل لهم ضوء، ولا تُدار لهم رحى، ولا يُرْفع لهم بنيان، ويؤخذ جميعُ الشعب أسرى لملك بابل فترة تمتد إلى سبعين سنة: النُّبُوءَةُ الَّتِي أَوْحَى بِهَا الرَّبُّ إِلَى إِرْمِيَا عَنْ جَمِيعِ شَعْبِ يَهُوذَا، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ حُكْمِ يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، الْمُوَافِقَةِ لِلسَّنَةِ الأُولَى مِنْ مُلْكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ،..... ٣«عَلَى مَدَى ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً،..... وَحَتَّى هَذَا الْيَوْمِ، وَالرَّبُّ يُوْحِي إِلَيَّ بِكَلِمَتِهِ، فَخَاطَبْتُكُمْ بِهَا تَكْرَاراً مُنْذُ الْبَدْءِ وَلَكِنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا. ٤وَمَعَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ وَاظَبَ عَلَى إِرْسَالِ عَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تُصْغُوا وَلَمْ تَسْتَمِعُوا لإِنْذَارَاتِهِ..... ٨لِذَلِكَ هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: «لأَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ كَلاَمِي، ٩فَهَا أَنَا أُجَنِّدُ جَمِيعَ قَبَائِلِ الشِّمَالِ بِقِيَادَةِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ عَبْدِي، وَآتِي بِهَا إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ فَيَجْتَاحُونَهَا وَيُهْلِكُونَ جَمِيعَ سُكَّانِهَا مَعَ سَائِرِ الأُمَمِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، وَأَجْعَلُهُمْ مَثَارَ دَهْشَةٍ وَصَفِيرٍ، وَخَرَائِبَ أَبَدِيَّةً. ١٠وَأُبِيدُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَهَازِيجَ الْفَرَحِ وَالطَّرَبِ وَصَوْتَ غِنَاءِ الْعَرِيسِ وَالْعَرُوسِ، وَضَجِيجَ الرَّحَى وَنُورَ السِّرَاجِ. ١١فَتُصْبِحُ هَذِهِ الأَرْضُ بِأَسْرِهَا قَفْراً خَرَاباً، وَتُسْتَعْبَدُ جَمِيعُ هَذِهِ الأُمَمِ لِمَلِكِ بَابِلَ طَوَالَ سَبْعِينَ سَنَةً. (إرميا ٢٥)

تنبأ إرميا بهلاك البقية الناجية من أبناء يهوذا بعد السبي الأول؛ وأن الأعداء سوف يحاصرونهم داخل أسوار مدينتهم، وأن عليهم أن يهربوا لأن الربَّ لن يعينهم على عدوِّهم؛ بل سيصُبّ جام غضبه عليهم بسبب عصيانهم وانحرافهم عن طريقه. ويقول لهم إرميا: إن الأخبار تنبئ عن قدوم جيش عظيم من جهة الشمال، وأنه سوف يقضي عليهم، ويحوِّل مدنهم إلى خرائب ومأوى لبنات آوى: أَنْصِتُوا إِلَى الْقَضَاءِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ يَاذُرِّيَّةَ إِسْرَائِيلَ. ٢هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «لاَ تَتَعَلَّمُوا طَرِيقَ الأُمَمِ، وَلاَ تَرْتَعِبُوا مِنْ آيَاتِ السَّمَاءِ الَّتِي تَرْتَعِبُ مِنْهَا الشُّعُوبُ..... ١٠أَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ، الإِلَهُ الْحَيُّ وَالْمَلِكُ السَّرْمَدِيُّ. تَرْتَعِدُ الأَرْضُ أَمَامَ غَضَبِهِ وَلاَ تَتَحَمَّلُ الأُمَمُ فَرْطَ سُخْطِهِ..... ١٧اجْمَعِي مِنَ الأَرْضِ حِزَمَكِ أَيَّتُهَا الْمُقِيمَةُ تَحْتَ الْحِصَارِ. ١٨لأَنَّ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: «هَا أَنَا أَقْذِفُ بِمِقْلاَعٍ سُكَّانَ الأَرْضِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَأُعَرِّضُهُمْ لِلضِّيقِ حَتَّى يَعْرِفُوا مُعَانَاتَهُ». ١٩وَيْلٌ لِي مِنْ أَجْلِ انْسِحَاقِي، فَجُرْحِي لاَ شِفَاءَ مِنْهُ، وَلَكِنِّي قُلْتُ: «حَقّاً هَذِهِ بَلِيَّةٌ وَعَلَيَّ أَنْ أَتَحَمَّلَهَا». ٢٠قَدْ تَهَدَّمَ خِبَائِي وَتَقَطَّعَتْ أَطْنَابِي، وَهَجَرَنِي أَبْنَائِي وَلَمْ يَعُدْ لَهُمْ وُجُودٌ. لَيْسَ مَنْ يُقِيمُ خِبَائِي ثَانِيَةً وَيَبْسُطُ سُجُوفِي. ٢١فَرُعَاةُ شَعْبِي بُلَدَاءُ لَمْ يَلْتَمِسُوا الرَّبَّ، لِذَلِكَ لَمْ يُفْلِحُوا وَتَشَتَّتَتْ جَمِيعُ رَعِيَّتِهِمْ. ٢٢اسْمَعُوا، هَا أَخْبَارٌ تَتَوَاتَرُ عَنْ جَيْشٍ عَظِيمٍ مُقْبِلٍ مِنَ الشِّمَالِ لِيُحَوِّلَ مُدُنَ يَهُوذَا إِلَى خَرَائِبَ وَمَأْوَى لِبَنَاتِ آوَى. (إرميا ١٠)

كما أعلن الربُّ على لسان إرميا أنه سوف يترصّد من عزم على الرحيل إلى مصر من شعب يهوذا ولم يستَسْلِم للسبي، وأنه سوف يفنيهم جميعا صغيرهم وكبيرهم بإهلاكهم بالسيف والجوع والوباء؛ فلا يبقى منهم ناج. كما أعلن أنه سوف يعاقب أهل مصر في شخص ملكهم فرعون حفرع بيد أعدائه كما عاقب أهل أورشليم في شخص ملكهم صدقيا بيد ملك بابل. وأعلن الربُّ أنه سوف يصفح عمّن يريد منهم العودة ليقيم في أورشليم، وقال أن الفئة التي ستعود منهم قليلة: ١١لِذَلِكَ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أَتَرَصَّدُكُمْ لأُجَازِيَكُمْ شَرّاً لاَ خَيْراً، لأَسْتَأْصِلَكُمْ مِنْ يَهُوذَا. ١٢وَآخُذُ بَقِيَّةَ يَهُوذَا الَّذِينَ وَطَّدُوا الْعَزْمَ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبُوا فِيهَا، وَأُفْنِيهِمْ كُلَّهُمْ هُنَاكَ، فَيَهْلِكُونَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، فَيَمُوتُونَ وَيُصْبِحُونَ سُبَّةً وَدَهْشَةً وَلَعْنَةً وَعَاراً. ١٣وَأُعَاقِبُ الْمُقِيمِينَ فِي مِصْرَ كَمَا عَاقَبْتُ أَهْلَ أُورُشَلِيمَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ، ١٤فَلاَ

يُفْلِتُ مِنْهُمْ نَاجٍ. وَلاَ يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ بَقِيَّةِ يَهُوذَا الْمُرْتَحِلِينَ لِيَتَغَرَّبُوا هُنَاكَ فِي مِصْرَ، لِيَرْجِعَ إِلَى أَرْضِ يَهُوذَا الَّتِي يَتُوقُ لِلْعَوْدَةِ إِلَيْهَا وَالإِقَامَةِ فِيهَا، لأَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا إِلاَّ قِلَّةٌ مِنَ الطَّرِيدِينَ»..... ٢٤وَالآنَ اسْمَعُوا قَضَاءَ الرَّبِّ يَاجَمِيعَ أَهْلِ يَهُوذَا الْمُقِيمِينَ فِي مِصْرَ:...... ٢٧هَا أَنَا أَتَرَصَّدُهُمْ لأُوقِعَ بِهِمْ شَرّاً لاَ خَيْراً، فَيَهْلِكُ كُلُّ رِجَالِ يَهُوذَا الَّذِينَ فِي أَرْضِ مِصْرَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ حَتَّى يَتِمَّ اسْتِئْصَالُهُمْ..... ٣٠هَا أَنَا أُسَلِّمُ فِرْعَوْنَ حَفْرَعَ مَلِكَ مِصْرَ إِلَى يَدِ أَعْدَائِهِ وَطَالِبِي نَفْسِهِ كَمَا أَسْلَمْتُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا إِلَى يَدِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَدُوِّهِ وَطَالِبِ نَفْسِهِ». (إرميا ٤٤)

يقول حزقيال: إن الربَّ أمره أن يحلق شعر رأسه وشعر لحيته (إشارة إلى هلاك الشعب). كما أمره أن يقسِّم الشعر إلى ثلاثة أجزاء، وأن يحرق بالنار ثلثه (وهم الذين سيقتُلهم الجوع والوباء). وأمره أن يضرب بالسيف ثلثه (وهم الذين سيُصْرعون بسيوف الأعداء)، وأمره أن يذري (ينثر) ثلثه مع الريح (وهم الذين سيقعون في الأسر أو يفرّون إلى البلاد المجاورة ولن يتركهم سيف الرب). وأمره الربُّ أن يحتفظ بجزء من الثلث الأخير، فيصرُّ بعضَه في أطراف ثوبه (إشارة إلى بقاء بعضهم في أورشليم آمنين). كما أمره الربُّ أن يأخذ بعضا من شعره فيطرحه في النار ليحترق فتندلع منه نار على كل شعب إسرائيل (إشارة إلى ما سيصيب جميع الشعب من جرّاء غزو الأعداء لديارهم): أَمَّا أَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ فَخُذْ لِنَفْسِكَ سَيْفاً حَادّاً اسْتَخْدِمْهُ كَمُوسَى الْحَلاَّقِ لِتَحْلِقَ رَأْسَكَ وَلِحْيَتَكَ، ثُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِيزَاناً وَاقْسِمِ الشَّعْرَ إِلَى ثَلاَثَةِ أَثْلاَثٍ، ٢وَاحْرِقْ بِالنَّارِ ثُلْثاً فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ إِذَا اكْتَمَلَتْ أَيَّامُ الْحِصَارِ، ثُمَّ تَنَاوَلْ ثُلْثاً آخَرَ وَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ حَوْلَ خَرِيطَةِ الْمَدِينَةِ الْمَرْسُومَةِ. أَمَّا الثُّلْثُ الأَخِيرُ فَذَرِّهِ مَعَ الرِّيحِ، وَأَنَا أَسْتَلُّ سَيْفاً خَلْفَهُ. ٣وَلَكِنِ احْتَفِظْ بِكَمِّيَّةٍ قَلِيلَةٍ مِنْهُ وَصُرَّهَا فِي أَطْرَافِ ثَوْبِكَ. ٤كَذَلِكَ خُذْ بَعْضاً مِنَ الشَّعْرِ وَاطْرَحْهُ فِي النَّارِ لِيَحْتَرِقَ، فَتَنْدَلِعَ مِنْهُ نَارٌ عَلَى كُلِّ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ». (حزقيال ٥)

وقال حزقيال: إن الربَّ قد حلَّق بروحه إلى أورشليم حيث تنتصب تماثيل الآلهة التي يُقدِّسونها، وطلب منه أن يشاهد ما يرتكبونه من رجاسات ليحولوا بينه وبين الحلول في مقدسه. ثم أمره أن ينقُب في الجدار ويدخل ليشاهد التصاوير النجسة التي دنسوا بها جدران الهيكل، وأراه شيوخ إسرائيل؛ ومنهم رجل يعرفه باسمه؛ بمجامرهم التي يتصاعد

منها البخور حول أصنامهم: وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ السَّادِسِ الْعِبْرِيِّ..... حَلَّتْ عَلَيَّ قُوَّةُ السَّيِّدِ الرَّبِّ هُنَاكَ، ٢فَنَظَرْتُ وَإِذَا بِشِبْهِ إِنْسَانٍ وَكَأَنَّهُ مِنْ نَارٍ،..... ٣ثُمَّ مَدَّ شِبْهَ يَدٍ وَقَبَضَ عَلَيَّ بِنَاصِيَةِ رَأْسِي، وَحَلَّقَ بِي رُوحٌ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَحْضَرَنِي فِي رُؤَى اللهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى مَدْخَلِ الْبَوَّابَةِ الشِّمَالِيَّةِ لِلسَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ، حَيْثُ يَنْتَصِبُ التِّمْثَالُ الْمُثِيرُ لِلْغَيْرَةِ. ٤فَإِذَا بِمَجْدِ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ حَالٌّ هُنَاكَ كَمَا كَانَ حَالاً فِي الرُّؤْيَا الَّتِي شَاهَدْتُهَا فِي السَّهْلِ. ٥ثُمَّ خَاطَبَنِي: «يَاابْنَ آدَمَ، الْتَفِتِ الآنَ نَحْوَ الشِّمَالِ». فَالْتَفَتُّ وَإِذَا بِي أَرَى مِنْ شِمَالِيِّ بَابِ الْمَذْبَحِ تِمْثَالَ الْغَيْرَةِ هَذَا مُنْتَصِباً فِي الْمَدْخَلِ. ٦وَقَالَ لِي: «يَاابْنَ آدَمَ، هَلْ شَاهَدْتَ مَا يَرْتَكِبُونَ: هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ الْفَظِيعَةَ الَّتِي يَقْتَرِفُهَا شَعْبُ إِسْرَائِيلَ لِيُبْعِدُونِي عَنْ مَقْدِسِي؟ وَلَكِنِ انْتَظِرْ، فَلاَ تَلْبَثُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْجَاساً أَفْظَعَ». ٧ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى مَدْخَلِ السَّاحَةِ، فَنَظَرْتُ وَإِذَا بِثُقْبٍ فِي الْجِدَارِ، ٨فَقَالَ لِي: «يَاابْنَ آدَمَ، انْقُبْ فِي الْجِدَارِ». فَنَقَبْتُ الْجِدَارَ وَإِذَا بَابٌ. ٩فَقَالَ لِي: «ادْخُلْ وَاشْهَدِ الأَرْجَاسَ الْمَقِيتَةَ الَّتِي يَرْتَكِبُونَهَا هُنَا». ١٠فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصَاوِيرِ أَشْكَالِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ النَّجِسَةِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةٌ عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الْجُدْرَانِ، ١١وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْ شُيُوخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، وَانْتَصَبَ فِي وَسَطِهِمْ يَازَنْيَا بْنُ شَافَانَ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِجْمَرَتُهُ تَتَصَاعَدُ مِنْهَا غَمَامَةٌ عَطِرَةٌ مِنَ الْبَخُورِ. (حزقيال ٨)

وقال الربُّ لحزقيال: أرأيت ما يقترفه شيوخ إسرائيل وهم يقولون: إن الربَّ لا يرانا؟ تريّث قليلا وسوف أريك ما هو أفظع. وأخذه الربُّ إلى موضع آخر من الهيكل فرأى هناك نساء يتعبّدن لإله الخصب، وفي موضع آخر رأى رجالا ساجدين للشمس. وقال الربُّ: ألا يستحقون غضبي عليهم وعدم الرأفة بهم؟ ولو استغاثوا بي فلن أستجيب لهم: ١٢فَقَالَ لِي: «أَرَأَيْتَ يَاابْنَ آدَمَ مَا يَقْتَرِفُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ فِي مِحْرَابِ تَمَاثِيلِهِ الْمَنْحُوتَةِ قَائِلِينَ: الرَّبُّ لاَ يَرَانَا! الرَّبُّ قَدْ هَجَرَ الأَرْضَ. ١٣وَلَكِنِ انْتَظِرْ فَلاَ تَلْبَثُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْجَاساً أَفْظَعَ يَرْتَكِبُونَهَا». ١٤ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى الْمَدْخَلِ الشِّمَالِيِّ لِبَوَّابَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، فَإِذَا هُنَاكَ نِسَاءٌ يَنْدُبْنَ تَمُّوزَ (إِلَهِ الْخِصْبِ). ١٥فَقَالَ لِي: «أَشَهِدْتَ يَاابْنَ آدَمَ؟ انْتَظِرْ فَلاَ تَلْبَثُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْجَاساً أَفْظَعَ مِنْ هَذِهِ». ١٦ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى الْفِنَاءِ الدَّاخِلِيِّ لِبَيْتِ الرَّبِّ، فَإِذَا عِنْدَ مَدْخَلِ هَيْكَلِ الرَّبِّ بَيْنَ الرُّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً أَدَارُوا ظُهُورَهُمْ لِهَيْكَلِ

الرَّبِّ، وَاتَّجَهُوا بِوُجُوهِهِمْ نَحْوَ الشَّرْقِ سَاجِدِينَ لِلشَّمْسِ. ١٧فَقَالَ لِي: «أَشَهِدْتَ يَاابْنَ آدَمَ؟ أَقَلِيلٌ مَا ارْتَكَبَهُ شَعْبُ يَهُوذَا مِنْ رَجَاسَاتٍ هُنَا؟ فَقَدْ عَاثُوا فِي الأَرْضِ فَسَاداً، وَثَابَرُوا عَلَى إِغَاظَتِي، وَقَرَّبُوا كُلَّ مَا هُوَ مُنْتِنٌ فِي هَيْكَلِي ١٨لِذَلِكَ أُعَاقِبُهُمْ بِالْغَضَبِ، وَلاَ تَتَرَأَّفُ عَيْنِي عَلَيْهِمْ، وَلاَ أَعْفُو، وَإِنِ اسْتَغَاثُوا بِصَوْتٍ عَالٍ لاَ أَسْتَجِيبُ لَهُمْ». (حزقيال ٨)

وقال حزقيال: إن الربَّ نادى بأعلى صوت قائلا ليقترب محافظي المدينة (الملائكة الموكلون بهداية أورشليم) فأقبل ستةُ رجال وفي يد كل منهم أداة تدمير (بعدد الجيوش التي ستدِّمر أورشليم) وكان في وسطهم رجل يلبس ثوبا من الكتان وفي يده محبرة (كانت مهمته هي وضع علامة على جبهة الصالحين من الشعب حتى لا يدمِّرهم الرجال الموكلون بذلك). وكان أمر الربِّ للرجال الستة أن يطوفوا بالمدينة ليهلكوا كل إنسان فيها غير هؤلاء الموسومين بعلامة الصلاح. وأمرهم أن لا يعفوا عن أحد رجلا أو امرأة، شيخا أو شابا، عذراء أو طفلا، وأن يبدأوا بمن في الهيكل. فنفّذوا أوامر الرب حتى غرقت الأرض بالدماء، وامتلأت المدينة بجثث القتلى. ولم يستجب الربُّ لتوسُّلات حزقيال بالعفو عنهم، وقدّم الرجل المرتدي الكتان تقريره إلى الرب قائلا لقد فعلتُ كلَّ ما أمرتني به: ثُمَّ صَرَخَ فِي مَسْمَعِي بِصَوْتٍ عَالٍ قَائِلاً: «لِيَقْتَرِبْ مُحَافِظُو الْمَدِينَةِ. لِيَقْتَرِبْ كُلُّ وَاحِدٍ مُتَزَوِّداً بِأَدَاةِ تَدْمِيرِهِ». ٢فَأَقْبَلَ سِتَّةُ رِجَالٍ مِنْ طَرِيقِ الْبَابِ الشِّمَالِيِّ الأَعْلَى، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَحْمِلُ عُدَّةَ تَدْمِيرِهِ بِيَدِهِ، يَتَوَسَّطُهُمْ رَجُلٌ مُرْتَدٍ كَتَّاناً، وَعَلَى خَاصِرَتِهِ دَوَاةُ كَاتِبٍ. فَدَخَلُوا وَوَقَفُوا إِلَى جُوَارِ مَذْبَحِ النُّحَاسِ. ٣فَارْتَفَعَ مَجْدُ الرَّبِّ مِنْ حَيْثُ كَانَ حَالاً فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ عَتَبَةِ الْبَابِ. وَنَادَى الرَّجُلَ الْمُرْتَدِيَ ثَوْبَ الْكَتَّانِ، الْحَامِلَ عَلَى خَاصِرَتِهِ دَوَاةَ الْكَاتِبِ ٤وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اجْتَزْ وَسَطَ مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ وَارْسُمْ سِمَةً عَلَى جِبَاهِ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَئِنُّونَ وَيَزْفِرُونَ عَلَى كُلِّ مَا ارْتُكِبَ مِنْ أَرْجَاسٍ فِيهَا». ٥ثُمَّ قَالَ لِلسِّتَّةِ الآخَرِينَ عَلَى مَسْمَعِي: «اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ خَلْفَهُ وَاقْتُلُوا. لاَ تَتَرَأَّفْ عُيُونُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. ٦أَهْلِكُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ. وَلَكِنْ لاَ تَقْرَبُوا مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي». فَابْتَدَأُوا يُهْلِكُونَ الرِّجَالَ وَالشُّيُوخَ الْمَوْجُودِينَ أَمَامَ الْهَيْكَلِ. ٧وَقَالَ لَهُمْ: «نَجِّسُوا الْهَيْكَلَ وَامْلأُوا سَاحَاتِهِ بِالْقَتْلَى، ثُمَّ اخْرُجُوا». فَانْدَفَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَرَعُوا يَقْتُلُونَ. ٨وَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتُلُونَ بَقِيتُ أَنَا وَحْدِي. فَانْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِي وَصَرَخْتُ قَائِلاً: «آهِ أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، أَتُفْنِي جَمِيعَ الْبَقِيَّةِ

الْبَاقِيَةِ مِنْ إِسْرَائِيلَ فِي سَخَطِكَ عَلَى أُورُشَلِيمَ؟» ٩فَأَجَابَنِي: «إِنَّ إِثْمَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا عَظِيمٌ جِدّاً جِدّاً، وَقَدْ غَرِقَتِ الأَرْضُ بِالدِّمَاءِ، وَامْتَلأَتِ الْمَدِينَةُ فَسَاداً لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ هَجَرَ الرَّبُّ الأَرْضَ، وَالرَّبُّ لاَ يَرَى. ١٠لِذَلِكَ أَنَا أَيْضاً لاَ تَتَرَأَّفُ عَيْنِي وَلاَ أَعْفُو. إِنَّمَا أُوقِعُ ذَنْبَ تَصَرُّفَاتِهِمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ». ١١ثُمَّ مَا لَبِثَ الرَّجُلُ الْمُرْتَدِي الْكَتَّانَ الْحَامِلُ عَلَى خَاصِرَتِهِ دواة الْكَاتِبِ أَنْ رَفَعَ تَقْرِيرَهُ قَائِلاً: «إِنِّي فَعَلْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي». (حزقيال ٩)

وقال حزقيال: إن روح الربِّ قد حلّقت به إلى بوّابة أورشليم الشرقية، فرأى عند مدخلها خمسة وعشرين رجلا قال الربُّ عنهم أنهم هم الأكثر شرا؛ والذي يظنّون أنهم ناجون، وأن أسوارهم تمنعهم من أعدائهم. وأمره الربُّ أن يتنبأ عليهم بأن الربَّ سوف يُخرجهم من المدينة مذعورين، ويوقعهم في قبضة أعدائهم فيقتلونهم بحدِّ السيف: ثُمَّ حَلَّقَ بِي الرُّوحُ وَأَحْضَرَنِي إِلَى بَوَّابَةِ بَيْتِ الرَّبِّ الشَّرْقِيَّةِ، فَإِذَا عِنْدَ مَدْخَلِهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلاً،..... ٢فَقَالَ لِي: «يَاابْنَ آدَمَ، هَؤُلاَءِ هُمُ الرِّجَالُ الْمُتَوَاطِئُونَ عَلَى الشَّرِّ، الْمُتَآمِرُونَ بِمَشُورَةِ السُّوءِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، ٣الْقَائِلُونَ: أَلَمْ يَحِنِ الْوَقْتُ لِنَبْنِيَ حُصُوناً؟ فَهَذِهِ الْمَدِينَةُ هِيَ كَالْقِدْرِ (أَيْ كَسُورٍ حَوْلَنَا) وَنَحْنُ كَاللَّحْمِ. (أَيْ كَالْمُحْتَمِينَ بِالسُّورِ). ٤لِذَلِكَ تَنَبَّأْ عَلَيْهِمْ يَاابْنَ آدَمَ، تَنَبَّأْ! ٥«وَاسْتَقَرَّ عَلَيَّ رُوحُ الرَّبِّ وَقَالَ: «هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ..... ٦لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ قَتْلاَكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَلأْتُمْ مِنْهُمْ شَوَارِعَهَا..... لِذَلِكَ أَجْلِبُ السَّيْفَ عَلَيْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٩وَأُخْرِجُكُمْ مِنْ وَسَطِ الْمَدِينَةِ وَأُسَلِّمُكُمْ إِلَى قَبْضَةِ أَعْدَائِكُمْ، وَأُنَفِّذُ فِيكُمْ أَحْكَاماً، ١٠فَتُقْتَلُونَ بِالسَّيْفِ. وَأُنَفِّذُ قَضَاءً فِيكُمْ فِي تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَتُدْرِكُونَ حِينَئِذٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ..... (حزقيال ١١)

لم يأبه الشعب بالنبوءات السابقة، فأوحى الربُّ إلى حزقيال أن يتنبأ لهم ثانية بأن الربّ سوف يرسل عليهم عدوّا لا قبل لهم به؛ يستأصل الصالح منهم والطالح، ويقضي على كل إنسان من جنوب البلاد إلى شمالها. وأمر الربُّ حزقيال أن يتنهّد بأسى وحزن حتى يدركوا مدى الفاجعة التي تنتظرهم، فينتابهم القنوط والفزع من هول ما سيحدث لهم: وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ: الْتَفِتْ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ وَتَنَبَّأْ عَلَى الْمَقَادِسِ وَعَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ ٣وَقُلْ لأَرْضِ إِسْرَائِيلَ: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ، هَا أَنَا أَنْقَلِبُ عَلَيْكِ وَأَسْتَلُّ سَيْفِي مِنْ غِمْدِهِ فَأَسْتَأْصِلُ مِنْكِ الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ. ٤لِذَلِكَ يَخْرُجُ سَيْفِي مِنْ غِمْدِهِ فَيَقْضِي

عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ. ٥فَيُدْرِكُ كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، سَلَلْتُ سَيْفِي مِنْ
غِمْدِهِ وَلَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ. ٦أَمَّا أَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ، فَتَنَهَّدْ بِقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ وَحُزْنٍ مَرِيرٍ أَمَامَهُمْ ٧فَإِنْ
سَأَلُوكَ: عَلَى مَاذَا تَتَنَهَّدُ؟ تُجِيبُهُمْ: عَلَى الأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ الَّتِي تُذِيبُ كُلَّ قَلْبٍ، فَتَسْتَرْخِي
الأَيْدِي وَيَعْتَرِي الْقُنُوطُ كُلَّ رُوحٍ، وَتُصْبِحُ الرُّكَبُ كَالْمَاءِ. هَا هِيَ الأَخْبَارُ وَارِدَةٌ وَلاَبُدَّ أَنْ
تَتِمَّ. يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ». (حزقيال ٢١)

وأمر الربُّ حزقيال أن يخُطّ طريقين لزحف ملك بابل؛ واحد يتّجه إلى أورشليم، والآخر إلى رِبّة عمون (من مواطن العمونيين). وأخبر الربُّ حزقيال أن ملك بابل سوف يقف عند مفترق الطريقين ليستشير العرافين ويلقي القرعة ليعرف بأيّهما يبدأ، وأن العرافين قد أشاروا عليه بأن يبدأ بأورشليم. ويتعجّب الربُّ من هؤلاء الموالين للكلدانيين من بني إسرائيل الذين يظنّون أن القرعة لن تقع عليهم، ويقول أن ذلك لن يشفع لهم؛ لأن خيانتهم السابقة لعهودهم مع ملك بابل سوف تدفعه إلى أن يبدأ بهم، ليتطابق ذلك مع ما قدّرتُه
عليهم: ١٨وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ١٩«أَمَّا أَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ، فَخَطِّطْ طَرِيقَيْنِ لِزَحْفِ
سَيْفِ مَلِكِ بَابِلَ. مِنْ أَرْضٍ وَاحِدَةٍ تَخْرُجُ الطَّرِيقَانِ، وَأَقِمْ مَعْلَماً عِنْدَ نَاصِيَةِ الطَّرِيقِ الْمُفْضِيَةِ
إِلَى الْمَدِينَةِ. ٢٠خَطِّطْ طَرِيقاً يَسْلُكُهُ السَّيْفُ عَلَى رَبَّةِ عَمُّونَ وَعَلَى يَهُوذَا فِي أُورُشَلِيمَ الْحَصِينَةِ،
٢١لأَنَّ مَلِكَ بَابِلَ قَدْ تَوَقَّفَ عِنْدَ مَفْرَقِ الطَّرِيقَيْنِ عَلَى النَّاصِيَةِ، يَلْتَمِسُ عِرَافَةً، فَضَرَبَ
بِالسِّهَامِ، وَطَلَبَ مَشُورَةَ أَصْنَامِ أَسْلاَفِهِ، وَنَظَرَ إِلَى الْكَبِدِ. ٢٢فَعَنْ يَمِينِهِ أُلْقِيَتْ قُرْعَةٌ عَلَى
أُورُشَلِيمَ لإِقَامَةِ الْمَجَانِيقِ، وَإِصْدَارِ الأَوَامِرِ بِالْقَتْلِ، وَإِطْلاَقِ هُتَافِ الْحَرْبِ، لِنَصْبِ الْمَجَانِيقِ
عَلَى الأَبْوَابِ، لإِقَامَةِ مِتْرَسَةٍ لِبِنَاءِ بُرْجٍ. ٢٣وَلَكِنَّهَا تَبْدُو لِمَنْ أَقْسَمَ بِالْوَلاَءِ لِلْكَلْدَانِيِّينَ أَنَّهَا
عِرَافَةٌ كَاذِبَةٌ، وَلَكِنَّ مَلِكَ بَابِلَ يَتَذَكَّرُ نَكْثَهُمْ لِلْعَهْدِ فَيُؤْخَذُونَ بِهِ. ٢٤لِذَلِكَ، هَذَا مَا يُعْلِنُهُ
السَّيِّدُ الرَّبُّ: لأَنَّكُمْ ذَكَّرْتُمْ بِإِثْمِكُمْ، إِذِ انْكَشَفَ تَمَرُّدُكُمْ، فَتَجَلَّتْ خَطَايَاكُمْ فِي كُلِّ مَا
ارْتَكَبْتُمُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ، لِهَذَا إِذْ ذَكَّرْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ يُقْبَضُ عَلَيْكُمْ بِالْيَدِ. (حزقيال ٢١)

تأويل النبوءات ضد يهوذا

ورد في الملوك الثاني أن قوات نبوخذناصر ملك بابل أقدمت على حرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم، وسبَوْا معظم الشعب، وأبقوا على بعضهم لزراعة

الأرض، وعيّنوا عليهم حاكما منهم هو جَدَلْيَا بْنَ أَخِيقَامَ بْنِ شَافَانَ: ٨وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، قَدِمَ نَبُوزَرَادَانُ قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، ٩وَأَحْرَقَ الْهَيْكَلَ وَقَصْرَ الْمَلِكِ وَسَائِرَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ الْعُظَمَاءِ..... ١١وَسَبَى نَبُوزَرَادَانُ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ الَّذِي بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ،..... ١٢وَلَكِنَّهُ تَرَكَ فِيهَا فُقَرَاءَ الأَرْضِ الْمَسَاكِينَ لِيَزْرَعُوهَا وَيَفْلَحُوهَا..... ٢٢أَمَّا بَقِيَّةُ الشَّعْبِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ فِي أَرْضِ يَهُوذَا، فَقَدْ وَكَّلَ عَلَيْهِمْ جَدَلْيَا بْنَ أَخِيقَامَ بْنِ شَافَانَ. (الملوك الثاني ٢٥)

وذكر إرميا أنه في عهد صدقيا حاصر نبوخذناصر ملك بابل أورشليم بجيشه فترة طويلة حتى ساءت أحوال الناس المحاصرين، وحاول الملك صدقيا الهرب من ثغرة في سور المدينة فتمّ القبض عليه، وفُقِئتْ عينُه، وقُتِل جميعُ أبنائه، وزُجّ به في السجن ثم سيق مع الأسرى إلى بابل، وظل في الأسر حتى مات. ولما اقتحم جيش بابل المدينة أحرق الهيكل وقصر الملك وبعض قصور القادة، وتم نهب محتوياتها، كما تم أسر الجزء الأعظم من الشعب، وأبقى البابليون على بعضهم ليفلحوا الأرض: ٤وَفِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَاشِرِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِحُكْمِهِ، زَحَفَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ بِجَيْشِهِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرَهَا وَبَنَى حَوْلَهَا الْمَتَارِيسَ. ٥وَظَلَّتِ الْمَدِينَةُ تَحْتَ الْحِصَارِ حَتَّى السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ صِدْقِيَّا..... ٧فَفَتَحَ الشَّعْبُ ثُغْرَةً فِي الْمَدِينَةِ وَهَرَبَ جَمِيعُ الْمُحَارِبِينَ وَغَادَرُوا الْمَدِينَةَ لَيْلاً..... ٨لَكِنَّ جَيْشَ الْكَلْدَانِيِّينَ تَعَقَّبَ الْمَلِكَ، وَأَدْرَكَ صِدْقِيَّا فِي سُهُولِ أَرِيحَا وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ جَمِيعُ جَيْشِهِ، ٩فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ فِي رَبْلَةَ، فِي مِنْطَقَةِ حَمَاةَ، فَأَصْدَرَ عَلَيْهِ قَضَاءَهُ. ١٠وَذَبَحَ مَلِكُ بَابِلَ أَبْنَاءَ صِدْقِيَّا عَلَى مَرْأَى مِنْهُ وَقَتَلَ أَيْضاً جَمِيعَ أَشْرَافِ يَهُوذَا فِي رَبْلَةَ. ١١وَفَقَأَ عَيْنَيْ صِدْقِيَّا وَأَوْثَقَهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ، ثُمَّ سَاقَهُ إِلَى بَابِلَ حَيْثُ زَجَّهُ فِي السِّجْنِ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ.....، جَاءَ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ..... إِلَى أُورُشَلِيمَ، ١٣وَأَحْرَقَ هَيْكَلَ الرَّبِّ وَقَصْرَ الْمَلِكِ وَجَمِيعَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ،..... ١٥وَأَجْلَى نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ بَعْضاً مِنْ فُقَرَاءِ الْبَلَدِ،..... ١٦وَلَكِنَّهُ أَبْقَى عَلَى بَعْضِ الْمَسَاكِينِ لِيَكُونُوا كَرَّامِينَ وَفَلاَّحِينَ. (إرميا ٥٢)

في أيام الملك أحاز بن يوثام ملك يهوذا حيث اجتمع كل من رصين ملك أرام (دمشق) وفقح بن رمليا ملك إسرائيل لمحاربة مملكة يهوذا، فخاف الملك وارتعب من مواجهتهم، لكن الربّ طمأنه على لسان أشعياء، وطلب منه أن يتماسك لأنهما لن ينتصرا عليه. وقال الربُّ أن مملكة إسرائيل سوف تتمزّق في غضون خمس وستين سنة: وَفِي أَيَّامِ
آحَازَ بْنِ يُوثَامَ بْنِ عُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، صَعِدَ رَصِينُ مَلِكُ أَرَامَ مَعَ فَقَحَ بْنِ رَمَلْيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ
عَلَى أُورُشَلِيمَ لِمُحَارَبَتِهَا، فَعَجَزَا عَنْ قَهْرِهَا. ٢وَلَمَّا قِيلَ لِمَلِكِ يَهُوذَا: إِنَّ الأَرَامِيِّينَ تَحَالَفُوا مَعَ
الإِسْرَائِيلِيِّينَ، اعْتَرَى قَلْبَهُ وَقُلُوبَ شَعْبِهِ الاضْطِرَابُ، كَأَشْجَارِ الْغَابَةِ تَهُزُّهَا رِيحٌ عَاصِفَةٌ.
٣فَقَالَ الرَّبُّ لأشعياء: «امْضِ لِمُلاَقَاةِ آحَازَ..... ٤وَقُلْ لَهُ: احْتَرِسْ، وَتَمَالَكْ رَوْعَكَ؛
لاَ تَخَفْ وَلاَ يَهِنْ قَلْبُكَ مِنْ غَضَبِ رَصِينَ مَلِكِ أَرَامَ وَابنِ رَمَلْيَا الْمُحْتَدِمِ فَإِنَّهُمَا كَحَطَبَتَيْنِ
مُضْطَرِمَتَيْنِ مُدَخِّنَتَيْنِ.....، وَفِي غُضُونِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً تَتَمَزَّقُ مَمْلَكَةُ إِسْرَائِيلَ وَلاَ تَكُونُ
أُمَّةً بَعْدُ..... (أشعياء ٧)

وقال أشعياء: إن الربَّ توعّد أهل السامرة عاصمة إسرائيل بأنه سوف يرسل عليهم عدوًا قويًا ينقضُّ عليهم انقضاض العاصفة المُدمِّرة، والزوبعة الجارفة التي تجتاح أرضهم بعنف؛ فتدمِّر كل شيء في طريقها، فتصير مبانيها خرابا، ومزارعها قفارا. وحينها ينادي الربُّ هل من قاضٍ عادل فأرشده إلى الحق؟ هل من محارب غيور فأمدّه بعوني وبقوّتي؟ لكن لا مجيب، فكلُّ هؤلاء قد أضلّتهم الخمر، وسلبهم المُسْكِرُ عقولَهم؛ حتى أنبياءهم وكهنتهم. وبسبب أنهم ضاقوا ذرعا بمواعظ أشعياء ولم يعودوا يلقون له بالا، فإن الربَّ سوف يرسل عليهم من يخاطبهم بلكنة لا يفهمونها: وَيْلٌ (لِمَدِينَةِ السَّامِرَةِ) تَاجِ فَخْرِ سكَارَى
أَفْرَايِمَ، وَلِزَهْرَةِ جَمَالِهَا الْمَجِيدَةِ الذَّابِلَةِ الَّتِي تُتَوِّجُ رَأْسَ وَادِي خِصْبِ الْمَخْمُورِينَ. ٢لأَنَّ
لِلرَّبِّ مُتَسَلِّطاً قَوِيّاً عَاتِياً يَنْقَضُّ كَعَاصِفَةِ بَرَدٍ، كَنَوْءٍ مُدَمِّرٍ، كَزَوْبَعَةٍ هَائِلَةٍ مِنْ مِيَاهٍ جَارِفَةٍ
فَيَطْرَحُهَا أَرْضاً بِعُنْفٍ، ٣فَتُدَاسُ السَّامِرَةُ، تَاجُ فَخْرِ سُكَارَى أَفْرَايِمَ بِالأَقْدَامِ..... ٥فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ تَاجَ بَهَاءٍ وَإِكْلِيلَ جَمَالٍ لِبَقِيَّةِ شَعْبِهِ ٦وَيَكُونُ رُوحَ عَدْلٍ لِمَنْ يَتَبَوَّأُ
كُرْسِيَّ الْقَضَاءِ وَمَصْدَرَ قُوَّةٍ لِمَنْ يُحَارِبُونَ رَادِّينَ الأَعْدَاءَ عَنْ بَوَابَاتِ الْمَدِينَةِ. ٧وَلَكِنَّ هَؤُلاَءِ
أَيْضاً أَضَلَّتْهُمُ الْخَمْرُ وَتَرَنَّحُوا بِالسُّكْرِ، فَسَلَبَ الْمُسْكِرُ عُقُولَ أَنْبِيَائِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ، فَأَرْبَكَهُمْ

وَرَنَّحَهُمْ، فَأَخْطَأُوا الرُّؤْيَا، وَتَعَثَّرُوا فِي الأَحْكَامِ. ٨فَامْتَلأَتْ مَوَائِدُهُمْ كُلُّهَا بِالْقَيْءِ، وَلَمْ يَبْقَ مَكَانٌ لَمْ يَتَلَوَّثْ. ٩فَتَسَاءَلُوا: «لِمَنْ يُلَقِّنُ أشعياء الْعِلْمَ، وَلِمَنْ يَشْرَحُ رِسَالَتَهُ؟..... ١١سَيُخَاطِبُ الرَّبُّ هَذَا الشَّعْبَ بِلِسَانٍ غَرِيبٍ أَعْجَمِيٍّ ١٢وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُمْ: «هَذِهِ هِيَ أَرْضُ الرَّاحَةِ، فَأَرِيحُوا الْمُنْهَكَ؛ وَهُنَا مَكَانُ السَّكِينَةِ. وَلَكِنَّهُمْ أَبَوْا أَنْ يُطِيعُوهُ..... (أشعياء ٢٨)

وخاطبهم الربُّ كذلك، وكرّر عليهم وصاياه؛ لكنّهم من حمقهم استهزءوا بها وقالوا: إنّنا ميّتون ولن يضرَّنا أن يأتي الآشوريون فيسلخوننا، وأنهم لن يقدروا علينا لأننا سنراوغهم ونتهرّب منهم فلا يتمكّنون منّا. ويقول الربُّ أنه سوف يضع حجر أساس في صهيون كمأوى يأوي إليه المؤمنون؛ يكون العدل هو حجر الزاوية فيه، والحقُّ هو أركانه، وبه ينكشف زيفُهم وخسّتُهم، ويتمكّن منهم عدوُّهم؛ فلا تنفعهم حصونهم ولا تدابيرهم. وقال الربُّ: إنه سوف يُجري غضبَه عليهم كما سبق وفعل مع أعدائهم، وسوف يكون عقابُه شديدا. وحذَّرهم أشعياء من التمادي في استهزائهم بتحذيراته حتى لا يتضاعف عقابهم، لأن الربّ القدير قد أبلغه بقضائه عليهم بالهلاك: ١٤لِذَلِكَ اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ أَيُّهَا الْمُسْتَهْزِئُونَ الْمُتَحَكِّمُونَ فِي شَعْبِ أُورُشَلِيمَ: ١٥لأَنَّكُمْ قُلْتُمْ: «قَدْ أَبْرَمْنَا عَهْداً مَعَ الْمَوْتِ، وَعَقَدْنَا مِيثَاقاً مَعَ الْهَاوِيَةِ، فَإِنَّ الأَشُورِيِّينَ الْمُقْتَحِمِينَ أَرْضَنَا لَنْ يَسْلُخُونَا، لأَنَّ السُّوطَ الْجَارِفَ إِذَا عَبَرَ لاَ يُصِيبُنَا لأَنَّنَا اعْتَصَمْنَا بِالْمُرَاوَغَةِ وَلَجَأْنَا إِلَى النِّفَاقِ». ١٦لِهَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: «هَا أَنَا أَضَعُ حَجَرَ أَسَاسٍ فِي صِهْيَوْنَ، حَجَرَ زَاوِيَةٍ ثَمِيناً لِيَكُونَ أَسَاساً رَاسِخاً وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يَهْرُبُ. ١٧وَسَأَجْعَلُ الْعَدْلَ خَيْطَ قِيَاسٍ وَالْحَقَّ مِطْمَاراً (لأَكْشِفَ عَنْ زَيْفِ أَعْمَالِكُمْ) فَيَجْرِفُ الْبَرَدُ مُعْتَصَمَ الْكَذِبِ وَتَطْفُو الْمِيَاهُ عَلَى الْمَخَابِىءِ ١٨عِنْدَئِذٍ يُبْطَلُ عَهْدُكُمْ مَعَ الْمَوْتِ، وَيُلْغَى مِيثَاقُكُمْ مَعَ الْهَاوِيَةِ وَيَدُوسُكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ عِنْدَ اقْتِحَامِهِمْ بِلاَدَكُمْ. ١٩وَيَجْتَاحُونَكُمْ مَرَّةً تِلْوَ مَرَّةٍ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا إِنْ تُدْرِكُوا مَغْزَى هَذَا الْعِقَابِ حَتَّى يَطْغَى عَلَيْكُمُ الرُّعْبُ. ٢٠لأَنَّ السَّرِيرَ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَتَمَدَّدُوا عَلَيْهِ، وَالْغِطَاءَ أَضْيَقُ مِنْ أَنْ تَلْتَفُّوا بِهِ». ٢١وَسَيُقْبِلُ الرَّبُّ بِسَخَطٍ، كَمَا أَقْبَلَ فِي جَبَلِ فَرَاصِيمَ وَفِي وَادِي جِبْعُونَ لِيُجْرِيَ أَفْعَالَهُ الْغَرِيبَةَ وَيُعَاقِبَ أَشَدَّ عِقَابٍ. ٢٢لِذَلِكَ لاَ تَتَهَكَّمُوا لِئَلاَّ يَتَفَاقَمَ عِقَابُكُمْ لأَنَّ رَبَّ كُلِّ الأَرْضِ الْقَدِيرَ قَدْ أَبْلَغَنِي قَضَاءَهُ بِهَلاَكِكُمْ. (أشعياء ٢٨)

أمر الربُّ هوشع أن يتزوّج من امرأة بَغِيّ ليُنجب منها أولاد زنا كناية عن بني إسرائيل الذين تركوا طريق الربِّ فصاروا مثل أولاد الزنا. وتزوّج هوشع من عاهرة تُدعى جُومَرَ بِنْتَ دِبْلاَيِمَ، فأنجب منها ابنا أمره الربُّ أن يُسمِّيه يَزْرَعِيلَ (الرب يبذُر). وكان ذلك إنذارا من الربِّ بأنه سوف يشتِّت بني إسرائيل، ويفرِّق جمعهم بسبب رجم آخاب ملك السامرة لنابوت اليزرعيلي والاستيلاء على كرمه: هَذِهِ هِيَ كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتِي أَوْحَى بِهَا إِلَى هُوشَعَ بْنِ بِئِيرِي فِي أَثْنَاءِ حُكْمِ كُلٍّ مِنْ عُزِّيَّا وَيُوثَامَ وَآحَازَ وَحَزَقِيَّا مُلُوكِ يَهُوذَا، وَفِي أَيَّامِ يَرُبْعَامَ بْنِ يُوآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. ٢وَأَوَّلُ مَا خَاطَبَ الرَّبُّ بِهِ هُوشَعَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ وَتَزَوَّجْ مِنْ عَاهِرَةٍ، تُنجِبُ لَكَ أَبْنَاءَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ إِذْ تَرَكَتِ الرَّبَّ». ٣فَمَضَى هُوشَعُ وَتَزَوَّجَ جُومَرَ بِنْتَ دِبْلاَيِمَ، فَحَمَلَتْ وَأَنْجَبَتْ لَهُ ابْناً. ٤فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: «ادْعُ اسْمَهُ يَزْرَعِيلَ، لأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ أَقْضِيَ عَلَى بَيْتِ يَاهُو انْتِقَاماً لِدَمِ يَزْرَعِيلَ، وَأُبِيدَ مَمْلَكَةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. ٥فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أُحَطِّمُ قَوْسَ إِسْرَائِيلَ فِي وَادِي يَزْرَعِيلَ». (هوشع ١)

وحملت زوجةُ هوشع مرّة ثانية فأنجبت بنتا أمره الربُّ أن يسمِّيها لُورُحَامَةَ (لا رحمة) وكان ذلك إنذار من الرب أنه سوف يمنع رحمته عنهم، وأنه لن يخلِّصهم من أعدائهم الذين سيغيرون عليهم بقوات لا قبل لهم بها لأنهم تمادوا في آثامهم: ٦ثُمَّ حَمَلَتْ ثَانِيَةً فَأَنْجَبَتِ ابْنَةً، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «سَمِّهَا لُورُحَامَةَ (وَمَعْنَاهُ: لاَ رَحْمَةَ) لأَنِّي لاَ أَعُودُ أَرْحَمُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَلَنْ أَصْفَحَ عَنْهُمْ. ٧وَلَكِنِّي أَرْحَمُ بَيْتَ يَهُوذَا وَأُخَلِّصُهُمْ بِقُوَّتِي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ. لَنْ أُنْقِذَهُمْ بِقَوْسٍ أَوْ بِسَيْفٍ، وَلاَ بِحَرْبٍ وَلاَ بِخَيْلٍ أَوْ فُرْسَانٍ». (هوشع ١)

وحملت زوجة هوشع مرّة ثالثة وأنجبت ابنا أمره الربُّ أن يسمِّيه لُوعَمِّي (ليسوا شعبي) وكان هذا إنذارا بأن الربَّ قد تخلّى عنهم نهائيا، ولم يعُدْ لهم إلها كما كان من قبل: ٨وَبَعْدَ أَنْ فَطَمَتْ «لُورُحَامَةَ» حَمَلَتْ وَأَنْجَبَتِ ابْناً. ٩وَقَالَ الرَّبُّ: «سَمِّهِ لُوعَمِّي (وَمَعْنَاهُ: لَيْسَ شَعْبِي) لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ شَعْبِي وَأَنَا لَسْتُ إِلَهَكُمْ. (هوشع ١)

قال الربُّ عن بني إسرائيل على لسان هوشع: إنهم يواجهون فضله وكرمه عليهم بالابتعاد عن طريقه، وبناء المذابح للأوثان. وتوعّدُهم الربُّ بأنه سوف يهدم مذابحهم، ويدمِّر أوثانهم. وتعجّب الربُّ من قولهم أنه لو أن لهم ملكا لكانوا مهتدين، وقال لهم:

ماذا في وسع الملك أن يعمل مع قوم غضب الله عليهم؛ فنُزِعت منهم الحكمة، واختلّ ميزان العدل لديهم، وصار كهنتهم عبيدا في بيت آون (البطل) الذي يعبدونه. وقال الربُّ أن عِجْلهم (تمثال من الذهب) الذي يُقدِّسونه سوف يُحمل هديّة إلى ملك آشور؛ فيرون أنه لا ينفعهُم. وقال الربُّ أنه سوف يُهلِك ملوكهم، ويدمِّر أماكن العبادة التي أقاموها على المرتفعات (للأوثان)، ويحوِّلها إلى خرائب؛ عندئذ لن يجدوا من يحميهم من غضبه: إنَّ إِسْرَائِيلَ مِثْلُ كَرْمَةٍ مُخْصِبَةٍ يُغِلُّ ثَمَراً لِنَفْسِهِ. كُلَّمَا تَكَاثَرَ مَحْصُولُ ثَمَرِهِ، زَادَ فِي بِنَاءِ الْمَذَابِحِ، وَبِمِقْدَارِ مَا تَجُودُ أَرْضُهُ، يُتْقِنُ بِنَاءَ أَنْصَابِهِ. ٢قُلُوبُهُمْ كُلُّهَا خِدَاعٌ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَحَمَّلُوا عِقَابَ ذُنُوبِهِمْ. إِنَّ الرَّبَّ يَهْدِمُ مَذَابِحَهُمْ وَيُدَمِّرُ أَوْثَانَهُمْ. ٣يَقُولُونَ الآنَ: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ لأَنَّنَا لَمْ نَخْشَ اللهَ، وَمَاذَا فِي وُسْعِ الْمَلِكِ أَنْ يَفْعَلَ لَنَا؟» ٤يَنْطِقُونَ بِكَلاَمٍ لَغْوٍ وَيُبْرِمُونَ عُهُوداً بِأَقْسَامٍ بَاطِلَةٍ، فَيَحُلُّ بِهِمِ الْقَضَاءُ كَأَعْشَابٍ سَامَّةٍ نَبَتَتْ فِي أَرْضٍ مَحْرُوثَةٍ. ٥يَخْشَى أَهْلُ السَّامِرَةِ عَلَى عِجْلِ بَيْتِ آوَنَ، لأَنَّ شَعْبَهُ يُعْوِلُونَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ كَهَنَتُهُ الْخَوَنَةُ الَّذِينَ ابْتَهَجُوا بِبَهَائِهِ الَّذِي سُلِبَ مِنْهُ. ٦سَيُحْمَلُ هَذَا الْعِجْلُ إِلَى أَشُّورَ هَدِيَّةً لِلْمَلِكِ الْعَظِيمِ، فَيَخْزَى أَفْرَايِمُ وَيَعْتَرِي إِسْرَائِيلَ الْخَجَلُ مِنِ اتِّكَالِهِ عَلَيْهِ. ٧يَهْلِكُ مَلِكُ السَّامِرَةِ كَقَشَّةٍ عَائِمَةٍ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. ٨وَتُدَمَّرُ أَمَاكِنُ الْعِبَادَةِ عَلَى مَشَارِفِ آوَنَ الَّتِي أَضْحَتْ خَطِيئَةَ إِسْرَائِيلَ، وَيَنْمُو الشَّوْكُ وَالْحَسَكُ عَلَى مَذَابِحِهِمْ، فَيَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: غَطِّينَا، وَلِلتِّلاَلِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا. (هوشع ١٠)

وقال الربُّ على لسان هوشع: إن إسرائيل قد أخطأت باستمرارها في الإثم، وأنها لم تتعِظ بما حصل لسبط بنيامين في جبعة (قتل بنو إسرائيل خمسة وعشرين ألفا من مقاتلي سبط بنيامين علاوة على المسالمين منهم). وقال الربُّ أن إسرائيل لمّا كانت قد زرعت شرّا، فسوف تحصُد إثما، وسوف يُدمِّر العدوُّ جميع حصونها مثلما فعل شلمناصر ملك آشور بيهوذا. وقال الربُّ: إن ذلك سيكون مباغتا وحاسما؛ فلا يستطيعون دفعه عن أنفسهم: ٩لَقَدْ أَخْطَأْتَ يَاإِسْرَائِيلُ مُنْذُ أَيَّامِ جِبْعَةَ وَلَمْ تَكُفَّ عَنِ ارْتِكَابِ الإِثْمِ، أَلَمْ تُدْرِكْهُمُ الْحَرْبُ فِي جِبْعَةَ؟ ١٠فَأُعَاقِبُهُمْ عِنْدَمَا أَشَاءُ، إِذْ تَتَأَلَّبُ عَلَيْهِمْ أُمَمٌ وَتُصَفِّدُهُمْ بِالأَغْلاَلِ مِنْ جَرَّاءِ إِثْمِهِمِ الْمُتَكَاثِرِ. ١١كَانَ أَفْرَايِمُ كَعِجْلَةٍ مُرَوَّضَةٍ تُحِبُّ أَنْ تَدُوسَ الْحِنْطَةَ، وَلَكِنِّي سَأَضَعُ نِيراً عَلَى عُنُقِهَا الْجَمِيلِ الَّذِي حَافَظَتْ عَلَى سَلاَمَتِهِ، وَأَدْفَعُهَا إِلَى الْعَمَلِ الشَّاقِ، وَيَحْرُثُ يَهُوذَا وَيُمَهِّدُ إِسْرَائِيلُ الأَرْضَ. ١٢ازْرَعُوا لأَنْفُسِكُمْ بِذَارَ الْبِرِّ، فَتَحْصُدُوا بِمُقْتَضَاهُ ثِمَارَ الرَّحْمَةِ، احْرُثُوا

لَكُمْ حَزَناً لأَنَّ هَذَا أَوَانُ الْتِمَاسِ الرَّبِّ، حَتَّى يَأْتِيَ وَيُمْطِرَ عَلَيْكُمْ غُيُوثَ صَلاَحِهِ. ١٣ لَكِنَّكُمْ
زَرَعْتُمُ الشَّرَّ فَحَصَدْتُمُ الإِثْمَ، وَأَكَلْتُمْ ثِمَارَ الْكَذِبِ لأَنَّكُمُ اتَّكَلْتُمْ عَلَى مَرْكَبَاتِكُمْ وَعَلَى كَثْرَةِ
مُحَارِبِيكُمُ الْجَبَابِرَةِ. ١٤ لِذَلِكَ يُدَوِّي زَئِيرُ الْمَعْرَكَةِ بَيْنَ شَعْبِكَ، وَتُدَمَّرُ جَمِيعُ حُصُونِكَ كَمَا دَمَّرَ
شَلْمَانُ بَيْتَ أَرْبِئِيلَ فِي يَوْمِ الْقِتَالِ إِذْ أَصْبَحَتِ الأُمُّ مَعَ أَوْلاَدِهَا حُطَاماً. ١٥ هَذَا مَا يَجْرِي
عَلَيْكُمْ يَابَيْتَ إِسْرَائِيلَ عِقَاباً لَكُمْ عَلَى إِثْمِكُمُ الْعَظِيمِ، وَيَتِمُّ الْقَضَاءُ عَلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ عِنْدَ
انْبِلاَجِ الْفَجْرِ. (هوشع ١٠)

وقال الربُّ على لسان عاموس: إنه بسبب معاصي شعب إسرائيل التي لا تُحصى؛ بأن ضيّع القضاةُ الحقوق على أصحابها مقابل الرشوة، ولم يرحم القويُّ فيهم الضعيف، وانغمسوا في الزنا صغيرُهم وكبيرُهم، ولم يتّعظوا بما أجريته معهم من أمور عظيمة؛ بأن نصرتُهم على الأموريّين الذين كانوا أكثر منهم قوّة وأشدَّ بأسا، وأخرجتُهم من ديار العبودية في مصر، وكنتُ دليلَهم عبر الصحراء لمدة أربعين سنة. وقال الربُّ لأنهم لم يتّعظوا من كل ذلك، ولأنهم كذّبوا الأنبياء والمنذرين؛ فإنني أنا الربُّ سوف أسلّط عليهم عدوّا يسحقهم سحقا لا مهرب منه حتى لذوي البأس والقُوّة منهم: ٦ هَذَا مَا
يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ مَعَاصِي إِسْرَائِيلَ الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهُمْ سَخَطِي، لأَنَّهُمْ
بَاعُوا الصِّدِّيقَ لِقَاءَ الْفِضَّةِ، وَالْبَائِسَ مُقَابِلَ نَعْلَيْنِ. ٧ الَّذِينَ يَسْحَقُونَ رَأْسَ الْمِسْكِينِ فِي
التُّرَابِ، وَيَجُورُونَ عَلَى الْبَائِسِينَ، وَيُعَاشِرُ الرَّجُلُ وَابْنُهُ امْرَأَةً وَاحِدَةً، فَيَتَدَنَّسُ بِذَلِكَ
اسْمِي الْمُقَدَّسُ. ٨ يَرْقُدُونَ إِلَى جُوَارِ الْمَذْبَحِ فَوْقَ ثِيَابٍ مَرْهُونَةٍ، وَيَشْرَبُونَ فِي هَيْكَلِ إِلَهِهِمْ
خَمْرَ الْمُغَرَّمِينَ. ٩ مَعَ أَنِّي أَهْلَكْتُ مِنْ أَمَامِهِمِ الأَمُورِيِّينَ ذَوِي الْقَامَاتِ الطَّوِيلَةِ كَأَشْجَارِ
الأَرْزِ، الأَقْوِيَاءَ كَأَشْجَارِ الْبَلُّوطِ، أَتْلَفْتُ أَثْمَارَهُمْ عَلَى أَغْصَانِهَا، وَجُذُورَ أَشْجَارِهِمْ مِنْ
تَحْتِ الأَرْضِ. ١٠ كَمَا أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ وَقُدْتُ طَرِيقَكُمْ عَبْرَ الصَّحْرَاءِ طَوَالَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً لِتَرِثُوا أَرْضَ الأَمُورِيِّينَ. ١١ وَأَقَمْتُ مِنْ بَيْنِ أَبْنَائِكُمْ أَنْبِيَاءَ وَمِنْ فِتْيَانِكُمْ
نَذِيرِينَ. أَلَيْسَ هَذَا صَحِيحاً يَاأَبْنَاءَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ ١٢ وَلَكِنَّكُمْ سَقَيْتُمُ النَّذِيرِينَ
خَمْراً، وَأَمَرْتُمُ الأَنْبِيَاءَ قَائِلِينَ: لاَ تَتَنَبَّأُوا. ١٣ هَأَنَذَا أَسْحَقُكُمْ فِي مَوَاضِعِكُمْ فَتَئِنُّونَ كَمَا تَئِنُّ
عَرَبَةٌ تَحْتَ وَطْأَةِ ثِقْلِ أَكْدَاسِهَا. ١٤ فَلاَ يُتَاحُ الْهَرَبُ لِلسَّرِيعِ، وَتَتَلاشَى قُوَّةُ الْجَبَّارِ، وَيَعْجَزُ
الْقَوِيُّ عَنْ إِنْقَاذِ نَفْسِهِ. ١٥ وَلاَ يَصْمُدُ رَامِي الْقَوْسِ وَلاَ يُصِيبُ الْهَدَفَ، وَلاَ يَسْلَمُ سَرِيعُ

الْعَدْوِ، وَلاَ يَنْجُو رَاكِبُ الْفَرَسِ بِحَيَاتِهِ. ١٦وَالثَّابِتُ الْجَنَانِ بَيْنَ أَقْرَانِهِ الأَبْطَالِ يَفِرُّ عُرْيَاناً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ. (عاموس ٢)

نادى الربُّ (بواسطة عاموس) على جيران مملكة إسرائيل بأن يشهدوا على ظلمهم لضعفائهم، واكتنازهم للذهب والفضة نهْبا من هؤلاء المساكين، وركونهم إلى حياة البذخ واللهو، وابتعادهم عن كلِّ طرق الربِّ التي شرعها لهم. وقال الربُّ: إنه سوف يُسلِّط عليهم عدوّا لن ينجُ من بطشه سوى القِلّة المؤمنة منهم، وأنه سوف يُدمِّر معابدهم التي عكفوا فيها على عبادة آلهة الوثنيين، وأنه سوف يدمِّر بيوتهم وقصورهم التي بنوها وزينوها بمال حرام: ٩أَذِيعُوا فِي حُصُونِ أَشْدُودَ وَفِي حُصُونِ دِيَارِ مِصْرَ وَقُولُوا: احْتَشِدُوا عَلَى جِبَالِ السَّامِرَةِ، وَاشْهَدُوا مَا فِي وَسَطِهَا مِنْ جَلَبَةٍ، وَانْظُرُوا إِلَى الْمَظْلُومِينَ فِي دَاخِلِهَا. ١٠فَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْجَوْرَ وَالنَّهْبَ فِي قُصُورِهِمْ لاَ يَعْرِفُونَ التَّصَرُّفَ بِاسْتِقَامَةٍ، يَقُولُ الرَّبُّ. ١١لِذَلِكَ يُعْلِنُ الرَّبُّ الإِلَهُ: سَيَجْتَاحُ الْعَدُوُّ الْبِلاَدَ، وَيُحِيلُ حُصُونَكُمْ حُطَاماً وَيَنْهَبُ قُصُورَكُمْ. ١٢هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: كَمَا يَعْجَزُ الرَّاعِي أَنْ يَنْتَزِعَ مِنْ فَمِ الأَسَدِ سِوَى رِجْلَيْ حَمَلٍ، أَوْ قُطْعَةً مِنْ أُذُنٍ، هَكَذَا لَنْ يَنْجُوَ سِوَى الْقَلِيلِ مِنْ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ الْمُقِيمِينَ فِي السَّامِرَةِ، الْمُتَّكِئِينَ عَلَى الأَرَائِكِ الْوَثِيرَةِ وَالأَسِرَّةِ النَّاعِمَةِ. ١٣اسْمَعُوا وَاشْهَدُوا عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَدِيرُ. ١٤فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي أُعَاقِبُ فِيهِ إِسْرَائِيلَ عَلَى تَعَدِّيَاتِهِ، أَهْدِمُ أَيْضاً مَذَابِحَ بَيْتِ إِيلَ، وَتُقْطَعُ قُرُونُ الْمَذْبَحِ وَتَتَهَاوَى عَلَى الأَرْضِ. ١٥وَأُدَمِّرُ الْبُيُوتَ الَّتِي يَأْوُونَ إِلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ، وَبُيُوتَ الْمُنْتَجَعَاتِ الصَّيْفِيَّةِ، وَتَنْدَكُّ بُيُوتُ الْعَاجِ وَتَزُولُ مِنَ الْوُجُودِ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ، يَقُولُ الرَّبُّ. (عاموس ٣)

وخصَّ الربُّ بوعيده نساء بني إسرائيل لأنَّهنّ كُنّ يدفعن أزواجَهُنّ إلى أن يأتين لهُنّ بكلِّ ما يُشْبِعُ نهمهُنّ إلى الرفاهيّة واللهو، وتوعدهُنّ بأن ينالهُنّ من العدوِّ أشدّ أنواع الأذى والذلِّ والهوان: اسْمَعِي هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَانِسَاءَ بَاشَانَ، اللَّوَاتِي يُقِمْنَ فِي جَبَلِ السَّامِرَةِ، مِمَّنْ يَظْلِمْنَ الْمِسْكِينَ وَيَسْحَقْنَ الْفُقَرَاءَ وَاللَّوَاتِي يَقُلْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ: هَاتُوا مُسْكِراً لِنَشْرَبَ. ٢قَدْ أَقْسَمَ السَّيِّدُ الرَّبُّ بِقَدَاسَتِهِ قَائِلاً: هَا أَيَّامٌ تُقْبِلُ عَلَيْكُنَّ، يَجُرُّكُنَّ فِيهَا الْعَدُوُّ بِالْكَلاَلِيبِ وَذُرِّيَّتَكُنَّ بِشُصُوصِ السَّمَكِ. ٣وَتَخْرُجُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ مِنْ شَقٍّ، زَاحِفَةً عَلَى وَجْهِهَا، وَتُطْرَدْنَ إِلَى هَرْمُونَ، يَقُولُ الرَّبُّ. (عاموس ٤)

وقال الربُّ على لسان عاموس عن بني إسرائيل: إن عدوَّهم سوف يحطِّم معابدهم على رءوسهم، وإنه لن ينجُ أحد منهم من الهلاك على يد عدوِّهم الذي سوف يجتاح ديارهم. وأن من ينجُ منهم من الهلاك سوف يُساق إلى الأسْر ذليلا، وأن الربَّ سوف يتعقّبُهم حتى في موطن أسرهم فيبتليهم بجميع أنواع الشرور. وقال الربُّ أنه لن يستأصلهم جميعا، بل سيُبْقي على بقيّة منهم تكون قد نجحت في الاختبار ولم يتزعزع إيمانها، ويقضي على هؤلاء الذين تمكّنت الشرور من نفوسهم: وَرَأَيْتُ السَّيِّدَ وَاقِفاً إِلَى جُوَارِ الْمَذْبَحِ قَائِلاً: «اضْرِبْ
تِيجَانَ الأَعْمِدَةِ حَتَّى تَهْتَزَّ الْعَتَبَاتُ، وَحَطِّمْهَا عَلَى رُؤُوسِ جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَمَنْ يَنْجُو مِنْهُمْ
أُهْلِكُهُ بِالسَّيْفِ، فَلاَ يَهْرُبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ نَاجٍ. ٢وَإِنْ نَقَبُوا لأَنْفُسِهِمْ مَلْجَأً فِي
أَعْمَاقِ الْهَاوِيَةِ، فَإِنَّ يَدِي تَطُولُهُمْ هُنَاكَ، وَإِنِ ارْتَقَوْا إِلَى السَّمَاوَاتِ فَمِنْ هُنَاكَ أُنْزِلُهُمْ. ٣وَإِنِ
اخْتَبَأُوا فِي أَعَالِي الْكَرْمَلِ فَهُنَاكَ أَبْحَثُ عَنْهُمْ وَأَعْتَقِلُهُمْ. وَإِنْ تَوَارَوْا عَنِّي فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ فَإِنِّي
آمُرُ هُنَاكَ الْحَيَّةَ فَتَلْدَغُهُمْ. ٤وَإِنْ سِيقُوا إِلَى السَّبْيِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ أُلاَحِقُهُمْ بِالسَّيْفِ لأُفْنِيَهُمْ،
وَأَتَعَقَّبُهُمْ لأَبْتَلِيَهُمْ بِالشَّرِّ لاَ بِالْخَيْرِ»..... ٨هَا إِنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ مُسَلَّطَتَانِ عَلَى الْمَمْلَكَةِ الْخَاطِئَةِ
لأَمْحُوَهَا عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، إِلاَّ أَنِّي لَنْ أَسْتَأْصِلَ بَيْتَ يَعْقُوبَ قَاطِبَةً يَقُولُ الرَّبُّ. ٩أُغَرْبِلُ
بَيْتَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ جَمِيعِ الأُمَمِ كَمَا تُغَرْبَلُ الْحِنْطَةُ فِي غُرْبَالٍ، فَلاَ تَسْقُطُ حَبَّةٌ عَلَى الأَرْضِ.
١٠وَيَمُوتُ جَمِيعُ خُطَاةِ شَعْبِي بِالسَّيْفِ مِمَّنْ يَقُولُونَ: لَنْ يُدْرِكَنَا الشَّرُّ أَوْ يَلْقَانَا. (عاموس
٩)

يشتكي حَبَقُّوقَ من فساد بني إسرائيل، وإبطالهم العمل بالشريعة؛ مما أدّى إلى تفشِّي الظُّلْم بينهم، والنزاعات التي ينتصر فيها القوي على الضعيف؛ فيُخبره الربُّ بأنه سوف يُرسل عليهم الكلدانيين بجحافل جيوشهم؛ خيولُهم أسرع من النمور، وفرسانُهم أكثر ضراوة من الذئاب؛ فيخرِّبون الديار، ويأخذون الشعب سبايا، ويستعبدون ملوكهم: هَذِهِ
رُؤْيَا حَبَقُّوقَ النَّبِيِّ: ٢إِلَى مَتَى يَارَبُّ أَسْتَغِيثُ وَأَنْتَ لاَ تَسْتَجِيبُ؟ وَأَصْرُخُ إِلَيْكَ مُسْتَجِيراً
مِنَ الظُّلْمِ وَأَنْتَ لاَ تُخَلِّصُ؟ ٣لِمَاذَا تُرِينِي الإِثْمَ، وَتَتَحَمَّلُ رُؤْيَةَ الظُّلْمِ؟ أَيْنَمَا تَلَفَّتُّ أَشْهَدُ
أَمَامِي جَوْراً وَاغْتِصَاباً، وَيَثُورُ حَوْلِي خِصَامٌ وَنِزَاعٌ. ٤لِذَلِكَ بَطَلَتِ الشَّرِيعَةُ، وَبَادَ الْعَدْلُ لأَنَّ
الأَشْرَارَ يُحَاصِرُونَ الصِّدِّيقَ فَيَصْدُرُ الْحُكْمُ مُنْحَرِفاً عَنِ الْحَقِّ...... ٦فَهَا أَنَا أُثِيرُ الْكَلْدَانِيِّينَ،
هَذِهِ الأُمَّةَ الْحَانِقَةَ الْمُنْدَفِعَةَ الزَّاحِفَةَ فِي رِحَابِ الأَرْضِ، لِتَسْتَوْلِيَ عَلَى مَسَاكِنَ لَيْسَتْ لَهَا.....

٨خُيُولُهَا أَسْرَعُ مِنَ النُّمُورِ، وَأَكْثَرُ ضَرَاوَةً مِنْ ذِئَابِ الْمَسَاءِ..... ٩يُقْبِلُونَ جَمِيعُهُمْ لِيَعِيثُوا فَسَاداً، وَيَطْغَى الرُّعْبُ مِنْهُمْ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ قَبْلَ وُصُولِهِمْ، فَيَجْمَعُونَ أَسْرَى كَالرَّمْلِ. ١٠يَهْزَأُونَ بِالْمُلُوكِ وَيَعْبَثُونَ بِالْحُكَّامِ..... (حبقوق ١)

أمر الربُّ حزقيال أن يتوجّه لشعب إسرائيل ويُنبئهم أنه سوف يُسلّط عليهم من يقتلهم بالسيوف؛ فتتناثر أجسادُهم أمام أصنامهم، ويهدم مذابحهم التي يحرقون عليها البخور لأوثانهم، ويذري عظامهم حولها، ويحوّل مدنهم إلى أطلال، ومعابدهم إلى خرائب. ويقول الربُّ أنه سوف يُنجي بقية منهم ليتشتتوا بين الأمم فيتذكّرون ما فعله بهم، ويعلمون أن ذلك كان بسبب فسادهم، وأنه كان جزاء ما ارتكبوه من شرور وأرجاس؛ فيتّعظون ممّا حدث لهم. ويقول الربُّ أنه قد حكم عليهم جميعا بالموت؛ فبعضُهم يموت بالسيف، وبعضُهم بالجوع، وبعضُهم يحْصُدْه الوباء: وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ، الْتَفِتْ بِوَجْهِكَ نَحْوَ جِبَالِ إِسْرَائِيلَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهَا، ٣وَقُلْ: يَاجِبَالَ إِسْرَائِيلَ أَصْغِي إِلَى كَلِمَةِ السَّيِّدِ الرَّبِّ الَّذِي يَقُولُ لِلْجِبَالِ وَالتِّلاَلِ وَالأَنْهَارِ وَالأَوْدِيَةِ: هَا أَنَا أَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفاً وَأَهْدِمُ مُرْتَفَعَاتِكُمْ، ٤فَتُصْبِحُ مَذَابِحُكُمْ أَطْلاَلاً، وَتَتَحَطَّمُ مَذَابِحُ بَخُورِكُمْ وَأَطْرَحُ قَتْلاَكُمْ أَمَامَ أَصْنَامِكُمْ، ٥وَأُلْقِي جُثَثَ أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ أَمَامَ أَوْثَانِهِمْ، وَأُذَرِّي عِظَامَكُمْ حَوْلَ مَذَابِحِكُمْ. ٦وَحَيْثُمَا تُقِيمُونَ تَتَحَوَّلُ مُدُنُكُمْ إِلَى أَطْلاَلٍ، وَمُرْتَفَعَاتُ عِبَادَتِكُمْ إِلَى خَرَائِبَ، وَأَصْنَامُكُمْ إِلَى حُطَامٍ وَدَمَارٍ، وَمَذَابِحُ بَخُورِكُمْ إِلَى أَنْقَاضٍ، وَأَعْمَالُكُمْ إِلَى فَنَاءٍ، ٧وَيَسْقُطُ الْقَتِيلُ فِي وَسَطِكُمْ، فَتُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. ٨وَأَعْفُو عَنْ بَقِيَّةٍ مِنْكُمْ لِيَكُونَ لَكُمْ نَاجُونَ مِنَ السَّيْفِ يَتَشَتَّتُونَ بَيْنَ الأُمَمِ، إِذْ تَتَبَدَّدُونَ فِي كُلِّ الأَرْضِ. ٩عِنْدَئِذٍ يَذْكُرُنِي النَّاجُونَ مِنْكُمْ، الْمُشَتَّتُونَ بَيْنَ الأُمَمِ الَّتِي سَبَيْتُهُمْ إِلَيْهَا، لأَنِّي سَحَقْتُ قُلُوبَهُمُ الزَّانِيَةَ الَّتِي ضَلَّتْ عَنِّي، وَعُيُونَهُمُ الَّتِي زَاغَتْ وَرَاءَ أَصْنَامِهِمْ، فَيَعَافُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ جَرَّاءِ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ شُرُورٍ، وَمِنْ أَجْلِ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ أَرْجَاسٍ، ١٠فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، لَمْ أَتَكَلَّمْ عَبَثاً حِينَ تَوَعَّدْتُهُمْ بِهَذَا الشَّرِّ». ١١وَهَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: «صَفِّقْ بِيَدَيْكَ، وَاخْبِطْ بِرِجْلِكَ قَائِلاً: آهِ مِنْ كُلِّ رَجَاسَاتِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ الشِّرِّيرَةِ، فَإِنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ. ١٢يَمُوتُ الْبَعِيدُ بِالْوَبَاءِ، وَالْقَرِيبُ يَصْرَعُهُ السَّيْفُ، وَالْبَاقِي مِنْهُمْ وَالْمُحَاصَرُ تَقْضِي عَلَيْهِمِ الْمَجَاعَةُ. وَهَكَذَا أَنْفُثُ فِيهِمْ حَنَقِي. ١٣عِنْدَئِذٍ تُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ،..... (حزقيال ٦)

أوحى الربُّ إلى حزقيال أن نهاية إسرائيل قد أوشكت بسبب فسادهم وخطاياهم، وأن غضبه عليهم آت، وأنه لن يرأف لحالهم، أو يعفو عن أحد منهم؛ حتى يعرفون أنه لم يغفر لهم ظُلْمهم وطغيانهم. ويقول الربُّ: إنه سوف يُسلِّط عليهم الأعداء من الخارج، والوباء والجوع من الداخل، ومن يفِرّون منهم إلى الجبال فسوف يعيشون حياة ندم وحسرة على ما ارتكبوه من آثام. وقال: إن الجميع سوف يكونون في حالة رعب وإعياء، ولا يجدون ما يشترونه لسد حاجاتهم من ملبس ومأكل؛ وذلك جزاء لهم على تدنيس هيكل الرب بأصنام صنعوها من ذهب وفضة. من أجل ذلك سوف يُسْلمهم لأيدي الغرباء؛ ينهبون أموالهم، ويدنِّسون الهيكل: وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ قَائِلاً: ٢ «يَاابْنَ آدَمَ، هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ لأَرْضِ إِسْرَائِيلَ. النِّهَايَةُ قَدْ أَزِفَتْ عَلَى زَوَايَا الأَرْضِ الأَرْبَعِ. ٣قَدْ أَقْبَلَتِ النِّهَايَةُ عَلَيْكِ، فَأُطْلِقُ غَضَبِي عَلَيْكِ وَأَدِينُكِ بِمُقْتَضَى طُرُقِكِ، وَأُجَازِيكِ عَلَى كُلِّ رَجَاسَاتِكِ يَاأَرْضَ إِسْرَائِيلَ، ٤فَلاَ تَتَرَأَّفُ عَلَيْكِ عَيْنِي، وَلاَ أَعْفُو، بَلْ أُجَازِيكِ بِمُقْتَضَى طُرُقِكِ، وَتَكُونُ رَجَاسَاتُكِ فِي وَسَطِكِ. عِنْدَئِذٍ تُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ».... ١٠هَا هُوَ الْيَوْمُ قَدْ أَقْبَلَ! قَدْ أَزِفَ الْقَضَاءُ وَأَزْهَرَ الظُّلْمُ وَأَفْرَخَتِ الْكِبْرِيَاءُ ١١انْتَصَبَ الْجَوْرُ وَصَارَ عَصاً لِلشَّرِّ، لِذَلِكَ يَفْنَى الظَّالِمُونَ وَتَفْنَى ثَرْوَتُهُمْ وَضَجِيجُهُمْ وَلاَ مَنْ يَنُوحُ عَلَيْهِمْ..... ١٤قَدْ نَفَخُوا فِي الْبُوقِ، وَأَعَدُّوا كُلَّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَنْ يَذْهَبُ لِخَوْضِ الْقِتَالِ، لأَنَّ غَضَبِي مُنْصَبٌّ عَلَى جُمْهُورِهِمْ. ١٥السَّيْفُ مُسَلَّطٌ مِنْ خَارِجٍ، وَالْوَبَاءُ وَالْجُوعُ مِنْ دَاخِلٍ. وَالَّذِي فِي الصَّحْرَاءِ يَقْضِي عَلَيْهِ السَّيْفُ، وَمَنْ فِي الْمَدِينَةِ يَفْتَرِسُهُ الْجُوعُ وَالْوَبَاءُ. ١٦أَمَّا النَّاجُونَ مِنْهُمْ فَيَلُوذُونَ بِالْجِبَالِ كَحَمَامِ الأَوْدِيَةِ، يَبْكِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى إِثْمِهِ..... ٢٠حَوَّلُوا جَمَالَ زِينَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ إِلَى زَهْوٍ، وَصَنَعُوا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ تَمَاثِيلَ أَرْجَاسِهِمْ وَأَصْنَامِهِمِ الْمَكْرُوهَةِ، لِذَلِكَ جَعَلْتُهَا رَجَاسَةً لَهُمْ. ٢١أُسْلِمُهَا إِلَى أَيْدِي الْغُرَبَاءِ نَهْباً، وَلأَشْرَارِ الأَرْضِ سَلْباً فَيُنَجِّسُونَهَا. ٢٢وَأُشِيحُ بِوَجْهِي عَنْهُمْ فَيُدَنِّسُونَ هَيْكَلِي، وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ النَّاهِبُونَ وَيُنَجِّسُونَهُ. (حزقيال ٧)

وأمر الربُّ حزقيال أن يصنع للشعب سلسلة (إشارة إلى وقوعهم في السبي) لأنه سوف يُسلِّط عليهم أكثر الأمم شرًّا؛ جزاء سفكهم لدماء الأبرياء، وعدم إنصافهم للضعفاء. وعندئذ لن تنفعهم نصيحة كاهن ولا مشورة حكيم من حكمائهم، وسوف ينوح مِلِكُهم على حاله، وييأس قوّاده من تقديم أي عون له: ٢٣اصْنَعِ السِّلْسِلَةَ لِشَعْبِي لأَنَّ

الأَرْضَ قَدْ عَمَّهَا سَفْكُ الدِّمَاءِ، وَسَادَ الْمَدِينَةَ الْجَوْرُ. ٢٤لِذَلِكَ، أَجْلِبُ أَشَرَّ الأُمَمِ فَيَرِثُونَ
بُيُوتَهُمْ، وَأَقْضِي عَلَى كِبْرِيَاءِ الأَقْوِيَاءِ فَتَتَنَجَّسُ مَقَادِسُهُمْ. ٢٥وَعِنْدَمَا يُقْبِلُ الرُّعْبُ يَلْتَمِسُونَ
السَّلاَمَ فَلاَ يَجِدُونَهُ، ٢٦وَتَتَوَالَى بَلِيَّةٌ فَوْقَ بَلِيَّةٍ، وَتَرُوجُ إِشَاعَةٌ تِلْوَ إِشَاعَةٍ، فَيَطْلُبُونَ رُؤْيَا مِنَ
النَّبِيِّ. غَيْرَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ تَنْصَرِفُ عَنِ الْكَاهِنِ وَالْمَشُورَةُ عَنِ الشُّيُوخِ. ٢٧يَنُوحُ الْمَلِكُ وَيَتَلَفَّعُ
الرَّئِيسُ بِالْقُنُوطِ، وَتَرْتَجِفُ أَيْدِي الشَّعْبِ. أُعَامِلُهُمْ بِمُقْتَضَى تَصَرُّفَاتِهِمْ، وَأَدِينُهُمْ بِمُوْجِبِ
أَحْكَامِهِمْ فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». (حزقيال ٧)

نبوءات ضد يهوذا وإسرائيل

أوْحَى الربُّ إلى ميخا أنه بسبب خطايا أهل السامرة (مملكة إسرائيل) وأورشليم (مملكة يهوذا) وعبادتهم للأوثان، فإن الربَّ سوف يسلِّط عليهما من يدمِّر مبانيهما، ويحطِّم أصنامهما، ويحرِّق كل عائدات معابدهما التي تُمارس فيها العباداتُ الوثنيّة؛ التي تعتمد الزنا طقسا من طقوسها، ويُدمِّر جميع التماثيل والأصنام، ويجعل كل ثروات معابدهما غنيمة لعدوِّهما الذي لا تختلف عبادته عن تلك العبادات الوثنيّة التي يمارسونها: هَذِهِ كَلِمَةُ الرَّبِّ
الَّتِي أَوْحَى بِهَا إِلَى مِيخَا الْمُورَشْتِيِّ فِي أَثْنَاءِ حُكْمِ يُوثَامَ وَآحَازَ وَحَزَقِيَّا مُلُوكِ يَهُوذَا، بِشَأْنِ
السَّامِرَةِ وَأُورُشَلِيمَ. ٢اسْمَعُوا يَاجَمِيعَ الشُّعُوبِ، وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ وَكُلُّ مَنْ فِيهَا،
وَلْيَكُنِ السَّيِّدُ الرَّبُّ مِنْ هَيْكَلِهِ الْمُقَدَّسِ شَاهِداً عَلَيْكُمْ. ٣انْظُرُوا: هَا هُوَ الرَّبُّ خَارِجٌ مِنْ
مَقَرِّ سُكْنَاهُ. هُوَذَا يَنْزِلُ لِيَطَأَ مَشَارِفَ الأَرْضِ، ٤فَتَذُوبُ الْجِبَالُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، وَتَتَصَدَّعُ
الْوِدْيَانُ كَالشَّمْعِ أَمَامَ النَّارِ، كَالْمِيَاهِ الْمُنْصَبَّةِ فِي الْمُنْخَفَضَاتِ. ٥مِنْ أَجْلِ آثَامِ يَعْقُوبَ وَمِنْ
أَجْلِ خَطَايَا بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. فَمَا هُوَ ذَنْبُ يَعْقُوبَ؟ أَلَيْسَ هُوَ أَصْنَامَ السَّامِرَةِ؟ وَمَا هِيَ
خَطِيئَةُ يَهُوذَا؟ أَلَيْسَتْ هِيَ أَوْثَانَ أُورُشَلِيمَ؟ ٦لِذَلِكَ سَأَجْعَلُ السَّامِرَةَ كَوْمَةَ حِجَارَةٍ فِي
الْحَقْلِ وَمَغْرَساً لِلْكُرُومِ، وَأَقْذِفُ بِحِجَارَتِهَا إِلَى الْوَادِي، وَأُعَرِّي أَسَاسَاتِهَا. ٧فَتَتَحَطَّمُ كُلُّ
أَصْنَامِهَا، وَتُحْرَقُ كُلُّ تَقْدِمَاتِ زِنَاهَا بِالنَّارِ، وَأُدَمِّرُ جَمِيعَ تَمَاثِيلِهَا لأَنَّهَا جَمَعَتْهَا مِنْ أُجْرَةِ زَانِيَةٍ،
وَإِلَى زَانِيَةٍ يَكُونُ مَآلُهَا. (ميخا ١)

أمر الربُّ حزقيال أن يعمل نُصُبا يمثِّل مدينة أورشليم بأبراجها والسور الذي بُني لحمايتها وحولها ما يشبه جنود الأعداء وهم يحاصرونها. وأمره أن يتّكِئ على جنبه الأيسر

مدة ٣٩٠ يوما (إشارة إلى حصار مملكة إسرائيل هذه الفترة)، وعلى جنبه الأيمن مدة ٤٠ يوما (إشارة إلى حصار مملكة يهوذا هذه الفترة). واليوم يقابله سنة إشارة إلى خراب مملكة إسرائيل بعد ٣٩٠ سنة، ومملكة يهوذا بعد ٤٠ سنة: أَمَّا أَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ فَخُذْ لِنَفْسِكَ لِبْنَةً وَابْسُطْهَا أَمَامَكَ وَارْسُمْ عَلَيْهَا مَدِينَةَ أُورُشَلِيمَ، ٢وَأَقِمْ عَلَيْهَا حِصَاراً، وَابْنِ بُرْجاً، وَانْصِبْ عَلَيْهَا مِتْرَاساً، وَطَوِّقْهَا بِالْجُيُوشِ، وَأَحِطْهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِالْمَجَانِيقِ، ٣ثُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ صَاجاً مِنْ حَدِيدٍ وَاجْعَلْهُ سُوراً مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، وَثَبِّتْ وَجْهَكَ عَلَيْهَا فَتُصْبِحَ مُحَاصَرَةً وَأَنْتَ تُحَاصِرُهَا، فَتَكُونَ هَذِهِ عَلاَمَةً لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ. ٤أَمَّا أَنْتَ فَاتَّكِيءْ عَلَى جَانِبِكَ الأَيْسَرِ، وَضَعْ عَلَيْهِ إِثْمَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، إِذْ أَنَّكَ تَحْمِلُ إِثْمَهُمْ عَلَى حَسَبِ عَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَتَّكِيءُ فِيهَا عَلَيْهِ. ٥فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ عَدَدَ أَيَّامٍ كَعَدَدِ سَنَوَاتِ إِثْمِهِمْ: ثَلاَثَ مِئَةٍ وَتِسْعِينَ يَوْماً. فَتَحْمِلُ عِبْءَ إِثْمِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ. ٦وَحَالَمَا تُكْمِلُهَا عُدْ فَاتَّكِيءْ عَلَى جَانِبِكَ الأَيْمَنِ، وَاحْمِلْ إِثْمَ شَعْبِ يَهُوذَا أَرْبَعِينَ يَوْماً. إِذْ جَعَلْتُ كُلَّ يَوْمٍ مُقَابِلَ سَنَةٍ. ٧ثُمَّ ثَبِّتْ وَجْهَكَ نَحْوَ حِصَارِ أُورُشَلِيمَ بِذِرَاعٍ مَكْشُوفَةٍ، وَتَنَبَّأْ عَلَيْهَا، ٨وَهَا أَنَا أُوثِقُكَ بِحِبَالٍ لِئَلاَّ تَتَقَلَّبَ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ حَتَّى تَكْتَمِلَ أَيَّامُ حِصَارِكَ. (حزقيال – ٤)

كما أمر الربُّ حزقيال أن يأخذ لنفسه كمِّية من أردأ أنواع الحبوب، ويخلطها في إناء واحد، ويصنع منها طعاما؛ يأكل منه وجبة واحدة صغيرة في اليوم حتى تنتهي الفترة المحدّدة للنبوءة. وجعل الربُّ ذلك رمزا لشدّة الحصار على الشعب: ٩أَمَّا أَنْتَ فَخُذْ لِنَفْسِكَ قَمْحاً وَشَعِيراً وَفُولاً وَعَدَساً وَدُخْناً وَكَرْسَنَّةً، وَاعْجِنْهَا فِي وِعَاءٍ وَاحِدٍ، وَاصْنَعْ لِنَفْسِكَ خُبْزاً تَأْكُلُ مِنْهُ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَتِسْعِينَ يَوْماً كَعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَتَّكِيءُ فِيهَا عَلَى جَنْبِكَ. ١٠وَيَكُونُ وَزْنُ كَمِّيَّةِ الطَّعَامِ الَّتِي تَأْكُلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تُعَادِلُ عِشْرِينَ شَاقِلاً (نَحْوَ مِئَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ جْرَاماً). تَأْكُلُ وَجْبَةً وَاحِدَةً فِي الْيَوْمِ. ١١وَتَشْرَبُ الْمَاءَ بِالْكَيْلِ، فَلاَ يَزِيدُ عَنْ سُدْسِ الهِينِ (نَحْوَ ثُلْثَيْ لِتْرٍ)، تَشْرَبُ مِنْهُ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ..... (حزقيال – ٤)

كما أوحى الربُّ إلى حزقيال بقِصَّة امرأتين واحدة تُسمّى (أهولة) كناية عن مملكة إسرائيل، والثانية تسمى (أهوليبة) كناية عن مملكة يهوذا، وأنّهما مارستا الزنا (انحرفتا عن طريق الرب)، وأن انحرافهما لم يكن وليد اليوم بل بدأ منذ كان بنو إسرائيل في مصر؛ فقد كانوا يعملون ما يعمله الوثنيّون من عبادة للأصنام وفسق وفجور، ولم يتوقّفوا عن ذلك

حتى الآن. من أجل ذلك يقول الربُّ: إنه سوف يثير على أورشليم (عاصمة يهوذا) البابليين والآشوريين بجنود أشِدّاء وفرسان وخيل وأسلحة ومركبات فيقتلون رجالها، ويأسرون بناتها وصبيانها، ويحرقون ديارها وحقولها؛ عقابا لهم على ما ارتكبوه من آثام: وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ، كَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَتَانِ، ابْنَتَا أُمٍّ وَاحِدَةٍ، ٣زَنَتَا فِي صِبَاهُمَا فِي مِصْرَ..... ٤اسْمُ الْكُبْرَى أُهُولَةُ وَاسْمُ أُخْتِهَا أُهُولِيبَةُ، وَكَانَتَا لِي وَأَنْجَبَتَا أَبْنَاءَ وَبَنَاتٍ، أَمَّا السَّامِرَةُ فَهِيَ أُهُولَةُ، وَأُورُشَلِيمُ هِيَ أُهُولِيبَةُ..... ٨وَلَمْ تَتَخَلَّ عَنْ زِنَاهَا مُنْذُ أَيَّامِ مِصْرَ..... ٩لِذَلِكَ سَلَّمْتُهَا لِيَدِ عُشَّاقِهَا أَبْنَاءِ أَشُورَ الَّذِينَ أُولِعَتْ بِهِمْ. ١٠فَفَضَحُوا عَوْرَتَهَا، وَأَسَرُوا أَبْنَاءَهَا وَبَنَاتِهَا، وَذَبَحُوهَا بِالسَّيْفِ، فَصَارَتْ عِبْرَةً لِلنِّسَاءِ وَنَفَّذُوا فِيهَا قَضَاءً. ١١وَمَعَ أَنَّ أُخْتَهَا أُهُولِيبَةَ شَهِدَتْ هَذَا، فَإِنَّهَا أَوْغَلَتْ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي عِشْقِهَا وَزِنَاهَا، ١٢إِذْ عَشِقَتْ أَبْنَاءَ أَشُّورَ مِنْ وُلاَةٍ وَقَادَةٍ الْمُرْتَدِينَ أَفْخَرَ اللِّبَاسِ،..... ١٣فَرَأَيْتُ أَنَّهَا قَدْ تَنَجَّسَتْ، وَسَلَكَتَا كِلْتَاهُمَا فِي ذَاتِ الطَّرِيقِ. ١٤غَيْرَ أَنَّ أُهُولِيبَةَ تَفَوَّقَتْ فِي زِنَاهَا،..... ٢٢لِذَلِكَ يَاأُهُولِيبَةُ، هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أُثِيرُ عَلَيْكِ عُشَّاقَكِ الَّذِينَ جَفَتْهُمْ نَفْسُكِ، وَآتِي بِهِمْ عَلَيْكِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. ٢٣أَبْنَاءَ الْبَابِلِيِّينَ، وَسَائِرَ الْكَلْدَانِيِّينَ مِنْ أَقْوَامِ فَقُودَ وَشُوعَ وَقُوعَ وَمَعَهُمْ جَمِيعُ أَبْنَاءِ أَشُورَ، شُبَّانُ شَهْوَةٍ، مِنْ وُلاَةٍ وَقَادَةٍ وَرُؤَسَاءِ مَرْكَبَاتٍ وَذَوِي الشُّهْرَةِ، وَكُلُّهُمْ فُرْسَانُ خَيْلٍ. ٢٤فَيُهَاجِمُونَكِ بِأَسْلِحَةٍ وَمَرْكَبَاتٍ وَعَرَبَاتٍ وَأَقْوَامِ شُعُوبٍ وَيُحَاصِرُونَكِ بِتُرْسٍ وَمِجَنٍّ وَخُوذَةٍ. وَأَعْهَدُ إِلَيْهِمْ بِمُقَاضَاتِكِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْكِ بِمُقْتَضَى أَحْكَامِهِمْ. ٢٥وَأَصُبُّ سَخَطِي عَلَيْكِ فَيُعَامِلُونَكِ بِغَيْظٍ. يَجْدَعُونَ أَنْفَكِ وَأُذُنَيْكِ، وَتُقْتَلُ بَقِيَّتُكِ بِالسَّيْفِ. يَأْسِرُونَ أَبْنَاءَكِ وَبَنَاتِكِ، وَتَلْتَهِمُ النَّارُ بَقِيَّتَكِ،..... ٣٠وَأُوقِعُ بِكِ هَذِهِ الأُمُورَ لأَنَّكِ ضَلَلْتِ وَرَاءَ الأُمَمِ، وَتَنَجَّسْتِ بِعِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ،..... (حزقيال ٢٣)

ويقول الربُّ: إنه بسبب فساد كل من السامرة وأورشليم وتدنيسهما لمُقدَّسات الرب، فإنه سوف يجلب عليهم أعداء أشِدّاء يسلبون وينهبون ويقتلون ويحرقون ويشيعون الرعب بينهم؛ فيكون ذلك عبرة لهم ولغيرهم: ٣٦وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «يَاابْنَ آدَمَ، أَتَدِينُ أُهُولَةَ وَأُهُولِيبَةَ؟ إِذَنْ أَطْلِعْهُمَا عَلَى مَا ارْتَكَبَتَاهُ مِنْ رِجْسٍ، ٣٧لأَنَّهُمَا قَدْ زَنَتَا وَسَفَكَتَا دِمَاءً، فَقَدْ زَنَتَا بِعِبَادَةِ أَصْنَامِهِمَا وَأَجَازَتَا أَبْنَاءَهُمَا الَّذِينَ أَنْجَبَتَاهُمْ فِي النَّارِ، لِيَكُونُوا وَقُوداً لَهَا. ٣٨وَأَثِمَتَا فِي حَقِّي إِذْ أَنَّهُمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَجَّسَتَا مُقَدَّسَاتِي وَدَنَّسَتَا أَيَّامَ سُبُوتِي..... ٤٦لأَنَّ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ

السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَجْلِبُ عَلَيْهِمَا قَوْماً مِنَ الأَعْدَاءِ، وَأُوقِعُ بِهِمَا الرُّعْبَ وَالنَّهْبَ، ٤٧ فَيَرْجُمُهُمَا
الْقَوْمُ بِالْحِجَارَةِ، وَيُمَزِّقُونَهُمَا بِالسُّيُوفِ وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَهُمَا وَبَنَاتِهِمَا، وَيُحْرِقُونَ بُيُوتَهُمَا بِالنَّارِ.
٤٨ فَأَضَعُ حَدّاً لِلرَّذِيلَةِ فِي الأَرْضِ، فَتَعْتَبِرُ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَلاَ يَرْتَكِبْنَ الْفَحْشَاءَ كَمَا فَعَلْتُمَا.
٤٩ وَتَلْقَيَانِ جَزَاءَ زِنَاكُمَا وَتَحْمِلاَنِ خَطَايَا عِبَادَةِ أَصْنَامِكُمَا، وَتُدْرِكَانِ أَنِّي أَنَا السَّيِّدُ الرَّبُّ».
(حزقيال ٢٣). وأهولة تعني (خيمتها) وتُطْلق على إسرائيل لأنها أقامت لها هيكلا مستقلاً،
وأهوليبة تعني (خيمتي) وتُطْلق على يهوذا حيث أمر الله ببناء هيكله في أورشليم.

ذكر إفساد بني إسرائيل في القرآن

قضاء الله بإفساد بني إسرائيل

يقول المولى عزّ وجلّ: إنه قد أعلن في كتابه الذي أنزله على نبيه موسى عليه السلام أن قومه سوف يعلو شأنُهم عُلُوّا عظيما، لكنّهم لن يلتزموا بما كتبه الله عليهم من توحيده وعدم الشرك به، وعمل الخيرات، والبعد عن السيئات، وأنهم سوف يرتكبون المعاصي، ويتجرءون على حرمات الله، ويفسدون في الأرض فسادا عظيما كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الإسراء)

وأخبر الله جلّ في علاه أن هذا الإفساد سوف يتكرّر منهم مرّتان؛ وسوف يكون عقابُهم في المرة الأولى أن يُرْسل عليهم قوما أشِدّاء، موفوري العدد والعُدّة، فيكتسحون ديارهم، ويخرِّبون بيوتهم وزروعهم، وينكّلوا بهم تنكيلا شديدا. ولما تنتهي فترةُ اختبارهم، يعيد الله لهم مجدهم وعِزّهم، ويجعلهم أكثر أموالا وأولادا وقوة كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الإسراء)

وجعل الله جلّ في علاه دوام مُلْكِهم في هذه المرّة مشروطا بالإحسان، وعدم مخالفة شريعته. ولما كان قد سبق في علم الله جلّ في علاه أنهم سوف يفسدون مرّة أخرى، فقد حذّرهم من ذلك، بل وأخبرهم بما سيحدُثُ لهم إن هم عادوا للإفساد؛ الذي هو ديدنُهم (متأصّل فيهم)، فقال جلّ شأنه أنه سوف يُرسل عليهم من يسومونهم (يوقعون بهم) سوء العذاب، ويهدِّمون تحصيناتهم ومساكنهم، ويطردونهم من بيت المقدس؛ كما حدث معهم في المرة السابقة. ويظلُّ هذا هو حالهم حتى تقوم الساعة؛ إذا قامت لهم قائمة فأصلحوا ولم يُفسدوا دام لهم ملكهم، وإذا أفسدوا زال عنهم ملكهم. أي أن الله جعل دوام ملكِهم مقرونا بصلاحهم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـٔۥا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟

﴿ ... مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الإسراء)

رأيان في تفسير الإفساد

ما سبق هو مُجرّد تفسير ظاهري للآيات الكريمات. أما من حيث تأويلها فإنّني سوف أعرض لرأيين يُمثّلان أقوى الآراء التي تناولت تأويل تلك الآيات، وسوف أستشهد بباحثين يُمثّلان هذين الرأيين، ومن ثُمَ أُعلن رأيي من خلال عرض رأييهما على فهمنا للآيات وقراءتنا للواقع والتاريخ. وسوف يكون تناولي لرأييهما مختصرا قدر الإمكان، وسوف أورد النصين كما هما؛ اللهم إلا بعض التعديلات الطفيفة على الصياغة التي أقوم بها من حين لآخر من أجل أن يكون النص الذي أقدّمه مستقيم المبنى والمعنى.

الرأي الأول

والرأي الذي سوف أبدأ باستعراضه هو رأي للأستاذ هشام طلبة؛ الباحث في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ولا دخل للترتيب هنا في تأييدي المبدئي لأي من الرأيين. ويستند الباحث في بحثه على كتاب «عهد موسى The Testament Of Moses» الذي يقول: إنه أعطاه لتابعه (يوشع بن نون) قبل موته وينبئ فيه بما سيحدث لليهود في العصور اللاحقة. ويقول أن الكتاب المذكور أُكْتُشِف عام ١٨٦١م في مدينة «ميلانو» الإيطالية داخل مكتبة امبروزيان «Ambrosian» وتعود مخطوطته إلى القرن السادس الميلادي.

ويقول الباحث : إنه يجب علينا تفسير نبوءة الكتاب من التوراة نفسها، وأن الخراب الأوّل الذي حدث على يد ملك من الشرق لن يعدو خراب المملكة الإسرائيلية الشمالية على يد الملك الأشوري شلمنأسر (ملوك ثاني ١٧ : من التوراة) أو خراب مملكة يهوذا الجنوبية على يد نبوخذنصر البابلي (ملوك ثاني ٢١: من التوراة)، وأن كلا الملكين من الشرق (يقصُد شرق فلسطين). ويقول أن المُرجّح جداً هو الملك البابلي، لأن تلك الحادثة أعظم وأشهر، وهي التي خُرِّب فيها الهيكل كما ذكرت النبوءة.

ويقول: أمّا الخراب الثاني فلا يمكن أن يكون إلا ذلك الذي حدث على يد قياصرة الروم (عام ٧٠م على يد القيصر طيطس) و (عام ١٣٥م على يد القيصر هادريان) وهم ملوك من الغرب (يقصد غرب فلسطين) كما ذكرت النبوءة.

ويقول: قد رأينا أن التوراة وكتب التاريخ تقول بأن الخراب الأول قد حدث على يد البابليين وأن الثاني حدث على يد الرومان، ويتعجّب من أن التوراة أطلقت لقب عبد الله على الفاتح البابلي، ويقول: إن هذا يتوافق مع وصف القرآن لهم بأنهم عباد الله ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ ...۝٥ ﴾ (الإسراء). ويرى الباحث أن ذلك يتوافق مع طلب النبي إرميا من اليهود عدم مقاومة الفاتح البابلي لأن الله هو الذي بعثه، ويقول ما المانع أن يكون «نبوخذنصر» قد خرج لحرب اليهود بأمر من الله وإن كان كافراً لتأديب اليهود. عندئذ يصحُّ إطلاق لقب عباد الله على أفراد جيشه.

ويقول الباحث عن تفسير قوله تعالى: ﴿ ...وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾ (الإسراء)، إن اليهود بعد انتصارهم على هازميهم أول مرة قد صاروا أكثر نفيراً، أي معيناً. وقد ذكرت التوراة أن اليهود قد عادوا من سبي بابل بمعونة الملك الفارسي «كورش». ويقول أن هذا يجعلنا نُرجّح تماماً التفسير القائل بأن الحدثين قد مضيا، وأن المُخرِّب الأول هم البابليون، والمُخرِّب الثاني هم الرومان.

ويقول الباحث في تفسير قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ ...۝٨ ﴾ (الإسراء)، أن الله تعالى قد يعود بخراب جديد لهم غير الخرابين المذكورين.

الرأي الثاني

والرأي الثاني هو رأي للأستاذ بسّام جَرّار في كتابه «زوال إسرائيل عام ٢٠٢٢ نبوءة أم صدف رقمية». ويخلُص المؤلِّف إلى أن الإفسادين لا يمكن أن يكونا قد حدثا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لم يكن لليهود وجود يذكر في مكّة المكرّمة أو في القدس منذ عام ١٣٥م عندما دمّر (هدريان) الروماني الهيكل الثاني، وحرث أرضه بالمحراث، وشرّد اليهود، وشتّتهم في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وحرّم عليهم العودة إلى القدس والسُّكنى فيها.

ويتعرّض المؤلّف لنشأة بني إسرائيل، فيقول: إنه بعد وفاة موسى عليه السلام دخل (يوشع بن نون) ببني إسرائيل الأرض المقدّسة التي كتب اللهُ لهم أن يدخلوها، وبذلك تحقّق الوعدُ لهم بالدخول وبإقامة مجتمع إسرائيلي. وبعد ما يقارب ١٨٧ سنة تمكّن داود عليه السلام من فتح القدس، وإقامة مملكة كما ورد في الملوك الأول. ولما توفّي الله داود خلفه ابنه سليمان، وبموت سليمان بدأ الإفساد الأول عندما انقسمت دولة النبُوّة إلى دولتين (مملكتين) متنازعتين، وانتشر الفساد، وشاعت الرذيلة. وقد زالت مملكة إسرائيل عام ٧٢٢ ق. م، وزالت مملكة يهوذا عام ٥٨٢ ق. م. وبعد فناء الدّولتين حاول الإسرائيليّون أن يعيدوا الأمجاد السّابقة فأخفقوا. أمّا نجاح بعض الثورات فلم يتعدّ الحصول على حُكم ذاتيّ، أو مُلك تحت التاج الروماني. لذلك نجد كُتب التاريخ تتواطأ على القول أن زوال مملكة يهوذا هو زوال الدولة الإسرائيلية الأولى، فلم تولد لهم دولة مرّة ثانية إلا عام ١٩٤٨م.

ويستطرِد الكاتب أنه بعد زوال المملكتين انتهت المرة الأولى، لكنّ جزءاً من اليهود عادوا إلى الأرض المقدّسة على مراحل. وبدأت عودتهم في عهد (كورش) الفارسي؛ الذي حرص على أن لا يقيم لهم دولة. ثم كان الاحتلال اليوناني عام ٣٣٣ ق. م، ثم الأنباط فالرومان الذين استمر احتلالهم للأرض المقدّسة حتى العام ٦٣٦م، أي عام فتح عمر بن الخطاب للقدس (الفتح الإسلامي).

ويستند الكاتب في تحليله هذا على تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ...﴿٦﴾ ﴾ (الإسراء)، فيقول: تُعاد الدّولة لليهود على من أزال الدولة الأولى، ولم يحصُل هذا في التاريخ إلا عام ١٩٤٨م، إذ رُدّت الكرّة لليهود على من أزال الدولة الأولى. ودليله أن الذين جاسوا في المرّة الأولى هم المصريّون والأشوريّون والكلدانيّون، أما التدمير النهائي فكان بيد الآشوريّين والكلدانيّين. ويضيف قائلا: نحبّ هنا أن يعلم القارئ أن الآشوريين والكلدانيين هم قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية إلى منطقة الفرات، ثم انساحت في البلاد، حتى سيطرت على ما يُسمّى اليوم العراق وسوريا الطبيعية. وقد أسلم معظم هؤلاء وأصبحوا من العرب المسلمين، وهذا ما حصل لأهل مصر أيضاً. أما اليونان والرومان فلم يكن لهم يد في زوال الدّولة الأولى، ولم تُردّ الكرّة لليهود عليهم، ولم يكن اليهود في يوم من الأيام أكثر نفيراً منهم. أما نجاح اليهود في الحصول على شيء من الاستقلال في العهد اليوناني

والروماني، فلا يمكن اعتباره رداً للكرّة، لأن اليونان والرومان لا علاقة لهم بالجوس الأول، ثمّ إنّ اليهود استطاعوا أن يحصلوا فقط على ما يُسمَّى اليوم بالحكم الذاتي لا أكثر.

ويستند الكاتب في تحليله على واقع الحال، وما صارت عليه دولة إسرائيل الآن، ومن أنها قامت واستمرّت بدعم ماليّ هائل من قبل الغرب، وبالمُهَجّرين من أنحاء العالم، وأن هذا يفسّر قول الله تعالى ﴿...وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ (الإسراء)

ويستطرد الكاتب في تحليله إلى تحديد سِتّ عناصر وردت في آيات سورة (الإسراء) تنطبق على دولة إسرائيل الحالية، وهي باختصار: (١) عودة الكَرّة لليهود (٢) إمداد دولة إسرائيل بالمال الذي ساعدها عند قيامها ويساعد في استمرارها (٣) إمدادها بالعناصر الشابة القادرة على بناء الدولة الناشئة (٤) تفوُّق عدد جيوش اليهود وعتادهم عند بدء قيام دولتهم (٥) تجمُّع اليهود من أرجاء العالم (٦) وعند تجمُّعهم تكون أصولهم شتىّ؛ على خلاف المرّة الأولى، فقد كانوا جميعا ينتمون إلى أصل واحد، ألا وهو يعقوب عليه السلام. أمّا اليوم فإننا نجد أنّ الإسرائيليين ينتمون إلى أكثر من ٧٠ قوميّة.

ويتساءل الكاتب هل نجد هناك عنصراً سابعاً يمكن إضافته؟ وهل هناك عنصر زائد يمكن إسقاطه؟!. ويرى أن الجواب بلا، فيقول بذلك: يكون تعريف المرّة الثانية جامعاً كما يقول أهل الأصول. وعليه من أراد أن يقول إنّ وعد الآخرة قد تحقّق قبل الإسلام، فعليه أن يُبيّن لنا متى توافرت هذه العناصر قبل هذه المرة.

تحليلنا للرأيين

رأي الأستاذ هشام طلبة يستند في تفسيره على نبوءات التوراة، ويرى أن ما ورد في كتاب عهد موسى الذي ذكره، وتطابُقِه مع ما ورد في التوراة؛ يعطي مصداقية للنتيجة التي توصّل إليها. وعليه فإنه يقول أن الخراب الأوّل كان على يد البابليين، وهو بذلك يتفق مع الرأي الثاني. وبهذا لن نكون في حاجة للمفاضلة بين الرأييْن فيما يتعلق بالإفساد الأول لاتفاقهما معا.

أما فيما يتعلق بالإفساد الثاني فإنه يُجزم أنه تم على يد الرومان؛ ملوك الغرب كما ذكرت النبوءة، ويقول أن التوراة وكتب التاريخ تؤيِّد ذلك ولم يأت بأدِلّة. أما قولُه: إن اليهود بعد انتصارهم على هازميهم أول مرة قد صاروا أكثر نفيراً، فلا سند له من التاريخ ولا حتى من التوراة التي يستشهد بها؛ لأنهم قد عادوا من سبي بابل بمعونة الملك الفارسي «كورش» فعلا كما قال، لكنهم عادوا كرعايا للفرس لا كمنتصرين على من هزموهم من قبلُ وأخذوهم سبايا.

أمّا مقولة عبادا لنا: فلن تضيف كثيرا لبحثنا من ناحية ترجيح هذا على ذاك لأن الرأيَيْن متفقان على أن من قام بالقضاء على بني إسرائيل في المرة الأولى هم البابليون، فقط لي تنويه أرجو أن يكون فيه فائدة للقارئ الكريم، وهو أنني قد قمت بإحصاء مواد (عباد وعبيد وعبد) التي وردت في القرآن الكريم، والجدول التالي يبين نتيجة الإحصاء:

الفئة	مادة عبد	مادة عباد	مادة عبيد
المؤمنون	٢٣	٤٨	-
الكافرون	-	٤	٤
عامة الناس	١	٣٨	١
الملائكة	-	٣	-
الإجمالي	٢٤	٩٣	٥

واستخلصت من البحث أن مادة (عباد) قد وردت في (٩٣) آية، وأن (٤٨) منها كانت تشير إلى المؤمنين من عباد الله، وأن (٤) منها كانت تشير إلى الكافرين منهم، وأن (٣٨) منها كانت تشير إلى عامة عباد الله، وأن (٣) منها كانت تشير إلى الملائكة.

أما مادة (عبد) فقد وردت (٢٤) مرة، منها (٢٢) مرة تشير إلى أنبياء الله ، ومرة واحدة تشير إلى العبد الصالح الذي قابله موسى عليه السلام ليتعلّم منه، ومرة واحدة تشير إلى عامة عباد الله.

واستخلصت من البحث أن وصفي (عباد) و (عبد) لا يقتصران على المؤمنين فقط، بل تشير إلى عامة عباد الله والملائكة.

ترجيحُنا لأحد الرأيين

إن رأي الأستاذ بسّام جَرّار والذي يؤكِّد فيه أنه بموت سليمان بدأ الإفساد الأول عندما انقسمت دولة بني إسرائيل إلى مملكتين متنازعتين، وانتشر الفساد، وشاعت الرذيلة مما أدّى إلى زوال المملكتين على يد البابليين. وهو هنا يتفق مع الأستاذ هشام طلبة فيما يتعلق بالإفساد الأول.

أما قولُه: إنهم حاولوا تكوين مملكة لهم بعد عودتهم من السبي لكنهم فشلوا، فقد حرص (كورش) أن لا يقيم لهم دولة. وفي ظل الحكم اليوناني أو النبطي أو الروماني ظلوا تحت حكم ذاتي محدود، أو مُلك منقوص. ولما فتح المسلمون القدس لم يكن فيها يهود. ولم تقُمْ لهم قائمة في فلسطين إلا عام ١٩٤٨م كما هو معروف، فإنه لا يتصادم مع التاريخ ولا مع الواقع.

ورأينا أن ما يقوم به بنو إسرائيل (دولة إسرائيل المزعومة) في أيامنا هذه هو الإفساد الثاني، وأن قيام دولة إسرائيل بهذا الأسلوب، ودعم الغرب لها، وتواطؤ حكومات العالم معها، هو التأويل الصحيح لآيات سورة الإسراء التي صدّرنا بها هذا الفصل.

بعض الأدلة التي تؤيد ترجيحنا لأحد الرأيين

بقيت نقطة من نقاط البحث رأيت أنها تتطلّب بعض الأدلة لتأكيدها، وهي قوله: إن الآشوريين والكلدانيين هم من أصول عربية. وفيما يلي بعضا منها:

في مقال عنوانه تاريخ العراق من موقع ويكبيديا على شبكة الانترنت ورد أن حضارة بابل هي مزيج من الأقوام الأكدية المتحدِّرة من اليمن والجزيرة العربية من سلالة سام بن نوح عليه السلام.

وورد كذلك أن أصول الآشوريين ترجع إلى القبائل العربية التي استقرت في منطقة نهر دجلة في الألف الرابعة قبل الميلاد وأسّست مدينة آشور.

وورد كذلك أن الدولة الآشورية تعرّضت لاضطرابات داخلية وغزو خارجي وسقطت على يد البابليين بقيادة نبوبولاسر الميديني سنة ٦١٢ قبل الميلاد.

وورد كذلك أن نبوخذ نصر الثاني (بختنصر) الذي خلف أباه نبوبولاسر على حكم الدولة البابلية الثانية قام بإجلاء اليهود من فلسطين في السبي الأول سنة ٥٩٧ ق. م، وفي السبي الثاني الذي قاده بنفسه سنة ٥٨٦ ق. م.

ولنتدبر مَلِيًا قولَه تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الإسراء)، فهو ينطبق تماما على واقع حال الدولة الصهيونية التي تكبّرت وتجبّرت؛ تجبُّرا لا يسنده أبدا حقيقة كونهم شرذمة قليلة تكالبت على أرض فلسطين من جميع الآفاق، وغُرِسَتْ غرسا اصطناعيا في جسد الأُمّة العربية؛ فصار هذا الجسد عليلا مبتلى بالفُرْقة بين أولي الأمر فيه، وتخوُّفهم غيرُ المبرّر من بعضهم البعض. وهذا الجسد إن صحّ وتعافى من أمراضه، فسوف يلفُظها، ويخلّص نفسه من آثارها المهلكة.

وعليه فقد تحقّق جزء كبير من الفصل الثاني من النبوءة ألا وهو رد الكرّة لبني إسرائيل وتمكينهم. أما قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ...﴿٧﴾ ﴾ (الإسراء)، فهل من إساءة لم يرتكبوها بأرض فلسطين أو بشعبها؟

تعقيب

أجمعت النبوءات السابقة على إفساد بني إسرائيل، وكان إفسادُهم عظيما؛ بخاصّة بعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام؛ فقد انغمسوا في حياة اللهو والدعة والمجون، وأصبح حكّامُهم كأسود مفترسة على شعوبهم، وقضاتُهم كذئاب جائعة تجاه طالبي العدل، وأنبياؤهم مغرورين بعلمهم وخونة لأمانة التبليغ عن ربّهم، وكهنتُهم لا يقدّسون الهيكل ولا يعملون بالشريعة. كما أنهم عبدوا الأصنام وعظّموها، وأقاموا لها أماكن العبادة وزيّنوها، وقدّموا لها القرابين، ومارسوا طقوس عباداتها الوثنية التي تعتمد الزنا ضمن طقوسها.

وقد نصحهم أنبياؤهم، وحذّروهم، وأبلغوهم إنذارات الربّ؛ لكنّهم لم يستمعوا لنصحهم أو يعملوا بمشورتهم. وقد خوّفهم أنبياؤهم من عقاب الربّ وتهديداته لهم بأن يبتليهم بالأمراض، وبمرارة الذل والاضطهاد على يد أعداء لا قبل لهم بها، وبميتة ذليلة مباغتة؛ حتى أن إرميا نصحهم بعدم مقاومة البابليين لمّا حاصروا أورشليم، مؤكدا لهم أنهم لن ينتصروا لأن غضب الربّ عليهم قد بلغ مداه. وقد اجتاح البابليون بلادهم؛ فحرقوا أشجارهم، ودمّروا بيوتهم، وساقوهم أسرى إلى بابل.

وما ذكرته التوراةُ عن إفساد بني إسرائيل أكّده القرآن الكريم بقوله: إن الله عزّ وجل أعلن في كتابه الذي أنزله على نبيه موسى عليه السلام أن قومه سوف يعلو شأنُهم عُلُوّا عظيما، لكنهم لن يلتزموا بما كتبه الله عليهم من توحيده وعدم الشرك به، وعمل الخيرات، والبعد عن السيئات، وأنهم سوف يرتكبون المعاصي، ويتجرءون على حرمات الله، ويفسدون في الأرض فسادا عظيما. وأخبر الله جلّ في علاه أن هذا الإفساد سوف يتكرّر منهم مرّتان؛ وسوف يكون عقابُهم في المرة الأولى أن يرسل عليهم قوما أشِدّاء، موفوري العدد والعُدّة، فيكتسحون ديارهم، ويخرّبون بيوتهم وزروعهم، وينكّلوا بهم تنكيلا شديدا. وهذا ما حدث بعد الإفساد الأول.

وقال المولى عز وجل: إنه سوف تمرُّ عليهم فترة ابتلاء، ثم يعيد الله لهم مجدهم وعزّهم، ويجعلهم أكثر أموالا وأولادا وقوة، وجعل الله دوام مُلْكِهم في هذه المرّة مشروطا بالإحسان

وعدم مخالفة شريعته، وإذا أفسدوا زال عنهم ملكهم؛ وهكذا إلى قرب قيام الساعة فتكون نهايتهم.

وما يقوم به بنو إسرائيل في فلسطين هو الإفساد الثاني، فقيام دولة إسرائيل بهذا الأسلوب، ودعم الغرب لها، وتواطؤ حكومات العالم كله معها لأكبر دليل على ذلك. وقيام دولة إسرائيل هو بمثابة ردِّ الكرة لبني إسرائيل وتمكينهم، أما إفسادهم فهو واضح جلي فيما يفعلوه بأهلنا في فلسطين.

أمّا وعدُ الآخرة فتأويله (تحقُّقه) قادم إن شاء الله، لكن توقيته لا يعلمه إلا هو. أما شروطه وعلاماته فيجب أن تتحقّق فينا كمسلمين أولا لنكون جندَ الله الذين اختارهم جلّ شأنه لهذه المُهَمة الجليلة.

أما قوله جل شأنه: إن عدتم عدنا، فهو إشارة إلى أن الجوْلة القادمة مع بني إسرائيل سوف تتبعها جولة أخرى وربما جولات حتى يأذن الله جل شأنه بالجولة الأخيرة التي تسبق قيام الساعة والتي هي من علاماتها الكبرى.

الفصل السابع

نبوءات بانتصار

يهوذا وإسرائيل

الفصل السابع

نبوءات بانتصار يهوذا وإسرائيل

نبوءة بانتصار السامرّة وموت الجندي المشكّك

ورد في سفر الملوك الثاني أن جيش آرام حاصر السامرّة زمنا حتى عمّت المجاعة، وتضاعفت الأسعار، وأصبح الناس في همٍّ عظيم. وتوجّه ملك إسرائيل (أخزيا) إلى أَلِيشَع ناقما عليه؛ لأنه كان يعتقد أن الربَّ هو سبب ما هم فيه من همٍّ وغمٍّ، وأن لأليشع دخل في ذلك، وقال له: ماذا ننتظر من الربِّ بعد كل هذه المصائب؟ فرَدّ عليه أليشع أن هذه الغُمّة سوف تنزاح قريبا، ويعود الرخاء، فردّ أحد جنود الملك قائلا: لا أظن أن يحدُث ذلك حتى لو فُتِحت أبوابُ السماء جميعُها، فقال أليشع للجندي المشكِّك سوف ترى بعينيك؛ لكنّك لن تأكل منه: ٢٤وَحَشَدَ بَنْهَدَدُ مَلِكُ أَرَامَ، بَعْدَ زَمَنٍ، كُلَّ جَيْشِهِ وَحَاصَرَ السَّامِرَةَ. ٢٥وَإِذْ طَالَ الْحِصَارُ، عَمَّتِ الْمَجَاعَةُ السَّامِرَةَ..... ٣٢وَكَانَ أَلِيشَعُ آنَئِذٍ مُجْتَمِعاً فِي بَيْتِهِ مَعَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، فَوَجَّهَ الْمَلِكُ رَسُولاً إِلَيْهِ يَتَقَدَّمُهُ..... ٣٣وَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبُهُمْ أَقْبَلَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ، وَتَبِعَهُ الْمَلِكُ الَّذِي قَالَ: «إِنَّ هَذَا الشَّرَّ قَدْ حَلَّ بِنَا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، فَأَيَّ شَيْءٍ أَتَوَقَّعُ مِنَ الرَّبِّ بَعْدُ؟» (الملوك الثاني ٦)

ثُمَّ قَالَ أَلِيشَعُ: «اسْمَعُوا مَا يَقُولُ الرَّبُّ: غَداً فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ تُصْبِحُ كَيْلَةُ الدَّقِيقِ بِاثْنَيْ عَشَرَ جِرَاماً، وَكَيْلَتَا الشَّعِيرِ بِاثْنَيْ عَشَرَ جِرَاماً عِنْدَ مَدْخَلِ السَّامِرَةِ». ٢فَقَالَ الْجُنْدِيُّ الَّذِي كَانَ الْمَلِكُ يَتَوَكَّأُ عَلَى ذِرَاعِهِ لِرَجُلِ اللهِ: «حَتَّى إِنْ فَتَحَ الرَّبُّ كُوًى فِي السَّمَاءِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا الأَمْرُ؟» فَأَجَابَ أَلِيشَعُ: «سَتَرَى ذَلِكَ بِعَيْنَيْكَ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ». (الملوك الثاني ٧)

انتصار السامرّة وموت الجندي المشكّك

وأضاف سفر الملوك الثاني أن الربَّ قد جعل جنود جيش آرام يسمعون صلصلة مركبات، وجلبة جيش كثيف؛ فظنّوا أن الإسرائيليين قد آتاهم مدد من المصريّين والحثّيّين، ففرّوا هاربين؛ مخلّفين وراءهم كل خيولهم وأسلحتهم وخيامهم بكل ما فيها من أمتعة

وأدوات غنيمة للإسرائيليين: ٦فَإِنَّ الرَّبَّ قَدْ جَعَلَ جَيْشَ أَرَامَ يَسْمَعُ صَلْصَلَةَ مَرْكَبَاتٍ، وَصَوْتَ وَقْعِ حَوَافِرِ خَيْلٍ، وَجَلَبَةَ جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِلآخَرِ: «لاَبُدَّ أَنَّ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ اسْتَأْجَرَ ضِدَّنَا جُيُوشَ الْحِثِّيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ لِيَنْقَضُّوا عَلَيْنَا». ٧فَفَرُّوا هَارِبِينَ عِنْدَ الْمَسَاءِ، مُخَلِّفِينَ وَرَاءَهُمْ خِيَامَهُمْ وَخُيُولَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ، تَارِكِينَ الْمُعَسْكَرَ عَلَى حَالِهِ، وَفَرُّوا نَاجِينَ بِأَنْفُسِهِمْ..... ١٥فَاقْتَفَوْا أَثَرَهُمْ إِلَى نَهْرِ الأُرْدُنِّ، وَإِذَا كُلُّ الطَّرِيقِ مَمْلُوءَةٌ ثِيَاباً وَأَمْتِعَةً مِمَّا طَرَحَهَا الأَرَامِيُّونَ عِنْدَ فِرَارِهِم الْمُفَاجِيءِ السَّرِيعِ. فَرَجَعَ الرُّسُلُ وَأَخْبَرُوا الْمَلِكَ. ١٦فَانْدَفَعَ الشَّعْبُ نَحْوَ مُعَسْكَرِ الأَرَامِيِّينَ وَنَهَبُوهُ، وَصَارَتْ كَيْلَةُ الدَّقِيقِ بِشَاقِلٍ، وَكَيْلَتَا الشَّعِيرِ بِشَاقِلٍ (اثْنَيْ عَشَرَ جِرَاماً)، حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ. (الملوك الثاني ٧)

نبوءة بانتصار يهوذا وأورشليم

تقول نبوءة أشعياء: إن جبل الهيكل سوف تعود إليه قدسيتُه، وتتوافد عليه جميع الأمم طلبا للبركة وتعلُّم الشريعة، ويقضي قضاتُه بين الأمم، ويحكُم ملوكُه بين الشعوب، ويعُمّ السلام العالم؛ فتتحوّل السيوف إلى محاريث للزرع، والرماح إلى مناجل للحصاد، ولا تكون هناك عداوة بين أُمّة وأخرى، ولا يفكِّر أحدٌ أبدا في الحرب. وعندما يأتي هذا اليوم؛ وهو آت فسوف تختفي كل أعمال الشر وعبادة الأصنام، ويُعْبد الله وحده. وفي هذا اليوم سوف تنخفض رأس كل متكبِّر ومتغطرس، وسوف تسود يهوذا على كل ما حولها؛ فتُباد الأصنام وكل ما يُعبد من دون الله: الإِعْلاَنُ الَّذِي رَآهُ إِشَعْيَاءُ بْنُ آمُوصَ بِشَأْنِ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ: ٢وَيَحْدُثُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ، أَنَّ جَبَلَ هَيْكَلِ الرَّبِّ يُصْبِحُ أَسْمَى مِنْ كُلِّ الْجِبَالِ، وَيَعْلُو فَوْقَ كُلِّ التِّلاَلِ، فَتَتَوَافَدُ إِلَيْهِ جَمِيعُ الأُمَمِ. ٣وَتُقْبِلُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَتَقُولُ: تَعَالَوْا لِنَذْهَبْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلَهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا طُرُقَهُ، وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ، لأَنَّ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ تُعْلَنُ كَلِمَةُ الرَّبِّ. ٤فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيَحْكُمُ بَيْنَ الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ مَحَارِيثَ وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ، وَلاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً، وَلاَ يَتَدَرَّبُونَ عَلَى الْحَرْبِ فِيمَا بَعْدُ. (أشعياء ٢)

يقول النصارى: إن النبوءة تتكلّم عن مجد المسيحية، وتشير إلى أيام مجيء المسيح، ويقولون أن عبارة جبل بيت الرب تشير إلى المسيح الذي رآه دانيال يملأ الأرض كلها.

ويقولون: إن عبارة بيت إله يعقوب تشير إلى الكنيسة التي شابهت يعقوب في إيمانه وجهاده مع الله. ويفسّرون عبارة من صهيون تخرج الشريعة أنها تشير إلى شريعة جديدة هي المسيحية؛ حيث أن شريعة اليهود قد خرجت من سيناء كما هو معلوم من قبل، ويقولون أنه من صهيون كان يجب أن يخرج الإنجيل لكي تتضح العلاقة بين العهد الجديد والعهد القديم وأنه لا تعارض بينهما. ويقولون أن المسيح عاش في أورشليم، وخرج من أورشليم، وأن تلاميذه بدءوا خدمتهم أولا من أورشليم.

إشراق نور الربِّ

تقول نبوءة أشعياء: إن نور الربِّ سوف يُشْرق على أرض إسرائيل، ويُخيِّم الظلامُ على غيرهم من شعوب الأرض؛ فيُقبلون جميعا على نورها، وتتوافد ملوكُهم منجذبين إلى هذا النور. وأن أبناءهم سوف يُقْبلون من شتاتهم متهلّلون، وبناتهم محمولون على الأعناق. وأن ثروات البحر سوف تتحوّل إليهم، وأموالَ الأمم سوف تتدفّق عليهم من كل مكان (وخصّ بالذكر أَرْضِ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ وشَبَا وقِيدَارَ ونَبَايُوتَ) وهي مناطق عربية. أما ماعداها من مناطق فذكرت النبوءة جزائر البحر وسفن ترشيش؛ التي تحمل أبناءهم ومعهم فِضَّتهم وذهبهم. وتقول النبوءة: إن الغرباءَ سوف يقومون بحماية أسوارهم، وأن ملوكهم سوف يكونون في خدمتهم، وتقول النبوءة أن أبوابهم سوف تُفْتح دائما ولا تُغْلق؛ لأن الله سوف يبسُط حمايته عليهم فلا يعتدي عليهم أحد، وسوف يأتي أعداؤهم إليهم خاضعين أذلاّء يرجون رضاهم: قُومِي اسْتَضِيئِي، فَإِنَّ نُورَكِ قَدْ جَاءَ، وَمَجْدَ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. ٢هَا إِنَّ الظُّلْمَةَ تَغْمُرُ الأَرْضَ، وَاللَّيْلَ الدَّامِسَ يَكْتَنِفُ الشُّعُوبَ، وَلَكِنَّ الرَّبَّ يُشْرِقُ عَلَيْكِ، وَيَتَجَلَّى مَجْدُهُ حَوْلَكِ، ٣فَتُقْبِلُ الأُمَمُ إِلَى نُورِكِ، وَتَتَوَافَدُ الْمُلُوكُ إِلَى إِشْرَاقِ ضِيَائِكِ. ٤تَأَمَّلِي حَوْلَكِ وَانْظُرِي، فَهَا هُمْ جَمِيعاً قَدِ اجْتَمَعُوا، وَأَتَوْا إِلَيْكِ. يَجِيءُ أَبْنَاؤُكِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَذْرُعِ. ٥عِنْدَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتَتَهَلَّلِينَ، وَتَطْغَى الإِثَارَةُ عَلَى قَلْبِكِ، وَتَمْتَلِئِينَ فَرَحاً لأَنَّ ثَرَوَاتِ الْبَحْرِ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ وَغِنَى الأُمَمِ يَتَدَفَّقُ عَلَيْكِ. ٦تَكْتَظُّ أَرْضُكِ بِكَثْرَةِ الإِبِلِ. مِنْ أَرْضِ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ تَغْشَاكِ بُكْرَانٌ، تَتَقَاطَرُ إِلَيْكِ مِنْ شَبَا مُحَمَّلَةً بِالذَّهَبِ وَاللُّبَانِ وَتُذِيعُ تَسْبِيحَ الرَّبِّ. ٧جَمِيعُ قُطْعَانِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ، وَكِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدُمُكِ، تُقَدَّمُ قَرَابِينَ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُمَجِّدُ بَيْتِي الْبَهِيَّ ٨مَنْ هُؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَالسَّحَابِ وَكَالْحَمَامِ إِلَى

أَعْشَاشِهَا؟ ٩فَالْجَزَائِرُ تَنْتَظِرُنِي، وَفِي الطَّلِيعَةِ سُفُنُ تَرْشِيشَ حَامِلَةً أَبْنَاءَكِ لِتَأْتِيَ بِهِمْ مِنْ أَرْضٍ
بَعِيدَةٍ، وَمَعَهُمْ فِضَّتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ، تَكْرِيماً لاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكِ وَلِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكِ.
١٠ يُعَمِّرُ الْغُرَبَاءُ أَسْوَارَكِ، وَيَخْدُمُكِ مُلُوكُهُمْ، لأَنِّي فِي غَضَبِي عَاقَبْتُكِ، وَفِي رِضَايَ رَحِمْتُكِ.
١١ تَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِماً وَلاَ تُوْصَدُ لَيْلَ نَهَارَ، لِيَحْمِلَ إِلَيْكِ النَّاسُ ثَرْوَةَ الأُمَمِ، وَفِي مَوْكِبٍ
يُسَاقُ إِلَيْكِ مُلُوكُهُمْ، ١٢لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْضَعُ لَكِ تَهْلِكُ، وَهَذِهِ الشُّعُوبُ
تَتَعَرَّضُ لِلْخَرَابِ السَّاحِقِ..... ١٤وَيُقْبِلُ إِلَيْكِ أَبْنَاءُ مُضَايِقِيكِ خَاضِعِينَ، وَكُلُّ الَّذِينَ
احْتَقَرُوكِ يَنْحَنُونَ عِنْدَ قَدَمَيْكِ، وَيَدْعُونَكِ مَدِينَةَ الرَّبِّ، صِهْيَوْنَ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ.....
(أشعياء ٦٠)

يقول النصارى: قد تكون صهيون هي إسرائيل بعد عودتها من سبْي بابل، وإن هذا لم يحدث تماما بعد العودة من السبي. لذلك تُعْتبر هذه نبوءة عن كنيسة المسيح الذي سيأتي لها ويفديها ويسكب روحَه عليها. ويقولون أن التحقيق الكامل لمجد الكنيسة المنتظر هو في أورشليم السماوية بعد أن يأتي المسيح في مجيئه الثاني.

ويقولون: إن أشعياء حين يذكر مديان وعيفة وشبا وهي من قبائل العرب؛ إنما يُعبِّر عن مجد الكنيسة بعبارات مستعارة من أهل عصره، بما يشير إلى كثرة المؤمنين الذين يقدِّمون تقدُمات (قربات) مادية يقبلها الرب.

ويفسّر النصارى عبارة بنو الغريب يبنون أسوارك بقولهم أن كورش وأرتحشستا أمرا بترميم أسوار أورشليم، وأن الله سيحافظ على كنيسته باستخدام كل الوسائل حتى إن الغرباء غير المؤمنين سيحرسونها. أما عبارة «أبوابك دائما نهارا وليلا لا تغلق» فيفسِّرونها بأن اليهود كانوا قد أغلقوا أبوابهم على أنفسهم، أما الكنيسة فهي مفتوحة للجميع. أما عبارة «وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين» فيقولون: إنها تنطبق على وضع الدولة الرومانية؛ فالآباء الرومان اضطهدوا الكنيسة وقهروها، أما أبناؤهم فقد صاروا مؤمنين خاضعين لها.

جبل صهيون هو قِبلة الأمم

تقول نبوءة ميخا: إنه في آخر الزمان سوف يُصْبح جبل هيكل الربِّ أشهرَ الجبال، وسوف تتقاطر إليه شعوب أمم كثيرة لتعلُّم الشريعة والعمل وفق ما جاء بها. وأن السلام سوف يعُمّ الأرض جميعها، وتتحوّل السيوف إلى محاريث لبذر النبات، والرماح إلى مناجل للحصاد، ويهنأ الناس بالأمن والأمان ورغد العيش، ويعود الحكم إلى بني إسرائيل كما كان من قبل: وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ هَيْكَلِ الرَّبِّ يُصْبِحُ أَشْهَرَ الْجِبَالِ، وَيَعْلُو فَوْقَ كُلِّ التِّلاَلِ، فَتَتَقَاطَرُ إِلَيْهِ شُعُوبٌ عَدِيدَةٌ، ٢وَتُقْبِلُ إِلَيْهِ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ قَائِلَةً: «تَعَالَوْا لِنَصْعَدَ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى هَيْكَلِ يَعْقُوبَ لِيُعَلِّمَنَا طُرُقَهُ فَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ، لأَنَّ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ تُذَاعُ كَلِمَةُ الرَّبِّ». ٣فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ الْكَثِيرَةِ وَيُمْلِي أَحْكَامَهُ بِعَدْلٍ عَلَى أُمَمٍ قَوِيَّةٍ بَعِيدَةٍ، فَيَصْنَعُونَ مِنْ سُيُوفِهِمْ أَسِنَّةً مَحَارِيثَ، وَمِنْ رِمَاحِهِمْ مَنَاجِلَ حَصَادٍ، فَلاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً وَلاَ يَتَلَقَّنُونَ فُنُونَ الْحَرْبِ بَعْدُ. ٤بَلْ يَجْلِسُ كُلُّ رَجُلٍ تَحْتَ كَرْمِهِ وَتَحْتَ شَجَرَةِ تِينَتِهِ وَلاَ يُرْعِبُهُمْ شَيْءٌ مِنْ بَعْدُ، لأَنَّ هَذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. ٥فَإِنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ تَسْلُكُ بِاسْمِ إِلَهِهَا، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْلُكُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِنَا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. (ميخا ٤)

ويقول الربُّ: إنه في هذا اليوم سوف يجمع شتات بني إسرائيل بجميع فئاتهم، ويجعل منهم أمّة قوية، ويصير جبل صهيون مقرّا لهيكل الربِّ، ويعود لأورشليم مجدها وسلطانها: ٦فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْمَعُ الْعُرْجَ، وَأَضُمُّ الْمَطْرُودِينَ وَكُلَّ الَّذِينَ أَنْزَلْتُ بِهِم الْبَلاَءَ. ٧فَأَجْعَلُ مِنَ الْعُرْجِ بَقِيَّةً، وَمِنَ الْمَنْبُوذِينَ أُمَّةً قَوِيَّةً، فَيَمْلِكُ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ. ٨أَمَّا أَنْتَ يَابُرْجَ الْقَطِيعِ، يَاتَلَّةَ ابْنَةِ صِهْيَوْنَ، إِلَيْكِ يَعُودُ الْحُكْمُ الأَوَّلُ، مُلْكُ ابْنَةِ أُورُشَلِيمَ. (ميخا ٤)

يقول النصارى: إن خراب الهيكل إعلان عن نهاية الكهنوت اليهودي وبدء تأسيس الكنيسة المجيدة، وإن سرَّ مجْدِ الكنيسة هو أن المسيح في وسطها. ويقولون: إن الإنجيل خرج من صهيون، وإنه لا تعارض بين العهد الجديد والعهد القديم ، وإن المسيح عاش وصُلِب وقام للصعود في أورشليم، وأن تلاميذه بدءوا خدمتهم من أورشليم. ويقولون: إن صهيون التي تخرج منها الشريعة هي الكنيسة، وأن عبارة: فيقضي بين الأمم تشير إلى صفة جديدة للمسيح؛ فهو الديّان.

نبوءة لصفنيا عن يوم الربّ

في هذه النبوءة يقول الربُّ: إنه سوف يجمع جميع الأمم ليسكُب عليهم جام غضبه، ويعاقب الجميع بسبب ما فعلوه ببني إسرائيل، وأنه سوف يجعل جميع الشعوب تلتفّ حول بني إسرائيل في الشتات، ويترنّمون جميعا بحبّ الربّ والتضرُّع إليه، وتقديم القربات لينالوا رضاه. ويقول الربُّ أنه سوف يعفو عمّا سلف من بني إسرائيل من تمرُّد على شرائعه، وأنه سوف يقضي على كل متكبّر من بينهم، ويجعلهم جميعا متضرِّعين إليه، متوكِّلين عليه، يعيشون عيشة الأبرار التي لا تعرف غشّا ولا خديعة، ويحيوْن في أمن لا يُفْزعهم أحد:

٨لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ: انْتَظِرُونِي لأَنِّي عَزَمْتُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَقُومُ فِيهِ كَشَاهِدٍ أَنْ أَجْمَعَ الأُمَمَ
وَأَحْشُدَ الْمَمَالِكَ لأَسْكُبَ عَلَيْهِمْ سَخَطِي وَاحْتِدَامَ غَضَبِي، لأَنَّ الأَرْضَ بِكَامِلِهَا سَتُؤْكَلُ
بِنَارِ غَيْرَةِ غَيْظِي. ٩عِنْدَئِذٍ أُنَقِّي شِفَاهَ الشَّعْبِ لِيَدْعُوا جَمِيعُهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ وَيَعْبُدُوهُ جَنْباً
إِلَى جَنْبٍ. ١٠فَيُقَرِّبُ إِلَيَّ شَعْبِي الْمُشَتَّتُ ذَبِيحَةً مِنْ وَرَاءِ أَنْهَارِ كُوشٍ حَيْثُ يُقِيمُ الْمُتَضَرِّعُونَ
إِلَيَّ. ١١فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَنْ يَلْحَقَكُمُ الْعَارُ مِنْ جَرَّاءِ مَا ارْتَكَبْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ تَمَرَّدْتُمْ بِهَا عَلَيَّ، لأَنِّي
سَأُزِيلُ آنَئِذٍ مِنْ وَسَطِكُمُ الْمُسْتَخِفِّينَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فَلاَ يَبْقَى مُتَشَامِخٌ فِي جَبَلِي الْمُقَدَّسِ. ١٢إِنَّمَا
أُبْقِي بَيْنَكُمْ شَعْباً مُتَوَاضِعاً فَقِيراً يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ. ١٣وَلَنْ يَرْتَكِبَ بَقِيَّةُ إِسْرَائِيلَ
الإِثْمَ، وَلاَ يَنْطِقُونَ بِالْكَذِبِ، وَلَيْسَ فِي أَفْوَاهِهِمْ غِشٌّ، بَلْ يَعِيشُونَ آمِنِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُهَدِّدَهُمْ
أَحَدٌ. (صفنيا ٣)

ويقول الربُّ: إنه قد آن لبني إسرائيل أن يفرحوا؛ لأن الربَّ قد أصدر حكمه بالعفو عنهم، وقد قضى بوقف كل اعتداء عليهم، وأنه سوف يكون بينهم يحميهم ويدافع عنهم، ويزيل عنهم كل خطاياهم، ولا يجعلهم يتحمّلون منها حتى مجرّد شعورهم بأي عار من أجلها، وأنه يسُرُّه ويُفرِحُه خلاصُهم، ويُطْرِبه ابتهاجُهم. ويقول الربُّ أنه في هذا اليوم الموعود سوف يعاقب كل من ضايقهم، وأنه سيخلّصهم جميعا؛ سليمهم وسقيمهم من ذل السبي، ويعيدهم إلى موطنهم معزّزين مكرّمين، ويعيد لهم سابق مجْدهم:

١٤اشْدِي يَاابْنَةَ
صِهْيَوْنَ وَاهْتُفْ يَاإِسْرَائِيلُ، ابْتَهِجِي وَتَهَلَّلِي يَاابْنَةَ أُورُشَلِيمَ. ١٥لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ رَفَعَ عَنْكِ
حُكْمَ قَضَائِهِ وَرَدَّ عَنْكِ أَعْدَاءَكِ. إِنَّ الرَّبَّ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ هُوَ فِي وَسَطِكِ، فَلاَ تَخْشَيْ شَرّاً فِي
مَا بَعْدُ. ١٦وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لأُورُشَلِيمَ: لاَ تَخَافِي يَاصِهْيَوْنُ، وَلاَ تَرْتَخِ يَدَاكِ. ١٧فَالرَّبُّ

إلهكِ في وَسطِكِ، جبّارٌ يُخلِّصُ. يُسَرُّ فَرَحاً بِكِ، وَيُجَدِّدُ بِمَحَبَّتِهِ حَيَاتَكِ، وَيَبْتَهِجُ بِكِ مُتَرَنِّماً.
١٨وَكَما في يَوْمِ مَوْسِمِ عِيدٍ، أُزِيلُ عَنْكِ بَلاَيَاكِ، فَلاَ تَتَحَمَّلِينَ مِنْ أَجْلِهَا أَيَّ عَارٍ. ١٩في
ذَلِكَ الْوَقْتِ أُعَاقِبُ الَّذِينَ ضَايَقُوكِ، وَأُخَلِّصُ الأَعْرَجَ، وَأُعِيدُ الْمَسْبِيَّ، وَأُغْدِقُ عَلَيْهِمْ
مَدْحاً وَشَرَفاً فِي كُلِّ أَرْضٍ تَعَرَّضُوا فِيهَا لِلْخِزْيِ. ٢٠في ذَلِكَ الْوَقْتِ أَجْمَعُكُمْ مِنَ الشَّتَاتِ
وَأُعِيدُكُمْ إِلَى مَوْطِنِكُمْ، وَأَجْعَلُ لَكُمْ مَقَاماً شَرِيفاً مَحْمُوداً بَيْنَ جَمِيعِ شُعُوبِ الأَرْضِ، حِينَ
أَرُدُّ لَكُمُ ازْدِهَارَكُمْ. هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ. (صفنيا ٣)

نبوءة لحزقيال بتوحيد بني إسرائيل

يقول حزقيال: أخذ الربُّ روحي إلى واد ملئ بالعظام وقال لي تنبأ على هذه العظام أن تحيا، فلمّا دبّت فيها الروح وانتصبَتْ كجيش عظيم جدا قال لي الربُّ: إنهم شعب إسرائيل سوف أحييهم وأردّهم إلى أرضهم؛ فيدركون أني أنا الربُّ وعد وأنجز ما وعد
به: وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيَّ فَأَحْضَرَنِي بِالرُّوحِ إِلَى وَسَطِ وَادٍ مَلِيءٍ بِعِظَامٍ، ٢وَجَعَلَنِي أَجْتَازُ
بَيْنَهَا وَحَوْلَهَا، وَإِذَا بِهَا كَثِيرَةٌ جِدّاً، تُغَطِّي سَطْحَ أَرْضِ الْوَادِي، كَمَا كَانَتْ شَدِيدَةَ الْيُبُوسَةِ.
٣فَقَالَ لِي «يَاابْنَ آدَمَ، أَيُمْكِنُ أَنْ تَحْيَا هَذِهِ الْعِظَامُ؟» فَأَجَبْتُ: «يَاسَيِّدُ الرَّبُّ، أَنْتَ أَعْلَمُ».
٤فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَى هَذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: اسْمَعِي أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ كَلِمَةَ الرَّبِّ: ٥هَا
أَنَا أَجْعَلُ رُوحاً يَدْخُلُ فِيكِ فَتَحْيَيْنَ. ٦وَأَكْسُوكِ بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ، وَأَبْسُطُ عَلَيْكِ جِلْداً
وَأَجْعَلُ فِيكِ رُوحاً فَتَحْيَيْنَ وَتُدْرِكِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». ٧وَفِيمَا كُنْتُ أَتَنَبَّأُ كَمَا أُمِرْتُ، حَدَثَ
صَوْتُ جَلَبَةٍ وَزَلْزَلَةٍ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ، ٨وَاكْتَسَتْ بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ
وَبُسِطَ عَلَيْهَا الْجِلْدُ. إِنَّمَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا رُوحٌ ٩فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ يَاابْنَ آدَمَ، وَقُلْ: هَذَا مَا
يَأْمُرُ بِهِ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَيَّا يَارُوحُ أَقْبِلْ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هَؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا».
١٠فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ فَدَبَّتْ فِيهِمِ الْحَيَاةُ، وَانْتَصَبُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ
جَيْشاً عَظِيماً جِدّاً جِدّاً. ١١ثُمَّ قَالَ لِي: «يَاابْنَ آدَمَ، هَذِهِ الْعِظَامُ هِيَ جُمْلَةُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ. هَا
هُمْ يَقُولُونَ: قَدْ يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَمَاتَ رَجَاؤُنَا وَانْقَطَعْنَا. ١٢لِذَلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ
السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وَأُخْرِجُكُمْ مِنْهَا يَاشَعْبِي وَأُحْضِرُكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ،
١٣فَتُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وَأُخْرِجُكُمْ مِنْهَا يَاشَعْبِي. ١٤وَأَضَعُ رُوحِي

فِيكُمْ فَتَحْيَوْنَ، وَأَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ فَتُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ وَأَنجَزْتُ مَا وَعَدْتُ بِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ». (حزقيال ٣٧)

وأوحى الربُّ إلى حزقيال أن يأخذ قضيبا ويكتب عليه عبارة شعب يهوذا، وقضيبا آخر ويكتب عليه عبارة شعب إسرائيل، وأن يضُمّهما معا فيصبحان قضيبا واحدا في يده. وقال له الربُّ أنه سوف يجمعهم من بين الأمم، ويجعلهم أمّة واحدة تحت رئاسة ملك واحد، ويُطهِّرهم، ويجعل داود عبده ملكا عليهم (ملكا من ذرية يعقوب)؛ فيطيعون فرائضه وأحكامه، ويقيمون في الأرض التي وهبها لعبده يعقوب، ويكون مسكنه معهم (أي الرب)؛ فيكون لهم إلها، ويكونون له شعبا: ١٥وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً:
١٦«وَأَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ، خُذْ لَكَ قَضِيباً وَاحِداً وَاكْتُبْ عَلَيْهِ: هَذَا لِيَهُوذَا وَلأَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ رِفَاقِهِ، ثُمَّ خُذْ قَضِيباً آخَرَ وَاكْتُبْ عَلَيْهِ: هَذَا لِيُوسُفَ قَضِيبُ أَفْرَايِمَ وَكُلِّ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ
رِفَاقِهِ. ١٧وَضُمَّهُمَا مَعاً كَقَضِيبٍ وَاحِدٍ فَيُصْبِحَا فِي يَدِكَ قَضِيباً وَاحِداً. ١٨وَإِذَا سَأَلَكَ
أَبْنَاءُ شَعْبِكَ: أَلاَ تُخْبِرُنَا مَا مَعْنَى هَذَا؟ ١٩فَقُلْ لَهُمْ: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَتَنَاوَلُ قَضِيبَ يُوسُفَ الَّذِي فِي حَوْزَةِ أَفْرَايِمَ وَأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ رِفَاقِهِ، وَأَضُمُّ إِلَيْهِ قَضِيبَ يَهُوذَا، وَأَجْعَلُهُمْ جَمِيعاً قَضِيباً وَاحِداً فَيُصْبِحُونَ وَاحِداً فِي يَدِي. ٢٠وَيَكُونُ فِي يَدِكَ، عَلَى مَشْهَدٍ
مِنْهُمُ الْقَضِيبَانِ اللَّذَانِ كَتَبْتَ عَلَيْهِمَا. ٢١وَهَا أَنَا أَحْشُدُ أَبْنَاءَ إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ الَّتِي تَفَرَّقُوا فِيهَا وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَأُحْضِرُهُمْ إِلَى أَرْضِهِمْ. ٢٢وَأَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الأَرْضِ وَعَلَى الْجِبَالِ، تَحْتَ رِئَاسَةِ مَلِكٍ وَاحِدٍ، فَلاَ يَكُونُونَ بَعْدُ أُمَّتَيْنِ، وَلاَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى
مَمْلَكَتَيْنِ. ٢٣وَلاَ يَتَدَنَّسُونَ بَعْدُ بِأَصْنَامِهِمْ وَرَجَاسَاتِهِمْ وَلاَ بِأَيٍّ مِنْ مَعَاصِيهِمْ، بَلْ أُخَلِّصُهُمْ
مِنْ مَوَاطِنِ إِثْمِهِمْ، وَأُطَهِّرُهُمْ فَيَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً. ٢٤وَيُصْبِحُ دَاوُدُ عَبْدِي
(أَيِ الْمَسِيحُ) مَلِكاً عَلَيْهِمْ، فَيَكُونُ لَهُمْ جَمِيعاً رَاعٍ وَاحِدٌ فَيُمَارِسُونَ أَحْكَامِي وَيُطِيعُونَ فَرَائِضِي
عَامِلِينَ بِهَا. ٢٥وَيُقِيمُونَ فِي الأَرْضِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لِعَبْدِي يَعْقُوبَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا آبَاؤُكُمْ، فَيَسْتَوْطِنُونَ فِيهَا هُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَأَحْفَادُهُمْ إِلَى الأَبَدِ. وَيَكُونُ عَبْدِي دَاوُدُ (أَيِ الْمَسِيحُ) رَئِيساً
عَلَيْهِمْ مَدَى الدَّهْرِ. ٢٦وَأُبْرِمُ مَعَهُمْ مِيثَاقَ سَلاَمٍ، فَيَكُونُ مَعَهُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً، وَأُوَطِّنُهُمْ
وَأُكَثِّرُهُمْ وَأُقِيمُ مَقْدِسِي فِي وَسَطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ. ٢٧وَيَكُونُ مَسْكِنِي مَعَهُمْ، فَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً
وَيَكُونُونَ لِي شَعْباً. ٢٨فَتُدْرِكُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُ إِسْرَائِيلَ، حِينَ يَكُونُ مَقْدِسِي قَائِماً
فِي وَسَطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ». (حزقيال ٣٧)

يقول النصارى: إن الله خلق الإنسان وفي ذهنه أن تكون هناك وحدة (المقصود بين الله والإنسان)؛ فحواء جزء من آدم، والأولاد أجزاء منهما، لذلك فكل الخليقة هي جسد آدم. وكانت خُطّةُ الله أن تكون هناك وحدة بينه (أي الرب) وبين آدم (لو أكل من شجرة الحياة)، لكن الخطيّة دمّرت هذه الوحدة؛ فقد قتل الأخ جسده (قايين وهابيل) فهما جسد واحد؛ فانفصل آدم عن الله وتحوّل إلى عظام. وجاء المسيح ليعيد هذه الوحدة بيننا كجسد واحد، وبيننا وبينه. وفي هذه الآيات يرمز لهذا الانفصال بين الإخوة بالانفصال بين يهوذا وإسرائيل، ولكن عمل المسيح سيعيدهم إلى الوحدة ثانية.

ويقول النصارى: إن اختيار داود كرمز للمسيح هنا لأن المسيح هو ابن داود؛ وقد كانت المملكة أيام داود واحدة بلا انقسام، فحيث الشقاق أو الخصومة لا يستطيع المسيح أن يملُك، وفي المسيح يجتمع الكل، وقد تكون العصاتان (كما في النبوءة) قد جُمعتا على شكل صليب؛ فتكون كل هذه البركات من عمل صليب المسيح.

نبوءة لزكريا بانتصار يهوذا

يقول الربُّ: إن يهوذا سوف تنتصر على جميع أعدائها الذين سوف يتداعون عليها من جميع الأنحاء بقُوَّات غاشمة، وأنه سوف يجعل أفراسهم تجفُل من الرعب وتصاب بالعمى فلا تُبصِر طريقها، وأنه سوف يصيب فرسانهم بالجنون. وأن شعب يهوذا سوف يظلُّ ثابتا أمام هجمات الأعداء؛ واثقين من تأييده لهم، وأن أعداءهم سوف يترنّحون من الرعب، ويهربون من أمامهم طلبا للنجاة. ويقول الرب أنه سوف يعيد الأمن والأمان لشعب يهوذا، وأنه سوف يعيد المُلك لبيت داود: وَحْيُ كَلِمَةِ الرَّبِّ بِشَأْنِ إِسْرَائِيلَ. يَقُولُ
الرَّبُّ بَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَمُرْسِي الأَرْضَ، وَجَابِلُ رُوحِ الإِنْسَانِ فِيهِ: ٢«هَا أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَجْعَلَ
أُورُشَلِيمَ كَأْسَ خَمْرٍ تَتَرَنَّحُ مِنْهَا جَمِيعُ الشُّعُوبِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، فَتُحَاصِرُ يَهُوذَا أَيْضاً فِي أَثْنَاءِ
حِصَارِهَا لأُورُشَلِيمَ. ٣فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَجْعَلُ أُورُشَلِيمَ كَصَخْرَةٍ ثَقِيلَةٍ تَعْجُزُ عَنْ حَمْلِهَا جَمِيعُ
الشُّعُوبِ. وَكُلُّ مَنْ يُحَاوِلُ حَمْلَهَا يَنْشَقُّ شَقّاً، وَيَتَأَلَّبُ عَلَيْهَا جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ. ٤فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أُصِيبُ كُلَّ فَرَسٍ مِنْ جُيُوشِ الأَعْدَاءِ بِالرُّعْبِ، وَفَارِسَهُ بِالْجُنُونِ،
وَأَرْعَى بِرِضَايَ شَعْبَ يَهُوذَا، وَأَبْتَلِي جَمِيعَ خُيُولِ الأُمَمِ بِالْعَمَى. ٥فَيَقُولُ آنِئِذٍ رُؤَسَاءُ يَهُوذَا

فِي قُلُوبِهِمْ: إِنَّ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ أَعِزَّاءُ بِفَضْلِ قُوَّةِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ إِلَهِهِمْ. ٦ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَجْعَلُ
عَشَائِرَ يَهُوذَا كَمُسْتَوْقَدِ نَارٍ بَيْنَ الْحَطَبِ، أَوْ كَمِشْعَلٍ مُلْتَهِبٍ بَيْنَ أَكْدَاسِ الْحِنْطَةِ، فَيَلْتَهِمُونَ
الشُّعُوبَ مِنْ حَوْلِهِمْ مِمَّنْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ، بَيْنَمَا تَظَلُّ أُورُشَلِيمُ مُسْتَقِرَّةً آمِنَةً آهِلَةً فِي
مَوْضِعِهَا. ٧ وَيُخَلِّصُ الرَّبُّ أَوَّلاً خِيَامَ يَهُوذَا لِئَلاَّ يَتَعَاظَمَ افْتِخَارُ بَيْتِ دَاوُدَ وَأَهْلِ أُورُشَلِيمَ
عَلَى سَائِرِ يَهُوذَا. ٨ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَحْفَظُ الرَّبُّ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، فَيَكُونُ أَضْعَفُهُمْ قَوِيّاً قَادِراً
مِثْلَ دَاوُدَ، وَيَتَوَلَّى بَيْتُ دَاوُدَ قِيَادَتَهُمْ فِي الطَّلِيعَةِ، تَمَاماً كَمَا كَانَ اللهُ أَوْ مَلاَكُ الرَّبِّ يَتَقَدَّمُهُمْ.
٩ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَعْمَلُ عَلَى إِهْلاَكِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الزَّاحِفِينَ عَلَى أُورُشَلِيمَ. (زكريا ١٢)

ويقول الربُّ: إنه سوف يفيض بأنعُمِه على ذرية داود وعلى جميع سكان أورشليم فيتذكّرون ما سبق من إعراضهم عنه؛ فينوحون كما ينوح الوالد على فقد ولده الوحيد مثلما حدث من قبل عندما قُتل الملك الصالح يوشيا بسبب خطاياهم:
١٠ وَأُفِيضُ عَلَى ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ
وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالابْتِهَالِ، حَتَّى إِذَا نَظَرُوا إِلَيَّ أَنَا الَّذِي طَعَنُوهُ يَنُوحُونَ
عَلَيْهِ كَمَا يَنُوحُ وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ الْوَحِيدِ، مُتَفَجِّعِينَ عَلَيْهِ كَتَفَجُّعِهِمْ عَلَى مَوْتِ بِكْرِهِمْ. ١١ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ النُّوَاحُ فِي أُورُشَلِيمَ مُمَاثِلاً لِلنُّوَاحِ فِي هَدَدْرِمُّونَ فِي سَهْلِ مَجِدُّو (حَيْثُ قُتِلَ
الْمَلِكُ يُوشِيَّا). ١٢ فَيَشِيعُ النَّحِيبُ بَيْنَ أَهْلِ الْبِلاَدِ..... (زكريا ١٢)

يقول النصارى في تفسير «فينظرون إلى الذي طعنوه» بقولهم: إن ذلك سيكون حين يؤمن البقية بالمسيح، وأنهم سوف يبكــون على ما فعله آباؤهم بالمسيح الذي صلبوه وطعنوه ويقولون أن ذكر يوشيا الملك الصالح إشارة إلى المسيح الذي مات فناح عليه الجميع كما ناحوا على يوشيا.

نبوءة لعوبيديا بجعل جبل صهيون ملاذا آمنا

تقول نبوءة عوبيديا: إن يوم هلاك جميع الأمم قريب، وأنهم كما انتهكوا حرمة قدس الربِّ فإن الربَّ سوف يُهلكهم جميعا، ويجعل جبل صهيون ملاذا آمنا، وموضعا مقدّسا لعبادة الربِّ، ويصبح بنو إسرائيل نارا تلتهم بني عيسو (آدوم) جميعا، ويرثون الجبل الذي استوطنه الأدوميون، وأرض الفلسطينيين والكنعانيين، ويعود المسبيّون من صفارد (فرنسا وأسبانيا) ومن كل الأمم إلى جبل صهيون ليحكموا على الجبل باسم الربِّ إلههم: ١٥ لأَنَّ

يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ آتٍ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ، وَكَمَا فَعَلْتَ، لاَبُدَّ أَنْ يُفْعَلَ بِكَ أَيْضاً، فَيَرْتَدَّ عَمَلُكَ عَلَى
رَأْسِكَ. ١٦فَإِنَّهُ كَمَا شَرِبْتَ عَلَى جَبَلِ قُدْسِي فَإِنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ تَشْرَبُ فِي كُلِّ حِينٍ. يَشْرَبُونَ
وَيَجْرَعُونَ وَيَتَلاشَوْنَ كَمَنْ لَمْ يَكُونُوا. ١٧أَمَّا جَبَلُ صِهْيَوْنَ فَيُصْبِحُ مَلاَذَ النَّجَاةِ، وَيَكُونُ
قُدْساً، وَيَرِثُ بَيْتُ يَعْقُوبَ نَصِيبَهُ. ١٨وَيَصِيرُ بَيْتُ يَعْقُوبَ نَاراً، وَبَيْتُ يُوسُفَ لَهِيباً، وَبَيْتُ
عِيسُو قَشّاً فَيُوْقِدُونَهُمْ وَيَلْتَهِمُونَهُمْ، وَلاَ يُفْلِتُ مِنْ بَيْتِ عِيسُو أَحَدٌ، يَقُولُ الرَّبُّ. ١٩وَيَرِثُ
أَهْلُ النَّقَبِ جَبَلَ عِيسُو، وَسُكَّانُ السُّهُولِ أَرْضَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَيَمْلِكُونَ أَرْضَ أَفْرَايِمَ
وَبِلاَدَ السَّامِرَةِ، وَيَرِثُ بَنْيَامِينُ جِلْعَادَ. ٢٠وَيَسْتَوْلِي جَيْشُ مَسْبِيِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَرْضِ
الْكَنْعَانِيِّينَ حَتَّى صَرْفَةَ، وَيَحْتَلُّ مَسْبِيُّو أُورُشَلِيمَ فِي صَفَارِدَ مُدُنَ جَنُوبِ يَهُوذَا. ٢١وَيَصْعَدُ
الْمُنْقِذُونَ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ لِيَحْكُمُوا جَبَلَ عِيسُو. وَيُصْبِحُ الْمُلْكُ لِلرَّبِّ. (عوبيديا ١)

يقول النصارى: إن صهيون هي الكنيسة السماوية لأنها جسدُ إلهنا السماوي، وإن الخلاص سيكون من خلال هذا الجسد. وإن هذا الجسد سكن فيه الروح القُدُس فصار مقدّسا.

تعقيــب

ورد في (الإصحاح السادس من سفر الملوك الثاني) أن الآراميين قد حاصروا السامرّة زمنا في عهد الملك أخزيا. وكان هذا الملك ناقما على الربِّ وعلى نبيِّه أليشع؛ موقنـا أنها سبب ما هم فيه من بلاء، وقال لإليشع ماذا ننتظر من الربِّ بعد كل هذه المصائب؟ فكان رد أليشع أن هذه الغُمّة سوف تنزاح قريبا. والعجب كل العجب أن يكافئ الربُّ مثل هذا الملك بالنصر على أعدائه، والسؤال هو على ماذا يكافئه الربُّ؟ وقد ورد في نفس السفر أن الربَّ قد نصره نصرا مؤزّرا؛ فلا مواجهة ولا قتال، بل فزع في صفوف الأعداء لا مبرِّر مقنعا له.

ورد في (الإصحاح الثاني من سفر أشعياء) أن جبل الهيكل سوف تعود إليه قدسيَّتُه، ويعُمّ السلام العالم، ولا تكون هناك عداوة بين أمّة وأخرى، ويُعْبد الله وحده، وتسود يهوذا على كل ما حولها.

ونحن نقول: إن يعُمّ السلام، ويُعْبد الله وحده فلا أحد يكره ذلك، لكن أن تسود يهوذا على كل ما حولها فلنا عندها وقفة. فكيف تسود يهوذا (بنو إسرائيل) ويُعْبد الله وحده وهم أصلا لا يبشِّرون بدينهم، و لا يدعون أحدا لمعتقدِهم؟ إلا إذا كان ربُّ بني إسرائيل سوف يُطهِّر الأرض من جميع أهلها، ويُبْقي عليهم وحدهم لعبادته وحده؛ وهذا الأمر غير مُستبعد في تفكير بني إسرائيل.

أما قول النصارى: إن النبوءة تشير إلى أيام مجيء المسيح، وإن عبارة بيت إله يعقوب تشير إلى الكنيسة، وأن عبارة من صهيون تخرج الشريعة أنها تشير إلى شريعة جديدة هي المسيحية؛ فهي تقوُّلات غير مستساغة، وتفسيرات للنصوص غير مقنعة، وفيها إسقاطات غير واقعية.

ورد في (الإصحاح الستين من سفر أشعياء) أن نور الربِّ سوف يُشْرق على أرض إسرائيل، ويُخيِّم الظلامُ على غيرهم من شعوب الأرض، وأن أبناءهم سوف يُقْبلون من شتاتهم متهلِّلون، وبناتِهم محمولون على الأعناق. وأن ثروات البحر سوف تتحوّل إليهم،

وغنى الأمم سوف يتدفّق عليهم من كل مكان، وأن الغرباءَ سوف يقومون بحماية أسوارهم، وأن ملوكهم سوف يكونون في خدمتهم، وأن أعداءهم سوف يأتون إليهم خاضعين أذلاّء يرجون رضاهم.

ونحن نقول: إن هذه النبوءة إذا كانت تشير إلى العودة من السبْي، فإن فيها مبالغة شديدة لأنهم عادوا من السبْي شبه أسارى وليسوا فاتحين؛ لأن عودتهم كانت منّة وتفضُّلا من الفُرْس عليهم، كما أنهم لم يعودوا جميعا؛ بل كثير منهم فضّل البقاء في موْطن الأسْر. إذا فلم يتحقّق شيء مما أشارت إليه النبوءة؛ اللهم إلا عودة بعضهم من السبي، وقيامهم هم بأنفسهم ببناء سور أورشليم بعد جهد جهيد. كما أنهم كانوا أذلاء خاضعين لغيرهم ممن تعاقبوا على هذه الأرض المنكوبة من محتلِّين.

أما إذا كانت النبوءة تشير إلى يوم آخر، فإن ذلك يصطدم مع تفسير النصارى للنبوءة التي يعتبرونها نبوءة عن كنيسة المسيح الذي سيأتي لها ويفديها ويسكُب روحه عليها، وأن التحقيق الكامل لمجد الكنيسة المنتظر هو في أورشليم السماوية بعد أن يأتي المسيح.

ورد في (الإصحاح الرابع من سفر ميخا) أن جبل هيكل الربِّ سوف يُصْبح أشهر الجبال، وسوف تتقاطر إليه شعوب أمم كثيرة لتعلُّم الشريعة والعمل وفق ما جاء بها، ويعود الحُكْم إلى بني إسرائيل كما كان من قبل. وهذا يصطدم مع حقيقة أن اليهودية دين منغلق جعله اليهود خاصّية وميزة لهم وحدهم، كما جعلوا الربَّ إلههم وحدهم، فكيف تتقاطر الشعوب إلى جبل هيكل الرب لتعلُّم شريعة اليهود إذا؟

ورد في (الإصحاح الثالث من سفر صفنيا) أن الربَّ سوف يجعل جميع الشعوب تلتفُّ حول بني إسرائيل في الشتات، ويترنّمون جميعا بحبِّ الربِّ والتضرُّع إليه، وتقديم القربات لنَيْل رضاه. وهذا لم يحدث أبدا، فقد عاشوا في السبْي منبوذين، وعادوا من السبْي مكبّلين بذلِّ الخضوع للفُرْس.

كما ورد أن الربَّ سوف يعفو عما سلف من تمرُّدهم على شرائعه، ولا يجعلهم يتحمّلون منها حتى مجرّد شعورهم بأي عار من أجلها. وهذا مستهجن جدا، لأن الندم على ذنب نرتكبه هو حصن يحمينا من العودة إليه مرة أخرى أو إلى مثله. لكن التوراة رسّخت

لفكرة أن بني إسرائيل مهما كان خطؤهم فإن الربَّ سوف يغفره لهم، ومهما تكرّر الخطأ فإن الربَّ سوف يعفو عنهم. وليت الأمر يقف عند هذا الحدّ، بل يتعدّاه إلى أن الربَّ يعلن ندمه إن هو عاقبهم على ذنب ارتكبوه. وهذا يمثّل خللا بيّنا في مبدأ الثواب والعقاب حتى بمقياس البشر.

ورد في (الإصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال) أن الربَّ سوف يُحْيِي بني إسرائيل من مواتهم، ويرُدّهم إلى أرضهم، وأنه سوف يجمعهم من بين الأمم، ويجعلهم أمّة واحدة تحت رئاسة ملك واحد، ويجعل عليهم ملكا من ذرية يعقوب.

ونحن نقول: إذا كانت النبوءة تشير إلى العودة من السبْي فإنها تكون قد تحقّقت، لكن إذا كانت تشير إلى آخر الزمان فإنها تصطدم مع قول النصارى أن اختيار داود هو رمز للمسيح، لأن المسيح هو ابن داود.

أما قول النصارى عن العصاتين اللتين جمعمها حزقيال: إنه قد يكون جمعهما على شكل صليب؛ فتكون كل هذه البركات من عمل صليب المسيح، فهو قول غير مستساغ، كما أن كلمة (قد) لا يُعَوَّلُ عليها كثيرا في تفسير النبوءات.

ورد في (الإصحاح الثاني عشر من سفر زكريا) أن شعب يهوذا من فرط نعم الربِّ عليهم سوف يندمون أشدّ الندم على ما حدث من إعراضهم عنه فيما سبق.

ويفسر النصارى ذلك بقولهم: إن من يؤمن بالمسيح من بني إسرائيل سوف يندمون على ما فعله آباؤهم من صلب وطعن للمسيح. وهذا قول لا يتفق مع موقف اليهود من المسيح حتى وقتنا هذا، وإن آمن به بعضُهم فما الذي يحملهم على الندم عما فعله آباؤهم وهم منه براء؟

ورد في (الإصحاح الأول من سفر عوبيديا) أن يوم هلاك جميع الأمم قريب، وأن بني إسرائيل سوف يقضون على الآدوميين ويرثون أرضهم وأرض الفلسطينيين والكنعانيين، وسوف يعود المسبيّون من أرض فرنسا وإسبانيا ومن كل الأمم إلى جبل صهيون ليحكموا على الجبل باسم الربِّ إلههم.

النبوءة كما هو واضح لا تتكلّم عن أسرى بابل لكن عن أسرى غيرهم، وهذا يشير إلى عودة لأسرى غير أسرى بابل، وزمن غير زمنهم. واليهود يفسّرون النبوءة على أنها انتصار لهم على جميع الأمم في زمن لاحق، أما النصارى فيرَوْن أن جبل صهيون يشير إلى الكنيسة السماوية، الجسد الذي سكن فيه الروح القدس فصار مقدّسا؛ فهي إذا نبوءة بعودة المسيح الثاني وانتصار المسيحية في آخر الزمان كما يقول النصارى. وهذا يتعارض مع تفسير اليهود للنص.

الفصل الثامن

نبوءات بالسّبْي

والعودة من السّبْي

الفصل الثامن

نبوءات بالسّبي والعودة من السّبي

نبوءة التثنية بالسّبي

من نصوص العهد الذي أمر الربُّ نبيَّه موسى أن يُبْرمه مع بني إسرائيل في سهول مؤاب أن لا يكون بينهم من يعبُد آلهة الوثنيّين، ويأمرهم أن لا يرفقوا بمثل هذا الإنسان لأنه ملعون من الربِّ، وإن وُجِد مثله بينهم فإن الربَّ سوف يسلِّط عليهم المصائب والأمراض، ويحرق أرضهم بالكبريت؛ فلا يبقى فيها زرع ولا عشب ولا نبات كما جرى لِسَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُويِيمَ، ويرمي بهم في أرض غير أرضهم: ١٨لِئَلاَّ يَكُونَ بَيْنَكُمْ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ أَوْ عَشِيرَةٌ أَوْ سِبْطٌ مَالَ قَلْبُهُ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِنَا، فَغَوَى لِيَعْبُدَ آلِهَةَ تِلْكَ الأُمَمِ. فَاحْرِصُوا أَلاَّ يَكُونَ بَيْنَكُمْ مَنْ تَأَصَّلَ فِيهِ الشَّرُّ، فَيَحْمِلَ ثَمَراً عَلْقَماً سَاماً..... ٢٠إِنَّ الرَّبَّ لاَ يَشَاءُ الرِّفْقَ بِمِثْلِ هَذَا الإِنْسَانِ، بَلْ يَحْتَدِمُ غَضَبُهُ وَغَيْرَتُهُ عَلَيْهِ، فَتَنْزِلُ بِهِ كُلُّ اللَّعْنَاتِ الْمُدَوَّنَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَيَمْحُو اسْمَهُ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. ٢١وَيُفْرِزُهُ الرَّبُّ مِنْ بَيْنِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ لِيُهْلِكَهُ بِمُقْتَضَى جَمِيعِ لَعْنَاتِ الْعَهْدِ الْمُدَوَّنَةِ فِي كِتَابِ الشَّرِيعَةِ هَذَا. ٢٢فَيُشَاهِدُ أَبْنَاؤُكُمْ مِنَ الأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ، وَالْغُرَبَاءُ الْوَافِدُونَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ بَلاَيَا تِلْكَ الأَرْضِ وَمَا يُصِيبُهَا الرَّبُّ بِهِ مِنْ أَمْرَاضٍ، ٢٣إِذْ تُصْبِحُ جَمِيعُ الأَرْضِ كِبْرِيتاً، مُحْتَرِقَةً لاَ زَرْعَ فِيهَا وَلاَ نَبَاتَ وَلاَ عُشْبَ، وَكَأَنَّهَا انْقَلَبَتْ كَمَا جَرَى لِسَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُويِيمَ، الَّتِي قَلَبَهَا الرَّبُّ مِنْ جَرَّاءِ غَضَبِهِ وَسَخَطِهِ. ٢٤فَتَقُولُ جَمِيعُ الأُمَمِ: لِمَاذَا فَعَلَ الرَّبُّ هَذَا كُلَّهُ بِهَذِهِ الأَرْضِ؟..... ٢٥فَيَكُونُ الْجَوَابُ: لأَنَّ هَذَا الشَّعْبَ نَقَضَ عَهْدَ الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِم..... ٢٧فَالْتَهَبَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ،..... ٢٨وَاجْتَثَّهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ بِغَضَبٍ وَسَخَطٍ وَغَيْظٍ عَظِيمٍ، وَطَوَّحَ بِهِمْ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى كَمَا هُوَ حَادِثٌ الْيَوْمَ. (التثنية ٢٩)

نبوءة لميخا بالسّبي

يقول ميخا: إن بني إسرائيل في أورشليم ينوحون ويجأرون بالشكوى قائلين ليس فينا ملك ولا حكماء يقودوننا إلى ما يُصْلح حالنا، ويقول إن الربَّ قال: إنه بسبب فسادهم

سوف يسلّط عليهم عدوًا يقهرهم، ويسوقهم سبايا إلى بابل. ويقول: إن معاناتهم في الأسر لن تطول، وأنه سوف ينقذهم من أيدي أعدائهم: ٩لماذا تنوحين بصوتٍ مُرتفعٍ؟ أليس فيكِ ملكٌ؟ هل هَلَكَ مُشيرُكِ حتّى ألمَّ بكِ الألمُ كامرأةٍ تقاسي من المخاض. ١٠تلوّي وجعاً وتأوّهي يا ابنة صهيون كامرأةٍ تعاني من المخاض، لأنكِ الآن تخرجين من المدينة لتقيمي في الصحراء. ستذهبين إلى بابل، وهناك يتمّ إنقاذكِ لأنّ الربّ يفتديكِ هناك من أيدي أعدائكِ. (ميخا ٤)

نبوءة لهوشع بالسّبي

أمر الربُّ هوشع أن يتزوّج من عاهرة لتُنجب له أبناء زنى (كناية عن بعد بني إسرائيل عن الربّ). ولما أنجبت أمره الربُّ أن يسمّي ابنه الأول منها يزرعيل (كناية عن أن الربّ سيُهلكهم)، وأن يسمّي ابنته منها لورحامة (كناية عن أنه لن يرحمهم)، واستثنى الربُّ من تهديداته بيت يهوذا وقال أنه سوف يرحمهم. وأمره الربُّ أن يسمّي ابنه الثاني منها لوعمي (كناية عن أنهم ليسوا شعبه): ٢وأوّلُ ما خاطبَ الرّبُّ بهِ هُوشعَ أنّهُ قالَ لَهُ: «اذهبْ وتزوّجْ منْ عاهرةٍ، تُنجبُ لكَ أبناءَ زنى، لأنّ الأرضَ قدْ زنتْ إذْ تركتِ الرّبّ». ٣فمضى هُوشعُ وتزوّجَ جُومرَ بنتَ دِبلايمَ، فحملتْ وأنجبتْ لهُ ابناً. ٤فقالَ الرّبُّ لهُ: «ادعُ اسمهُ يزرعيلَ، لأنّي مُوشكٌ أنْ أقضيَ على بيتِ ياهُو انتقاماً لِدمِ يزرعيلَ، وأُبيدَ مملكةَ بيتِ إسرائيلَ. ٥في ذلكَ اليومِ أُحطّمُ قوسَ إسرائيلَ في وادي يزرعيلَ». ٦ثُمّ حملتْ ثانيةً فأنجبتِ ابنةً، فقالَ لهُ الرّبُّ: «سمّها لُورُحامةَ لأنّي لا أعودُ أرحمُ بيتَ إسرائيلَ ولنْ أصفحَ عنهُمْ. ٧ولكنّي أرحمُ بيتَ يهوذا وأُخلّصُهُمْ بقوّتي أنا الرّبُّ إلهُهُمْ. لنْ أُنقذهُمْ بقوسٍ أوْ بسيفٍ، ولا بحربٍ ولا بخيلٍ أوْ فُرسانٍ». ٨وبعدَ أنْ فطمتْ «لُورُحامةَ» حملتْ وأنجبتِ ابناً. ٩وقالَ الرّبُّ: «سمّهِ لُوعمّي لأنّكُمْ لستُمْ شعبي وأنا لستُ إلهكُمْ. (هوشع ١)

نبوءة ثانية لهوشع بالسّبي

يقول هوشع: إن الربَّ توعّد بني إسرائيل بأنّه سوف يحرمهم من خيرات أرضهم، ويشرّدهم من ديارهم مسبيّين في بلاد آشور، أو متغرّبين في أرض مصر؛ بسبب خيانتهم له وعبادتهم للأوثان. ويقول إن الربَّ لم يعُدْ يقبل ذبائحهم ولا تقدماتهم، لأنها لم تعد تُقدّم

خالصة لمرضاته، كما أن الكهنة يقبلونها فقط لإشباع جوعهم ونهمهم: لاَ تَبْتَهِجْ يَاإِسْرَائِيلُ وَلاَ تَطْرَبْ كَبَقِيَّةِ الشُّعُوبِ، لأَنَّكَ قَدْ خُنْتَ إِلَهَكَ وَهَجَرْتَهُ، وَأَحْبَبْتَ أُجْرَةَ الزِّنَى عَلَى كُلِّ بَيَادِرِ الْحِنْطَةِ. ٢لِهَذَا فَإِنَّ الْبَيْدَرَ وَالْمِعْصَرَةَ لاَ يُطْعِمَانِكُمْ، وَالْخَمْرَةَ الْجَدِيدَةَ لاَ تُلَبِّي حَاجَتَكُمْ. ٣لَنْ تَظَلُّوا مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ بَلْ يَرْجِعُ أَفْرَايِمُ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ، وَيَأْكُلُوا لَحْماً نَجِساً فِي أَشُّورَ. ٤لاَ تَسْكُبُوا لِلرَّبِّ خَمْراً وَلَنْ تَسُرَّهُ ذَبَائِحُكُمْ، بَلْ تَكُونُ لَكُمْ كَخُبْزِ النَّائِحِينَ. كُلُّ مَنْ يَأْكُلُ مِنْهُ يَتَنَجَّسُ، إِذْ يَكُونُ خُبْزُكُمْ لِسَدِّ جُوعِكُمْ فَقَطْ، وَلاَ يَدْخُلُ أَبَداً إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ..... (هوشع ٩)

ويتابع هوشع تبليغ وعيد الربِّ لبني إسرائيل، فيقول: إنه بسبب إصرار بني إسرائيل على السير في طريق الإثم، وتقديم القرابين للبعل (من آلهة الوثنيين)، والبخور للأوثان؛ فإن الربَّ لن يمكِّنهم من الذهاب إلى مصر كما يريدون طلبا للحماية، لكنه سوف يُسْلِمُهم إلى ملك آشور، ولن يجدوا من يُخلِّصهم منه، وإن جيش آشور سوف يستبيح بلادهم، ويُحطِّم حصونهم: عِنْدَمَا كَانَ إِسْرَائِيلُ صَغِيراً أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي. ٢لَكِنْ كُلَّمَا دَعَاهُمُ الأَنْبِيَاءُ لِعِبَادَتِي أَعْرَضُوا عَنِّي، ذَابِحِينَ قَرَابِينَ لِلْبَعْلِ، وَمُصْعِدِينَ بَخُوراً لِلأَوْثَانِ..... لِذَلِكَ لَنْ يَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ بَلْ يُصْبِحُ أَشُّورُ مَلِكاً عَلَيْهِمْ. ٦يَهْجُمُ السَّيْفُ عَلَى مُدُنِهِمْ، وَيَلْتَهِمُ أَرْتَاجَ بَوَّابَاتِهَا، وَيُهْلِكُهُمْ لِمَشُورَاتِهِم الْخَاطِئَةِ. ٧قَدْ وَطَّدَ شَعْبِي الْعَزْمَ عَلَى الارْتِدَادِ عَنِّي، لِهَذَا وَلَوِ اسْتَغَاثُوا بِالْعَلِيِّ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَجِدُونَ مَنْ يَرْفَعُ النِّيرَ عَنْهُمْ. (هوشع ١١)

نبوءة لإرميا بالسّبي

أبلغ إرميا الملك صدقيا بأن الربّ يقول له: اخضع لملك بابل، وكن في خدمته أنت وشعبك؛ فتُكْتب لكم الحياة، وتنجون من الموت الذي قضى به الربُّ على كل من يقاومه: ١٢فَبَلَّغْتُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا جَمِيعَ هَذَا الْكَلاَمِ وَقُلْتُ: «اخْضَعُوا لِمَلِكِ بَابِلَ وَاخْدُمُوهُ وَشَعْبَهُ فَتَحْيَوْا. ١٣فَلِمَاذَا تَمُوتُ أَنْتَ وَشَعْبُكَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ كَمَا قَضَى الرَّبُّ عَلَى الأُمَّةِ الَّتِي لاَ تُسْتَعْبَدُ لِمَلِكِ بَابِلَ؟ (إرميا ٢٧)

نبوءة التثنية بالعودة من السّبي

ويتابع موسى نصوص العهد فيقول: إن أنتم جعلتم هذه التحذيرات نُصْب أعينكم، ولم تغفُلْ عنها قلوبكم وأنتم في شتاتكم، وحرصتم على السير في طريق الربِّ، وأوصيتم

أبناءكم بذلك، فإن الربّ إلهكم سوف يرُدّ سبيكم، ويلُمّ شتاتكم، ويكثّر نسلكم، ويحوّل كل اللعنات إلى أعدائكم ومبغضيكم: وَعِنْدَمَا تَحِلُّ بِكُمْ هَذِهِ الْبَرَكَاتُ وَاللَّعْنَاتُ كُلُّهَا الَّتِي وَضَعْتُهَا أَمَامَكُمْ، وَرَدَّدْتُمُوهَا فِي قُلُوبِكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَيْثُ شَتَّتَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، ٢وَرَجَعْتُمْ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ أَنْتُمْ وَبَنُوكُمْ، وَسَمِعْتُمْ لِصَوْتِهِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ بِحَسَبِ كُلِّ مَا أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ الْيَوْمَ، ٣فَإِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ يَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَيَرْحَمُكُمْ، وَيَلُمُّ شَتَاتَكُمْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ نَفَاكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ إِلَيْهِمْ..... ٥وَيُعِيدُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي وَرِثَهَا آبَاؤُكُمْ فَتَمْتَلِكُونَهَا، وَيُحْسِنُ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرُكُمْ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِكُمْ..... ٧وَيُحَوِّلُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ كُلَّ هَذِهِ اللَّعْنَاتِ لِتَنْصَبَّ عَلَى أَعْدَائِكُمْ وَعَلَى مُبْغِضِيكُمُ الَّذِينَ طَرَدُوكُمْ،..... (التثنية ٣٠)

نبوءة لأشعياء بخلاص البقيّة الناجية

يقول أشعياء: إن قِلَّة من بني إسرائيل هم فقط من يتّكلون على الربّ قُدّوس إسرائيل، وهم الذين سيعودون من أرض السّبْي. ويقول أن بني إسرائيل رغم أنهم كرمل البحر في كثرتهم فإن معظمهم لا يفضّلون العودة إلى أرض الموعد، بل يعود قليل منهم لأن الربَّ قد قضى بفناء الذين بقوا منهم في أرض عدوِّهم: ٢٠فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لاَ تَعُودُ بَقِيَّةُ إِسْرَائِيلَ وَالنَّاجُونَ مِنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى مَنْ ضَرَبَهُمْ، بَلْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الرَّبِّ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ بِالْحَقِّ. ٢١وَتَرْجِعُ بَقِيَّةُ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ إِلَى الرَّبِّ الْقَدِيرِ. ٢٢مَعَ أَنَّ شَعْبَكَ يَاإِسْرَائِيلُ كَرَمْلِ الْبَحْرِ، فَإِنَّ بَقِيَّةً فَقَطْ تَرْجِعُ، لأَنَّ اللهَ قَضَى بِفَنَائِهِمْ، وَقَضَاؤُهُ عَادِلٌ. ٢٣فَالرَّبُّ الْقَدِيرُ يُجْرِي الْفَنَاءَ وَالْقَضَاءَ فِي وَسَطِ كُلِّ الأَرْضِ. (أشعياء ١٠)

نبوءة لعاموس بردّ السّبي

يقول عاموس: إن الربّ قد وعد أن يعيد بناء ما تهدّم من مساكنهم، وأن يعمِّر خرائبهم بأحسن مما كانت عليه، ويمنح إسرائيل ما تبقّى من أرض أدوم وجميع الأمم، ويبارك لهم في زرعهم وحصادهم، ويرُدّهم إلى أوطانهم، ويغرسهم فيها غرسا؛ فلا يقدر أحد أن ينزعهم منها أبدا: ١١فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أُقِيمُ مَسْكِنَ دَاوُدَ الَّذِي تَهَاوَى، وَأَسُدُّ ثُغْرَاتِهِ وَأُعَمِّرُ خَرَائِبَهُ وَأُعِيدُ بِنَاءَهُ كَالْعَهْدِ بِهِ فِي الأَيَّامِ الْغَابِرَةِ. ١٢لِكَيْ يَرِثَ إِسْرَائِيلُ مَا تَبَقَّى مِنْ أَدُومَ وَجَمِيعَ الأُمَمِ الَّتِي دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهَا، يَقُولُ الرَّبُّ صَانِعُ هَذِهِ الأُمُورِ. ١٣هَا أَيَّامٌ تَأْتِي

يَقُولُ الرَّبُّ: يُدْرِكُ فِيهَا الْحَارِثُ الْحَاصِدَ، وَدَائِسُ الْعِنَبِ بَاذِرَ الْحَبِّ، وَتَسِيلُ الْخُمورُ الطَّيِّبَةُ مِنْ كُرُومِ الْجِبَالِ وَتَفِيضُ بِهَا التِّلاَلُ كُلُّهَا. ١٤وَأَرُدُّ سَبْيَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ فَيُعِيدُونَ بِنَاءَ الْمُدُنِ الْخَرِبَةِ وَيَسْكُنُونَهَا، وَيَزْرَعُونَ كُرُوماً وَيَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرِهَا، وَيَغْرِسُونَ جَنَّاتٍ وَيَأْكُلُونَ مِنْ ثِمَارِهَا. ١٥وَأَغْرِسُ شَعْبِي فِي أَرْضِهِمْ فَلاَ يُسْتَأْصَلُونَ ثَانِيَةً أَبَداً مِنَ الأَرْضِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لَهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ. (عاموس ٩)

نبوءة لميخا بعودة السّبي

بعد أن تنبأ ميخا على يهوذا بالسّبي، سرعان ما بشّرهم بأن هؤلاء الذين تكالبوا عليهم قاصدين تدنيس أرضهم، والشماتة فيهم، سوف يقهرهم الربُّ، ويجعل من بني إسرائيل قوّة لا تُقهر؛ تسحق أمما كثيرة، وتغنم ثرواتهم وتجعلها تقدمات للربِّ إلههم: ١١وَالآنَ هَا أُمَمٌ غَفِيرَةٌ قَدِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْكِ قَائِلَةً «لِتَتَدَنَّسْ أُورُشَلِيمُ حَتَّى تَتَفَرَّسَ عُيُونُنَا فِي خَرَابِهَا». ١٢لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا نَوَايَا الرَّبِّ، وَلَمْ يَفْهَمُوا مَقَاصِدَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ جَمَعَهُمْ كَأَكْدَاسٍ إِلَى الْبَيْدَرِ لِيُعَاقِبَهُمْ. ١٣فَانْهَضِي يَاابْنَةَ صِهْيَوْنَ وَادْرُسِي أَعْدَاءَكِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُ لَكِ قَرْناً مِنْ حَدِيدٍ وَأَظْلاَفاً مِنْ نُحَاسٍ فَتَسْحَقِينَ أُمَماً كَثِيرَةً، وَتُكَرِّسِينَ كُلَّ مَا تَغْنَمِينَهُ مِنْهُمْ لِلرَّبِّ، وَتُقَدِّمِينَ ثَرْوَتَهُمْ لِسَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا. (ميخا ٤)

نبوءة لهوشع برجوع المسبيِّين

بعد أن تنبأ هوشع بسبي يهوذا قال: إن الربَّ قد قال عن بني إسرائيل أنهم سيتكاثرون بحيث لا يمكن إحصاء عددهم، ولا يمكن كيلهم كما هو الحال في رمل البحر، وأنه في نفس الموضع الذي قال لهم فيه لستُم شعبي، سيقول لهم أنتم أبنائي، ويجمع أبناء يهوذا وأبناء إسرائيل في نفس المكان الذي شُرِّدوا منه تحت قيادة ملك واحد، وتتحوّل نقمته عليهم بتفريقهم إلى نعمة بتجميعهم: ١٠وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ عَدَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُكَالُ وَلاَ يُحْصَى. وَفِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ: أَنْتُمْ لَسْتُمْ شَعْبِي، يُقَالُ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَبْنَاءُ اللهِ الْحَيِّ. ١١وَيَجْتَمِعُ أَبْنَاءُ يَهُوذَا وَأَبْنَاءُ إِسْرَائِيلَ مَعاً وَيَنْصِبُونَ عَلَيْهِمْ قَائِداً وَاحِداً، وَيَرْجِعُونَ مِنْ أَرْضِ السَّبْيِ، لأَنَّ يَوْمَ يَزْرَعِيلَ عَظِيمٌ». (هوشع ١)

يقول هوشع: إن الربَّ أبلغه أنه متألِّم من أجل ما سيفعله بشعب مملكة إسرائيل، ومن أجل أنه سوف يُسْلمهم لأعدائهم، ويُهْلكهم كما أهلك سدوم وعمورة (قوم لوط). ويقول الربُّ أن رحمته بهم تحثُّه على كبح غضبه عليهم، وعدم تدميرهم مرة ثانية، وإن هم ساروا في طريقه سوف يجمع شتاتهم ويجعلهم يهرعون كالطير من أرض مصر، وكالحمام من أرض آشور؛ عائدين إلى أرضهم وديارهم. ويقول الربُّ بأسى أنه رغم تهديداته لهم، فإنهم لا يزالون على عهدهم من الكذب والنفاق والبعد عن طريقه: ٨كَيْفَ أَتَخَلَّى عَنْكَ يَاأَفْرَايِمُ؟ وَكَيْفَ أُسَلِّمُكَ إِلَى الْعَدُوِّ يَاإِسْرَائِيلُ؟ كَيْفَ أُعَامِلُكَ كَمَا عَامَلْتُ أَدْمَةَ؟ وَكَيْفَ أُجْرِي عَلَيْكَ مَا أَجْرَيْتُهُ عَلَى صَبُوئِيمَ؟ إِنَّ قَلْبِي يَتَلَوَّى أَسًى فِي دَاخِلِي وَتَضْرَمُ فِيَّ مَرَاحِمِي. ٩لَنْ أُنَفِّذَ فِيهِمْ قَضَاءَ احْتِدَامِ غَضَبِي، وَلَنْ أُدَمِّرَ أَفْرَايِمَ ثَانِيَةً، لأَنِّي اللهُ لاَ إِنْسَانٌ، أَنَا الْقُدُّوسُ الَّذِي فِي وَسَطِكَ لاَ أُقْبِلُ عَلَيْكُمْ بِسَخَطٍ. ١٠يَسِيرُونَ وَرَائِي أَنَا الرَّبَّ، فَأَزْأَرُ كَالأَسَدِ، وَعِنْدَئِذٍ يُسْرِعُ أَبْنَائِي قَادِمِينَ مِنَ الْغَرْبِ. ١١وَيُهْرَعُونَ كَالطُّيُورِ مِنْ مِصْرَ، وَكَحَمَامٍ مِنْ أَرْضِ أَشُّورَ، وَأَرُدُّهُمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ. ١٢لَقَدْ حَاصَرَنِي أَفْرَايِمُ بِالْكَذِبِ وَبَيْتُ إِسْرَائِيلَ بِالنِّفَاقِ، وَمَا زَالَ يَهُوذَا شَارِداً عَنِّي أَنَا اللهِ الْقُدُّوسِ الأَمِينِ. (هوشع ١١)

نبوءة لإرميا بالخلاص من السّبي

يتوعّد الربُّ بعقاب ملوك بني إسرائيل الذين لم يرْعوا الشعب الرعاية التي تكفُل لهم الحياة الطيبة في أرضهم؛ وعملوا على تبديدهم وطردهم على يد أعدائهم. ويتعهّد الربُّ بجمع شتات الشعب من الأراضي التي كتب لهم الجلاء إليها من قبل؛ فيعودون إلى أرضهم ليزرعوها ويتكاثرون وتنمو أعدادهم، ويعيشون في أمان لا يخافون من أحد؛ تحت ظل حاكم عادل من ذرية داود: يَقُولُ الرَّبُّ: «وَيْلٌ لِلرُّعَاةِ الَّذِينَ يُبِيدُونَ وَيُبَدِّدُونَ غَنَمَ رَعِيَّتِي (أَيْ شَعْبِي)». ٢لِذَلِكَ هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الرُّعَاةِ الَّذِينَ يَرْعَوْنَ شَعْبِي: «لَقَدْ بَدَّدْتُمْ غَنَمِي (أَيْ شَعْبِي) وَطَرَدْتُمُوهَا، وَلَمْ تَتَعَهَّدُوهَا. فَهَا أَنَا أُعَاقِبُكُمْ عَلَى شَرِّ أَعْمَالِكُمْ. ٣وَأَجْمَعُ شَتَاتَ غَنَمِي مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي أَجْلَيْتُهَا إِلَيْهَا، وَأَرُدُّهَا إِلَى مَرَاعِيهَا فَتَنْمُو وَتَتَكَاثَرُ، ٤وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رُعَاةً يَتَعَهَّدُونَهَا فَلاَ يَعْتَرِيهَا خَوْفٌ مِنْ بَعْدُ وَلاَ تَرْتَعِدُ وَلاَ

تفسل. ٥ها أيَّامٌ مُقبِلَةٌ أُقِيمُ فِيهَا لِدَاوُدَ ذُرِّيَّةَ بِرٍّ، مَلِكاً يَسُودُ بِحِكْمَةٍ، وَيُجْرِي فِي الأَرْضِ عَدْلاً وَحَقّاً. ٦فِي عَهْدِهِ يَتِمُّ خَلاَصُ شَعْبِ يَهُوذَا، وَيَسْكُنُ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ آمِناً. أَمَّا الاِسْمُ الَّذِي سَيُدْعَى بِهِ فَهُوَ: الرَّبُّ بِرُّنَا..... (إرميا ٢٣)

نبوءة ثانية لإرميا بالعودة من السّبي

أشار الربُّ إلى سلّتي تين؛ واحدة مملوءة بتين جيد، وأخرى بتين رديء ، وقال لإرميا: إن الأولى ترمُز إلى الفئة الصالحة من المسبيّين (في بابل)، والأخرى إلى الفئة الرديئة من المسبيّين (في مصر). وأعلن الربُّ أنه قد أتى بالصالحين منهم إلى السبي من أجل أن يعتركهم ليقوّي فيهم نزعة الإيمان؛ حتى يعودوا من السبي وهم أكثر صلة به، ولا يكون في قلوبهم محبّة لغيره: وَبَعْدَمَا سَبَى نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ، يَكُنْيَا بْنَ يَهُويَاقِيمَ مَلِكَ يَهُوذَا مَعَ سَائِرِ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، وَالنَّجَّارِينَ وَالْحَدَّادِينَ، مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَأَتَى بِهِمْ إِلَى بَابِلَ، أَرَانِي الرَّبُّ فِي رُؤْيَا سَلَّتَيْ تِينٍ مَوْضُوعَتَيْنِ أَمَامَ هَيْكَلِ الرَّبِّ. ٢وَكَانَ فِي إِحْدَى السَّلَّتَيْنِ تِينٌ جَيِّدٌ كَالتِّينِ الْبَاكُورِيِّ، وَفِي الأُخْرَى تِينٌ رَدِيءٌ تَعَافُ النَّفْسُ أَكْلَهُ مِنْ فَرْطِ رَدَاءَتِهِ. ٣فَقَالَ لِيَ الرَّبُّ: «مَاذَا تَرَى يَاإِرْمِيَا؟» فَأَجَبْتُ: «تِيناً. الْجَيِّدُ مِنْهُ يَمْتَازُ بِجَوْدَتِهِ، وَالرَّدِيءُ مِنْهُ تَعَافُهُ النَّفْسُ لِفَرْطِ رَدَاءَتِهِ». ٤فَقَالَ الرَّبُّ لِي: ٥هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: سَأَعْتَنِي بِالْمَسْبِيِّينَ مِنْ يَهُوذَا الَّذِينَ أَجْلَيْتُهُمْ لِخَيْرِهِمْ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ، كَمِثْلِ هَذَا التِّينِ الْجَيِّدِ. ٦وَسَأَرْعَاهُمْ بِعَيْنَيَّ لِخَيْرِهِمْ، وَأَرُدُّهُمْ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ، وَأَبْنِيهِمْ وَلاَ أَهْدِمُهُمْ، وَأَغْرِسُهُمْ وَلاَ أَسْتَأْصِلُهُمْ. ٧وَأَهَبُهُمْ قَلْباً لِيَعْرِفُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، فَيَكُونُوا لِي شَعْباً وَأَكُونَ لَهُمْ إِلَهاً، لأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ. (إرميا ٢٤)

نبوءة ثالثة لإرميا بالرجوع من السّبي

أوحى الربُّ إلى إرميا أنه في الأيام المقبلة سوف يرُدُّ شعبَ إسرائيل ويهوذا من السّبي، ويُعيدُهم إلى أرض الموعد ميراثا أبديّا لهم. ووعده الربُّ أن تنتهي معاناتهم، وتتحطّم قيود أسرهم، وتنتهي عبوديّتهم لآسريهم؛ فيصيرون عبيدا للربِّ إلههم، ويحكمهم ملك من نسل داود يُقيمُه الربُّ لهم: ثُمَّ أَوْحَى الرَّبُّ بِهَذِهِ النُّبُوءَةِ إِلَى إِرْمِيَا قَائِلاً: ٢هَذَا مَا يُعْلِنُهُ

الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ:..... ٣هَا أَيَّامٌ مُقْبِلَةٌ أَرُدُّ فِيهَا سَبْيَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا، وَأُعِيدُهُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهَا لآبَائِهِمْ فَيَرِثُونَهَا..... ٨في ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: أُحَطِّمُ أَنْيَارَ أَعْنَاقِهِمْ، وَأَقْطَعُ رُبُطَهُمْ، فَلاَ يَسْتَعْبِدُهُمْ غَرِيبٌ فِيمَا بَعْدُ. ٩بَلْ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ إِلَهَهُمْ، وَدَاوُدَ (أَيِ الْمَسِيَّا) مَلِكَهُمُ الَّذِي أُقِيمُهُ لَهُمْ. ١٠فَلاَ تَفْزَعْ يَا(نَسْلَ) عَبْدِي يَعْقُوبَ، وَلاَ تَجْزَعْ يَاإِسْرَائِيلُ، فَإِنِّي أُخَلِّصُكَ مِنَ الْغُرْبَةِ، وَأُنْقِذُ ذُرِّيَّتَكَ مِنْ أَرْضِ سَبْيِهِمْ، فَيَرْجِعُ نَسْلُ إِسْرَائِيلَ وَيَطْمَئِنُّ وَيَسْتَرِيحُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُضَايِقَهُ أَحَدٌ. ١١لأَنِّي مَعَكَ لأُخَلِّصَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ. فَأُبِيدُ جَمِيعَ الأُمَمِ الَّتِي شَتَّتُّكَ بَيْنَهَا. أَمَّا أَنْتَ فَلَنْ أُفْنِيَكَ بَلْ أُؤَدِّبُكَ بِالْحَقِّ وَلاَ أُبَرِّئُكَ تَبْرِئَةً كَامِلَةً»..... ١٦وَلَكِنْ سَيَأْتِي يَوْمٌ يُفْتَرَسُ فِيهِ جَمِيعُ مُفْتَرِسِيكِ وَيَذْهَبُ جَمِيعُ مُضَايِقِيكِ إِلَى السَّبْيِ. وَيُصْبِحُ نَاهِبُوكِ مَنْهُوبِينَ، ١٧لأَنِّي أَرُدُّ لَكِ عَافِيَتَكِ أبريء جِرَاحَكِ..... (إرميا ٣٠)

ويقول الربُّ: إنه سوف يُبيد جميع الأمم الذين سبُوا بني إسرائيل، أما هم فسوف يبقون بعد أن مرّوا بفترة التأديب التي حكم الربُّ بها عليهم، لكنّهم يظلّون موضع اختبار الربِّ لهم أيصدُقون التوبة أم ينحرفون. ويقول الربُّ أنهم سوف يعودون إلى منازلهم فيعمرونها، وأنه سيُشيَّد قصر الملك كسابق عهده، وتتردّد الأهازيج وأغاني الأفراح في دورهم، وينشط أبناؤهم في كل أمور الحياة كما كانوا من قبل، ويكون حكّامُهم من بينهم؛ يحكمون بأمر الربِّ إلهِهم: ١٨وَهَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: «هَا أَنَا أَرُدُّ سَبْيَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَأَرْحَمُ مَسَاكِنَهُمْ، فَتُبْنَى الْمَدِينَةُ عَلَى رَابِيَتِهَا، وَيَنْتَصِبُ الْقَصْرُ كَالْعَهْدِ بِهِ. ١٩وَتَصْدُرُ عَنْهُمْ تَرَانِيمُ الشُّكْرِ مَعَ أَهَازِيجِ أَصْوَاتِ الْمُطْرِبِينَ، وَأُكَثِّرُهُمْ فَلاَ يَكُونُونَ قِلَّةً، وَأُكْرِمُهُمْ فَلاَ يَسْتَذِلُّونَ. ٢٠وَيَكُونُ أَبْنَاؤُهُمْ مُفْلِحِينَ كَمَا فِي الْعَهْدِ الْغَابِرِ، وَيَثْبُتُ جُمْهُورُهُمْ أَمَامِي، وَأُعَاقِبُ جَمِيعَ مُضَايِقِيهِمْ. ٢١وَيَكُونُ قَائِدُهُمْ مِنْهُمْ، وَيَخْرُجُ حَاكِمُهُمْ مِنْ وَسَطِهِمْ فَأَسْتَدْنِيهِ فَيَدْنُو مِنِّي، إِذْ مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى الاقْتِرَابِ مِنِّي مِنْ نَفْسِهِ؟ ٢٢وَتَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً». (إرميا ٣٠)

نبوءة رابعة لإرميا بردِّ السّبي

يُطَمْئن الربُّ بني إسرائيل على أنفسهم في مصر؛ فيقول: إنه رغم هزيمة المصريين على يد نبوخذنصر ملك بابل، فسوف ينتصر المصريون، وتعود بلادُهم إلى سابق عهدها

من الازدهار، وسوف يعود بنو إسرائيل من أرض السَّبي في بابل، وأرض الغربة في مصر. ويقول الربُّ: إنه سيُفْني جميع الأمم التي أمر بتشتيتهم فيها، أما هم فيعودون؛ لأن تشتيتهم كان تأديبا لهم وليس بغرض إفنائهم: ٢٥وَيَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: «هَا أَنَا أُعَاقِبُ آمُونَ طِيبَةَ وَفِرْعَوْنَ، وَمِصْرَ وَآلِهَتَهَا، وَمُلُوكَهَا، وَكُلَّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَى فِرْعَوْنَ. ٢٦وَأُسَلِّمُهُمْ إِلَى يَدِ طَالِبِي حَيَاتِهِمْ: إِلَى يَدِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ وَيَدِ رِجَالِهِ، ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَ ذَلِكَ وَتُصْبِحُ آهِلَةً بِالسُّكَّانِ كَالْعَهْدِ بِهَا فِي الْحِقَبِ السَّالِفَةِ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٢٧وَلَكِنْ لاَ تَخَافُوا يَاذُرِّيَّةَ عَبْدِي يَعْقُوبَ، وَلاَ تَفْزَعْ يَاإِسْرَائِيلُ، لأَنِّي سَأُنْقِذُكُمْ مِنَ الْغُرْبَةِ وَأُخَلِّصُ نَسْلَكُمْ مِنْ أَرْضِ السَّبْيِ، فَتَرْجِعُ ذُرِّيَّةُ يَعْقُوبَ وَتَتَمَتَّعُ بِالدَّعَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرْعِبَهَا أَحَدٌ. ٢٨لاَ تَخَافُوا يَاذُرِّيَّةَ عَبْدِي يَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأَنِّي مَعَكُمْ وَأُفْنِي جَمِيعَ الأُمَمِ الَّتِي شَتَّتُّكُمْ إِلَيْهَا. أَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ أُفْنِيكُمْ بَلْ أُؤَدِّبُكُمْ بِالْحَقِّ، إِنَّمَا لاَ أُبَرِّئُكُمْ جَمِيعاً». (إرميا ٤٦)

نبوءة خامسة لإرميا برجوع السَّبي

يقول إرميا عن بني إسرائيل: إنهم كانوا كقطيع الغنم المشتّت بدون راعٍ يرعاه ويسهر على حمايته لَمَّا بعدوا عن طريق الربِّ؛ فأسلمهم الربُّ لأعدائهم من آشوريين وبابليين. ويقول الربُّ أنه كما عاقب ملك آشور من قبلُ، فسوف يعاقب ملك بابل، ويردَّ القطيع إلى مرتعه؛ بعد أن يكون قد عفا عنهم وسامحهم على خطاياهم السابقة. ويقول الربُّ أنه سوف يجعل جيوش أعداء بابل كمطرقة عظيمة تحطِّم وتدكُّ كل ما تقع عليه في طريقها، وأنه سوف يجعلهم مثار دهشة لجميع الأمم. ويقول الربُّ: إنه يفعل ذلك بهم بسبب الظلم الذي أوقعوه ببني إسرائيل: ١٧إِسْرَائِيلُ قَطِيعُ غَنَمٍ مُتَشَتِّتٌ، طَرَدَتْهُ الأُسُودُ. كَانَ مَلِكُ أَشُّورَ أَوَّلَ مَنِ افْتَرَسَهُ، وَنَبُوخَذْنَاصَّرُ آخِرَ مَنْ هَشَّمَ عِظَامَهُ. ١٨لِذَلِكَ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أُعَاقِبُ مَلِكَ بَابِلَ وَأَرْضَهُ. كَمَا عَاقَبْتُ مَلِكَ أَشُّورَ مِنْ قَبْلُ.
١٩وَأَرُدُّ إِسْرَائِيلَ إِلَى مَرْتَعِهِ، فَيَرْعَى فِي الْكَرْمَلِ وَفِي بَاشَانَ، وَتَشْبَعُ نَفْسُهُ فِي جَبَلِ أَفْرَايِمَ وَجِلْعَادَ.... ٢٢قَدْ عَلَتْ جَلَبَةُ الْقِتَالِ فِي الأَرْضِ. صَوْتُ تَحْطِيمٍ عَظِيمٍ. ٢٣كَيْفَ تَكَسَّرَتْ وَتَحَطَّمَتْ بَابِلُ، مِطْرَقَةُ الأَرْضِ كُلِّهَا؟ ٢٤قَدْ نَصَبْتُ الشَّرَكَ فَوَقَعْتِ فِيهِ، يَابَابِلُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَشْعُرِي بِهِ..... ٢٥قَدْ فَتَحَ الرَّبُّ مَخْزَنَ سِلاَحِهِ، وَأَخْرَجَ آلاَتِ سُخْطِهِ، لأَنَّهُ مَا بَرِحَ

لِلسَّيِّدِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ عَمَلٌ يُنْجِزُهُ فِي دِيَارِ الْكَلْدَانِيِّينَ. ٢٦ازْحَفُوا عَلَيْهَا مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ، وَافْتَحُوا أَهْرَاءَهَا، وَكَوِّمُوهَا أَعْرَاماً وَاقْضُوا عَلَيْهَا قَاطِبَةً وَلاَ تَتْرُكُوا مِنْهَا بَقِيَّةً. ٢٧اذْبَحُوا جَمِيعَ ثِيرَانِهَا، أَحْضِرُوهَا لِلذَّبْحِ. وَيْلٌ لَهُمْ لأَنَّ يَوْمَ مَوْعِدِ عِقَابِهِمْ قَدْ حَانَ..... ٣٥هَا سَيْفٌ عَلَى الْكَلْدَانِيِّينَ، يَقُولُ الرَّبُّ: وَعَلَى أَهْلِ بَابِلَ، وَعَلَى أَشْرَافِهَا، وَعَلَى حُكَمَائِهَا. (إرميا ٥٠)

نبوءة لحزقيال بردّ السّبي

تقول نبوءة حزقيال: إن الربَّ سوف يردُّ سبْي ذرِّية يعقوب؛ رحمة بهم وغيرة منه على اسمه المُقدَّس، وأنه سوف يُنْسيهم عارهم وخيانتهم التي ارتكبوها من قبل في حقِّه (أي الربّ)، وأنهم سوف يسكنون أرضهم مطمئنِّين؛ لا يُفْزعهم أحد بعد أن كانوا مُشتَّتين بين الأمم؛ فلا يبقى منهم أحد غريبا بعْدُ. ويقول الربُّ: إنه فعل ذلك من أجل أن يؤمنوا بأنه هو وحده القادر على كل شيء: ٢٥أَمَّا الآنَ فَهَا أَنَا أَرُدُّ سَبْيَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ وَأَرْحَمُ كُلَّ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ وَأَغَارُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ، ٢٦فَيَنْسَوْنَ عَارَهُمْ وَخِيَانَتَهُمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا بِحَقِّي بَعْدَ أَنْ أُسْكِنَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ لاَ يُفْزِعُهُمْ أَحَدٌ. ٢٧عِنْدَمَا أَسْتَرِدُّهُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ بُلْدَانِ أَعْدَائِهِمْ وَأَتَقَدَّسُ فِيهِمْ أَمَامَ عُيُونِ الأُمَمِ الْكَثِيرَةِ، ٢٨فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ، إِذْ نَفَيْتُهُمْ إِلَى الأُمَمِ، ثُمَّ عُدْتُ وَجَمَعْتُهُمْ إِلَى أَرْضِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ أُبْقِيَ هُنَاكَ مِنْهُمْ أَحَداً مِنْ بَعْدُ. ٢٩وَلاَ أَعُودُ أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ لأَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى شَعْبِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ». (سفر حزقيال ٣٩)

نبوءة لزكريا بعودة المنسبيِّين

يقول زكريا: إنه رأى في الرؤيا رجلا (ملاك) يحمل بيده حبل قياس (كالذي يستعمله البناءون) فسأله عمّا ينوي عمله، فأجابه بأنه سوف يقيس أرض أورشليم ليعرف طولها وعرضها. ثم خرج الملاك لمقابلة ملاك آخر (الربَّ) فقال له الملاك الآخر أن يبلغني أنه (أي الربّ) سوف يُعيد بناء أورشليم وتعميرها لتكون ملاذا آمنا لساكنيها، ولا تحتاج لمن يدافع عنها؛ لأنني (أي الربّ) سأكون لها سورا يحميها من الخارج، وسوف أستقرُّ بينهم ولا أتركهم يعودون لخطاياهم. ويقول الربُّ مهيبا ببني إسرائيل في أرض السبي (بابل)

أن يعودوا إلى جبل صهيون؛ لأنه لن يستطيع أحد أن يمنعهم، وأنه سوف يقهر أعداءهم،
ويحوّل حالهم (حال أعدائهم) من عزّ السيادة والجبروت إلى ذُلّ العبودية والوهن: ثُمَّ
رَفَعْتُ عَيْنِي (فِي الرُّؤْيَا) وَإِذَا بِي أَرَى رَجُلاً حَامِلاً بِيَدِهِ حَبْلَ قِيَاسٍ، ٢فَسَأَلْتُهُ: «إِلَى أَيْنَ أَنْتَ
ذَاهِبٌ؟» فَأَجَابَنِي: «لأَمْسَحَ أَرْضَ أُورُشَلِيمَ، فَأَرَى مِقْدَارَ طُولِهَا وَعَرْضِهَا». ٣ثُمَّ خَرَجَ
الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي لِلِقَاءِ مَلاَكٍ آخَرَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ، ٤فَقَالَ لَهُ: «أَسْرِعْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّابِّ: سَتَكُونُ
أُورُشَلِيمُ كَسَهْلٍ مَكْشُوفٍ آهِلَةً بِالنَّاسِ وَالْبَهَائِمِ الْمُطْمَئِنِّينَ فِيهَا ٥لأَنِّي سَأَكُونُ لَهَا سُوراً
مُحِيطاً مِنْ نَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَمَجْداً فِي دَاخِلِهَا». ٦هَيَّا أَسْرِعُوا، اهْرُبُوا مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ، فَقَدْ
شَتَّتُّكُمْ فِي أَرْبَعَةِ أَرْجَاءِ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٧أَمَّا الآنَ، فَهَيَّا اهْرُبُوا إِلَى صِهْيَوْنَ يَامَنْ أَقَمْتُمْ
فِي أَرْضِ بَابِلَ. ٨فَإِنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ يَقُولُ: إِنَّهُ أَرْسَلَنِي إِلَى الأُمَمِ الَّتِي سَلَبَتْكُمْ إِعْلاَءً لِمَجْدِهِ،
لأَنَّ مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِهِ. ٩هَا أَنَا أَضْرِبُهُمْ بِيَدِي فَيَصِيرُونَ نَهْباً لِعَبِيدِهِمْ، فَتُدْرِكُونَ
أَنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ قَدْ أَرْسَلَنِي حَقّاً. (زكريا - ٢)

تعقيـــب

ورد في (الإصحاح التاسع والعشرين من سفر التثنية) أن من نصوص العهد الذي أمر الربُّ موسى أن يُبْرمه مع بني إسرائيل، أن لا يكون بينهم من يعبد آلهة الوثنيّين؛ حتى لا يبتليهم بالمصائب والأمراض، ولا يحرق أرضهم بالكبريت كسدوم وعمورة، ولا يرمي بهم في أرض غير أرضهم.

والغريب أنهم ارتكبوا كل ما أمرهم هذا العهد أن يتجنّبوه؛ خاصّة عبادة الأوثان، ولم تُحرق الأرض بالكبريت كما حُرقت سدوم وعمورة.

ورد في (الإصحاح الرابع من سفر ميخا) أن الربَّ سوف يُسلِّط على بني إسرائيل عدوّا يقهرهم، ويسوقهم سبايا إلى بابل، وأن معاناتهم في الأسر لن تطول، وسوف ينقذهم الربُّ من أيدي أعدائهم.

أليس من العجيب أن يغضب الربُّ عليهم غضبا شديدا، ويهدِّد بتشريدهم من ديارهم وهلاكهم على يد عدوِّهم بسبب فسادهم، وسرعان ما يتلاشى غضبه العارم عليهم؛ فيعلن رحمته بهم، ويعد بعودتهم منتصرين على أعدائهم.

ورد في (الإصحاح الحادي عشر من سفر هوشع) أن الربَّ متألِّم من أجل ما سيفعله بهم، وإن هم ساروا في طريقه فسوف يجمع شتاتهم. ويعود الربُّ فيقول أنه رغم تهديداته لهم فإنهم لا زالوا على عهدهم.

الربُّ يتوعّدُهم بالأسْر ثم يعِدْهم بالعودة، ويُعْلن ندمه على ما سيفعله بهم. والمرء يتعجّب من موقف الربِّ كما أوردته التوراة تجاه هؤلاء القوم، وأقول أن عبارة قال الربُّ هي تحريف لعبارة قال فلان (كاتب النص) الذي صاغ أمنياته المشوّشة في صيغة نبوءة نسبها إلى الربِّ؛ والربُّ الحقُّ منها براء.

ورد في (الإصحاح الأول من سفر هوشع) أن الربَّ سوف يُهْلك بني إسرائيل، واستثنى من ذلك بيت يهوذا.

ما معنى الاستثناء وقد سُبي بنو إسرائيل جميعا وليس بيت يهوذا فقط؟

ورد في (الإصحاح التاسع من سفر هوشع) أن الربَّ سوف يشرِّدهم في بلاد آشور وفي أرض مصر بسبب شركهم وفسادهم، كما ورد في (الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر) أن الربّ لن يمكِّنهم من الهروب إلى مصر، بل يسلمهم لجيش آشور.

والتناقض واضح بيْن الإصحاحين فيما يتعلق بمكان التشريد؛ ففي الإصحاح التاسع يقول هوشع أن الربَّ سوف يشرّدهم في بلاد آشور وفي أرض مصر، وفي الإصحاح الحادي عشر يقول أن الربَّ لن يمكِّنهم من الهروب إلى مصر؛ فأيُّهما أصح؟

ورد في (الإصحاح السابع والعشرين من سفر إرميا) أن الربّ قد أمر ملك يهوذا (صدقيا) أن يخضع لملك بابل لينجو هو وشعبه من الهلاك.

ونحن نرى أن هذه دعوة للاستسلام صيغت في شكل نبوءة لتبرِّر خورهم وضعفهم. والادعاء بأن سبْيهم هو وسيلة لتطهيرهم وإعدادهم لعودة قوية إلى ديارهم فِرْية؛ لأن مَنْ عاد منهم قليل جدا، وغالبيَّتُهم استمرءوا الحياة في أرض عدوِّهم.

ورد في (الإصحاح الثلاثين من سفر التثنية) أن الربّ قد وعدهم إن هم عملوا بالعهد الذي أبلغهم به موسى فإن الربّ سوف يردُّ سبْيهم، ويحوِّل اللعنات التي حذّرهم منها إلى أعدائهم ومبغضيهم.

واللعنات المقصودة هي حرق أرضهم بالكبريت، ولم يتحقّق ما توعَّد به الربُّ لأي من أعدائهم.

ورد في (الإصحاح التاسع والثلاثين من سفر حزقيال) أن الربَّ سوف يردُّ سبْي ذرِّية يعقوب رحمة بهم وغيرة منه على اسمه المُقدّس، وأنه لن يبْقى منهم أحد غريبا بعد. كما ورد في (الإصحاح العاشر من سفر أشعياء) قوله أن من سيعودون من السبي قليلون؛ لأن الربَّ قضى بفناء الذين بقوا منهم في أرض العدو.

والتناقض واضح بين ما ورد في السفرين بخصوص عودتهم جميعا أو عودة بعضهم فقط من السبي.

ورد في (الإصحاح التاسع من سفر عاموس) أن الربَّ سوف يأمر بردِّ التسبي، وبناء المعبد، وتعمير المدن، وتثبيت أقدامهم في أرضهم. كما ورد في (الإصحاح الرابع من سفر ميخا) أن الربَّ سوف يأمر بعودة سبي يهوذا، ويجعل منهم قوة لا تُقهر، تسحق الأمم وتغنم ثرواتهم. كما ورد في (الإصحاح الأول من سفر هوشع) أن الربَّ سوف يُكثِّر بني إسرائيل فيجعلهم كرمال البحر، ويوحِّد بينهم تحت قيادة ملك واحد. كما ورد في (الإصحاح الثالث والعشرين من سفر إرميا) أن الربَّ سوف يجمع شتات بني إسرائيل تحت ظل حاكم عادل من ذرية داود.

وهذا لم يحدث من شيء مطلقا؛ فلم تقم لهم دولة ذات كيان مستقل، بل كانت دولتهم منذ عادوا في عهد الفرس تحت ظل إمبراطوريات وممالك مسيطرة ومستبِدّة. كما ورد في سفر عزرا أنه قد عاد من سبي بابل حوالي ٤٣,٠٠٠ منهم فقط.

ورد في (الإصحاح الرابع والعشرين من سفر إرميا) أن الربَّ قد حكم على الصالحين من بني إسرائيل بالسبي من أجل أن يقوِّي نزعة الإيمان لديهم ليعودوا صالحين، كما أنه قسّم المسبيّين عموما إلى فئتين؛ فئة صالحة وهم المسبيّون إلى بابل، وأخرى طالحة وهم المسبيّون إلى مصر.

وهذا محض افتراء، فقد سُبي إلى بابل كلُّ الشعب كما تقول التوراة، وأبقى البابليّون فقط على بعض المستضعفين لشئون الخدمة في الأرض وبعض الحرفيين الذين يحتاجهم المحتلُّ من أجل مصالحه.

ورد في (الإصحاح الثلاثين من سفر إرميا) أن الربَّ سوف يعيد بني إسرائيل من السبي، ويُنْهي عبوديَّتهم، ويجعل أعداءهم عبيدا لهم، ويقيم عليهم ملكا من نسل داود، وأن الربَّ سوف يبيد جميع الأمم الذين سبُوهم. وتتكرر نفس المعاني في بقية نبوءات إرميا في (الإصحاح السادس والأربعين والإصحاح الخمسين). كما ورد في (الإصحاح الثاني من

سفر زكريا) أن الربّ سوف يُعيد بناء أورشليم وتعميرها لتكون ملاذا آمنا لساكنيها، ولا تحتاج لمن يدافع عنها.

وهذا لم يتحقّق على إطلاقه لأن عودتهم من السبي كانت تحت سلطان ملك فارس، وهم الذين بادوا وسادت بعدهم ممالك وإمبراطوريات تناوبت حكم منطقة فلسطين حتى قيام كيانهم المصطنع المسمى (إسرائيل).

الفصل التاسع

نبوءات بخراب

وإعادة بناء الهيْكل

الفصل التاسع

نبوءات بخراب وإعادة بناء الهيكل

نبوءة لإرميا بخصوص الهيكل

هذه نبوءة أوحى بها الربُّ لإرميا مخاطبا بني إسرائيل؛ متعجّبا من قولهم الكذب، وقيامهم بأفعال مشينة كالسرقة والقتل والزنا وشهادة الزور وعبادة الأصنام، ثم مثولهم في هيكله معتقدين أن ذلك يمحو عنهم سيِّئاتهم؛ كاللص يلجأ إلى مغارة تخفيه عن أعين طالبيه بعد أن ينتهي من سرقته. ويذكِّرهُم الربُّ بما حدث في شيلوه أيام الكاهن عالي الذي نجّس ابناه خيمة الاجتماع بمفاسدهما، فعاقبهم الربُّ جميعا بأن مكّن الفلسطينيين من الاستيلاء على تابوت العهد. ويدعوهم الربُّ أن لا يستبعدوا أن يحدُث مثل ذلك للهيكل، وأن يحدث لهم مثل ما حدث لذرية أفرايم من تدمير وهلاك في ذلك العهد: هَذِهِ هِيَ النُّبُوءَةُ الَّتِي أَوْحَى بِهَا الرَّبُّ لإِرْمِيَا: ٢«قِفْ فِي بَابِ هَيْكَلِ الرَّبِّ وَأَعْلِنْ هُنَاكَ هَذَا الْكَلاَمَ:..... ٨هَا أَنْتُمْ قَدِ اتَّكَلْتُمْ عَلَى أَقْوَالِ الْكَذِبِ، وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ جَدْوَى. ٩أَتَسْرِقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ وَتَحْلِفُونَ زُوراً وَتُبَخِّرُونَ لِلْبَعْلِ، وَتَضِلُّونَ وَرَاءَ الأَوْثَانِ الَّتِي لَمْ تَعْرِفُوهَا، ١٠ثُمَّ تَمْثُلُونَ فِي حَضْرَتِي فِي هَذَا الْهَيْكَلِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: «قَدْ نَجَوْنَا»؛ ثُمَّ تَرْتَكِبُونَ جَمِيعَ هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ؟ ١١هَلْ أَصْبَحَ هَذَا الْهَيْكَلُ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي، مَغَارَةَ لُصُوصٍ فِي أَعْيُنِكُمْ؟ هَا أَنَا قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ هَذَا الشَّرِّ، يَقُولُ الرَّبُّ. ١٢لَكِنِ امْضُوا إِلَى مَوْضِعِي فِي شِيلُوهَ، حَيْثُ جَعَلْتُ فِيهِ مَقَرّاً لاِسْمِي أَوَّلاً، وَشَاهِدُوا مَا فَعَلْتُ بِهِ مِنْ جَرَّاءِ شَرِّ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. ١٣وَالآنَ لأَنَّكُمُ ارْتَكَبْتُمْ هَذِهِ الشُّرُورَ، يَقُولُ الرَّبُّ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَحْذِيرَاتِي الْمُبَكِّرَةِ الَّتِي أَبَيْتُمْ الاسْتِمَاعَ لَهَا، وَرَفَضْتُمُ الاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَتِي، ١٤فَإِنَّ مَا أَنْزَلْتُهُ بِشِيلُوهَ سَأُنْزِلُهُ بِالْهَيْكَلِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي وَالَّذِي عَلَيْهِ تَتَّكِلُونَ، وَبِالْمَوْضِعِ الَّذِي وَهَبْتُهُ لَكُمْ وَلآبَائِكُمْ، ١٥وَأَطْرَحُكُمْ مِنْ أَمَامِي كَمَا طَرَحْتُ جَمِيعَ أَقْرِبَائِكُمْ، جَمِيعَ ذُرِّيَّةِ أَفْرَايِمَ. (إرميا ٧)

نبوءة ثانية لإرميا بخصوص الهيكل

وقف إرميا في الهيكل يوم عيد لهم وأعلن هذه النبوءة في بداية حكم يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا، وقال للمجتمعين: يقول الربُّ: إنهم إذا لم يطيعوه ويسلكوا طريقه وفق

شريعته، ويسمعوا لتحذيرات الأنبياء الذين يرسلهم إليهم؛ فإنه سوف يدمّر الهيكل كما فعل من قبل في شيلوه أيام عالي الكاهن الذي ارتكب أبناءه الشر فيها، فكانوا سببا في خرابها واستيلاء الفلسطينيين على تابوت العهد: وَفِي بِدَايَةِ حُكْمِ يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، أَوْحَى الرَّبُّ بِهَذَا الْكَلاَمِ قَائِلاً: ٢هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: «قِفْ فِي سَاحَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، وَبَلِّغْ كُلَّ أَهْلِ مُدُنِ يَهُوذَا الْقَادِمِينَ لِلْعِبَادَةِ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ بِجَمِيعِ الْكَلاَمِ الَّذِي أَمَرْتُكَ أَنْ تُخَاطِبَهُمْ بِهِ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَحْذِفَ كَلِمَةً. ٣لَعَلَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَيَرْجِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ طَرِيقِهِ الأَثِيمِ، فَأَمْتَنِعَ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي نَوَيْتُ أَنْ أُوقِعَهُ بِهِمْ لِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ». ٤خَاطِبْهُمْ قَائِلاً: «هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الربُّ: إِنْ لَمْ تُطِيعُونِي فَتَسْلُكُوا فِي شَرِيعَتِي الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، ٥وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِتَحْذِيرَاتِ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ مُنْذُ الْبِدَايَةِ إِلَيْكُمْ، وَلَمْ تُصْغُوا إِلَيْهِمْ، ٦فَإِنِّي أَجْعَلُ هَذَا الْهَيْكَلَ نَظِيرَ شِيلُوهَ، وَهَذِهِ الْمَدِينَةَ لَعْنَةً لِجَمِيعِ أُمَمِ الأَرْضِ». (إرميا ٢٦)

حرق الهيكل بيد البابليّين

في اليوم العاشر من الشهر الخامس من السنة التاسعة عشرة من حكم نبوخذناصر ملك بابل قام رئيسُ شرطتِه ورجالُه بحرق هيكل الربِّ وقصر الملك وجميع بيوت أورشليم، وإضرام النار في المدينة وفي أسوارها، والاستيلاء على جميع مقتنياتها: ١٢وَفِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، جَاءَ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ..... إِلَى أُورُشَلِيمَ، ١٣وَأَحْرَقَ هَيْكَلَ الرَّبِّ وَقَصْرَ الْمَلِكِ وَجَمِيعَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ، ١٤وَهَدَمَ..... كُلَّ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ الْمُحِيطَةِ بِهَا..... ١٨وَاسْتَوْلَوْا أَيْضاً عَلَى الْقُدُورِ وَالرُّفُوشِ وَالْمَجَارِفِ وَالْمَنَاضِحِ وَالصُّحُونِ وَكُلِّ آنِيَةِ النُّحَاسِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَخْدَمُ فِي الْهَيْكَلِ. ١٩كَمَا أَخَذَ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ الطُّسُوسَ وَالْمَجَامِرَ وَالْمَنَاضِحَ وَالْقُدُورَ وَالْمَنَائِرَ وَالصُّحُونَ وَالأَقْدَاحَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِّيَّةَ. (إرميا ٥٢)

نبوءة بإعادة بناء الهيكل

في مطلع السنة الخامسة والعشرين من السّبْي، الموافقة للسنة الرابعة عشرة من سقوط أورشليم يقول حزقيال أن الربَّ قد أخذ روحه إلى أرض إسرائيل، ووضعه على قمة جبل شاهق، وأراه ما يشبه بناء لمدينة؛ فرأى رجلا على باب المدينة كأنه من نحاس

(الربُّ) يحمل بيده خيط كتان وقصبة (تستعمل للقياس) وقال له الربُّ: انتبه لما تراه جيدا ثم أبلغ شعبي بني إسرائيل بكل ما تشهده. ورأى حزقيال الهيكل يُحيط به سور، وشرع الرجل يقيس المبنى من جميع جوانبه (تُقدّمها النبوءة بطريقة تفصيلية مبالغ فيها)؛ فقدّم لنا مقاس المبنى من حيث الطول والعرض، وعتبات الأبواب الداخلية والخارجية، ومقاسات الحجرات الجانبية وغيرها. وقد أوردت الآيات المتعلّقة بهذه النبوءة بصورة مختصرة وآمل أن تكون كافية للاستشهاد بها: وَفِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ مَطْلَعِ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ سَبْيِنَا الْمُوَافِقَةِ لِلسَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ سُقُوطِ أُورُشَلِيمَ، كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ فَأَحْضَرَنِي إِلَى هُنَاكَ، ٢وَأَتَى بِي فِي رُؤَى اللهِ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَوَضَعَنِي عَلَى جَبَلٍ شَاهِقٍ حَيْثُ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ مَا يُشْبِهُ بِنَاءَ الْمَدِينَةِ. ٣فَنَقَلَنِي إِلَى هُنَاكَ، وَإِذَا بِرَجُلٍ مَظْهَرُهُ كَمَظْهَرِ النُّحَاسِ يَحْمِلُ بِيَدِهِ خَيْطَ كَتَّانٍ وَقَصَبَةً وَهُوَ وَاقِفٌ بِالْبَابِ. ٤فَقَالَ لِي الرَّجُلُ: «يَاابْنَ آدَمَ، انْظُرْ بِعَيْنَيْكَ وَاصْغَ بِأُذُنَيْكَ وَانْتَبِهْ أَشَدَّ الانْتِبَاهِ إِلَى كُلِّ مَا أُطْلِعُكَ عَلَيْهِ، لأَنَّكَ لِهَذَا أُحْضِرْتَ إِلَى هُنَا. ثُمَّ أَبْلِغْ شَعْبَ إِسْرَائِيلَ بِكُلِّ مَا تَشْهَدُهُ». (حزقيال ٤٠)

٥وَإِذَا بِسُورٍ قَائِمٍ خَارِجَ الْهَيْكَلِ مُحِيطٍ بِهِ. وَكَانَ طُولُ الْقَصَبَةِ الَّتِي فِي يَدِ الرَّجُلِ (نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَمْتَارٍ) فَشَرَعَ يَقِيسُ الْبِنَاءَ فَكَانَ كُلٌّ مِنْ عَرْضِهِ وَارْتِفَاعِهِ قَصَبَةً وَاحِدَةً (نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَمْتَارٍ). ٦ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنَ الْبَابِ الْمُوَاجِهِ لِلشَّرْقِ وَارْتَقَى دَرَجَهُ وَقَاسَ عَتَبَةَ الْبَابِ،..... (حزقيال ٤٠)

الساحة الخارجية

١٧ثُمَّ أَخَذَنِي إِلَى السَّاحَةِ الْخَارِجِيَّةِ، وَإِذَا بِمَخَادِعَ وَرَصِيفٍ مُحِيطٍ بِالسَّاحَةِ شُيِّدَ عَلَيْهِ ثَلاَثُونَ مُخْدَعاً. ١٨وَكَانَ الرَّصِيفُ مُمْتَدّاً عَلَى جَوَانِبِ الْبَوَّابَاتِ، وَعَرْضُهُ مُمَاثِلٌ لِطُولِ الْبَوَّابَاتِ..... (حزقيال ٤٠)

الباب الشمالي

٢٠ثُمَّ قَاسَ طُولَ وَعَرْضَ بَابِ السَّاحَةِ الْخَارِجِيَّةِ الْمُتَّجِهِ نَحْوَ الشِّمَالِ، ٢١وَكَذَلِكَ حُجُرَاتِهِ الْمُتَقَابِلَةَ، ثَلاَثاً مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَعَضَائِدَهُ وَرُوَاقَهُ، فَكَانَتْ مَقَايِيسُهَا مُمَاثِلَةً لِمَقَايِيسِ الأَوَّلِ..... (حزقيال ٤٠)

الباب الجنوبي

٢٤ثُمَّ أَخَذَنِي نَحْوَ الْجَنُوبِ، وَإِذَا هُنَاكَ بَابٌ مُتَّجِهٌ نَحْوَ الْجَنُوبِ، فَقَاسَ عَضَائِدَهُ وَأَرْوِقَتَهُ فَكَانَتْ مُمَاثِلَةً لِلأَقْيِسَةِ السَّابِقَةِ..... (حزقيال ٤٠)

أبواب الساحة الداخلية

٢٨ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى السَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْ بَابِ الْجَنُوبِ، وَقَاسَ الْبَابَ، فَكَانَتْ مَقَايِيسُهُ مُمَاثِلَةً لِمَقَايِيسِ الْبَابَيْنِ الآخَرَيْنِ، ٢٩وَكَذَلِكَ مَقَايِيسُ حُجُرَاتِهِ وَعَضَائِدِهِ وَأَرْوِقَتِهِ..... (حزقيال ٤٠)

حجرات لإعداد الذبائح

٣٨وَكَانَ هُنَاكَ مُخْدَعٌ مُلْحَقٌ بِهِ مَعَ بَابِهِ، مُجَاوِراً لِعَضَائِدِ الأَبْوَابِ، حَيْثُ كَانَتْ تُغْسَلُ ذَبِيحَةُ الْمُحْرَقَةِ..... (حزقيال ٤٠)

حجرات الكهنة

٤٤وَأُقِيمَ خَارِجَ الْبَابِ الدَّاخِلِيِّ مُخْدَعَانِ فِي السَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ، أَحَدُهُمَا مُجَاوِرٌ لِبَابِ الشِّمَالِ بِاتِّجَاهِ الْجَنُوبِ، وَالآخَرُ مُجَاوِرٌ لِلْبَابِ الْجَنُوبِيِّ بِاتِّجَاهِ الشِّمَالِ. ٤٥وَقَالَ لِي الْمَلاَكُ: «هَذَا الْمُخْدَعُ الْمُتَّجِهُ نَحْوَ الْجَنُوبِ هُوَ لِلْكَهَنَةِ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ الْهَيْكَلَ. ٤٦وَالْمُخْدَعُ الْمُتَّجِهُ نَحْوَ الشِّمَالِ هُوَ لِلْكَهَنَةِ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ الْمَذْبَحَ،..... (حزقيال ٤٠)

رواق الهيكل

٤٨وَأَحْضَرَنِي إِلَى رُوَاقِ الْهَيْكَلِ وَقَاسَ سُمْكَ عَضَادَتَيْهِ مِنْ كُلٍّ مِنْ جَانِبَيْهِ،..... (حزقيال ٤٠)

٤١ – دعائم الهيكل وجدرانه وغرفه

وَأَحْضَرَنِي إِلَى الْهَيْكَلِ ثُمَّ قَاسَ الْعَضَائِدَ فَكَانَ عَرْضُهَا فِي كُلِّ جَانِبٍ سِتَّ أَذْرُعٍ (نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَمْتَارٍ) مُمَاثِلاً لِعَرْضِ الْخَيْمَةِ..... (حزقيال ٤١)

٤٢ - مخادع الكهنة

ثُمَّ أَخْرَجَنِي إِلَى السَّاحَةِ الْخَارِجِيَّةِ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُتَّجِهِ شِمَالاً، وَأَدْخَلَنِي إِلَى الْمَخَادِعِ الْمُوَاجِهَةِ لِلسَّاحَةِ الْمُنْفَصِلَةِ مُقَابِلَ الْبِنَاءِ الشِّمَالِيِّ..... (حزقيال ٤٢)

مقاييس منطقة الهيكل

١٥وَعِنْدَمَا انْتَهَى مِنْ قِيَاسِ الْهَيْكَلِ الدَّاخِلِيِّ أَخْرَجَنِي إِلَى الْبَابِ الشَّرْقِيِّ، وَقَاسَ مِنْطَقَةَ الْهَيْكَلِ الْمُحِيطَةَ بِهِ. ١٦فَقَاسَ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ بِقَصَبَةِ الْقِيَاسِ فَكَانَ خَمْسَ مِئَةِ قَصَبَةٍ (نَحْوَ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِئَةِ مِتْرٍ)..... (حزقيال ٤٢)

مجدُ الربِّ يحلُّ في الهيكل

ويقول حزقيال أنه رأى مَجْدَ الربِّ إله إسرائيل مُقْبلا من جهة الشرق، وصوته كهدير تدفُّق مياه كثيرة؛ فأضاء الأرض بنوره، وغمر الهيكل بجلال مَجْدِه. ويقول حزقيال أنه سمع من يخاطبه من جهة الهيكل ويقول له: إن هذا هو مقرُّ عرشي الذي سوف أستقر فيه لأقيم بين بني إسرائيل إلى الأبد، ولن يُنجِّس شعبُ إسرائيل ولا ملوكُهم هيكلي بعد الآن بما كانوا يفعلونه من زنى وعبادات وثنية كانت سببا في إفنائهم من قبل. وقال الربُّ لحزقيال: صِفْ لشعب إسرائيل الهيكل ومقاييسه وتصاميمه، فإن أعلنوا ندمهم على ما اقترفوه من رجْس فأطلعهم على التفاصيل، وأخبرهم أن رأس الجبل وكل المنطقة المحيطة به هي الأقدس فلا يُدنِّسوها: ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى الْبَابِ الْمُتَّجِهِ نَحْوَ الشَّرْقِ، ٢وَإِذَا بِمَجْدِ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ مُقْبِلٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَصَوْتُهُ كَهَدِيرِ تَدَفُّقِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، فَأَضَاءَتِ الأَرْضُ مِنْ مَجْدِهِ..... ٤وَعَبَرَ مَجْدُ الرَّبِّ إِلَى الْهَيْكَلِ مِنَ الْبَابِ الْمُتَّجِهِ نَحْوَ طَرِيقِ الشَّرْقِ، ٥فَنَقَلَنِي الرُّوحُ إِلَى السَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَإِذَا بِمَجْدِ الرَّبِّ قَدْ غَمَرَ الْهَيْكَلَ، ٦وَالْمَلاَكُ مَازَالَ وَاقِفاً إِلَى جُوَارِي، فَسَمِعْتُ مَنْ يُخَاطِبُنِي مِنَ الْهَيْكَلِ. ٧يَقُولُ لِي: يَاابْنَ آدَمَ، هَذَا مَقَرُّ عَرْشِي وَمُسْتَقَرُّ بَاطِنِ قَدَمَيَّ، حَيْثُ أُقِيمُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. وَلَنْ يُنَجِّسَ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ وَلاَ مُلُوكُهُمْ بَعْدُ اسْمِي الْقُدُّوسَ بِمَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ زِنًى، وَدَفْنِ جُثَثِ مُلُوكِهِمْ فِي مُرْتَفَعَاتِهِمْ،..... ٩فَلْيُبْعِدُوا عَنِّي زِنَاهُمْ وَجُثَثَ مُلُوكِهِمْ، فَأُقِيمَ بَيْنَهُمْ إِلَى الأَبَدِ. ١٠أَمَّا أَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ فَصِفْ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ الْهَيْكَلَ

وَمَقَايِيسَ تَصْمِيمِهِ وَرَسْمِهِ لِيَخْجَلُوا مِنْ آثَامِهِمْ، ١١فَإِنِ اعْتَرَاهُمُ الْخِزْيُ مِنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ رِجْسٍ، فَأَطْلِعْهُمْ عَلَى تَصَامِيمِ الْهَيْكَلِ وَرَسْمِهِ وَتَفَاصِيلِ مَخَارِجِهِ وَمَدَاخِلِهِ وَأَشْكَالِهِ وَكُلِّ فَرَائِضِهِ وَشَرَائِعِهِ. وَدَوِّنْ ذَلِكَ أَمَامَهُمْ، لِيَحْفَظُوا جَمِيعَ شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ وَيُمَارِسُوهَا.
١٢وَهَذِهِ هِيَ شَرِيعَةُ الْهَيْكَلِ: إِنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ وَكُلَّ الْمِنْطَقَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، هِيَ قُدْسُ أَقْدَاسٍ.
(حزقيال ٤٣)

الحضُّ على بناء الهيكل

في السنة الثانية لحكم داريوس هستاسب ثالث ملوك الفُرْس بعث الربُّ برسالة إلى زَرُبَّابِلَ وليّ يهوذا من قبل ملك الفُرْس وإلى رئيس الكهنة يَهُوشَعَ بْنِ يَهُوصَادِقَ على لسان حَجَّي يأمرهم فيها أن يبلغوا الشعب أنه لأنهم لا يهتمُّون ببناء بيت الربِّ، وينكبّون على بناء بيوت لهم يزيِّنونها ويجمِّلونها، فإن الربَّ قد نزع البركة من بينهم؛ فجعلهم يزرعون كثيرا ولا يحصدون إلا القليل، ويأكلون فلا يشبعون، ويشربون فلا يرتوون، وتتبدّد أجورُهم كأنهم يحفظونها في صُرّة مثقوبة. ويأمرهم الربُّ على لسان حجّي أن يصعدوا إلى الجبل، ويجلبوا الخشب لبناء الهيكل؛ لينالوا رضاه. ولمّا أبلغ حَجَّي دعوة الربِّ لهم اعتراهم خوف شديد، فطمأنهم حَجَّي بأن الربَّ سوف يعينهم. عندئذ تحمّسوا للعمل، وتوافد الشعب جماعات لبناء هيكل الرب: فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِحُكْمِ دَارِيُوسَ الْمَلِكِ،..... بَعَثَ الرَّبُّ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ حَجَّي إِلَى زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ حَاكِمِ يَهُوذَا، وَإِلَى يَهُوشَعَ بْنِ يَهُوصَادِقَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ قَائِلاً: ٢«هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ:..... ٤«هَلْ حَانَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ تُقِيمُونَ فِي بُيُوتٍ مُغَشَّاةٍ بِأَلْوَاحٍ بَيْنَمَا هَذَا الْبَيْتُ مَا بَرِحَ مُهَدَّماً؟» ٥وَالآنَ هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: «تَأَمَّلُوا فِيمَا فَعَلْتُمْ: ٦لَقَدْ زَرَعْتُمْ كَثِيراً وَحَصَدْتُمْ قَلِيلاً. أَكَلْتُمْ وَلَمْ تَشْبَعُوا. شَرِبْتُمْ وَلَمْ تَرْتَوُوا. اكْتَسَيْتُمْ وَلَمْ تَسْتَدْفِئُوا. وَمَنْ يَنَالُ أُجْرَةً سُرْعَانَ مَا تَتَبَدَّدُ، وَكَأَنَّهَا وُضِعَتْ فِي صُرَّةٍ مَثْقُوبَةٍ»..... ٨اصْعَدُوا إِلَى الْجَبَلِ وَاجْلُبُوا خَشَباً وَشَيِّدُوا الْهَيْكَلَ فَأَرْضَى عَنْهُ وَأَتَمَجَّدَ، قَالَ الرَّبُّ. ١٢حِينَئِذٍ أَطَاعَ زَرُبَّابِلُ بْنُ شَأَلْتِيئِيلَ وَيَهُوشَعُ بْنُ يَهُوصَادِقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ، وَسَائِرُ بَقِيَّةِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِهِمْ، وَاسْتَمَعُوا إِلَى كَلِمَاتِ حَجَّي النَّبِيِّ، كَمَا بَعَثَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُمْ إِلَيْهِمْ، فَاعْتَرَى الْخَوْفُ الشَّعْبَ فِي مَحْضَرِ اللهِ. ١٣ثُمَّ أَبْلَغَ حَجَّي رَسُولُ الرَّبِّ، الشَّعْبَ رِسَالَةَ الرَّبِّ قَائِلاً: «أَنَا مَعَكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ». ١٤وَبَثَّ الرَّبُّ الْهِمَّةَ فِي نَفْسِ

زِرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ حَاكِمِ يَهُوذَا وَنَفْسِ يَهُوشَعَ بْنِ يَهُوصَادِقَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَنُفُوسِ سَائِرِ بَقِيَّةِ الشَّعْبِ، فَتَوَافَدُوا وَبَاشَرُوا الْعَمَلَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ إِلَهِهِمْ. (حجي ١)

مجدُ الهيكل الجديد

أوحى الربُّ إلى حَجَّي بأن يبلغ زَرُبَّابِل وَيَهُوشَع وَجَمِيع الْبَقِيَّة النَّاجِيَةِ مِنَ الشَّعْبِ أن لا يُقْلِقَهُم الفارق في الأبهة بين هذا الهيكل المتواضع وهيكل سليمان الذي اندثر، ودعى الربُّ شعب إسرائيل وجميع سكان الأرض أن يعملوا بجِدٍّ في بناء الهيكل، وأنه سوف يكون معهم. وقال الربُّ أنه بمقتضى العهد الذي أبرمه معهم عند خروجهم من ديار مصر، فإنه عما قليل سوف يزلزل السماء والأرض والبحر واليابسة، ويزعزع أركان جميع الأمم فتجلِب نفائسها إلى الهيكل فيمتلئ بالذهب والفضة، ويكون مجد هذا الهيكل أعظم من مجد الهيكل السابق، ويسود السلام على هذا الموضع:..... أَوْحَى الرَّبُّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى حَجَّي النَّبِيِّ: ٢«خَاطِبْ زَرُبَّابِلَ بْنَ شَأَلْتِيئِيلَ حَاكِمَ يَهُوذَا، وَيَهُوشَعَ بْنَ يَهُوصَادِقَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعَ الْبَقِيَّةَ النَّاجِيَةِ مِنَ الشَّعْبِ قَائِلاً: ٣مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ مِمَّنْ شَاهَدُوا هَذَا الْهَيْكَلَ فِي مَجْدِهِ السَّابِقِ؟ كَيْفَ تَرَوْنَهُ الآنَ؟ أَلَيْسَ هُوَ فِي نَظَرِكُمْ كَلاَ شَيْءٍ؟ ٤وَالآنَ تَشَجَّعْ يَازَرُبَّابِلُ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَتَشَدَّدْ يَايَهُوشَعُ بْنُ يَهُوصَادِقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ، وَأَنْتُمْ كَذَلِكَ يَاجَمِيعَ سُكَّانِ الأَرْضِ. تَشَجَّعُوا وَاعْمَلُوا بِجَدٍّ لأَنِّي مَعَكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. ٥بِمُقْتَضَى عَهْدِي الَّذِي أَبْرَمْتُهُ مَعَكُمْ عِنْدَمَا خَرَجْتُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ. إِنَّ رُوحِي مَاكِثٌ مَعَكُمْ، فَلاَ تَفْزَعُوا. ٦لأَنَّهُ هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: هَا أَنَا مُزْمِعٌ مَرَّةً أُخْرَى، عَمَّا قَلِيلٍ، أَنْ أُزَلْزِلَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ. ٧وَأُزَعْزِعَ أَرْكَانَ جَمِيعِ الأُمَمِ فَتُجْلَبَ نَفَائِسُهُمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَأَمْلأَ هَذَا الْهَيْكَلَ بِالْمَجْدِ. ٨فَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لِي يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. ٩وَيَكُونُ مَجْدُ هَذَا الْهَيْكَلِ الأَخِيرِ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الْهَيْكَلِ السَّابِقِ، وَأَجْعَلُ السَّلاَمَ يَسُودُ هَذَا الْمَوْضِعَ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ». (حجي ٢)

إعادة بناء الهيكل

يقول عزرا: إنه في السنة الأولى لحكم كورش ملك فارس، أوحى الربُّ لكورش وأوصاه أن يبني له هيكلا في أورشليم، وأن كورش أصدر أمره أن يعود المسبيّون من بني

إسرائيل إلى إسرائيل، كما أمر جميع الشعب أن يتبرّعوا لهم بالذهب والفضة والدواب لبناء هيكل الربّ. وأمر كذلك خازن معبد آلهته أن يسلّم آنية بيت الربّ التي كان قد غنمها ملك بابل من أورشليم إلى رئيس يهوذا شِيشْبَصَّر: فِي السَّنَةِ الأُولَى لِحُكْمِ كُورُشَ مَلِكِ فَارِسَ، وَإِتْمَاماً لِكَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي نَطَقَ بِهِ عَلَى لِسَانِ إِرْمِيَا، نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورُشَ فَأَصْدَرَ نِدَاءً مَكْتُوباً فِي كُلِّ أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ وَرَدَ فِيهِ: ٢«هَذَا مَا يَقُولُهُ كُورُشُ مَلِكُ فَارِسَ: لَقَدْ وَهَبَنِي الرَّبُّ إِلَهُ السَّمَاءِ جَمِيعَ مَمَالِكِ الأَرْضِ، وَأَوْصَانِي أَنْ أُشَيِّدَ لَهُ هَيْكَلاً فِي أُورُشَلِيمَ فِي مَمْلَكَةِ يَهُوذَا، ٣فَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ شَعْبِهِ لِيَكُنِ الرَّبُّ مَعَهُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي أَرْضِ يَهُوذَا فَيَبْنِيَ هَيْكَلَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. إِنَّه اللهُ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ. ٤وَعَلَى أَهْلِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا الآنَ الْمَسْبِيُّونَ الْمُتَغَرِّبُونَ أَنْ يَمُدُّوهُمْ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالدَّوَابِ. فَضْلاً عَمَّا يَتَبَرَّعُونَ بِهِ لِبِنَاءِ هَيْكَلِ الرَّبِّ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ»..... وَأَخْرَجَ الْمَلِكُ كُورُشُ آنِيَةَ بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي كَانَ الْمَلِكُ نَبُوخَذْنَاصَّرُ قَدْ غَنِمَهَا مِنْ هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ، وَوَضَعَهَا فِي مَعْبَدِ آلِهَتِهِ. ٨وَأَمَرَ مِثْرَدَاثَ الْخَازِنَ أَنْ يَعُدَّهَا لِشِيشْبَصَّرَ رَئِيسِ يَهُوذَا،..... (عزرا ١)

وما إن استقرّ بنو إسرائيل في مدنهم بعد عودتهم من السّبْي حتى شرعوا في بناء مذبح ليقدّموا عليه محرقاتهم ويحتفلوا بأعيادهم حتى يتمّ تأسيس الهيكل: وَمَا إِنْ أَهَلَّ الشَّهْرُ السَّابِعُ (أَيْلُولَ سِبْتَمْبَر)، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدِ اسْتَقَرُّوا فِي مُدُنِهِمْ، حَتَّى اجْتَمَعُوا فِي أُورُشَلِيمَ، ٢فَهَبَّ يَشُوعُ بْنُ يُوصَادَاقَ وَأَقْرِبَاؤُهُ الْكَهَنَةُ، وَزَرُبَّابِلُ بْنُ شَأَلْتِيئِيلَ وَأَقْرِبَاؤُهُ، وَبَنَوْا مَذْبَحَ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ، لِيُقَرِّبُوا عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى رَجُلِ اللهِ. (عزرا ٣)

وفي الشهر الثاني من السنة الثانية من رجوعهم إلى أورشليم شرع زَرُبَّابِلُ بْنُ شَأَلْتِيئِيلَ وَيَشُوعُ بْنُ يُوصَادَاقَ وسائر الكهنة واللاويّون والقادمون من السّبْي إلى أورشليم بالعمل في بناء الهيكل: ٨وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ رُجُوعِهِمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ اللهِ، ابْتَدَأَ زَرُبَّابِلُ بْنُ شَأَلْتِيئِيلَ وَيَشُوعُ بْنُ يُوصَادَاقَ، وَبَقِيَّةُ أَقْرِبَائِهِمْ مِنَ الْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ، وَسَائِرُ الْقَادِمِينَ مِنَ السَّبْيِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، بِالْعَمَلِ فِي بِنَاءِ الْهَيْكَلِ، (عزرا ٣)

وعرض جمع من أهل البلاد (مزيج ممّن استوطنوا البلاد أيام الاحتلال البابلي) على بني يهوذا أن يساعدوهم في بناء الهيكل، لكنّهم رفضوا عرضهم؛ فاتّخذ هؤلاء موقفا معاديا

لبناء الهيكل، وكادوا لهم لدى ممثّلي ملك فارس: وَعِنْدَمَا عَرَفَ أَعْدَاءُ يَهُوذَا وَبَنْيَامِينَ أَنَّ الْمَسْبِيِّينَ الْعَائِدِينَ شَرَعُوا فِي بِنَاءِ هَيْكَلٍ لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ، ٢أَقْبَلُوا إِلَى زَرُبَّابِلَ وَرُؤَسَاءِ الْعَشَائِرِ قَائِلِينَ لَهُمْ: «دَعُونَا نَبْنِي مَعَكُمْ، لأَنَّنَا مِثْلُكُمْ نَعْبُدُ إِلَهَكُمْ، وَلَهُ قَرَّبْنَا الذَّبَائِحَ مُنْذُ أَيَّامِ الْمَلِكِ أَسَرْحَدُّونَ مَلِكِ أَشُورَ، الَّذِي أَتَى بِنَا إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ». ٣فَأَجَابَهُمْ زَرُبَّابِلُ وَيَشُوعُ وَسَائِرُ رُؤَسَاءِ عَشَائِرِ إِسْرَائِيلَ: «لاَ شَأْنَ لَكُمْ مَعَنَا فِي بِنَاءِ هَيْكَلِ إِلَهِنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَحْدَنَا نَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ، بِمُوْجِبِ أَمْرِ الْمَلِكِ كُورُشَ مَلِكِ فَارِسَ». ٤وَرَاحَ شَعْبُ الأَرْضِ يُثَبِّطُونَ عَزِيمَةَ أَبْنَاءِ يَهُوذَا وَيُزْعِجُونَهُمْ، لِيَصُدُّوهُمْ عَنْ مُتَابَعَةِ الْبِنَاءِ، ٥وَدَفَعُوا رِشًى لِبَعْضِ مُشِيرِي الْمَلِكِ الْفَارِسِيِّ، لِيَعْمَلُوا ضِدَّهُمْ طَوَالَ حُكْمِ كُورُشَ مَلِكِ فَارِسَ حَتَّى مُلْكِ دَارِيُوسَ. ٦وَفِي مُسْتَهَلِّ وِلاَيَةِ الْمَلِكِ أَحَشْوِيرُوشَ رَفَعُوا شَكْوَى ضِدَّ سُكَّانِ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ. (عزرا ٤)

ورفع هؤلاء شكوى ضد بني يهوذا إلى الملك أَرْتَحْشَشْتَا ملك فارس يحذِّرونه من إعادة بناء أورشليم، ويخوِّفونه من ماضي المدينة التي وصفوها بأنها كانت متمرِّدة على من سبقوه من ملوك: ٧وَفِي عَهْدِ أَرْتَحْشَشْتَا، كَتَبَ بِشْلاَمُ وَمِثْرَدَاثُ وَطَبْئِيلُ وَسَائِرُ رُفَقَائِهِمْ، رِسَالَةً بِاللُّغَةِ الأَرَامِيَّةِ رُفِعَتْ إِلَى أَرْتَحْشَشْتَا الْمَلِكِ مُتَرْجَمَةً، ٨كَمَا كَتَبَ رَحُومُ الْمُتَوَلِّي شُؤُونَ الْقَضَاءِ، وَشِمْشَايُ الْكَاتِبُ رِسَالَةً ضِدَّ أُورُشَلِيمَ، عُرِضَتْ عَلَى الْمَلِكِ أَرْتَحْشَشْتَا جَاءَ فِيهَا: ٩«مِنْ رَحُومَ الْوَالِي، وَشِمْشَايَ الْكَاتِبِ وَسَائِرِ رُفَقَائِهِمَا الْقُضَاةِ..... ١٠وَبَقِيَّةِ الأُمَمِ الَّذِينَ أَجْلاَهُمْ أُسْنَفَّرُ الْعَظِيمُ النَّبِيلُ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ، وَسَائِرِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي عَبْرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ»..... «مِنْ عَبِيدِكَ الرَّعَايَا الْمُقِيمِينَ فِي عَبْرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، ١٢لِيَعْلَمِ الْمَلِكُ أَنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِكَ، جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَانْهَمَكُوا فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ الشِّرِّيرَةِ، وَقَدِ اسْتَكْمَلُوا بِنَاءَ أَسْوَارِهَا وَرَمَّمُوا أُسُسَهَا. ١٣فَلْيُحِطِ الْمَلِكُ عِلْماً أَنَّهُ إِذَا تَمَّ بِنَاءُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَاسْتُكْمِلَتْ أَسْوَارُهَا، فَإِنَّ أَهْلَهَا لَنْ يُؤَدُّوا جِزْيَةً وَلاَ خَرَاجاً وَلاَ خَفَارَةً مِمَّا يُضِيرُ خَزِينَةَ قَصْرِ الْمَلِكِ..... لِذَلِكَ أَرْسَلْنَا نُبَلِّغُكَ، ١٥لِكَيْ تُنَقِّبَ فِي سِجِلاَّتِ تَوَارِيخِ آبَائِكَ فَتَتَبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ كَانَتْ مَدِينَةً مُتَمَرِّدَةً أَضَرَّتْ بِالْمُلُوكِ وَالْبِلاَدِ وَعَصَتْ مُنْذُ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ، لِذَلِكَ حَلَّ بِهَا الْخَرَابُ. ١٦وَنَحْنُ نُحَذِّرُ الْمَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أُعِيدَ بِنَاءُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَاسْتُكْمِلَتْ أَسْوَارُهَا، فَإِنَّكَ تَفْقِدُ كُلَّ مَا تَمْلِكُ عَلَيْهِ فِي عَبْرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ». (عزرا ٤)

وعليه أمر الملك أرْتَحْشَشْتَا بوقف البناء حتى إشعار آخر منه، فتوقّف العمل في بناء هيكل الربّ حتى السنة الثانية من تولّي الملك داريوس عرش فارس: ١٧ فَبَعَثَ الْمَلِكُ جَوَاباً إِلَى رَحُومَ الْوَالِي وَشِمْشَايَ الْكَاتِبِ وَسَائِرِ رُفَقَائِهِمَا الْمُقِيمِينَ فِي السَّامِرَةِ وَإِلَى بَاقِي الْقَاطِنِينَ فِي عَبْرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، قَالَ فِيهَا:..... ٢١ وَالآنَ أَصْدِرُوا أَمْراً إِلَى هَؤُلاَءِ بِالْكَفِّ عَنْ بِنَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ حَتَّى يَصْدُرَ أَمْرٌ مِنِّي. ٢٢ وَحَذَارِ أَنْ تَتَرَاخَوْا فِي تَنْفِيذِ هَذَا الأَمْرِ، إِذْ لِمَاذَا يَزْدَادُ الأَذَى، فَيُسَبِّبَ أَضْرَاراً تُلْحِقُ خَسَارَةً بِمَصَالِحِ الْمُلُوكِ؟» ٢٣ وَمَا إِنْ تُلِيَتْ رِسَالَةُ أَرْتَحْشَشْتَا الْمَلِكِ أَمَامَ رَحُومَ وَشِمْشَايَ الْكَاتِبِ وَرُفَقَائِهِمْ، حَتَّى انْطَلَقُوا مُسْرِعِينَ إِلَى الْيَهُودِ فِي أُورُشَلِيمَ وَمَنَعُوهُمْ بِالْقُوَّةِ مِنْ مُتَابَعَةِ الْبِنَاءِ. ٢٤ حِينَئِذٍ تَوَقَّفَ الْعَمَلُ فِي بِنَاءِ هَيْكَلِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ حَتَّى السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ تَوَلِّي الْمَلِكِ دَارِيُوسَ عَرْشَ مَمْلَكَةِ فَارِسَ. (عزرا ٥)

ويقول عزرا: إن حَجَّي وَزَكَرِيَّا تنبآ لليهود بمتابعة بناء الهيكل، فشرعوا في العمل اتّكالا على نبوءتيهما. ولما رُفع الأمر إلى الملك داريوس ملك فارس، وسمع بقصة هذا البناء العجيب، أصدر أمره بالبحث في دار المحفوظات بحثا عن قصته. ولمّا وجد أمر الملك كورش ببناء الهيكل، أمر بعدم التعرُّض لليهود وتركهم يكملون البناء: فِي ذَلِكَ الْحِينِ تَنَبَّأَ النَّبِيَّانِ حَجَّي وَزَكَرِيَّا بْنُ عِدُّوَ لِلْيَهُودِ الْمُقِيمِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الْمُهَيْمِنِ عَلَيْهِمْ. ٢ فَقَامَ زَرُبَّابِلُ بْنُ شَأَلْتِيئِيلَ وَيَشُوعُ بْنُ يُوصَادُوقَ، وَشَرَعَا فِي اسْتِكْمَالِ بِنَاءِ هَيْكَلِ اللهِ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ، بِمَعُونَةِ نَبِيَّيِ اللهِ، ٣ فَجَاءَهُمْ تَتْنَايُ وَالِي عَبْرِ النَّهْرِ وَشَتَرْبُوزْنَايُ وَرُفَقَاؤُهُمَا وَسَأَلُوهُمْ: «مَنْ أَمَرَكُمْ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ هَذَا الْهَيْكَلِ وَاسْتِكْمَالِ السُّورِ؟» ٤ ثُمَّ طَلَبُوا قَائِمَةً بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ الْمُسَاهِمِينَ فِي بِنَاءِ الْهَيْكَلِ. ٥ وَلَكِنْ كَانَتْ عَيْنُ إِلَهِ قَادَةِ الْيَهُودِ تَرْعَاهُمْ، فَلَمْ يُوْقِفُوهُمْ عَنِ الْعَمَلِ حَتَّى يَتِمَّ رَفْعُ الأَمْرِ إِلَى دَارِيُوسَ وَيَتَلَقَّوْا رَدَّهُ عَلَيْهَا. ٦ وَهَذَا هُوَ نَصُّ الرِّسَالَةِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا تَتْنَايُ وَالِي عَبْرِ النَّهْرِ وَشَتَرْبُوزْنَايُ وَرُفَقَاؤُهُمَا الأَفَرْسَكِيُّونَ الْمُقِيمُونَ فِي عَبْرِ النَّهْرِ إِلَى دَارِيُوسَ الْمَلِكِ. ٧ وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ:..... «إِلَى الْمَلِكِ دَارِيُوسَ كُلُّ سَلاَمٍ. ٨ نَوَدُّ أَنْ نُحِيطَكُمْ عِلْماً بِأَنَّنَا ذَهَبْنَا إِلَى بِلاَدِ يَهُوذَا، حَيْثُ مَعْبَدُ الإِلَهِ الْعَظِيمِ، فَوَجَدْنَا أَنَّ الْهَيْكَلَ يُبْنَى بِحِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ..... ٩ وَقَدْ سَأَلْنَا هَؤُلاَءِ الْقَادَةَ: مَنْ أَمَرَكُمْ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ وَاسْتِكْمَالِ هَذِهِ الأَسْوَارِ؟..... ١١ وَقَدْ أَجَابُونَا قَائِلِينَ: نَحْنُ عَبِيدُ إِلَهِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَنُعِيدُ بِنَاءَ هَذَا الْهَيْكَلِ الَّذِي تَمَّ إِنْشَاؤُهُ مُنْذُ سِنِينَ كَثِيرَةٍ عَلَى يَدِ مَلِكٍ إِسْرَائِيلِيٍّ عَظِيمٍ. ١٢ وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ

أثَارَ آبَاؤُنَا غَضَبَ إِلَهِ السَّمَاءِ، أَسْلَمَهُمْ لِيَدِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ الْكَلْدَانِيِّ، الَّذِي هَدَمَ الْهَيْكَلَ وَسَبَى الشَّعْبَ إِلَى بَابِلَ. ١٣غَيْرَ أَنَّهُ فِي السَّنَةِ الأُولَى لِتَوَلِّي كُورُشَ مُلْكَ بَابِلَ، أَصْدَرَ أَمْراً بِبِنَاءِ هَيْكَلِ اللهِ هَذَا، ١٤وَأَمَرَ بِرَدِّ آنِيَتِهِ الذَّهَبِيَّةِ وَالْفِضِّيَّةِ الَّتِي غَنِمَهَا نَبُوخَذْنَاصَّرُ..... وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ شَرَعَ الشَّعْبُ فِي بِنَاءِ الْهَيْكَلِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَمِلْ بَعْدُ. ١٧فَالآنَ، إِنْ رَاقَ لَدَى الْمَلِكِ فَلْيَبْحَثْ فِي سِجِلاَّتِ الْمَمْلَكَةِ فِي بَابِلَ، لِيَرَى إِنْ كَانَ حَقّاً قَدْ صَدَرَ مَرْسُومٌ مِنْ كُورُشَ الْمَلِكِ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ هَيْكَلِ اللهِ هَذَا فِي أُورُشَلِيمَ. وَلْيَبْعَثْ لَنَا الْمَلِكُ بِمَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ رَأْيُهُ». (عزرا ٥)

عِنْدَئِذٍ أَصْدَرَ دَارِيُوسُ الْمَلِكُ مَرْسُوماً بِالْبَحْثِ فِي دَارِ الْمَحْفُوظَاتِ فِي بَابِلَ، حَيْثُ تُحْفَظُ الْوَثَائِقُ، ٢فَعَثَرُوا فِي قَصْرِ أَحْمَثَا، عَاصِمَةِ إِقْلِيمِ مَادِي، عَلَى مَرْسُومٍ هَذَا نَصُّهُ: «مُذَكِّرَةٌ. ٣أَصْدَرَ الْمَلِكُ كُورُشُ فِي السَّنَةِ الأُولَى لِحُكْمِهِ مَرْسُوماً بِشَأْنِ هَيْكَلِ اللهِ فِي أُورُشَلِيمَ، جَاءَ فِيهِ:..... ٦وَالآنَ يَاتَتْنَايُ وَالِي عَبْرِ النَّهْرِ وَشَتَرْبُوزْنَايُ وَسَائِرَ رِفَاقِكُمَا الأَفَرْسَكِيِّينَ الْمُقِيمِينَ فِي عَبْرِ النَّهْرِ: ابْتَعِدُوا مِنْ هُنَاكَ. ٧لاَ تَتَدَخَّلُوا فِي سَيْرِ عَمَلِ بِنَاءِ هَيْكَلِ اللهِ هَذَا؛..... (عزرا ٦)

وقد تمّت إعادة بناء الهيكل في اليوم الثالث من الشهر الثالث من السنة السادسة من مُلْك داريوس، وبدأ اليهود يحتفلون بأعيادهم، ويمارسون طقوسهم: ١٤وَهَكَذَا تَابَعَ شُيُوخُ الْيَهُودِ الْبِنَاءَ بِنَجَاحٍ، تَتْمِيماً لِنُبُوءَةِ حَجَّي النَّبِيِّ وَزَكَرِيَّا بْنِ عِدُّو،..... ١٥وَتَمَّ بِنَاءُ الْهَيْكَلِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ آذَارَ، فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مُلْكِ دَارِيُوسَ الْمَلِكِ..... ١٩وَاحْتَفَلَ الْعَائِدُونَ مِنَ السَّبْيِ بِالْفِصْحِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ،..... ٢١وَأَكَلَ الإِسْرَائِيلِيُّونَ الرَّاجِعُونَ مِنَ السَّبْيِ الْفِصْحَ، مَعَ سَائِرِ الَّذِينَ انْفَصَلُوا عَنْ مُمَارَسَةِ رَجَاسَاتِ أُمَمِ الأَرْضِ. وَجَاءُوا لِيَعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ. ٢٢وَاحْتَفَلُوا بِعِيدِ الْفَطِيرِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ بِفَرَحٍ،..... (عزرا ٦)

تعقيـــب

ورد في (الإصحاح السابع من سفر إرميا) تهديدا من الربِّ بأن يَحِلَّ بالهيكل ما حلَّ بخيمة الاجتماع أيام الكاهن عالي وسرقة تابوت العهد، وفي (الإصحاح السادس والعشرين من نفس السفر) تكرار لنفس التهديدات. وورد في (الإصحاح الثاني والخمسين من نفس السفر) قصة خراب الهيكل على يد البابليين. هكذا النبوءة ثم تأويلها في نفس السفر ولا فاصل زمني بين بداية القصة ونهايتها.

ورد في (الإصحاحات من الأربعين إلى الثاني والأربعين من سفر حزقيال) أن الربّ قد أراه ما يشبه بناء لمدينة، وأراه بناء الهيكل، وقدّم له مقاساته بتفصيل مبالغ فيه يخرج النَصَّ عن كونه نصّا دينيا يُتعبّد به، ويجعله في مصاف نصوص المعاملات التي تعرض لنا في مجال البيع والشراء وما شابه ذلك.

ورد في (الإصحاح الثالث والأربعين من نفس السفر) أن الربّ أمر حزقيال أن يصف الهيكل لبني إسرائيل إن هم ندموا على ما اقترفوه من نجاسات. وأنا أتساءل ماذا لو لم يعلنوا ندمهم؟

ورد في (الإصحاح الأول من سفر حجي) أن الربّ أمرهم أن يصعدوا إلى الجبل ويجلبوا الخشب لبناء الهيكل، وأنهم توافدوا جماعات لبنائه. كما ورد في (الإصحاح الثاني من سفر حجي) أن الربّ يعزِّي بني إسرائيل من ناحية بناء الهيكل المتواضع مقارنة بهيكل سليمان، ويقول الربُّ كذلك: إنه سوف يُرْعب جميع الأمم ويجبرها على أن تجلب نفائسها إلى الهيكل ويكون مجد هذا الهيكل أعظم من مجد الهيكل السابق.

والتناقض واضح بين وصف الهيكل الذي أعيد بناؤه بالمتواضع، وبين جلب الأمم لنفائسها ليكون مجدُه أعظم من مجد سابقه. كما أن ما يرويه عزرا عن إعادة البناء لا تفيد جلب أي نفائس إليه بل ذكر أن عملية إعادة البناء توقفت أكثر من مرة، وأنه كانت هناك صعوبات جمّة تواجهها.

وعن إعادة بناء الهيكل يقول عزرا: إن الربّ أوحى إلى كورش ملك فارس بأن يبني هيكلا في أورشليم، وأن كورش أمر بعودة المسبيّين إلى موطنهم، وأنهم بدأوا العمل في البناء منذ وصولهم من أرض السبي، وأن أعداءهم قد تسبّبوا في توقف العمل في البناء طوال حكم كورش.

ونتساءل: إذا كان الربُّ قد أمر كورش ببناء الهيكل، فكيف للبناء أن يتوقّف لأي سبب من الأسباب؟

الفصل العاشر

نبوءات ضد آشور وبابل

الفصل العاشر

نبوءات ضد آشور وبابل

نبوءة الملوك الثاني ضد الآشوريّين

اجتاح سنحاريب ملك آشور جميع مدن يهوذا واستولى عليها في عصر الملك حزقيا، وعرض حزقيا عليه أن يدفع له ما يفرضه عليه من جزية ويُنْهي حصاره لأورشليم لكنّه أبى وسخر منه، وطلب منه الاستسلام دون قيد أو شرط حتى يضمن للناس حياتهم؛ فيأخذهم جميعا سبايا: ١٣وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ حَزَقِيَّا اجْتَاحَ سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُورَ جَمِيعَ مُدُنِ يَهُوذَا الْحَصِينَةِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا. ١٤وَأَرْسَلَ حَزَقِيَّا مَلِكُ يَهُوذَا يَقُولُ لِمَلِكِ أَشُورَ فِي لَخِيشَ: «أَخْطَأْتُ، فَارْتَحِلْ عَنِّي، وَأَنَا أَدْفَعُ مَا تَفْرِضُهُ عَلَيَّ مِنْ جِزْيَةٍ». فَفَرَضَ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا..... ١٥فَجَمَعَ حَزَقِيَّا كُلَّ مَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنِ قَصْرِ الْمَلِكِ مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَدَفَعَهَا لَهُ..... ١٧وَرَغْمَ ذَلِكَ أَرْسَلَ مَلِكُ أَشُورَ إِلَى حَزَقِيَّا قَائِدَ جَيْشِهِ وَوَزِيرَ خَزَائِنِهِ وَرَئِيسَ أَرْكَانِ قُوَّاتِهِ مِنْ لَخِيشَ، عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ جَرَّارٍ لِمُحَاصَرَةِ أُورُشَلِيمَ..... ٢٨ثُمَّ وَقَفَ قَائِدُ الْجَيْشِ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ قَائِلاً بِالْيَهُودِيَّةِ: «اسْمَعُوا كَلاَمَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ مَلِكِ أَشُورَ. ٢٩لاَ يَخْدَعْكُمْ حَزَقِيَّا لأَنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ إِنْقَاذِكُمْ..... ٣١لاَ تُصْغُوا إِلَيْهِ لأَنَّهُ هَكَذَا يَقُولُ مَلِكُ أَشُّورَ: اعْقِدُوا مَعِي صُلْحاً، وَاسْتَسْلِمُوا إِلَيَّ، فَيَأْكُلَ عِنْدَئِذٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ كَرْمِهِ وَمِنْ تِينَتِهِ وَيَشْرَبَ مِنْ بِئْرِهِ..... (الملوك الثاني ١٨)

وطلب حزقيا من أَشَعْيَاءَ بْنِ آمُوصَ أن يتضرّع إلى الربِّ لينقذهم من عدوهم المتعجرف، فطمأنه أشعياء وقال له: إن خبرا سيّئا سوف يدفع سنحاريب إلى العودة إلى بلاده؛ فيكون مصيرُه القتل بحد السيف في عقر داره: وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْمَلِكُ حَزَقِيَّا ذَلِكَ مَزَّقَ ثِيَابَهُ..... ٢ثُمَّ أَرْسَلَ..... إِلَى النَّبِيِّ إِشَعْيَاءَ بْنِ آمُوصَ، ٣فَقَالُوا لَهُ: «هَذَا مَا يَقُولُهُ حَزَقِيَّا: هَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ ضِيقٍ وَإِهَانَةٍ وَكَرْبٍ،..... ٤فَلَعَلَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ يَسْمَعُ وَعِيدَ الْقَائِدِ الأَشُّورِيِّ..... فَيُعَاقِبَهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ تَعْيِيرٍ، فَصَلِّ مِنْ أَجْلِ الْبَقِيَّةِ النَّاجِيَةِ مِنَّا». ٥فَجَاءَ رِجَالُ الْمَلِكِ حَزَقِيَّا لإِشَعْيَاءَ، ٦فَقَالَ لَهُمْ إِشَعْيَاءُ: «بَلِّغوا سَيِّدَكُمْ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: لاَ تَجْزَعْ

مّا سمِعْتَهُ مِنْ تَجْدِيفِ رِجالِ ملكِ أَشُورَ عَلَيَّ. ٧فَهَا خَبَرٌ سَيِّءٌ يَرِدُ إِلَيْهِ مِنْ بلادِهِ يَحْمِلُهُ عَلى الْعَوْدَةِ إِلَيْها حَيْثُ أَقْضِي عليْه بحدِّ السَّيْفِ فِي عُقْرِ دَارِهِ». (الملوك الثاني ١٩)

تأويل النبوءة ضد الأشوريين

في الليل قام ملاك الربِّ بقتل مائة وخمسة وثمانين ألفا من جيش آشور، وفي الصباح وجد سنحاريب جثث جنوده تملأ المكان، فانسحب بجيشه إلى بلاده. وبينما هو يتعبّد في هيكل إلهه نِسْرُوخَ، اغْتَالَهُ ابْنَاهُ: أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَآصَرُ، وَفَرَّا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ؛ فَخَلَفَهُ ابْنُهُ آسَرْحَدُّونُ عَلَى الْعَرْشِ: ٣٥وَحَدَثَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ قَتَلَ مِئَةً وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفاً مِنْ جَيْشِ الأَشُورِيِّينَ. فَمَا إِنْ طَلَعَ الصَّبَاحُ حَتَّى كَانَتِ الْجُثَثُ الْمَيْتَةُ تَمْلأُ الْمَكَانَ. ٣٦فَانْسَحَبَ سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُورَ وَارْتَدَّ إِلَى بِلاَدِهِ وَمَكَثَ فِي نِينَوَى. ٣٧وَفِيمَا هُوَ يَتَعَبَّدُ فِي هَيْكَلِ إِلَهِهِ نِسْرُوخَ، اغْتَالَهُ ابْنَاهُ، أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَآصَرُ، وَفَرَّا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ، فَخَلَفَهُ ابْنُهُ آسَرْحَدُّونُ عَلَى الْعَرْشِ. (الملوك الثاني ١٩)

نبوءة أشعياء ضد آشور

تقول نبوءة أشعياء: إن الربَّ يتوعّد آشور بالدمار لطغيانهم على الشعوب التي وقعت تحت أيديهم، ولاعتقادهم أن انتصاراتهم التي حقّقوها على أعدائهم هي بفضل قُوّتهم، ولا يعلمون أنهم كانوا مجرّد أداة بيد الربِّ، وهو الذي سلّطهم على شعوب كافرة، واستخدمهم كعصاة تأديب لتلك الشعوب، وأنه متى ينتهي أجل العقوبة التي قدّرها الربُّ على بني إسرائيل فإنه سيعاقب ملك آشور على غروره وتجبُّره؛ بأن يسلّط على جنوده وباءً مهلكا، ويحوّل بريق مجده إلى شعاع خافت لا يصمُد أمام شعاع نور إسرائيل ونار قُدّوسها؛ التي سوف تلتهم كل أمجادهم: ٥وَيْلٌ لِلأَشُورِيِّينَ، قَضِيبِ غَضَبِي، الْحَامِلِينَ فِي أَيْدِيهِمْ عَصَا سَخَطِي. ٦أُرْسِلُهُمْ ضِدَّ أُمَّةٍ مُنَافِقَةٍ، وَأُوْصِيهِمْ عَلَى شَعْبِي الَّذِي غَضِبْتُ عَلَيْهِ، لِيَغْنَمُوا غَنَائِمَهُمْ وَيَسْتَوْلُوا عَلَى أَسْلاَبِهِمْ، وَيَطَأُوهُمْ كَمَا يَطَأُونَ الوَحْلَ. ٧وَلَكِنَّ مَلِكَ أَشُورَ لاَ يَعْرِفُ أَنَّنِي أَنَا الَّذِي أَرْسَلْتُهُ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ بِقُدْرَتِهِ قَدْ هَاجَمَ شَعْبِي، وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يُدَمِّرَ وَيَجْتَاحَ أُمَماً كَثِيرَةً.... ١٢وَلَكِنْ حَالَمَا يَنْتَهِي الرَّبُّ مِنْ عَمَلِهِ بِجَبَلِ صِهْيَوْنَ، فَإِنَّهُ سَيُعَاقِبُ مَلِكَ أَشُورَ

عَلَى غُرُورِ قَلْبِهِ وَتَشَامُخِ عَيْنَيْهِ، ١٣لأَنَّهُ يَقُولُ: بِقُوَّةِ ذِرَاعِي قَدْ صَنَعْتُ هَذَا، وَبِحِكْمَتِي، لأَنِّي فَهِيمٌ! قَدْ نَقَلْتُ تُخُومَ الأُمَمِ، وَنَهَبْتُ كُنُوزَهُمْ، وَعَزَلْتُ الْجَالِسِينَ عَلَى الْعُرُوشِ كَمَا يَفْعَلُ ذُو الْبَطْشِ..... ١٦لِذَلِكَ فَإِنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ سَيُفَشِّي وَبَأً مُهْلِكاً بَيْنَ مُحَارِبِيهِ الشُّجْعَانِ، وَيُوقِدُ تَحْتَ مَجْدِهِ وَقِيداً كَاشْتِعَالِ النَّارِ..... (أشعياء ١٠)

نبوءة ناحوم ضد نِينَوَى

بعد أن يُعْلن الربُّ عن قوّته المدمِّرة، يقول أنه سوف يقضي على مؤامرة نِينَوَى ضدّ شعبه (بني إسرائيل)، ويفنيهم بضربة واحدة؛ فيُرْسل عليهم نارا تلتهمهم كشجرة عُلّيق؛ لأنهم تآمروا على شعب الربِّ وأساءوا إليه: وَحْيٌ بِشَأْنِ نِينَوَى، كَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ رُؤْيَا نَاحُومَ الأَلْقُوشِيِّ. ٢الرَّبُّ إِلَهٌ غَيُورٌ وَمُنْتَقِمٌ. الرَّبُّ مُنْتَقِمٌ وَسَاخِطٌ يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَيُضْمِرُ الْغَضَبَ لِخُصُومِهِ. ٣الرَّبُّ بَطِيءٌ فِي غَضَبِهِ وَعَظِيمُ الْعِزَّةِ، إِنَّمَا لاَ يُبْرِيءُ الْخَاطِيءَ الْبَتَّةَ..... ٧الرَّبُّ صَالِحٌ، حِصْنٌ فِي يَوْمِ الضِّيقِ، وَيَعْرِفُ الْمُعْتَصِمِينَ بِهِ. ٨وَلَكِنَّهُ بِطُوفَانٍ طَامٍ يُخْفِي مَعَالِمَ نِينَوَى، وَتُدْرِكُ الظُّلْمَةُ أَعْدَاءَهُ. ٩لِمَاذَا تَتَآمَرُونَ عَلَى الرَّبِّ؟ إِنَّهُ يَقْضِي عَلَى مُؤَامَرَتِكُمْ، وَيُفْنِيكُمْ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ. ١٠وَتَلْتَهِمُهُمُ النَّارُ كَمَا تَلْتَهِمُ شَجَرَةَ عُلَّيْقٍ كَثِيفَةً أَوْ سُكَارَى مُتَرَنِّحِينَ مِنْ خَمْرِهِمْ أَوْ حِزْمَةَ قَشٍّ جَافَّةً. ١١مِنْكِ خَرَجَ يَانِينَوَى مَنْ تَآمَرَ بِالشَّرِّ عَلَى الرَّبِّ، وَالْمُشِيرُ بِالسُّوءِ. (ناحوم ١)

ويقول الربُّ: إنه مهما كانت قوّةُ عدوِّهم فإنه سوف يستأصلهم ويفنيهم، ويقول لبني إسرائيل اطمئنّوا فلن أنزل عليكم مزيدا من العقاب، ولكني سوف أخلِّصكم من عبودية آشور، وأجعل هياكل آشور ومحال عبادة آلهتهم قبورا لهم. ويبشِّر الربُّ بني إسرائيل أن بشارة السلام سوف يعلنها لهم المبشِّر قريبا، ويدعوهم إلى المواظبة على الاحتفال بأعيادهم، والوفاء بنذورهم؛ لأن الأعداء لن يزعجوهم بعد أبدا: ١٢وَهَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مَعَ أَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ وَكَثِيرُونَ فَإِنَّكُمْ تُسْتَأْصَلُونَ وَتَفْنَوْنَ. أَمَّا أَنْتُمْ يَاشَعْبِي فَقَدْ عَاقَبْتُكُمْ أَشَدَّ عِقَابٍ وَلَنْ أُنْزِلَ بِكُمُ الْوَيْلاَتِ ثَانِيَةً. ١٣بَلْ أُحَطِّمُ الآنَ نِيرَ أَشُّورَ عَنْكُمْ، وَأَكْسِرُ أَغْلاَلَكُمْ. ١٤وَهَا الرَّبُّ قَدْ أَصْدَرَ قَضَاءَهُ بِشَأْنِكَ يَاأَشُّورُ: لَنْ تَبْقَى لَكَ ذُرِّيَّةٌ تَحْمِلُ اسْمَكَ. وَأَسْتَأْصِلُ مِنْ هَيْكَلِ آلِهَتِكَ مَنْحُوتَاتِكَ وَمَسْبُوكَاتِكَ، وَأَجْعَلُهُ قَبْرَكَ، لأَنَّكَ صِرْتَ نَجِساً.

١٥هُوَذَا عَلَى الْجِبَالِ (تسيرُ) قَدَمَا الْمُبَشِّرِ حَامِلِ الأَخْبَارِ السَّارَّةِ، الَّذِي يُعْلِنُ السَّلامَ. فَيَايَهُوذَا وَاظِبْ عَلَى الاحْتِفَالِ بِأَعْيَادِكَ وَأَوْفِ نُذُورَكَ لأَنَّهُ لَنْ يُهَاجِمَكَ الشِّرِّيرُ مِنْ بَعْدُ، إِذْ قَدِ انْقَرَضَ تَمَاماً. (ناحوم ١)

ويعلن الربُّ عن خراب نِينَوَى، وأن حصونهم لن تحميهم، وأن أسوارهم وعيونهم التي يرصدونها لن تمنع زحف عدوِّهم، وأن جنودهم لن يستطيعوا الدفاع عنهم؛ لأن الربَّ قد قضى بهلاكهم ونجاة بني إسرائيل من أَسْرِهم. وتقول النبوءة: إن جنود أعدائهم سوف يعيثون فسادا في ديارهم، وسوف يُتْلفون محاصيلهم، ويتمخطرون تيها وسط شوارعهم؛ وملابسهم مخضَّبة بدمائهم، وإن زوجة ملكهم سوف تُساق عارية إلى الأسْر، وإن جواريها سوف يندبنها. وإن كنوز القصر وجميع نفائسه سوف تُنْهب: قَدْ زَحَفَ عَلَيْكِ الْمُهَاجِمُ يَانِينَوَى، فَاحْرُسِي الْحِصْنَ وَرَاقِبِي الطَّرِيقَ، مَنِّعِي أَسْوَارَكِ، وَجَنِّدِي كُلَّ قُوَّتِكِ. ٢لأَنَّ الرَّبَّ يُعِيدُ بَهَاءَ يَعْقُوبَ وَمَجْدَ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ النَّاهِبِينَ سَلَبُوهُمْ وَأَتْلَفُوا كُرُومَهُمْ. ٣تُرُوسُ أَبْطَالِهِ مُخَضَّبَةٌ بِالاحْمِرَارِ، وَجُنُودُهُ الْمُحَارِبُونَ مُسَرْبَلُونَ بِالْقِرْمِزِ. يَبْرُقُ فُولاَذُ الْمَرْكَبَاتِ فِي يَوْمِ تَأَهُّبِهَا، وَتَتَبَخْتَرُ جِيَادُهَا. ٤تَتَرَاكَضُ الْمَرْكَبَاتُ بِعُنْفٍ فِي الشَّوَارِعِ، وَعَبْرَ السَّاحَاتِ تَمْرُقُ كَالْبَرْقِ وَمَنْظَرُهَا كَالْمَشَاعِلِ الْمُتَوَهِّجَةِ. ٥يَسْتَدْعِي الْمَلِكُ ضُبَّاطَهُ، فَيُسْرِعُونَ إِلَيْهِ مُتَعَثِّرِينَ فِي خُطَاهُمْ، يُهَرْوِلُونَ إِلَى سُورِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أُقِيمَتِ الْمَتَارِيسُ. ٦قَدِ انْفَتَحَتْ بَوَّابَاتُ الأَنْهَارِ، وَانْهَارَ الْقَصْرُ أَمَامَ جَحَافِلِ الأَعْدَاءِ. ٧أَصْبَحَتْ سَيِّدَةُ الْقَصْرِ عَارِيَةً مَسُوقَةً إِلَى الأَسْرِ، وَشَرَعَتْ جَوَارِيهَا يَنُحْنَ كَنَوْحِ الْحَمَامِ وَيَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ..... ٩انْهَبُوا الْفِضَّةَ، انْهَبُوا الذَّهَبَ. لاَ نِهَايَةَ لِكُنُوزِهَا أَوْ لِنَفَائِسِ ثَرْوَتِهَا. (ناحوم ٢)

نبوءة إرميا بانتصار نبوخذناصر

في مُسْتَهلِّ حكم يهوياقيم بن يوشيا ملك إسرائيل أوحى الربُّ إلى إرميا أن يصنع لنفسه حبالا يُقيِّد بها ذراعيه، وأنيارا (جمع نير، وهو ما يوضع على كتفي الدابة أثناء جرِّها المحراث) يضعها على كتفيه (كناية عن العبودية)، وأن يبعث برسائل إلى ملوك أدوم ومؤاب وبني عمون وصدقيا ملك يهوذا؛ يُعْلِمُهم أن الربَّ سوف يُسلِّم كلّ هذه الممالك إلى نبوخذناصر، وأنه سوف يجعلهم جميعا عبيدا له، ومن يعترض منهم على قضاء الربِّ

فسوف يجعله الربُّ هدفا لسيوفه، أو يبيدهم بالجوع والوباء. وينصحهم الربُّ أن لا يصغوا لمن ينصحهم بعدم الاستسلام لملك بابل؛ لأنهم سوف يكونون سببا في هلاكهم. وأعلن الربُّ أنه من يستسلم منهم لملك بابل كما أمر الربُّ فسوف يُبقيه الربُّ في أرضه يزرعها ويحرُثُها. وحدّد الربُّ فترة العبودية هذه بفترة حياة نبوخذناصر وابنه وحفيد له، ثم تدور الدورة ذاتُها على بابل فتُستعبد كما استعبدت غيرَها: وَفِي مُسْتَهَلِّ حُكْمِ يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا أَوْحَى الرَّبُّ بِهَذِهِ النُّبُوءَةِ إِلَى إِرْمِيَا: ٢«هَذَا مَا أَعْلَنَهُ الرَّبُّ: اصْنَعْ لِنَفْسِكَ رُبُطاً وَأَنْيَاراً وَضَعْهَا عَلَى عُنُقِكَ، ٣وَابْعَثْ بِرِسَالَةٍ إِلَى مُلُوكِ أَدُومَ وَمُوآبَ وَبَنِي عَمُّونَ وَصُورَ وَصَيْدُونَ مَعَ الرُّسُلِ الْمُوْفَدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى صِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، ٤وَأَوْصِهِمْ أَنْ يَنْقُلُوا هَذِهِ الرِّسَالَةَ إِلَى سَادَتِهِمْ قَائِلاً: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ:..... ٦وَالآنَ قَدْ عَهِدْتُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الأَرَاضِي إِلَى نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَبْدِي، وَأَعْطَيْتُهُ أَيْضاً حَيَوَانَ الْحَقْلِ لِيَكُونَ فِي خِدْمَتِهِ. ٧فَتَسْتَعْبِدُ لَهُ وَلاَبْنِهِ وَلِحَفِيدِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، إِلَى أَنْ يَحِينَ مَوْعِدُ اسْتِعْبَادِ أَرْضِهِ، عِنْدَئِذٍ تَسْتَعْبِدُهُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ وَمُلُوكٌ عُظَمَاءُ. ٨وَلَكِنْ إِنْ أَبَتْ أَيَّةُ أُمَّةٍ أَوْ مَمْلَكَةٍ الاِسْتِعْبَادَ لِنَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، وَرَفَضَتْ أَنْ تَضَعَ عُنُقَهَا تَحْتَ نِيرِهِ، فَإِنِّي أُعَاقِبُهَا بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ إِلَى أَنْ أُبِيدَهُمْ بِيَدِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٩فَلاَ تُصْغُوا إِلَى أَنْبِيَائِكُمُ الْكَذَبَةِ وَعَرَّافِيكُمْ وَحَالِمِيكُمْ وَعَائِفِيكُمْ وَسَحَرَتِكُمُ الْقَائِلِينَ لَكُمْ: لَنْ تُسْتَعْبَدُوا لِمَلِكِ بَابِلَ، ١٠لأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ بِالْبَاطِلِ لِيُبْعِدُوكُمْ عَنْ أَرْضِكُمْ وَلأُجْلِيَكُمْ عَنْهَا فَتَهْلِكُوا ١١وَلَكِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تَسْتَسْلِمُ لِمَلِكِ بَابِلَ وَتُسْتَعْبَدُ لَهُ أُبْقِيهَا فِي أَرْضِهَا، يَقُولُ الرَّبُّ، فَتَحْرُثُهَا وَتُقِيمُ فِيهَا». (إرميا ٢٧)

نبوءة أشعياء بدمار بابل

تقول نبوءة أشعياء: إنه سيأتي يوم يُبيدُ الربُّ فيه الطغاة من على وجه الأرض، ويعاقبُ المنافقين على آثامهم. وأنه سوف يجعل جيوش بابل تُولِّي الأدبار أمام أعدائها (الماديين) حتى ينهكها التعب، وكل من يُقبض عليه منهم يُصرع بالسيف، وتُنهب بيوتهم، وتُمزّق أجسادُ أطفالهم، وتُغتصب نساؤهم. ويقول الرب: إن وقت عقابهم بات وشيكا: رُؤْيَا إِشَعْيَاءَ بْنِ آمُوصَ بِشَأْنِ بَابِلَ: ٢انْصُبُوا رَايَةً فَوْقَ جَبَلٍ أَجْرَدَ. اصْرُخُوا فِيهِمْ لَوِّحُوا بِأَيْدِيكُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا أَبْوَابَ الْعُظَمَاءِ. ٣إِنِّي أَمَرْتُ مُقَدَّسِيَّ وَاسْتَدْعَيْتُ جَبَابِرَتِي الْمُفْتَخِرِينَ

بعظمتي لِيُنَفِّذُوا عِقَابَ غضبي. ٤هَا جَلَبَةٌ عَلَى الجِبَالِ مِثْلُ صَوْتِ أَقْوَامٍ غَفِيرَةٍ. صَوْتُ صَخَبِ مَمَالِكِ أُمَمٍ مُجْتَمِعَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ يَسْتَعْرِضُ جُنُودَ الْقِتَالِ. ٥يُقْبِلُونَ مِنْ أَرْضٍ نَائِيَةٍ، مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ هُمْ جُنُودُ الرَّبِّ وَأَسْلِحَةُ سَخَطِهِ لِتَدْمِيرِ الأَرْضِ كُلِّهَا. ٦وَلْوِلُوا، فَإِنَّ يَوْمَ الرَّبِّ بَاتَ وَشِيكاً قَادِماً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مُحَمَّلاً بِالدَّمَارِ.......... ١٢فَيُصْبِحُ الرِّجَالُ لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ أَنْدَرَ مِنَ الذَّهَبِ النَّقِيِّ وَأَعَزَّ مِنْ ذَهَبِ أُوفِيرَ..... ١٤وَتُوَلِّي جُيُوشُ بَابِلَ الأَدْبَارَ حَتَّى يَنْهَكَهَا التَّعَبُ، عَائِدِينَ إِلَى أَرْضِهِمْ كَأَنَّهُمْ غَزَالٌ مُطَارَدٌ أَوْ غَنَمٌ لاَ رَاعِيَ لَهَا. ١٥كُلُّ مَنْ يُؤْسَرُ يُطْعَنُ، وَمَنْ يُقْبَضُ عَلَيْهِ يُصْرَعُ بِالسَّيْفِ، ١٦وَيُمَزَّقُ أَطْفَالُهُمْ عَلَى مَرْأَى مِنْهُمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ، وَتُغْتَصَبُ نِسَاؤُهُمْ. ١٧هَا أَنَا أُثِيرُ عَلَيْهِم الْمَادِيِّينَ الَّذِينَ لاَ يَكْتَرِثُونَ لِلْفِضَّةِ وَلاَ يُسَرُّونَ بِالذَّهَبِ. ١٨تُمَزِّقُ قِسِيُّهُمُ الْفِتْيَانَ وَلاَ يَرْحَمُونَ الأَوْلاَدَ أَوِ الرُّضَّعَ..... إِنَّ وَقْتَ عِقَابِهَا بَاتَ وَشِيكاً، وَأَيَّامَهَا لَنْ تَطُولَ! (أشعياء ١٣)

نبوءة أشعياء بهزيمة بابل

تقول النبوءة: إن جيوش عيلام ومادي (الفرس) سوف يباغتون جيوش بابل وهم لاهون يأكلون ويشربون، ولن تنفعهم الحراسةُ التي أقاموها على الأسوار لأنهم سوف يأتونهم من جهة لا يتوقّعونها؛ هي جهة نهر الفرات، وتقول النبوءة أن عاصمتهم سوف تسقُط، وأن أصنامهم سوف تتحطّم: نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ بَابِلَ: ٢لَقَدْ أُعْلِنَتْ لِي رُؤْيَا رَهِيبَةٌ: رَأَيْتُ النَّاهِبَ يَنْهَبُ، وَالْمُدَمِّرَ يُدَمِّرُ. فَاصْعَدِي يَا عِيلاَمُ، وَحَاصِرِي يَا مَادِي،..... ٥أَعَدُّوا مَائِدَةً وَفَرَشُوا السَّجَاجِيدَ، أَكَلُوا وَشَرِبُوا، فَانْهَضُوا يَا أُمَرَاءُ، وَادْهِنُوا بِالزَّيْتِ تُرُوسَكُمْ. ٦لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِي: اذْهَبْ وَأَقِمْ رَقِيباً لِيُعْلِنَ مَا يَرَاهُ..... ٨ثُمَّ هَتَفَ الرَّقِيبُ: هَا أَنَا أَقِفُ عَلَى بُرْجِ الْمُرَاقَبَةِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ أَيُّهَا الرَّبُّ، وَأَقُومُ عَلَى الْمَحْرَسِ طَوَالَ اللَّيْلِ. ٩فَهَا رَكْبٌ قَادِمٌ، فُرْسَانٌ أَزْوَاجٌ أَزْوَاجٌ. فَأَجَابَ: سَقَطَتْ سَقَطَتْ بَابِلُ وَتَحَطَّمَتْ سَائِرُ أَصْنَامِهَا عَلَى الأَرْضِ. (أشعياء ٢١)

نبوءة إرميا بهلاك بابل

قال إرميا: إن الربَّ أبلغه أنه في ختام السبعين سنة سوف يعاقب ملكَ بابل وشعبَه، وسوف يسلِّط عليهم من يحوِّل بلادهم إلى خرائب، وشعوبهم إلى عبيد وسبايا بسبب

شرورهم وآثامهم: ١٢ وفي خِتَام السَّبْعِينَ سَنةً أُعَاقِبُ مَلِكَ بَابِل وأُمَّتَهُ، وأرْضَ الْكَلْدَانِيِّينَ على إثْمِهِمْ، وأُحَوِّلُهَا إلى خرَاب أبَدِيٍّ»...... ١٤ إذ أنَّ أُمماً كثِيرةً ومُلوكاً عُظمَاء يَسْتَعْبِدُونَهُمْ أيْضاً، وهكذا أُجَازِيهِمْ بِمُقْتَضَى أفْعَالِهِمْ وَمَا جَنَتْهُ أيْدِيهِمْ مِنْ أعْمَالٍ أثِيمَةٍ». (إرميا ٢٥)

نبوءة إرميا بخراب بابل

يقول الربُّ عن بابل: إن أمّة من الشمال سوف تزحفُ عليها؛ فتستولي على أراضيها، وتخرِّب دورها، وتحطِّم أصنامها، وتشرِّد الناس والبهائم، وتُبقي بلادهم مهجورة خربة بسبب غضب الربِّ عليهم. وعندها سوف يغادر المسبيّون عامّة والمسبيّون من بني إسرائيل خاصّة عائدين إلى أرضهم التي سُبوا منها، وتصير بابل خرابا يبابا لا زرع ولا حصاد: النُّبُوءَةُ الَّتِي قَضَى بِهَا الرَّبُّ عَلَى بَابِلَ وَعَلَى بِلاَدِ الْكَلْدَانِيِّينَ عَلَى لِسَانِ إِرْمِيَا النَّبِيِّ:
٢ «أَذِيعُوا بَيْنَ الأُمَمِ، وَأَعْلِنُوا..... قُولُوا: قَدْ تَمَّ الاسْتِيلاَءُ عَلَى بَابِلَ وَلَحِقَ بِبِيلَ الْعَارُ وَتَحَطَّمَ مَرُودَخُ. خَرِبَتْ أَصْنَامُهَا وَانْسَحَقَتْ أَوْثَانُهَا. ٣ لأَنَّ أُمَّةً مِنَ الشِّمَالِ قَدْ زَحَفَتْ عَلَيْهَا لِتَجْعَلَ أَرْضَهَا مَهْجُورَةً. شَرَدَ مِنْهَا النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ جَمِيعاً. ٤ وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، يَتَوَافَدُ أَبْنَاءُ إِسْرَائِيلَ وَأَبْنَاءُ يَهُوذَا مَعاً. يَبْكُونَ فِي سَيْرِهِمْ وَيَلْتَمِسُونَ الرَّبَّ إِلَهَهُمْ. ٥ يَسْأَلُونَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى صِهْيَوْنَ،..... ٨ اهْرُبُوا مِنْ وَسَطِ بَابِلَ وَاخْرُجُوا مِنْ دِيَارِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَكُونُوا كَالتُّيُوسِ أَمَامَ قَطِيعِ الْغَنَمِ. ٩ فَهَا أَنَا أُثِيرُ وَأَجْلِبُ عَلَى بَابِلَ حُشُودَ أُمَمٍ عَظِيمَةٍ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ فَيَتَأَلَّبُونَ عَلَيْهَا، وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشِّمَالِ، وَتَكُونُ سِهَامُهُمْ كَجَبَّارٍ مُتَمَرِّسٍ لاَ يَرْجِعُ فَارِغاً، ١٠ فَتُصْبِحُ أَرْضُ الْكَلْدَانِيِّينَ غَنِيمَةً، وَكُلُّ مَنْ يَسْلُبُهَا يُتْخَمُ، يَقُولُ الرَّبُّ.....
١٤ اصْطَفُّوا عَلَى بَابِلَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يَاجَمِيعَ مُوَتِّرِي الأَقْوَاسِ. ارْمُوا السِّهَامَ وَلاَ تُبْقُوا مِنْهَا سَهْماً وَاحِداً، لأَنَّهَا قَدْ أَخْطَأَتْ فِي حَقِّ الرَّبِّ..... ١٦ اسْتَأْصِلُوا الزَّارِعَ مِنْ بَابِلَ وَالْحَاصِدَ بِالْمِنْجَلِ فِي مَوْسِمِ الْحَصَادِ إِذْ يَرْجِعُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى قَوْمِهِ، وَيَهْرُبُ إِلَى أَرْضِهِ فِرَاراً مِنْ سَيْفِ الْعَاتِي. (إرميا ٥٠)

نبوءة حبقوق ضد البابليّين

أجاب الربُّ على شكوى حبقوق بأن يرفع ظلم البابليّين عن بني إسرائيل بقوله: أُكْتُب ما أقوله لك بخط واضح يقرأه القاصي والداني لأن ما سأقوله سوف يتحقّق بلا

تأخير، فكل متكبِّر مصيرُه الهلاك، والحياةُ تكون للمؤمنين فقط. ولا يغُرَّنّك نشوة الانتصار التي تبدو على هذا المتكبِّر فإن في جشعه نهايته، وهو على قدر جشعه يُسْرِع إلى تلك النهاية:
٢فَأَجَابَنِي الرَّبُّ: «اكْتُبِ الرُّؤْيَا بِوُضُوحٍ عَلَى الأَلْوَاحِ لِيَسْتَطِيعَ حَتَّى الرَّاكِضُ قِرَاءَتَهَا بِسُهُولَةٍ وَحَمْلَهَا لِلآخَرِينَ. ٣لأَنَّ الرُّؤْيَا لاَ تَتَحَقَّقُ إِلاَّ فِي مِيعَادِهَا، وَتُسْرِعُ إِلَى نِهَايَتِهَا. إِنَّهَا لاَ تَكْذِبُ وَإِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا، لأَنَّهَا لاَبُدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ وَلَنْ تَتَأَخَّرَ طَوِيلاً. ٤أَمَّا الرِّسَالَةُ فَهِيَ: إِنَّ ذَا النَّفْسِ الْمُنْتَفِخَةِ غَيْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ مَصِيرُهُ الْهَلاَكُ، أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا. ٥وَكَمَا أَنَّ الْخَمْرَ غَادِرَةٌ، كَذَلِكَ تَأْخُذُ الْمُغْتَرَّ نَشْوَةُ الانْتِصَارِ فَلاَ يَسْتَكِينُ، فَإِنَّ جَشَعَهُ فِي سَعَةِ الْهَاوِيَةِ، وَهُوَ كَالْمَوْتِ لاَ يَشْبَعُ. لِهَذَا يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ كُلَّ الأُمَمِ وَيَسْبِي جَمِيعَ الشُّعُوبِ. (حبقوق ٢)

ويقول الربُّ: إنه سرعان ما تنقلب الأمور على المتكبِّر بعكس ما يتمنّاه، فيسخر منه مضطهدوه، ويثورون عليه؛ فيُصْبح ما جمعه غنيمة لهم، وما ارتكبه من ظلم وبالا عليه. لقد صدر أمر الربِّ القدير بنهاية الباطل، وانتصار الحق، وبطلان عبادة غير الله: ٦وَلَكِنْ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ سَبَايَاهُ قَائِلِينَ: «وَيْلٌ لِمَنْ يُكَوِّمُ لِنَفْسِهِ الأَسْلاَبَ، وَيَثْرَى عَلَى حِسَابِ مَا نَهَبَ. إِنَّمَا إِلَى مَتَى؟ ٧أَلاَ يَقُومُ عَلَيْكَ دَائِنُوكَ بَغْتَةً، أَوَ لاَ يَثُورُونَ عَلَيْكَ وَيَمْلأُونَكَ رُعْباً، فَتُصْبِحَ لَهُمْ غَنِيمَةً؟ ٨لأَنَّكَ سَلَبْتَ أُمَماً كَثِيرَةً فَإِنَّ بَقِيَّةَ الشُّعُوبِ يَنْهَبُونَكَ ثَأْراً لِمَا سَفَكْتَ مِنْ دِمَاءٍ وَارْتَكَبْتَ مِنْ جَوْرٍ فِي الأَرْضِ،..... ١٣أَلَمْ يَصْدُرِ الْقَضَاءُ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ أَنْ يَؤُولَ تَعَبُ الشُّعُوبِ إِلَى النَّارِ وَجَهْدُ الأُمَمِ إِلَى الْبَاطِلِ؟ ١٤لأَنَّ الأَرْضَ سَتَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَجْدِ الرَّبِّ كَمَا تَغْمُرُ الْمِيَاهُ الْبَحْرَ..... ١٨أَيُّ جَدْوَى مِنْ تِمْثَالٍ حَتَّى يَصُوغَهُ صَانِعٌ، أَوْ صَنَمٍ يُعَلِّمُ الْكَذِبَ لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُهُ يَتَّكِلُ عَلَى مَا صَنَعَهُ، وَهُوَ لَمْ يَصْنَعْ سِوَى أَصْنَامٍ بَكْمَاءَ......
١٩وَيْلٌ لِمَنْ يَقُولُ لِمَنْحُوتٍ خَشَبِيٍّ: «اسْتَيْقِظْ» أَوْ لِحَجَرٍ أَبْكَمَ: «انْهَضْ». أَيُمْكِنُ أَنْ يَهْدِيَ؟ إِنَّمَا هُوَ مُغَشًّى بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَخَالٍ مِنْ كُلِّ حَيَاةٍ. ٢٠أَمَّا الرَّبُّ فَفِي هَيْكَلِهِ الْمُقَدَّسِ، فَلْتَصْمُتِ الأَرْضُ كُلُّهَا فِي مَحْضَرِهِ». (حبقوق ٢)

دانيال وحلم نبوخذناصر

في السنة الثانية من مُلْك نَبُوخَذْنَاصَّرَ حَلمَ الملك أحلاما مزعجة أقضّت مضجعه، فأمر بدعوة السحرة والكهنة والعرّافين والمنجّمين. ولما اجتمعوا قال لهم: إنه حلم حلما

أزعجه ولن تطمئن نفسه حتى يخبروه بحلمه الذي رآه وبتفسيرهم له، وردّ السحرةُ على الملك بقولهم فليتفضّلْ الملك بسرْدِ حلمه ونحن نفسّره له، فكان جوابه أن أمرَه قد صدر بأن يقوموا هم بسرد الحلم وتفسيره أو تُمزَّق أجسادُهم إربا إربا، أما إن نجحوا في ذلك فسوف يُغدِقُ عليهم العطايا، فأجابوه بأن طلبه لا يقدر عليه سوى الآلهة: وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ حَلَمَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ أَحْلاَماً أَزْعَجَتْهُ وَطَرَدَتْ عَنْهُ النَّوْمَ، ٢فَأَمَرَ أَنْ يُدْعَى السَّحَرَةُ وَالْمَجُوسُ وَالْعَرَّافُونَ وَالْمُنَجِّمُونَ لِيُخْبِرُوهُ بِأَحْلاَمِهِ فَحَضَرُوا وَمَثَلُوا أَمَامَهُ. ٣فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: «إِنِّي حَلَمْتُ حُلْماً انْزَعَجَتْ لَهُ نَفْسِي، وَلَنْ تَطْمَئِنَّ حَتَّى تَعْرِفَ الْحُلْمَ وَمَعْنَاهُ». ٤فَأَجَابُوا بِالأَرَامِيَّةِ: «لِتَعِشْ إِلَى الأَبَدِ أَيُّهَا الْمَلِكُ. اسْرُدْ عَلَى عَبِيدِكَ الْحُلْمَ فَنُفَسِّرَهُ لَكَ». ٥فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: «قَدْ صَدَرَ عَنِّي الأَمْرُ: إِنْ لَمْ تَسْرُدُوا عَلَيَّ الْحُلْمَ وَتُفَسِّرُوهُ، تُمَزَّقُوا إِرْباً إِرْباً، وَتُصْبِحُ بُيُوتُكُمْ أَنْقَاضاً. ٦وَإِنْ أَنْبَأْتُمُونِي بِالْحُلْمِ وَتَفْسِيرِهِ أُغْدِقْ عَلَيْكُمْ هَدَايَا وَجَوَائِزَ، وَأُسْبِغُ عَلَيْكُمُ الإِكْرَامَ. وَالآنَ اسْرُدُوا عَلَيَّ الْحُلْمَ وَتَفْسِيرَهُ». ٧فَأَجَابُوهُ ثَانِيَةً: «لِيُنْبِئِ الْمَلِكُ عَبِيدَهُ بِالْحُلْمِ فَنَكْشِفَ عَنْ مَعْنَاهُ». ٨فَرَدَّ الْمَلِكُ: «إِنِّي أَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّكُمْ تَسْعَوْنَ لاِكْتِسَابِ الْوَقْتِ، إِذْ أَدْرَكْتُمْ أَنِّي أَصْدَرْتُ أَمْراً مُبْرَماً ٩بِمُعَاقَبَتِكُمْ إِنْ لَمْ تُنْبِئُونِي بِالْحُلْمِ، لأَنَّكُمُ اتَّفَقْتُمْ عَلَى اخْتِلاَقِ الْكَذِبِ وَالضَّلاَلِ لِتَنْطِقُوا بِهِمَا أَمَامِي إِلَى أَنْ يَتَحَقَّقَ مَعْنَى الْحُلْمِ. لِذَلِكَ أَنْبِئُونِي أَوَّلاً بِمَا حَلَمْتُ فَأَعْلَمَ آنَئِذٍ أَنَّكُمْ قَادِرُونَ عَلَى تَفْسِيرِهِ». ١٠فَأَجَابُوا: «لَيْسَ عَلَى الأَرْضِ إِنْسَانٌ فِي وُسْعِهِ تَلْبِيَةُ أَمْرِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَحْدُثْ قَطُّ أَنَّ مَلِكاً عَظِيماً ذَا سُلْطَانٍ طَلَبَ مِثْلَ هَذَا الأَمْرِ مِنْ مَجُوسِيٍّ أَوْ سَاحِرٍ أَوْ مُنَجِّمٍ. ١١وَمَطْلَبُ الْمَلِكِ مُتَعَذِّرٌ لاَ يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يُنْبِئَ بِهِ الْمَلِكَ سِوَى الآلِهَةِ الَّذِينَ لاَ يَسْكُنُونَ مَعَ الْبَشَرِ». (دانيال ٢)

لمّا أعلن السحرةُ عن عَجْزِهم، اغتاظ الملك وأصدر أمره بقتل كلّ حكماء بابل. وكان دانيال ممّن شملهم أمر القتل فطلب المثول أمام الملك، وطلب من الملك أن يمنحه وقتا ليطلعه على حلمه وتفسير هذا الحلم: ١٢عِنْدَ ذَلِكَ اسْتَشَاطَ الْمَلِكُ غَضَباً وَحَنَقاً وَأَمَرَ بِإِبَادَةِ كُلِّ حُكَمَاءِ بَابِلَ. ١٣وَهَكَذَا صَدَرَ الأَمْرُ بِقَتْلِ كُلِّ الْحُكَمَاءِ. وَجَاءَ مَنْ يَقْبِضُ عَلَى دَانِيآلَ وَرِفَاقِهِ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ. ١٤فَخَاطَبَ دَانِيآلُ بِحِكْمَةٍ وَتَبَصُّرٍ أَرْيُوخَ قَائِدَ حَرَسِ الْمَلِكِ الَّذِي خَرَجَ لِيَقْتُلَ حُكَمَاءَ بَابِلَ، ١٥وَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا أَصْدَرَ الْمَلِكُ هَذَا الأَمْرَ الْعَنِيفَ؟» فَأَخْبَرَ أَرْيُوخُ دَانِيآلَ بِمَا حَدَثَ. ١٦فَمَثَلَ دَانِيآلُ أَمَامَ الْمَلِكِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْنَحَهُ وَقْتاً فَيُطْلِعُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْحُلْمِ. (دانيال ٢)

دانيال يعلن عن حُلمِ نبوخذناصر

صلّى دانيال وتوسّل إلى إله السماوات أن يطلعه على حلم الملك وتفسيره، فاستجاب له. ولما مثُل أمام الملك قال له إن الرؤيا التي رأيت أيها الملك هي إخبار بغيب لا يعلمه إلا إله السماوات، وسوف أخبرك بحلمك وبتفسيره كما أبلغني به عالِمُ الغيب. لقد رأيتَ أيها الملك تمثالا عظيما واقفا أمامك؛ رأسه من ذهب نقي، وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه خليط من حديد ومن خزف، وفجأة انقض حجر لم يُقْطع بيد إنسان فضرب التمثال على قدميه فسحقهما؛ فانهار التمثال وتحطم وتحول إلى غبار حملته الرياح فلم يَبْق له أثر. أما الحجرُ الذي ضرب التمثال فتحوّل إلى جبل كبير وملأ الأرض كلّها. وأردف دانيال؛ هذا هو الحلم، وإليك تفسيره أيّها الملك: ١٧ثُمَّ مَضَى دَانِيآلُ إِلَى بَيْتِهِ وَأَبْلَغَ رِفَاقَهُ حَنَنْيَا وَمِيشَائِيلَ وَعَزَرْيَا الأَمْرَ، ١٨لِيَطْلُبُوا مِنْ إِلَهِ السَّمَاوَاتِ الرَّحْمَةَ بِشَأْنِ هَذَا اللُّغْزِ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ دَانِيآلُ وَرِفَاقُهُ مَعَ سَائِرِ حُكَمَاءِ بَابِلَ. ١٩عِنْدَئِذٍ انْكَشَفَ السِّرُّ لِدَانِيآلَ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ، فَبَارَكَ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ،..... ٢٣لَكَ يَاإِلَهَ آبَائِي أَحْمَدُ وَأُسَبِّحُ، لأَنَّكَ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِالْحِكْمَةِ وَالْقُوَّةِ، أَطْلَعْتَنِي الآنَ عَلَى مَا الْتَمَسْنَاهُ مِنْكَ إِذْ عَرَّفْتَنَا بِأَمْرِ الْمَلِكِ».... ٣١رَأَيْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَإِذَا بِتِمْثَالٍ عَظِيمٍ ضَخْمٍ كَثِيرِ الْبَهَاءِ وَاقِفاً أَمَامَكَ وَكَانَ مَنْظَرُهُ هَائِلاً. ٣٢وَكَانَ رَأْسُ التِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَصَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ، وَبَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ، ٣٣وَسَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَدَمَاهُ خَلِيطٌ مِنْ حَدِيدٍ وَمِنْ خَزَفٍ. ٣٤وَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي الرُّؤْيَا انْقَضَّ حَجَرٌ لَمْ يُقْطَعْ بِيَدِ إِنْسَانٍ، وَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ الْمَصْنُوعَتَيْنِ مِنْ خَلِيطِ الْحَدِيدِ وَالْخَزَفِ فَسَحَقَهُمَا، ٣٥فَتَحَطَّمَ الْحَدِيدُ وَالْخَزَفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعاً، وَانْسَحَقَتْ وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْثَالَ فَتَحَوَّلَ إِلَى جَبَلٍ كَبِيرٍ وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا. ٣٦هَذَا هُوَ الْحُلْمُ. أَمَّا تَفْسِيرُهُ فَهَذَا مَا نُخْبِرُ بِهِ الْمَلِكَ: (دانيال ٢)

دانيال يفسِّر حلم نبوخذناصر

فسّر دانيالُ حلم الملك بقوله؛ أما الرأس فهو أنت أيها الملك، وأما الصدر فهو مملكة تأتي بعدك، وأما البطن والفخذان فهما مملكة ثالثة تأتي على أنقاض سابقتها، ثم

تليها مملكة رابعة تحطّم وتسحق كلّ تلك المالك. لكن هذه المملكة تكون مكوّنة من أعراق وأجناس مختلفة لا تلبس أن تتناحر فيها بينها وينفرط عقدُها؛ وهذا ما يشير إليه مكوّنات أصابع القدمين وهي الخزف والحديد اللذان لا يلتحمان دائماً، أما الحجر فهو مملكة يقيمها إله السماوات على أنقاض تلك الممالك، وتظلّ إلى الأبد: ٣٧أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ،..... فَأَنْتَ الرَّأْسُ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ. ٣٩ثُمَّ لاَ تَلْبَثُ أَنْ تَقُومَ مِنْ بَعْدِكَ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَقَلُّ شَأْناً مِنْكَ، وَتَلِيهَا مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُمَثَّلَةٌ بِالنُّحَاسِ فَتَسُودُ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. ٤٠ثُمَّ تَعْقُبُهَا مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، فَتُحَطِّمُ وَتَسْحَقُ كُلَّ تِلْكَ الْمَمَالِكِ كَالْحَدِيدِ الَّذِي يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. ٤١وَكَمَا رَأَيْتَ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ وَالأَصَابِعَ هِيَ خَلِيطٌ مِنْ خَزَفٍ وَحَدِيدٍ، فَإِنَّ الْمَمْلَكَةَ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً فَيَكُونُ فِيهَا مِنْ قُوَّةِ الْحَدِيدِ، بِمِقْدَارِ مَا شَاهَدْتَ فِيهَا مِنَ الْحَدِيدِ مُخْتَلِطاً بِالْخَزَفِ. ٤٢وَكَمَا أَنَّ أَصَابِعَ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ، فَإِنَّ بَعْضَ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ صَلْباً وَالْبَعْضُ الآخَرُ هَشّاً. ٤٣وَكَمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطاً بِخَزَفِ الطِّينِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ تَعْقِدُ صِلاَتِ زَوَاجٍ مَعَ مَمَالِكِ النَّاسِ الأُخْرَى، إِنَّمَا لاَ يَلْتَحِمُونَ مَعاً، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لاَ يَخْتَلِطُ بِالْخَزَفِ. ٤٤وَفِي عَهْدِ هَؤُلاَءِ الْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لاَ تَنْقَرِضُ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يُتْرَكُ مُلْكُهَا لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُبِيدُ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَمَالِكِ. أَمَّا هِيَ فَتَخْلُدُ إِلَى الأَبَدِ. ٤٥لأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَجَرَ الْمُنْقَضَّ الَّذِي لَمْ يُقْطَعْ مِنَ الْجَبَلِ بِيَدَيْنِ، قَدْ سَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. إِنَّ اللهَ الْعَظِيمَ قَدْ أَطْلَعَ الْمَلِكَ عَمَّا سَيَحْدُثُ فِي الأَيَّامِ الآتِيَةِ؛ فَالْحُلْمُ حَقِيقَةٌ وَتَفْسِيرُهُ صِدْقٌ». (دانيال ٢)

يقول مفسّرو التوراة: إن الصدر يشير إلى بابل، وإن الذراعان يشيران إلى مادي وفارس؛ اللتان أعقبتا بابل، وإن البطن والفخذان يشيران إلى دولة اليونان التي أسّسها الإسكندر الأكبر الذي هزم ملك الفرس داريوس كودومانوس آخر أباطرة الفرس، وإن الساقان؛ يشيران إلى الدولة الرومانية التي حطّمت الدولة اليونانية، وهي التي أنهت الدولة اليهودية وأحرقت أورشليم والهيكل، وأن الدولة الرومانية قد انقسمت في إحدى مراحلها إلى مملكتين شرقيّة وغربيّة، وبدأت تضعف وتنقسم فصارت كأصابع القدمين؛ وكان ذلك سببا في انهيارها أمام العرب المسلمين.

نبوءة دانيال ضد بَيلشاصَّر

أقام بَيلْشَاصَّرْ الملك البابلي مأدُبة عظيمة لنبلاء دولته، وشرب الخمر في آنية الذهب والفضة التي استولى عليها أبوه من هيكل أورشليم. وفوجئ الملك بأصابع يد؛ لا يُرَى صاحبُها؛ تكتب على الجدار، فشحب وجهُه، وارتعدت فرائصه، وأمر بإحضار السحرة والمنجّمين، ووعد من يفسر معنى هذه الكتابات بأن يكون من المُقرّبين إليه. لم يستطع أحد تفسير الكلمات التي كُتِبت على الحائط، فنصحت أمُّ الملك ابْنَها أن يأتي بدانيال الذي فسّر حلمي والده الملك نبوخذناصر من قبل. استدعى الملكُ دانيال، وطلب منه تفسير تلك الكلمات: وَأَقَامَ بَيْلْشَاصَّرُ الْمَلِكُ مَأْدُبَةً عَظِيمَةً لِنُبَلاَءِ دَوْلَتِهِ الأَلْفِ، وَشَرِبَ خَمْراً أَمَامَهُمْ..... ٤وَأَخَذُوا يُسَبِّحُونَ آلِهَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالْخَشَبِ وَالْحَجَرِ. ٥فَظَهَرَتْ أَصَابِعُ يَدِ إِنْسَانٍ وَخَطَّتْ بِإِزَاءِ الْمِصْبَاحِ عَلَى كِلْسِ جِدَارِ قَصْرِ الْمَلِكِ، وَالْمَلِكُ يَشْهَدُ الْيَدَ الْكَاتِبَةَ. ٦عِنْدَئِذٍ شَحُبَ وَجْهُ الْمَلِكِ وَأَفْزَعَتْهُ أَفْكَارُهُ وَاصْطَكَّتْ رُكْبَتَاهُ وَاعْتَرَاهُ الانْهِيَارُ، ٧فَزَعَقَ طَالِباً أَنْ يُحْضِرُوا السَّحَرَةَ وَالْكَلْدَانِيِّينَ وَالْمُنَجِّمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّ رَجُلٍ يَقْرَأُ هَذِهِ الْكِتَابَةَ وَيُفَسِّرُ لِي مُحْتَوَاهَا، يَرْتَدِي الأُرْجُوَانَ وَقِلاَدَةً مِنْ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ، وَيُصْبِحُ الرَّجُلَ الثَّالِثَ الْمُتَسَلِّطَ فِي الْمَمْلَكَةِ». ٨فَأَقْبَلَ حُكَمَاءُ الْمَلِكِ وَلَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابَةِ وَعَنْ إِطْلاَعِ الْمَلِكِ عَلَى تَفْسِيرِهَا. ٩فَدَبَّ الْفَزَعُ فِي الْمَلِكِ بَيْلْشَاصَّرَ، وَتَبَدَّلَتْ هَيْئَتُهُ وَاعْتَرَى عُظَمَاءَهُ الاضْطِرَابُ. ١٠وَعَلَى أَثَرِ كَلاَمِ الْمَلِكِ وَنُبَلاَئِهِ، أَقْبَلَتِ الْمَلِكَةُ الأُمُّ إِلَى قَاعَةِ الْمَأْدُبَةِ وَقَالَتْ لَهُ: «أَيُّهَا الْمَلِكُ لِتَعِشْ إِلَى الأَبَدِ. لاَ تُرَوِّعْكَ أَفْكَارُكَ، وَلاَ يَشْحَبْ وَجْهُكَ، ١١لأَنَّ فِي مَمْلَكَتِكَ رَجُلاً فِيهِ رُوحُ الآلِهَةِ الْقُدُّوسِينَ، وَقَدْ تَمَيَّزَ فِي عَهْدِ أَبِيكَ بِاسْتِنَارَةٍ وَفَهْمٍ وَحِكْمَةٍ كَحِكْمَةِ الآلِهَةِ، فَعَيَّنَهُ أَبُوكَ الْمَلِكُ نَبُوخَذْنَاصَّرُ رَئِيساً لِلْمَجُوسِ وَالسَّحَرَةِ وَالْكَلْدَانِيِّينَ وَالْمُنَجِّمِينَ..... فَلْيُدْعَ الآنَ دَانِيآلُ لِيُطْلِعَكَ عَلَى تَفْسِيرِ الْكِتَابَةِ». ١٣حِينَئِذٍ اسْتُدْعِيَ دَانِيآلُ، فَمَثَلَ أَمَامَ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «هَلْ أَنْتَ دَانِيآلُ مِنَ الْمَنْفِيِّينَ الَّذِينَ أَحْضَرَهُمْ أَبِي الْمَلِكُ مِنْ أَرْضِ يَهُوذَا؟..... ١٦وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى تَفْسِيرِ الأَحْلاَمِ وَحَلِّ الْمُعْضِلاَتِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ الآنَ أَنْ تَقْرَأَ الْكِتَابَةَ وَتُطْلِعَنِي عَلَى تَفْسِيرِهَا، تَرْتَدِي الأُرْجُوَانَ وَتَتَقَلَّدُ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِكَ، وَتُصْبِحُ الرَّجُلَ الثَّالِثَ الْمُتَسَلِّطَ فِي الْمَمْلَكَةِ». (دانيال ٥)

ولما حضر دانيالُ قال للملك: إنك أيها الملك لم تتعظ بما حصَل لأبيك الملك، ولم يتواضع قلبُك، ومجّدت آلهة لا تُبْصِر ولا تسْمَع، ولم تمجّد ربّ السماء الذي بيده روحك. أما الكلمات فتقول أن أيام مُلْكِكَ قد انتهت، وأن الفُرْس سوف يستولون على مملكتك: ١٧فَأَجَابَ دَانِيآلُ الْمَلِكَ: «لِتَبْقَ عَطَايَاكَ لَكَ، وَجُدْ بِهِبَاتِكَ عَلَى غَيْرِي، وَلَكِنِّي أَقْرَأُ الْكِتَابَةَ لِلْمَلِكِ وَأُطْلِعُهُ عَلَى تَفْسِيرِهَا. ١٨أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ وَهَبَ اللهُ الْعَلِيُّ أَبَاكَ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مُلْكاً وَعَظَمَةً وَجَلاَلاً وَبَهَاءً..... ٢٠وَعِنْدَمَا شَمَخَ قَلْبُهُ وَقَسَتْ رُوحُهُ تَعَنُّتاً، عُزِلَ عَنْ عَرْشِ مُلْكِهِ وَجُرِّدَ مِنْ جَلاَلِهِ..... ٢٢وَأَنْتَ يَابَيْلْشَاصَّرُ ابْنُهُ لَمْ يَتَوَاضَعْ قَلْبُكَ، مَعَ عِلْمِكَ بِكُلِّ هَذَا، ٢٣بَلْ تَغَطْرَسْتَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ..... ٢٤عِنْدَئِذٍ، أَرْسَلَ مِنْ حَضْرَتِهِ هَذِهِ الْيَدَ فَخَطَّتْ هَذِهِ الْكِتَابَةَ. ٢٥وَهِيَ: مَنَا مَنَا تَقَيْلُ وَفَرْسِينُ ٢٦وَتَفْسِيرُهَا مَنَا: أَحْصَى اللهُ أَيَّامَ مُلْكِكَ وَأَنْهَاهُ. ٢٧تَقَيْلُ: وُزِنْتَ بِالْمَوَازِينِ فَوُجِدْتَ نَاقِصاً. ٢٨فَرْسِ: شُطِرَتْ مَمْلَكَتُكَ وَأُعْطِيَتْ لِمَادِي وَفَارِسَ». (دانيال ٥)

مكافأة بَيلشَاصّر لدانيال

ما إن سمع بَيلْشَاصَّرُ من دانيال تفسير الحلم حتى أجزل له العطاء، وأمر أن يعلن في البلاد أنه قد صار من كبار معاونيه. ويقول دانيال: إنه في تلك الليلة قُتِل بَيلْشَاصّر، واستولى داريوس ملك مادي (خال كورش) على مُلْك بابل: ٢٩حِينَئِذٍ أَمَرَ بَيلْشَاصَّرُ أَنْ يَخْلَعُوا عَلَى دَانِيآلَ الأُرْجُوَانَ وَيُطَوِّقُوا عُنُقَهُ بِقِلاَدَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيُذِيعُوا فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْبِلاَدِ أَنَّهُ أَصْبَحَ الْمُتَسَلِّطَ الثَّالِثَ فِي الْمَمْلَكَةِ. ٣٠فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قُتِلَ بَيلْشَاصَّرُ مَلِكُ الْكَلْدَانِيِّينَ، ٣١وَاسْتَوْلَى دَارِيُوسُ الْمَادِيُّ عَلَى الْمَمْلَكَةِ وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ وَالسِّتِّينَ مِنْ عُمْرِهِ. (دانيال ٥)

هذه نبوءة الليلة الأخيرة لمملكة بابل، وقبل هذه الليلة بعامين هزم كورش جيش بابل فاحتمى البابليون بأسوارهم حتى هذه الليلة التي سكروا فيها. وقد سمع كورش بأخبار هذه الحفلة فهاجم بابل وخرّبها كما تنبأ (أشعياء) أنهم يهلكون بيد مادي وفارس ليلة لذّتهم وأكلهم وشربهم (الأب أنطونيوس).

تعقيــب

ورد في (الإصحاح العاشر من سفر أشعياء) أن الربَّ سوف يعاقب ملك آشور على غروره وتجبُّره، ويسلِّط على جنوده وباء مهلكا، ويجعل بريق مجْدِه خافتا لا يصمُدُ أمام شعاع نور إسرائيل ونار قُدّوسِها.

النبوءة تربط بين هلاك آشور وعُلُوِّ بني إسرائيل. وقد زال مُلْك الآشوريِّين على يد البابليِّين، وحل البابليُّون محل الآشوريِّين في استعباد بني إسرائيل. والربط بين زوال آشور وعُلُوِّ بني إسرائيل غير صائب في هذه النبوءة، لعدم تحقُّقه على أرض الواقع.

ورد في (الإصحاح الأول من سفر ناحوم) أن الربَّ سوف يقضي على أهل نينوى، ويفنيهم بضربة واحدة لأنهم تآمروا على شعب الربِّ وأساءوا إليه، وأنه سوف يخلِّص بني إسرائيل من عبوديتهم، ويريحهم من جميع أعدائهم.

وهذا أيضا لم يتحقّق لنفس الأسباب التي سُقْناها أعلاه.

ورد في (الإصحاح الثاني من سفر ناحوم) أن الربَّ قد قضى بهلاك آشور ونجاة بني إسرائيل من أسرهم.

كما هو ثابت تاريخيا فقد سقطت آشور، لكن لم ينج بنو إسرائيل من أسرهم إلا ليقعوا في أسر البابليِّين، ولم تتحقّق لهم النجاة كما ذكرت النبوءة.

ورد في (الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثاني) أن سنحاريب ملك آشور حاصر أورشليم وطلب من أهلها الاستسلام ودفع الجزية، وأن أشعياء طمأن حزقيا ملك يهوذا أن سنحاريب سوف تصله أنباء تجعله يفُكَّ الحصار ويعود إلى بلاده. كما ورد في (الإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثاني) أن ملاك الرب قتل ١٨٥ , ٠٠٠ من جنود سنحاريب في المساء، ولما وجد سنحاريب في الصباح جثث جنوده تملأ المكان انسحب بجيشه وفرّ راجعا إلى بلاده.

إن سبب فك الحصار في النبوءتين مختلف، فقد ذكرت النبوءة الأولى أن سنحاريب سوف يسمع أخبارا تُجبره على فك الحصار، وفي الثانية أن رؤيته لجثث جنوده تغطّي الأرض

هي التي دفعته لفك الحصار؛ فأيهما نصدق؟ كما أن قَتْل ملاك الربِّ لهذا العدد أثناء الليل شيء مبالغ فيه جدا.

ورد في (الإصحاح السابع والعشرين من سفر إرميا) أن الربَّ سوف يُسْلم يهوذا وما حولها من ممالك إلى نبوخذناصر ملك بابل، وأنه من يستسلم منهم للملك بابل كما أمر الرب فسوف يُبْقيه الربُّ في أرضه يزرعها ويحرثها. وحدّد الربُّ دوام مملكة بابل بحياة نبوخذناصر وابنه وحفيد له.

في هذه النبوءة يأمر الربُّ بني إسرائيل بالاستسلام للملك الغازي؛ وهذا أمر مستغرب، فقد جرى العُرْفُ أن الربَّ يأمر بالدفاع عن الدين وعن النفس وعن العرض وعن الأوطان لا للخنوع والاستسلام.

ورد في (الإصحاح الخامس والعشرين من سفر إرميا) أن خراب بابل سيتم في ختام السبعين سنة. إن قصة السبعين سنة هذه لها تفسير في (الإصحاح الخامس والعشرين من سفر اللاويين) مفادُها أن الربَّ أوصاهم إن هم دخلوا أرض الميعاد أن يزرعوا الأرض (٦) سنوات ويتركوها في السنة الـ (٧) للراحة. وقد وعدهم الربُّ أن تعطيهم الأرض في السنة الـ (٦) ضعفين يكون تعويضا لهم عن سنة الراحة التي فرضها الربُّ عليهم.

وقد قال مفسِّرو التوراة: إن بني إسرائيل لم ينفِّذوا وصية الرب مدة ٤٩٠ سنة مقسومة على ٧ (سنة في كل ٧ سنين) فتكون النتيجة ٧٠ سنة هي فترة العقاب كما نصّت وصية الربِّ.

ولنا تحفُّظات على تلك الوصية ليس هذا موضعها، أما تحديد فترة السبي بـ (٧٠) سنة، وفترة بقاء مملكة بابل بحياة نبوخذناصر وابنه وحفيد له فهي ليس نبوءات لكنها سرد لأحداث وقعت جعلها كاتبُ النَّصِّ بصيغة المستقبل لتأخذ شكل النبوءة.

ورد في (الإصحاح الثاني من سفر حبقوق) أن الربَّ أجاب على شكوى حبقوق له بأن يرفع ظُلم البابليِّين عن بني إسرائيل بقوله أن نهايتهم قد أزِفَتْ، وأن أمره قد صدر بالقضاء عليهم، وعلى معبوداتهم الوثنية.

هذا المُتنبّئ يشتكي من ظلم وقع، ويتمنّى للظالم عقابا على ظلمه، لكنه لم يُقْحم نفسه في تفاصيل قد تصيب أو تخطئ كما فعل غيره.

ورد في (الإصحاح الثاني من سفر دانيـال) أن الملك نَبُوخَذْنَاصَّر رأى أحلاما مزعجة، ولم يستطع أحد من السحرة أو الكهنة والعرّافين والمنجّمين أن يفسّروها له لأنّه اشترط عليهم أن يعرفوا حلمه دون أن يحكيه لهم ثم يفسّروه، ومن ثَمَّ أمر بقتلهم. ولمّا عُرِض الأمرُ على دانيال طلب مُهلة من الملك ليُطْلعه على حلمه الذي لم يذكره لأحد، وعلى تفسيره له.

وقبل أن نتطرّق إلى تفسير دانيال لحُلْم الملك لنا وقفة تعجُّب تجاه طلب الملك المُعجِز، فمن المعقول أن يطلب الملك من أحد تفسير حلمه، أما أن يطلب من أحد أن يحكي له حلما رآه؛ فهذا أمر مستغرب. أما قوْلُ دانيال: إن الملك خشي إن هو أخبرهم بحلمه أن لا يصْدُقوه في تفسير حلمه فغير منطقي من ملك في مثل حجم نَبُوخَذْنَاصَّر، وغير معقول أيضا.

أما وصف دانيا للتمثال ففيه تفاصيل غريبة؛ تمثال عظيم، رأسه من ذهب نقي، وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه خليط من حديد ومن خزف.

ونتساءل أي عين تلك التي أبصرت الذهب، وحدّدت درجة نقائه؟ ويا ترى من أي عيار هو؟ ناهيك عن بقية المعادن. وحجر لم يُقْطع بيد إنسان، قطع بيد من إذا؟ وهل رأى دانيال من قطعه؟ والحجر يضرب التمثال فيحوّله إلى تراب، ثم يتحوّل الحجر إلى جبل يملأ الأرض كلها. والله إنها رؤيا عجيبة.

أما تفسير دانيال فهو الأكثر غرابة: فرأس التمثال هو الملك، والصدر هو مملكة تأتي من بعده، والبطن مملكة ثانية، وأحد الفخذين مملكة ثالثة، والفخذ الثاني مملكة رابعة تحطِّم وتسحق كل تلك الممالك، وهكذا دواليك حتى ننتهي إلى أصابع القدمين. أما الحجر فهو مملكة يقيمها إله السماوات على أنقاض تلك الممالك، وتظلُّ إلى الأبد.

واجتهد مفسرو التوراة في مقابلة تفاصيل النص مع أحداث تاريخية بعينها؛ متمثّلين في ذلك ممالك فارس واليونان والرومان والعرب المسلمين. أما الحجر فهو مملكة بني إسرائيل التي تسود إلى الأبد، وهذا يتصادم مع تفسير النصارى الذي يقول عن الحجر: إنه المسيح الذي وُلِد بغير زرع بشر، وأنه بمجيء المسيح الثاني سيؤسس مملكته على أنقاض تلك الممالك.

ورأينا أن الحلم وتفسيره ما هو إلا سرد لأحداث التاريخ صاغها كاتب النص في صيغة نبوءة، ولو كانت نبوءة لتحققت مملكة إسرائيل، وتغلّبت على الإمبراطورية الرومانية التي قضت على كل أمل لهم في كيان مستقل.

ورد في (الإصحاح الخامس من سفر دانيال) أن بَيْلْشَاصَّرُ الملك البابلي رأى أصابع تكتُب على الجدار كلمات مبهمة، وأنه وعد من يفسّر معناها بأن يكون من المُقرّبين إليه، وأن أمّ الملك نصحت ابنها بأن يأتي بدانيال ليفسّر له مغزى تلك الكلمات، وأن دانيال فسر الكلمات بأن الفرس سوف يستولون على مملكة بابل، وأن الملك أجزل له العطاء وقرّبه إليه لما سمع منه تفسيرها.

ومن غير المعقول أو المنطقي أن يسمع ملك خبر انتهاء مُلْكه، ويُجْزل العطاء لمن أخبره بالخبر، ناهيك عن حبكة القصة التي تُذكّرنا بقصص الرعب التي يفتعل كاتبوها سيناريوهاتها لتحقيق أكبر قدر من الإثارة والتشويق، كما يعمدون إلى تأجيل نهايتها لتحقيق أكبر قدر من الإثارة. وحيث أن نهاية القصة التي نحن بصددها كانت سريعة، فكيف لدانيال أن يستمتع بعطايا الملك أو بمميّزات القرب منه؟

الفصل الحادي عشر

نبوءات ضد

مؤاب وعمون وآدوم

الفصل الحادي عشر

نبوءات ضد مؤاب وعمون وآدوم

نبوءة ليَحَزْئيل بهزيمة العمونيّين والمؤابيّين

تجمّعت جيوش الْعَمُّونِيِّينَ وَالْمُوابِيِّينَ وَأَهْلِ جَبَلِ سَعِيرَ في قوّات عظيمة؛ لمحاربة يهوذا، وشعر الملك يَهُوشَافَاطُ ملك يهوذا بهمّ كبير، وارتعب الشعب من قوة عدوِّهم الغاشمة، لكن يَحْزَئيل تنبأ لهم بأن الربَّ سوف ينصُرُهم عليهم رغم قِلَّتِهم وكثرة عدوِّهم؛ لأن الحرب ليست حربهم، بل هي حربُ الله. وأمرهم يحزئيل أن يخرجوا لملاقاتهم ليروا ما سيفعله الله بهم: ١٤حَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى يَحْزَئِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ بَنَايَا بْنِ يَعِيئِيلَ بْنِ مَتَّنِيَّا اللاَّوِيِّ، مِنْ بَنِي آسَافَ، الَّذِي كَانَ وَاقِفاً وَسَطَ الْجَمَاعَةِ، ١٥فَقَالَ: «اصْغَوْا يَاجَمِيعَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، وَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ يَهُوشَافَاطُ. هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ لَكُمْ: لاَ تَجْزَعُوا وَلاَ تَرْتَعِبُوا خَوْفاً مِنْ هَذَا الْجَيْشِ الْعَظِيمِ، إِذْ لَيْسَتِ الْحَرْبُ حَرْبَكُمْ، بَلْ هِيَ حَرْبُ اللهِ..... ١٧لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَخُوضُوا هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ، بَلْ قِفُوا وَاثْبُتُوا وَاشْهَدُوا خَلاَصَ الرَّبِّ الَّذِي يُنْعِمُ بِهِ عَلَيْكُمْ يَابَنِي يَهُوذَا وَيَاأَهْلَ أُورُشَلِيمَ..... (أخبار الأيام الثاني ٢٠)

وزحف جيشُ يهوذا نحو العدوِّ يتقدّمُهم فرقة المغنين بثيابهم المقدّسة. ولمّا تواجه الجمعان وبدأت الفرقةُ في الغناء والتسبيح، أثار الربُّ على جيوش الأعداء كمائن لا يُعرف مصدرُها سبّبت لهم دمارا كبيرا وبلبلة؛ جعلتهم يقتُل بعضُهم بعضا حتى أفنتهم عن آخرهم. وغنم بنو إسرائيل مغانم كثيرة مكثوا ثلاثة أيام يجمعونها لوفرتها: ٢٠وَفِي سَاعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي تَوَجَّهَ جَيْشُ يَهُوذَا إِلَى صَحْرَاءِ تَقُوعَ،..... ٢١وَبَعْدَ التَّدَاوُلِ مَعَ الشَّعْبِ، جَعَلَ فِرْقَةً مِنَ الْمُغَنِّينَ الَّذِينَ تَزَيَّنُوا بِالثِّيَابِ الْمُقَدَّسَةِ تَتَقَدَّمُ مَسِيرَةَ الْمُجَنَّدِينَ لِلْقِتَالِ، لِتُسَبِّحَ الرَّبَّ قَائِلَةً: «احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّ رَحْمَتَهُ إِلَى الأَبَدِ تَدُومُ». ٢٢وَعِنْدَمَا شَرَعُوا فِي الْغِنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ أَثَارَ الرَّبُّ كَمَائِنَ عَلَى الْعَمُّونِيِّينَ وَالْمُوابِيِّينَ، وَأَهْلِ جَبَلِ سَعِيرَ الْقَادِمِينَ لِمُحَارَبَةِ يَهُوذَا، فَانْكَسَرُوا. ٢٣فَقَدِ انْقَلَبَ الْعَمُّونِيُّونَ وَالْمُوابِيُّونَ عَلَى سُكَّانِ جَبَلِ سَعِيرَ وَقَضَوْا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَفْنَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً. ٢٤وَحِينَ بَلَغَ جَيْشُ يَهُوذَا بُرْجَ الْمُرَاقَبَةِ فِي الصَّحْرَاءِ، الْتَفَتُوا نَحْوَ جَيْشِ الأَعْدَاءِ، وَإِذَا بِهِمْ جُثَثٌ مُتَنَاثِرَةٌ عَلَى الأَرْضِ، لَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ

حَيٌّ. ٢٥ فَهَبَّ يَهُوشَافَاطُ وَجَيْشُهُ لِنَهْبِ الْغَنَائِمِ، فَوَجَدُوا بَيْنَ الْجُثَثِ أَمْوَالاً وَأَسْلاباً هَائِلَةً وَأَمْتِعَةً ثَمِينَةً وَفِيرَةً فَغَنِمُوهَا لأَنْفُسِهِمْ حَتَّى عَجَزُوا عَنْ حَمْلِهَا، وَظَلُّوا يَنْهَبُونَ الْغَنِيمَةَ طَوَالَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لِوَفْرَتِهَا..... (أخبار الأيام الثاني ٢٠)

نبوءة لأشعياء بخراب مؤاب

تقول نبوءة أشعياء: إن جيوشا سوف تبغَتُ المؤابيّين وتدمِّر قراهم، فينطلقون إلى آلهتهم التي نصبوها على المرتفعات يبكون ويولولون لكنها لن تنقذهم من مصيرهم المحتوم، وأن الباقين منهم سوف يلبسون السواد حزنا على ما وقع بهم، لكنهم لن ينجوا من هجمات الأسود الجائعة. وينصح الربُّ المؤابيّين على لسان أشعياء بأن يستمرّوا في دفع الجزية التي كانت تُدفع إلى ملك يهوذا في أورشليم حتى يستقبلهم في مملكته، ويبْسُط عليهم جناحي رحمته، ويقول الربُّ: إن كبرياءهم سوف يمنعهم من دفع الجزية؛ فيصيبُهم ما توعّدهم به الربُّ. وتقول النبوءة: إن ما هدّدهم به الرب سوف يقع خلال ثلاث سنوات لا تنقص عنها ولا تزيد: رُؤْيَا بِشَأْنِ مؤاب: حَقّاً فِي لَيْلَةٍ مُبَاغِتَةٍ تُخَرَّبُ عَارُ مؤاب، حَقّاً فِي لَيْلَةٍ مُبَاغِتَةٍ تُدَمَّرُ قِيرُ مؤاب. ٢يَنْطَلِقُ أَهْلُ دِيبُونَ إِلَى الْمَعْبَدِ، وَحَتَّى إِلَى الْمُرْتَفَعَاتِ لِلْبُكَاءِ؛ يُوَلْوِلُ شَعْبُ مؤاب عَلَى مَصِيرِ نَبُو وَمَيْدَبَا بِرُؤُوسٍ وَذُقُونٍ مَحْلُوقَةٍ. ٣يَتَلَفَّعُونَ بِالْمُسُوحِ فِي شَوَارِعِهَا، وَيَبْكِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى السُّطُوحِ وَفِي السَّاحَاتِ..... ٩تَفِيضُ مِيَاهُ دِيمُونَ دَماً لأَنِّي أَزِيدُ مِنْ وَيْلاَتِهَا، فَتُهَاجِمُ الأُسُودُ النَّاجِينَ مِنْ مؤاب، وَتَفْتَرِسُ الْهَارِبِينَ وَالْمَاكِثِينَ فِيهَا. (أشعياء ١٥)

..... ١٣ هَذَا مَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ بِهِ عَلَى مؤاب مُنْذُ زَمَنٍ. ١٤ وَهَا هُوَ يَتَكَلَّمُ الآنَ قَائِلاً: «فِي غُضُونِ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ، كَسَنَوَاتِ الأَجِيرِ، يُذَلُّ مَجْدُ مؤاب، وَيُحْتَقَرُ جَمِيعُ شَعْبِهَا، وَالنَّاجُونَ مِنْهُمْ يَكُونُونَ قِلَّةً ضَعِيفَةً». (أشعياء ١٦)

نبوءة لعاموس ضد آدوم

تقول النبوءة: إنه من أجل معاصي آدوم، وعداوتهم الدائمة لبني إسرائيل، وعدم مساندتهم لهم في محنتهم مع عدوِّهم، فإن الربَّ سوف يُسلِّط عليهم عدوّا يقتلع حصونهم،

ويبيد شعبهم: ١١وَهَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أجل مَعَاصي آدوم الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهُمْ سَخَطِي، لأَنَّهُمْ تَعَقَّبُوا إِخْوَتَهُمْ بِالسَّيْفِ، وَتَغَاضَوْا عَنْ كُلِّ رَحْمَةٍ، وَجَعَلُوا غَضَبَهُمْ يَتَأَجَّجُ مُلْتَهِباً بِاسْتِمْرَارٍ، وَظَلُّوا حَاقِدِينَ عَلَى الدَّوَامِ. ١٢فَأُرْسِلُ ناراً عَلَى تَيْمَانَ، فَتَلْتَهِمُ حُصُونَ بُصْرَةَ. (عاموس ١)

نبوءة لعاموس ضد عمون

تقول النبوءة: إنه بسبب معاصي العمونيِّين وقسوتهم مع بني إسرائيل في حروبهم معهم بأن كانوا يشُقّون بطون الحوامل من أجل القضاء على ذرِّيَّتهم، فإنه سوف يسلِّط عليهم عدوّا يدُقُّ حصونهم، ويستولي على عاصمتهم، ويسوق ملكهم وكل أركان حكمه إلى السبي: ١٣هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ مَعَاصِي الْعَمُّونِيِّينَ الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهُمْ سَخَطِي، لأَنَّهُمْ شَقُّوا بُطُونَ الْحَوَامِلِ فِي جِلْعَادَ لِيُوَسِّعُوا تُخُمَهُمْ. ١٤لِهَذَا أُضْرِمُ نَاراً فِي سُورِ رَبَّةَ فَتَلْتَهِمُ حُصُونَهَا فِي مُعْتَرَكِ جَلَبَةِ يَوْمِ الْحَرْبِ، وَفِي وَسَطِ عَاصِفَةٍ فِي يَوْمِ الزَّوْبَعَةِ. ١٥وَيُسَاقُ مَلِكُهُمْ إِلَى السَّبْيِ مَعَ سَائِرِ رُؤَسَائِهِ يَقُولُ الرَّبُّ. (عاموس ١)

نبوءة لعاموس ضد مؤاب

تقول النبوءة: إنه بسبب معاصي مؤاب التي لا تُحصى، ولأنهم قاموا بنبش عظام رفات ملك آدوم وحرقها، فإن الربَّ سوف يسلِّط عليهم عدوّا يجتاح حصونهم وقراهم فيموتون في أتون المعركة، ويهلك ملكهم وكل أركان حكمه والقاضي الذي أمر بحرق عظام ملك آدوم: هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ مَعَاصِي مؤاب الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهُمْ سَخَطِي، لأَنَّ مؤاب أَحْرَقَ عِظَامَ مَلِكِ آدوم حَتَّى صَارَتْ كِلْساً. ٢لِهَذَا أُرْسِلُ نَاراً عَلَى مؤاب فَتَلْتَهِمُ حُصُونَ قَرْيُوتَ، فَيَمُوتُ مؤاب فِي وَسَطِ الضَّجِيجِ وَصَيْحَاتِ الْمُحَارِبِينَ وَدَوِيِّ الأَبْوَاقِ. ٣وَأَسْتَأْصِلُ الْحَاكِمَ مِنْ بَيْنِ الْمُوآبِيِّينَ، وَأَقْضِي عَلَى كُلِّ رُؤَسَائِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. (عاموس ٢)

نبوءة لإرميا ضد مؤاب

يتوعّد الربُّ مؤاب بالدمار والخزي من جرّاء غزو يقوم به الأعداء، وأن ديارهم سوف تصير أطلالا بسبب عداوتهم لبني إسرائيل منذ كانوا في البريّة قبل دخولهم

الْمقدّسة. وتقول النبوءة: إن الدمار سيكون كاسحا بحيث يزحف إلى جميع مدنهم فيبيد الوادي ويتلف السهل: نُبوءَةٌ عَنِ الْمؤابيّينَ: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَديرُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: «وَيْلٌ لِنَبُو لأَنَّهَا أَصْبَحَتْ أَطْلاَلاً. لَحِقَ الْعَارُ بِقَرْيَتَايِمَ وَتَمَّ الاسْتِيلاَءُ عَلَيْهَا. خَزِيَ الْحِصْنُ وَارْتَعَبَ. ٢زَالَ فَخْرُ مؤاب وَتآمَرُوا فِي حَشْبُونَ عَلَيْهَا شَرّاً قَائِلِينَ: هَيَّا نَهْدِمُهَا فَلاَ تَكُونُ أُمَّةً بَعْدُ. وَأَنْتِ أَيْضاً يَامَدْمِينُ، يُهَيْمِنُ عَلَيْكِ صَمْتُ الْمَوْتِ وَيُلاَحِقُكِ السَّيْفُ. ٣اسْمَعُوا صَوْتَ صُرَاخٍ مِنْ حُورُونَايِمَ: قَدْ حَلَّ بِنَا هَلاَكٌ وَدَمَارٌ عَظِيمَانِ. ٤قَدْ تَحَطَّمَتْ مؤاب، وَبَلَغَ صُرَاخُهَا صُوغَرَ. ٥إِذْ عَلَى مُرْتَفَعِ لُوحِيتَ يَصْعَدُونَ بَاكِينَ بِمَرَارَةٍ، وَعَلَى مُنْحَدَرِ حُورُونَايِمَ يَتَرَدَّدُ صُرَاخُ الانْكِسَارِ. ٦اهْرُبُوا وَانْجُوا بِأَنْفُسِكُمْ. كُونُوا كَعَرْعَرٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. ٧لأَنَّكُمُ اتَّكَلْتُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَكُنُوزِكُمْ، سَتُسْبَوْنَ أَيْضاً وَيَقَعُ الصَّنَمُ كَمُوشُ أَيْضاً أَسِيراً وَيُؤْخَذُ إِلَى الْمَنْفَى مَعَ كَهَنَتِهِ وَرُؤَسَائِهِ. ٨وَيَزْحَفُ الْمُدَمِّرُ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ، فَلاَ تُفْلِتُ مِنْهُ إِحْدَاهَا، فَيَبِيدُ الْوَادِي، وَيَتْلَفُ السَّهْلُ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ قَضَى. ٩أَعْطُوا مؤاب أَجْنِحَةً، فَيُحَلِّقَ طَائِراً. قَدْ أَصْبَحَتْ مُدُنُهُ أَطْلاَلاً مَهْجُورَةً مِنَ النَّاسِ. (إرميا ٤٨)

نبوءة لإرميا ضد عمون

يتوعّد الربُّ بني عمون باجتياح عارم من أعدائهم، فيتردّد صدى القتل في كل أرجاء بلادهم، وتصير مدنها أطلالا، وتُحرق قراها بالنار؛ لأنهم استولوا على المنطقة التي ورثها سبط جاد وكانت موطنا لهم؛ وذلك إبان غزو الآشوريّين لمملكة إسرائيل. وتوعّد الربُّ ملك العمونيّين بأن يُسبى هو وكهنتُه وجميعُ أركان حكمه؛ لكن الربُّ وعد بردِّ سبيهم: نُبُوءَةٌ عَنْ بَنِي عَمُّونَ، هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: «أَلَيْسَ لإِسْرَائِيلَ أَبْنَاءٌ؟ أَلَيْسَ لَهُ وَارِثٌ؟ فَمَا بَالُ مَلِكِ الْعَمُّونِيِّينَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى مِيرَاثِ سِبْطِ جَادَ وَسَكَنَ شَعْبُهُ فِي مُدُنِهِ؟ ٢لِذَلِكَ هَا أَيَّامٌ مُقْبِلَةٌ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ فِيهَا هُتَافَ الْقِتَالِ يَتَرَدَّدُ فِي رَبَّةِ الْعَمُّونِيِّينَ، فَتَصِيرُ تَلَّةَ أَطْلاَلٍ، وَتُحْرَقُ قُرَاهَا بِالنَّارِ فَيُجْلِي الإِسْرَائِيلِيُّونَ الَّذِينَ أَجْلَوْهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٣أَعْوِلِي يَاحَشْبُونُ لأَنَّ عَايَ قَدْ خَرِبَتْ. ابْكِينَ يَابَنَاتِ رَبَّةَ وَتَمَنْطَقْنَ بِالْمُسُوحِ. انْدُبْنَ وَاذْرَعْنَ الأَرْضَ بَيْنَ السَّيَاجَاتِ فَإِنَّ مَلِكَكُنَّ سَيَذْهَبُ إِلَى السَّبْيِ مَعَ كَهَنَتِهِ وَرُؤَسَائِهِ جَمِيعاً. ٤مَا بَالُكِ تُبَاهِينَ بِالأَوْدِيَةِ أَيَّتُهَا الابْنَةُ الْمُخَادِعَةُ الَّتِي اتَّكَلَتْ عَلَى نَفَائِسِهَا قَائِلَةً: مَنْ يُهَاجِمُنِي؟ ٥هَا أَنَا أُوْقِعُ بِكِ

الرُّعْبَ مِنْ جَمِيعِ الْمحِيطِينَ بِكِ، فَيَتَشَرَّدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَطْرُوداً، وَلَيْسَ مَنْ يَجْمَعُ شَتَاتَ الْهَارِبِينَ. ٦ثُمَّ أَعُودُ فَأَرُدُّ سَبْيَ الْعَمُّونِيِّينَ، يَقُولُ الرَّبُّ». (إرميا ٤٩)

نبوءة لإرميا ضد آدوم

يتوعّد الربُّ الآدوميّين بأن تُصبح ديارُهم خربة، وأن يُصيب بلعنته جميع أهلها كما أصاب من حولهم من الأمم؛ بسبب عدائهم الدائم لبني إسرائيل منذ جدّهم الأكبر عيسو، وشماتتهم فيهم كلما أصابتهم مصيبة. ويقول الربُّ: إنه لن ينفعهم الفرار من عدوّهم لأنهم هالكون لا محالة، وسوف يجعلهم الربُّ عبرة لجميع الأمم مثل سدوم وعمورة. ويقول الربُّ: إنه قد أوحى لمن حولهم من الأمم أن يتأهّبوا لقتالهم، فينقضّون عليها كما ينقضُّ الأسدُ على فريسته: ٧نُبُوءَةٌ عَنِ الآدوميّينَ: «هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: أَلَمْ تَبْقَ فِي تِيمَانَ حِكْمَةٌ بَعْدُ؟ هَلْ بَادَتِ الْمَشُورَةُ مِنْ ذَوِي الْفَهْمِ؟ هَلْ تَلاَشَتْ حِكْمَتُهُمْ؟ ٨اهْرُبُوا: أَدْبِرُوا، اخْتَبِئُوا فِي الأَعْمَاقِ يَاسُكَّانَ دَدَانَ، لأَنِّي سَأُوقِعُ الْبَلِيَّةَ بِذُرِّيَّةِ عِيسُو فِي أَوَانِ عِقَابِهَا..... ١٠أَمَّا أَنَا فَقَدْ جَرَّدْتُ ذُرِّيَّةَ عِيسُو، وَكَشَفْتُ عَنْ مَخَابِئِهَا السِّرِّيَّةِ، وَلَيْسَ فِي وُسْعِهَا الاخْتِفَاءُ. هَلَكَ أَبْنَاءُ عِيسُو وَإِخْوَتُهُ وَجِيرَانُهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ بَعْدُ..... ١٣هَا أَنَا قَدْ أَقْسَمْتُ بِنَفْسِي، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنْ تُصْبِحَ بُصْرَةُ عُرْضَةً لِلرُّعْبِ وَالْعَارِ وَالْخَرَابِ وَاللَّعْنَةِ، وَتَغْدُو مُدُنُهَا خَرَائِبَ دَائِمَةً. ١٤تَبَلَّغْتُ رِسَالَةً مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، أَنَّ سَفِيراً قَدْ بُعِثَ إِلَى الأُمَمِ قَائِلاً: «احْشِدُوا أَنْفُسَكُمْ لِمُهَاجَمَتِهَا. هُبُّوا لِلْقِتَالِ. ١٥قَدْ جَعَلْتُكَ صَغِيراً فِي الأُمَمِ، حَقِيراً بَيْنَ النَّاسِ..... ١٧سَتُصْبِحُ آدوم مَثَارَ رُعْبٍ، وَكُلُّ مَنْ يَمُرُّ بِهَا تَعْتَرِيهِ رِعْدَةٌ، وَيَصْفِرُ مِنْ جَرَّاءِ كُلِّ نَكَبَاتِهَا، ١٨وَيُصِيبُهَا مَا أَصَابَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَمَا جَاوَرَهُمَا، مِنِ انْقِلاَبٍ، يَقُولُ الرَّبُّ: فَلاَ يَسْكُنُ هُنَاكَ إِنْسَانٌ وَلاَ يَتَغَرَّبُ فِيهَا أَحَدٌ. (إرميا ٤٩)

نبوءة لحزقيال ضد بني عمون

أمر الربُّ حزقيال أن يتنبأ بما سيحدث لبني عمون، ويقول لهم: ألا يشمتوا طويلا لما حدث لإسرائيل لأنه سيصيبُهم ما أصابَهم، وألا يصدّقوا ما يقوله لهم العرّافون لأن ساعة عقابهم قد أزفت هم أيضا، وأن عقابهم سوف يكون على أرضهم بيد عدوّ لا يرحم، ولن تقوم لهم قائمة بعدها: ٢٨أَمَّا أَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ، فَتَنَبَّأْ وَقُلْ هَذَا مَا يَقْضِي بِهِ الرَّبُّ عَلَى بَنِي عَمُّونَ

وَعَلَى تَغْيِيرِهِمْ: هَا سَيْفٌ، سَيْفٌ مَسْلُولٌ لِلذَّبْحِ، مَصْقُولٌ لِلاِلْتِهَامِ يُومِضُ كَالْبَرْقِ. ٢٩ فَبَيْنَمَا يَرَوْنَ لَكِ رُؤًى بَاطِلَةً، وَيَنْطِقُونَ لَكِ بِعِرَافَةٍ كَاذِبَةٍ يَطْرَحُكِ (السَّيْفُ) كَيْ تَلْقَي حَتْفَكِ فَوْقَ جُثَثِ الْقَتْلَى الأَشْرَارِ الَّذِينَ حَانَ يَوْمُهُمْ فِي سَاعَةِ الْعِقَابِ النِّهَائِيِّ. ٣٠أَعِدْهُ إِلَى غِمْدِهِ. فَفِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خُلِقْتِ فِيهِ يَامَمْلَكَةَ عَمُّونَ، فِي أَرْضِ مَوْلِدِكِ، أُحَاكِمُكِ. ٣١وَأَصُبُّ عَلَيْكِ غَضَبِي، وَأَنْفُخُ عَلَيْكِ بِنَارِ غَيْظِي وَأُسَلِّمُكِ لِقَبْضَةِ رِجَالٍ أَفْظَاظٍ مُتَمَرِّسِينَ فِي التَّدْمِيرِ. ٣٢فَتَكُونِينَ وَقُوداً لِلنَّارِ، وَيَهْطِلُ دَمُكِ فِي وَسَطِ الأَرْضِ، وَلاَ تُذْكَرِينَ فِيمَا بَعْدُ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ». (حزقيال ٢١)

ولحزقيال نبوءة أخرى ضد بني عمون تقول أن الربَّ سوف يخرِّب بلادهم على يد جنود من الشرق، وأن العرب سوف يدخلونها بالاتفاق مع هؤلاء الغازين؛ فيقيمون فيها بدلا عن أهلها الذين سيشرَّدونهم. ويقول الربُّ أنه سيفعل بهم ذلك؛ لأنهم فرحوا بسبْي بني إسرائيل وخراب الهيكل: وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢ «يَاابْنَ آدَمَ، الْتَفِتْ بِوَجْهِكَ نَحْوَ بَنِي عَمُّونَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِمْ. ٣وَقُلْ لَهُمُ اسْمَعُوا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ مِنْ قَضَاءٍ: لأَنَّكِ شَمِتِّ بِمَقْدِسِي لأَنَّهُ تَدَنَّسَ، وَبِأَرْضِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهَا خَرِبَتْ وَبِشَعْبِ يَهُوذَا لأَنَّهُمْ سِيقُوا إِلَى السَّبْيِ، ٤أُسَلِّمُكِ لِلْبَدْوِ وَأَبْنَاءِ الْمَشْرِقِ، فَتَصِيرِينَ مِلْكاً لَهُمْ فَيَنْصِبُونَ مَضَارِبَهُمْ فِيكِ، وَيُقِيمُونَ مَسَاكِنَهُمْ فَوْقَ أَرْضِكِ. هُمْ يَلْتَهِمُونَ غَلَّتَكِ، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَكِ. ٥وَأَجْعَلُ مَدِينَةَ رَبَّةَ مَنَاخاً لِلإِبِلِ، وَسَائِرَ مُدُنِ بَنِي عَمُّونَ مَرَابِضَ لِلْغَنَمِ، فَتُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ..... (حزقيال ٢٥)

نبوءة لحزقيال ضد مؤاب

تقول النبوءة: إن الربَّ سوف يوقعُ بالمؤابيّين ما أوقعه بالعمونيّين لأنهم فرحوا بخراب إسرائيل؛ بأن يُرسِل عليهم أعداء يدمِّرون مدنهم وقراهم، ويأتي العرب فيسكنونها بدلا منهم؛ لأنه سوف يمحو ذكرهم من بين الأمم كما فعل ببني عمون: ٨وَهَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لأَنَّ الْمُوآبِيِّينَ وَأَهْلَ سَعِيرَ يَقُولُونَ: هَلْ شَعْبُ يَهُوذَا كَبَقِيَّةِ الأُمَمِ. ٩لِذَلِكَ هَا أَنَا أُقَوِّضُ جَبْهَتَهُمُ الشَّرْقِيَّةَ، وَأُدَمِّرُ مُدُنَ حُدُودِهِمْ، بَيْتَ بَشِيمُوتَ وَبَعْلَ مَعُونَ وَقِرْيَتَايِمَ وَهِيَ مُدُنُ مَفْخَرَةِ مؤاب. ١٠فَيَسْتَوْلِي قَبَائِلُ الْبَدْوِ عَلَيْهَا، وَيَصِيرُ بَنُو عَمُّونَ مِلْكاً لَهُمْ فَلاَ يَعُودُ لَهُمْ ذِكْرٌ بَيْنَ الأُمَمِ. ١١وَأُنَفِّذُ فِي الْمُوآبِيِّينَ أَحْكَاماً، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. (حزقيال ٢٥)

نبوءة لحزقيال ضد آدوم

تقول النبوءة: إن الربّ سوف ينتقم من الآدوميّين لأنهم أساءوا إلى شعب يهوذا إساءة شديدة، ويقول أنه سوف يستأصل من أرضهم الإنسان والحيوان، وأنه سوف يحوّل بلادهم إلى أطلال. ويقول الربُّ: إن ذلك سيكون على يد بني إسرائيل: ١٢وَهَذَا أَيْضاً مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لأَنَّ الآدوميِّينَ أَقْدَمُوا عَلَى الانْتِقَامِ مِنْ شَعْبِ يَهُوذَا، وَأَسَاءُوا إِلَيْهِ أَشَدَّ إِسَاءَةٍ. ١٣هَا أَنَا أُعَاقِبُ الآدوميِّينَ وَأَسْتَأْصِلُ مِنْ أَرْضِهِم الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَأُحَوِّلُهَا إِلَى أَطْلاَلٍ دَارِسَةٍ مِنَ التَّيْمَنِ إِلَى دَدَانَ، إِذْ يُقْتَلُ أَهْلُهَا جَمِيعاً بِالسَّيْفِ. ١٤وَأَعْهَدُ بِنِقْمَتِي إِلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيَفْعَلُونَ بِالآدوميِّينَ بِمُقْتَضَى غَضَبِي وَسَخَطِي، فَيُدْرِكُونَ شِدَّةَ نِقْمَتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. (حزقيال ٢٥)

نبوءة لعوبيديا بسقوط آدوم

يقول عوبيديا: إن الربَّ قد أبلغه أنه سوف يستنهض جميع الأمم لمحاربة آدوم، فيذِلّون كبرياءهم لأنهم قد اغترّوا بحصونهم، وظنّوا أن أحدا لا يقدر أن يرقى إلى مساكنهم الشامخة على قمم الجبال. ويقول الربُّ أنه سوف يسلِّط عليهم من ينزلهم من عليائهم إلى أسفل سافلين. ويقول الربُّ: إن دماره سوف يكون ساحقا ماحقا لا يُبقي لهم بقيّة، وأن الأعداء سوف يدخلون إلى كهوفهم ومغاورهم التي يحتمون بها، ويستولون على كل كنوزهم، وأن حلفاءهم سوف يخذلونهم. ويقول الربُّ: إنه لن يكون من بين الشعب من يستطيع أن يفكّر في تغيير حالهم، وأنه سوف يرتعد أبطالُهم من قوة عدوِّهم ويكونون هدفا لسيوفهم. ويقول الربُّ أن عقابه لهم هو بسبب ظلمهم لإخوانهم بني إسرائيل، وشماتتهم فيهم يوم أن هاجمهم الأعداء ودمّروا بنيانهم، واقتسموا أملاكهم، وشاركوا أعداءهم فيما يفعلونه بهم، وتربّصوا بالهاربين منهم؛ فقضوا على أكثرهم، واستعبدوا من بقي منهم حيّا: هَذِهِ نُبُوءَةُ عُوبَدْيَا: هَذَا مَا يَقُولُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ بِشَأْنِ آدوم: قَدْ بَلَغَنَا خَبَرٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ أَنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولاً إِلَى الأُمَمِ قَائِلاً: «تَأَهَّبُوا، وَلْنَنْهَضْ لِمُحَارَبَةِ آدوم». ٢هَا أَنَا أَجْعَلُكَ صَغِيراً بَيْنَ الأُمَمِ وَأَشَدَّهَا احْتِقَاراً. ٣قَدْ غَرَّتْكَ كِبْرِيَاءُ قَلْبِكَ أَيُّهَا الْمُقِيمُ فِي شُقُوقِ الصُّخُورِ، وَمَسَاكِنُهُ فِي الْقِمَمِ، الْقَائِلُ فِي قَلْبِهِ: مَنْ يَهْوِي بِي إِلَى الأَرْضِ؟ ٤وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ تُحَلِّقُ كَالنَّسْرِ وَمَنَازِلُكَ

مَبْنِيَّةٌ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ، فَإِنِّي سَأَهْوِي بِكَ إِلَى الْحَضِيضِ يَقُولُ الرَّبُّ. ٥إِنِ اقْتَحَمَ اللُّصُوصُ
بَيْتَكَ، وَهَاجَمَكَ النَّاهِبُونَ لَيْلاً، أَلاَ يَسْرِقُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فَقَطْ؟ وَإِنْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ قَاطِفُو
الْعِنَبِ، أَلاَ يُبْقُونَ خُصَاصَةً؟ وَلَكِنْ يَاأَلَدَمَارَكَ! ٦إِذْ كَيْفَ تَمَّ تَفْتِيشُ عِيسُو وَنُقِبَتْ مَخَابِئُ
كُنُوزِهِ؟ ٧جَمِيعُ حُلَفَائِكَ طَرَدُوكَ إِلَى التُّخُومِ. خَدَعَكَ مُسَالِمُوكَ وَأَوْقَعُوا بِكَ الْهَزِيمَةَ،
وَالَّذِينَ أَكَلُوا مِنْ خُبْزِكَ كَادُوا لَكَ وَأَنْتَ لَمْ تَفْهَمْ. ٨أَلاَ أَسْتَأْصِلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حُكَمَاءَ آدُومَ،
يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُزِيلُ الْفَهْمَ مِنْ جَبَلِ عِيسُو؟ ٩فَيَرْتَعِبُ أَبْطَالُكَ يَاتَيْمَانُ حَتَّى يَنْقَرِضَ قَتْلاً
كُلُّ رَجُلٍ مِنْ جَبَلِ عِيسُو. ١٠فَمِنْ أَجْلِ مَا أَنْزَلْتَ بِأَخِيكَ يَعْقُوبَ مِنْ ظُلْمٍ، يَغْشَاكَ الْعَارُ
وَتَنْقَرِضُ إِلَى الأَبَدِ. ١١فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي وَقَفْتَ فِيهِ بَعِيداً، يَوْمَ غَنِمَ الْغُرَبَاءُ كُنُوزَهُ،
وَاقْتَحَمَ الأَجَانِبُ أَبْوَابَهُ وَأَلْقَوْا الْقُرْعَةَ عَلَى أُورُشَلِيمَ، كُنْتَ أَنْتَ أَيْضاً كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ. ١٢مَا
كَانَ يَجِبُ أَنْ تَشْمَتَ بِيَوْمِ مَصِيرِ أَخِيكَ، فِي يَوْمِ فَاجِعَتِهِ، وَمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَبْتَهِجَ فِي يَوْمِ
دَمَارِ شَعْبِ يَهُوذَا أَوْ تَتَبَاهَى فِي يَوْمِ الضِّيقِ. ١٣وَمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَقْتَحِمَ أَبْوَابَ شَعْبِي فِي
يَوْمِ كَارِثَتِهِ، أَوْ تَشْمَتَ لِمُصِيبَتِهِ فِي يَوْمِ نَكْبَتِهِ، أَوْ تَنْهَبَ ثَرْوَتَهُ فِي يَوْمِ بَلِيَّتِهِ، ١٤أَوْ تَقِفَ عِنْدَ
مُفْتَرَقِ الطُّرُقِ لِتَقْضِيَ عَلَى النَّاجِينَ مِنْ قَوْمِهِ وَتُسَلِّمَ الْبَاقِينَ الأَحْيَاءَ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الضِّيقِ.
(عوبيديا ١)

تعقيـــب

ورد في (الإصحاح العشرين من سفر أخبار الأيام الثاني) أن قوّاتِ العمونيّين والمؤابيّين وأهل جبل سعير قد تجمّعوا في قوات عظيمة لمحاربة مملكة يهوذا لكن حزائيل تنبّأ لملك يهوذا أن الربَّ سوف يحارب عنهم أعداءهم. وتابع (نفس الإصحاح) أن الربَّ أرسل على جيوش الأعداء كمائن لا يُعْرف مصدرُها أهلكتهم عن آخرهم. أيعقل هذا؟

ورد في (الإصحاحين الخامس عشر والسادس عشر من سفر أشعياء) أن جيوشا سوف تبْغَتُ المؤابيّين وتدمِّر قراهم، ولن تنفعهم آلهتُهم في صدِّ أعدائهم؛ وذلك بسبب أنهم توقّفوا عن دفع الجزية لملك يهوذا. وتقول النبوءة: إن ما هدّدهم به الربُّ سوف يقع خلال ثلاث سنوات لا تنقص عنها ولا تزيد.

كما ورد في (الإصحاح الثامن والأربعين من سفر إرميا) أن الربَّ توعّد مؤاب بالدمار والخزي من جرّاء غزو يقوم به الأعداء، وأن ديارهم سوف تصير أطلالا؛ وأن ذلك بسبب عداوتهم لبني إسرائيل.

كما ورد في (الإصحاح الثاني من سفر عاموس) أن الربَّ سوف يسلِّط على المؤابيين عدوّا يجتاح حصونهم وقراهم ويهلك ملكهم وذلك بسبب أنه أمر بنبش قبر ملك آدوم وحرق عظامه.

كما ورد في (الإصحاح الخامس والعشرين من سفر حزقيال) أن الربَّ توعّد المؤابيّين بما توعد به العمونيّين؛ وذلك بسبب أنهم فرحوا بخراب إسرائيل.

كما ورد في (الإصحاح الأول من سفر عاموس) أن الربَّ سوف يسلِّط على بني آدوم عدوّا يقتلع حصونهم، ويبيد شعبهم بسبب عدم مساندتهم لهم ضد عدوِّهم.

كما ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر إرميا) أن الربَّ توعّد الآدوميّين بعدو يجتاح بلادهم كما حدث مع جيرانهم فيفعل بهم كما فعل بسدوم وعمورة؛ وذلك بسبب شماتتهم فيهم كلما أصابتهم مصيبة.

كما ورد في (الإصحاح الخامس والعشرين من سفر حزقيال) أن الربَّ توعّد الآدوميّين بأن يُستأصلوا من أرضهم بيد بني إسرائيل؛ وذلك بسبب إساءتهم لشعب يهوذا.

كما ورد في (الإصحاح الأول من سفر عوبيديا) أن الربَّ توعّد الآدوميّين بأنه سوف يستنهض جميع الأمم لمحاربتهم، فيدكّون حصونهم، ويذِلّون كبرياءهم؛ وذلك بسبب أنهم شمتوا في بني إسرائيل وفرحوا بتدمير الأعداء لديارهم.

كما ورد في (الإصحاح الأول من سفر عاموس) أن الربَّ سوف يسلِّط على بني عمون عدوّا يدُقُّ حصونهم، ويسوق ملكهم إلى السبي؛ وذلك بسبب قسوتهم في حروبهم معهم.

كما ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر إرميا) أن الربَّ توعّد بني عمون بعدُوٍّ يهدم دورهم، ويحرق قراهم، ويسبي ملكهم وجميع الكهنة؛ وذلك لأنهم استولوا على أرض سبط من أسباطهم أثناء الغزو الآشوري لبلادهم. وتقول النبوءة أن الرب وعد برد سبيهم.

كما ورد في (الإصحاح الحادي والعشرين من سفر حزقيال) أن الربَّ توعّد بني عمون بأنه سيصيبهم ما أصاب بني إسرائيل وذلك بسبب شماتتهم فيهم لما أصابهم من غزو البابليّين لديارهم.

كما ورد في (الإصحاح الخامس والعشرين من سفر حزقيال) أن الربَّ توعّد بني عمون بعدوٍّ من الشرق يسبيهم؛ وذلك بسبب أنهم فرحوا بسبي بني إسرائيل وخراب الهيكل.

خلال فترة زمنية تمتد من سنة ٧٧٥ ق. م وحتى سنة ٥٨٦ ق. م وهي الفترة التي تواجد فيها هؤلاء المتنبّئون حسب أقوال المفسرين، وعلى افتراض أن الخراب الذي تنبّأوا به على هذه الشعوب قد وقع فعلا، فلا بد أنه قد وقع على يد كل من البابليّين والآشوريّين. والبابليّون والآشوريّون كما هو معلوم قوّتان كبيرتان، واجتياح أي منهما لمثل هذه الممالك

الصغيرة يكون ساحقا كما حدث مع ممالك بني إسرائيل. وحسب الترتيب الزمني يكون الدمار المزعوم قد تم أولا على يد الآشوريين، وأنا أتساءل هل يبقى لتلك الممالك الصغيرة بقية تستدعي اجتياح البابليين لهم فيما بعد؛ خاصة أن النبوءات جميعها تتحدّث عن هلاك ودمار لا تقوم لهم بعده قائمة.

ولنا بعض المآخذ على تلك النبوءات، منها أن الربَّ دائما هو الذي يُحارب عن بني إسرائيل، وهم يغنمون الغنائم، أو يُجْهِزون على من بقي من أعدائهم بغير سلاح؛ وهذا يتناقض مع حسن تدبير الله جلّ شأْنُه، وحكمته في دفع الناس بعضَهم ببعض حتى يستقيم ميزان العدل.

كما أن الربَّ هو بالمرصاد دائما لأي شعب يخطئ في حقِّ بني إسرائيل، كما في حالة المؤابيين الذين توقّفوا عن دفع الجزية لملك يهوذا وغيرها مما سبق ذكره، أو حتى لمجرد أن يعلن أي من جيرانهم أي عداء لهم، أو شماتة لنكبة ألمت بهم.

كما أن الربّ يتوعّد أعداء بني إسرائيل دائما بويلات كالدمار والإبادة والاستئصال والخزي وعقوبات أكبر أو أصغر بلا مقياس ولا تحفظات.

كما أن الربّ يتوعّد حتّى أعداء بني إسرائيل بأسباب لا تتعلّق ببني إسرائيل، كما في نبوءة عاموس ضد مؤاب لأنهم قاموا بنبش عظام رفات ملك آدوم وحرقها. ورغم أن ذلك حسب سياق التوراة أمر مستغرب، لكن حيث أنه في هلاك أعداء بني إسرائيل فائدة لهم مهما كانت الأسباب، فهذا يجعل استغرابنا في غير محله.

وفي نبوءة إرميا ضد بني عمون نجد نشازا لا يتّفق مع منحى النبوءات الذي لا يحمل أي بوادر رحمة من الربِّ ضد أعداء بني إسرائيل حيث تقول النبوءة: إن الربَّ توعّدهم بالسبْي ثم وعد بردِّ سبيهم، وهذه تثير فينا العجب.

الفصل الثاني عشر

نبوءات ضد مصر

الفصل الثاني عشر

نبوءات ضد مصر

نبوءة لأشعياء ضدّ مصر

تقول النبوءة: إن الربَّ سوف يُرْسل جنوده إلى مصر فيهدمون أوثانها؛ ممّا يجعل قلوب المصريِّين تذوب من الرُّعْب، وأن الربّ سوف يجعل المصريِّين يتقاتلون فيما بينهم؛ فتكون فتنة عظيمة حينئذ، ويتملّك عليهم ملك ظالم. وتقول النبوءة: إن مياه النيل سوف تنضب؛ فيجِفّ الزرْع، وينعدم السمك، ويكون البلاء عظيما على الإنسان والحيوان. وتقول النبوءة: إن فرعون لن تنفعه حكمة حكمائه ولا مستشاريه في تجنُّب الكارثة، وإن أرض يهوذا سوف تُصْبح مثار رعب وفزع للمصريين: نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ مِصْرَ: هَا هُوَ الرَّبُّ قَادِمٌ إِلَى مِصْرَ يَرْكَبُ سَحَابَةً سَرِيعَةً، فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ فِي حَضْرَتِهِ، وَتَذُوبُ قُلُوبُ الْمِصْرِيِّينَ فِي دَاخِلِهِمْ. ٢وَأُثِيرُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ فَيَتَحَارَبُونَ، وَيَقُومُ الْوَاحِدُ عَلَى أَخِيهِ، وَالْمَدِينَةُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالْمَمْلَكَةُ عَلَى الْمَمْلَكَةِ، ٣فَتَذُوبُ أَرْوَاحُ الْمِصْرِيِّينَ فِي دَاخِلِهِمْ، وَأُبْطِلُ مَشُورَتَهُمْ، فَيَسْأَلُونَ الأَوْثَانَ وَالسَّحَرَةَ وَأَصْحَابَ التَّوَابِعِ وَالْعَرَّافِينَ. ٤وَأُسَلِّطُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ مَوْلىً قَاسٍ، فَيَسُودُ مَلِكٌ عَنِيفٌ عَلَيْهِم. هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. ٥وَتَنْضُبُ مِيَاهُ النِّيلِ وَتَجِفُّ الأَحْوَاضُ وَتَيْبَسُ. ٦تُنْتِنُ الْقَنَوَاتُ،..... ١٢أَيْنَ حُكَمَاؤُكَ يَا فِرْعَوْنُ لِيُطْلِعُوكَ عَلَى مَا قَضَى بِهِ الرَّبُّ الْقَدِيرُ عَلَى مِصْرَ؟..... ١٧وتَغْدُو أَرْضُ يَهُوذَا مَثَارَ رُعْبٍ لِلْمِصْرِيِّينَ فَيَعْتَرِيهَا الْفَزَعُ مِنْ ذِكْرِهَا لأَنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ قَدْ قَضَى قَضَاءَهُ عَلَى مِصْرَ. (أشعياء ١٩)

نبوءة لأشعياء بأن مصر وآشور سوف يعبُدان الربَّ

تقول النبوءة: إنه بعد نزول قضاء الربِّ بمصر وبعد هزيمة الآشوريين، سوف يكون لبني إسرائيل نفوذ كبير في مصر، وسوف يكون لهم خمسا من المدن المصرية التي تدين باليهودية وتتكلّم بالكنعانية تُسمّى إحداها مدينة الشمس. وتقول النبوءة: إن مصر وآشور سوف يتّحِدان على عبادة ربِّ إسرائيل، وأن الربَّ سوف يباركهم جميعا:

١٨في ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ فِي دِيَارِ مِصْرَ خَمْسُ مُدُنٍ تَنْطِقُ بِلُغَةِ كَنْعَانَ، وَتَحْلِفُ بِالْوَلاَءِ
لِلرَّبِّ الْقَدِيرِ، وَتُدْعَى إِحْدَاهَا مَدِينَةَ الشَّمْسِ. ١٩في ذَلِكَ الْيَوْمِ يُقَامُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي
وَسَطِ دِيَارِ مِصْرَ، وَيَرْتَفِعُ نُصُبٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخُومِهَا. ٢٠فَيَكُونُ عَلاَمَةً وَشَهَادَةً لِلرَّبِّ
الْقَدِيرِ فِي دِيَارِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ يَسْتَغِيثُونَ بِالرَّبِّ مِنْ مُضَايِقِيهِمْ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مُخَلِّصاً
وَمُدَافِعاً يُنْقِذُهُمْ. ٢١فَيُعْلِنُ الرَّبُّ نَفْسَهُ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْبُدُونَهُ وَيُقَدِّمُونَ
ذَبِيحَةً وَقَرَابِينَ وَيَنْذِرُونَ لِلرَّبِّ نُذُوراً وَيُوفُونَ بِهَا. ٢٢وَيَضْرِبُ الرَّبُّ مِصْرَ؛ يَضْرِبُهَا
وَيُبْرِئُهَا، فَيَرْجِعُ أَهْلُهَا تَائِبِينَ إِلَى الرَّبِّ فَيَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ وَيَشْفِيهِمْ. ٢٣في ذَلِكَ الْيَوْمِ
يَمْتَدُّ طَرِيقٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَشُّورَ، وَمِنْ أَشُّورَ إِلَى مِصْرَ، فَيَعْبُدُ الْمِصْرِيُّونَ وَالأَشُّورِيُّونَ
الرَّبَّ مَعاً. ٢٤في ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ إِسْرَائِيلُ ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ مَعَ مِصْرَ وَأَشُّورَ، وَبَرَكَةً فِي
وَسَطِ الأَرْضِ، ٢٥فَيُبَارِكُهُمُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ قَائِلاً: «مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ، وَصَنْعَةُ يَدِي
أَشُّورُ، وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ». (أشعياء ١٩)

يقول النصارى: إن وجود اللغة الكنعانية في مصر إشارة إلى انتشار المسيحية فيها، كما أن وجود مذبح للربِّ في وسط أرض مصر نبوءة عن إيمان المصريِّين بالمسيح، ولا تنطبق على اليهود لاستحالة أن يقيم اليهود مذبحا لهم خارج أورشليم.

نبوءة لأشعياء بهزيمة مصر وكوش أمام آشور

في السنة التي هزَم فيها جيشُ آشور بني إسرائيل في أشدود، طلب الربُّ من أشعياء أن يمشي حافيا مُدّة ثلاث سنوات علامة على المصائب التي سوف يُنْزلها الربُّ بمصر والحبشة؛ بأن يوقع الهزيمة بهما على يد ملك آشور. وتقول النبوءة: بأن أسراهم صغارا وكبارا سوف يؤخذون عُراة حُفاة في مَذلّة. وعندها يقول الإسرائيليون: من يُنْقذنا من الآشوريين بعد أن كان رجاؤنا كبيرا في المصريين ليمنعونا منهم؟: وَفِي السَّنَةِ الَّتِي أَوْفَدَ
فِيهَا سَرْجُونُ مَلِكُ أَشُّورَ تَرْتَانَ رَئِيسَ جَيْشِهِ إِلَى أَشْدُودَ وَحَارَبَهَا وَقَهَرَهَا، ٢تَكَلَّمَ الرَّبُّ
عَلَى لِسَانِ أشعياء بْنِ آمُوصَ قَائِلاً: «اذْهَبْ وَاخْلَعِ الْمُسُوحَ عَنْ حَقَوَيْكَ، وَانْزِعْ حِذَاءَكَ مِنْ
قَدَمَيْكَ». فَفَعَلَ كَذَلِكَ وَمَشَى عَارِياً حَافِياً. ٣وَقَالَ الرَّبُّ: «كَمَا مَشَى عَبْدِي أشعياء عَارِياً
حَافِياً لِمُدَّةِ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ عَلاَمَةً وَآيَةً عَلَى الْمَصَائِبِ الَّتِي سَأُنْزِلُهَا بِمِصْرَ وَكُوشَ، ٤هَكَذَا يَقُودُ
مَلِكُ أَشُّورَ أَسْرَى مِصْرَ وَكُوشَ صِغَاراً وَكِبَاراً، عُرَاةً حُفَاةً بِأَقْفِيَةٍ مَكْشُوفَةٍ، عَاراً لِمِصْرَ.

٥عِنْدَئِذٍ يَفْزَعُ الْفِلِسْطِيِّيُّونَ الَّذِينَ اعْتَمَدُوا عَلَى كُوشَ رَجَائِهِمْ وَمِصْرَ فَخْرِهِمْ. ٦وَيَقُولُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: «انْظُرُوا إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ رَجَاؤُنَا، وَإِلَى مَنْ لُذْنَا بِهِ لِيُنْقِذَنَا مِنْ مَلِكِ أَشُّورَ، فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ؟». (أشعياء ٢٠)

نبوءة لإرميا ضد جيش فرعون

يقول الربُّ: إنه رغم قوة جيش فرعون (الَّذِي كَانَ مُعَسْكِراً عَلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ فِي كَرْكَمِيشَ، حَيْثُ قَضَى عَلَيْهِ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لملك يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا)، ورغم استعداده لقتال جيش بابل؛ إلا أنهم سوف يولّون الأدبار أمام عدوِّهم الذي سوف يحاصرهم حصارا شديدا؛ يعجزون أن يخلِّصوا أنفسهم منه، فيسقطون صرعى بجوار نهر الفرات في يوم سمّاه الربُّ يوم الانتقام الذي سوف يثأر فيه من أعدائه. ويقول الربُّ أن العار سوف يلحق بجيش مصر، ولن تُجْدِ استعداداتُهم في دفع الهزيمة عن أنفسهم. ويقول الربُّ: إنه رغم انتصار نبوخذناصر على جيش فرعون إلا أنه سوف يسقط هو الآخر بعد حين في أتون الهزيمة: ٢نُبُوءَةٌ عَنْ مِصْرَ، عَنْ جَيْشِ فِرْعَوْنَ نَخُوَ مَلِكِ مِصْرَ الَّذِي كَانَ مُعَسْكِراً عَلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ فِي كَرْكَمِيشَ، حَيْثُ قَضَى عَلَيْهِ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِيَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا. ٣«أَعِدُّوا الْمِجَنَّ وَالتُّرْسَ وَازْحَفُوا لِلْقِتَالِ. ٤أَسْرِجُوا الْخَيْلَ وَامْتَطُوهَا أَيُّهَا الْفُرْسَانُ، وَانْتَصِبُوا بِالْخُوَذِ. اصْقِلُوا الرِّمَاحَ وَالْبَسُوا الدُّرُوعَ. ٥وَلَكِنْ مَالِي أَرَاهُمْ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ مُرْتَعِبِينَ؟ قَدْ دُحِرَ مُحَارِبُوهُمْ وَفَرُّوا مُسْرِعِينَ. لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى الْوَرَاءِ، قَدْ حَاصَرَهُمُ الْهَوْلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ»، يَقُولُ الرَّبُّ: ٦«عَجَزَ الْخَفِيفُ عَنِ الْجَرْيِ لِلْفِرَارِ، وَلَيْسَ فِي وُسْعِ الْمُحَارِبِ الْهَرَبُ. فِي الشِّمَالِ عَثَرُوا وَسَقَطُوا إِلَى جُوَارِ نَهْرِ الْفُرَاتِ..... ٩اقْتَحِمِي أَيَّتُهَا الْخَيْلُ، وَثُورِي يَامَرْكَبَاتُ، وَلْيَبْرُزِ الْمُحَارِبُونَ مِنْ رِجَالِ كُوشَ وَفُوطَ، الْحَامِلِينَ التُّرُوسَ، وَمِنْ رِجَالِ لُودِيمَ رُمَاةِ السِّهَامِ بِالْقِسِيِّ. ١٠فَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ قَضَاءِ السَّيِّدِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ، يَوْمُ الانْتِقَامِ. فِيهِ يَثْأَرُ لِنَفْسِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَيَلْتَهِمُ السَّيْفُ وَيَشْبَعُ، وَيَرْتَوِي مِنْ دِمَائِهِمْ، لأَنَّ لِلسَّيِّدِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ ذَبِيحَةً فِي أَرْضِ الشِّمَالِ إِلَى جُوَارِ نَهْرِ الْفُرَاتِ..... ١٢سَتَسْمَعُ الأُمَمُ بِمَا لَحِقَ بِكِ مِنْ عَارٍ، وَيَمْلأُ صُرَاخُكِ الأَرْضَ، لأَنَّ بَطَلاً مُحَارِباً يَصْطَدِمُ بِبَطَلٍ مُحَارِبٍ فَيَسْقُطَانِ كِلاَهُمَا مَعاً». (إرميا ٤٦)

نبوءة لحزقيال ضد مصر

تقول النبوءة أن الربَّ أوحى لحزقيال أنه سوف ينقلب على فرعون مصر؛ لأنه تكبّر وتجبّر، وادّعى أن النيل يجري بأمره وينصاع لإرادته. وقال الربُّ أنه سوف يدفعه إلى البرِّيّة ومعه جميع جنوده؛ ليهلكوا فيها، وتصير أجسادُهم طعاما لوحوش البرِّ ولطيور السماء؛ حتى يُدرِكَ أهلُ مصر أنه لا ربَّ غيرُه، وأنهم لن يستطيعوا حماية شعب إسرائيل ولا حتى حماية أنفسهم من غضبي. ويقول الربُّ: إنه سوف يرسل عليهم عدوّا يقتُل الإنسان والحيوان، ويترك ديارهم خربة مقفرة لمدة أربعين سنة، ويُشتِّت من بقي منهم بين الأمم:...... أَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ، الْتَفِتْ نَحْوَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ وَعَلَى مِصْرَ كُلِّهَا ٣وَقُلْ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَنْقَلِبُ عَلَيْكَ يَافِرْعَوْنُ مَلِكَ مِصْرَ، أَيُّهَا التِّمْسَاحُ الْكَامِنُ فِي وَسَطِ أَنْهَارِهِ، الْقَائِلُ: النَّهْرُ لِي وَقَدْ صَنَعْتُهُ لِنَفْسِي. ٤هَا أَنَا أَضَعُ خَزَائِمَ فِي فَكَّيْكَ وَأَجْعَلُ سَمَكَ أَنْهَارِكَ يَلْتَصِقُ بِحَرَاشِفِكَ، وَأُخْرِجُكَ قَسْراً مِنْ أَنْهَارِكَ، وَأَسْمَاكُهَا مَا بَرِحَتْ لاَصِقَةً بِحَرَاشِفِكَ. ٥وَأَهْجُرُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ جَمِيعِ سَمَكِ أَنْهَارِكَ، فَتَتَهَاوَى عَلَى سَطْحِ أَرْضِ الصَّحْرَاءِ فَلاَ تُجْمَعُ وَلاَتُلَمُّ بَلْ تَكُونُ قُوتاً لِوُحُوشِ الْبَرِّ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ. ٦فَيُدْرِكُ كُلُّ أَهْلِ مِصْرَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، لأَنَّهُمْ كَانُوا عُكَّازَ قَصَبٍ هَشَّةً لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ، ٧مَا إِنِ اعْتَمَدُوا عَلَيْكَ بِأَكُفِّهِمْ حَتَّى انْكَسَرْتَ وَمَزَّقْتَ أَكْتَافَهُمْ، وَعِنْدَمَا تَوَكَّأُوا عَلَيْكَ تَحَطَّمْتَ وَقَصَفْتَ كُلَّ مُتُونِهِمْ. ٨لِذَلِكَ هَا أَنَا أَجْلِبُ عَلَيْكَ سَيْفاً وَأَسْتَأْصِلُ مِنْكَ الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، ٩فَتُصْبِحُ دِيَارُ مِصْرَ مُقْفِرَةً خَرِبَةً، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ،..... وَتَظَلُّ مَهْجُورَةً مِنَ النَّاسِ طَوَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً..... وَأُشَتِّتُ الْمِصْرِيِّينَ بَيْنَ الأُمَمِ وَأُفَرِّقُهُمْ فِي الْبُلْدَانِ. (سفر حزقيال – ٢٩)

نبوءة لحزقيال بإعادة بناء مصر

تقول النبوءة: إنه في نهاية الأربعين سنة سوف يجمع الله المصريِّين من الشتات، ويعيدُهم إلى أرضهم، لكن لن يعيدهم إلى سابق عهدهم، بل سيجعل منهم مملكة حقيرة في جنوب مصر حتى لا تتشامخ على بقيّة الأمم ، وحتى لا يفكِّر شعبُ إسرائيل في الاعتماد عليها أبدا؛ بل تظلُّ هكذا لتذكُّره بإثمه، ولا يعود لضلاله السابق؛ باتِّباعه عبادة أوثان

المصريين: ١٣وَفِي نِهَايَةِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً أَجْمَعُ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ الَّتِي تَشَتَّتُوا بَيْنَهَا. ١٤وَأَرُدُّ سَبْيَهُمْ، وَأُعِيدُهُمْ إِلَى أَرْضِ فَتْرُوسَ مَوْطِنِهِمْ، فَيَكُونُونَ هُنَاكَ مَمْلَكَةً حَقِيرَةً. ١٥بَلْ تَكُونُ أَحْقَرَ الْمَمَالِكِ فَلاَ تَتَشَامَخُ بَعْدُ عَلَى بَقِيَّةِ الأُمَمِ، وَأَجْعَلُهُمْ أَقَلِّيَّةً لِئَلاَّ يَتَسَلَّطُوا عَلَى الشُّعُوبِ. ١٦فَلاَ تَكُونُ بَعْدُ مَحَطَّ اعْتِمَادٍ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ، بَلْ تُذَكِّرُهُمْ بِإِثْمِهِمْ حِينَ ضَلُّوا وَرَاءَهُمْ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا السَّيِّدُ الرَّبُّ». (حزقيال ٢٩)

يقول النصارى عن نهاية الأربعين سنة التي حدّدتها النبوءة لعودة مصر: بأن الله ينظر لإيمان المصريين بالمسيح في المستقبل.

نبوءة ثانية لحزقيال ضد مصر

تقول النبوءة: إن نبوخذناصر ملك بابل لّما استولى على صور، لم يجد فيها أي غنيمة تعوِّضه عما كابده في حصارها، وأن الربّ سوف يكافئه بخيرات مصر لتكون عوضا له ولجيشه، ويقول الربُّ: إن نبوخذناصر سوف يستولي على مصر وينهب خيراتها. ويقول الربُّ: إنه في ذلك اليوم سوف يُنمِّي قوة بني إسرائيل فيدركون أنه هو الربُّ:..... أَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ١٨«يَاابْنَ آدَمَ، إِنَّ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ قَدْ سَخَّرَ جَيْشَهُ أَشَدَّ تَسْخِيرٍ ضِدَّ صُورَ، فَأَصْبَحَتْ كُلُّ رَأْسٍ مِنْ رُؤُوسِ جُنُودِهِ صَلْعَاءَ، وَكُلُّ كَتِفٍ مُجَرَّدَةً مِنَ الثِّيَابِ. وَلَكِنْ لَمْ يَغْنَمْ هُوَ وَلاَ جَيْشُهُ شَيْئاً مِنْ صُورَ رَغْمَ مَا كَابَدَهُ مِنْ جَهْدٍ لِلاِسْتِيلاَءِ عَلَيْهَا. ١٩لِذَلِكَ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَبْذُلُ دِيَارَ مِصْرَ لِنَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ فَيَسْتَوْلِي عَلَى ثَرْوَتِهَا، وَيَسْلُبُهَا غَنَائِمَهَا وَيَنْهَبُهَا، فَتَكُونُ هَذِهِ أُجْرَةً لِجَيْشِهِ. ٢٠قَدْ أَعْطَيْتُهُ أَرْضَ مِصْرَ لِقَاءَ تَعَبِهِ، لأَنَّهُ وَجَيْشَهُ قَدْ عَمِلُوا فِي خِدْمَتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ٢١فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أُنْمِي قُوَّةَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ وَأَفْتَحُ فَمَكَ بَيْنَهُمْ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». (حزقيال ٢٩)

نبوءة لحزقيال ضد شعب مصر

يقول الربُّ: إنه سوف يرسل عدوّا إلى مصر؛ ترتعب منه جارتها إثيوبيا، فيقتِّل شعبها ويستولي على ثرواتها. ويقول الربُّ: إن العدوَّ لن يقف عند حدود مصر، بل سيتخطّاها إلى إثيوبيا وليبيا وشبه الجزيرة العربية وجميع الدول المتحالفة معهم والأقليات المحتمية بهم.

وأنه سوف يذلُّ كبرياء مصر، وينزع عنها عِزّتها، ويشيع الخراب في كل أرجائها. ويقول الربُّ: إن خراب مصر سيكون بيد نبوخذناصّر مَلِكِ بَابِلَ. ويقول الربُّ أنه سيُجفِّف مجاري نهر النيل، ويبيع أرضها للأشرار، ويُحطِّم أصنامها، ويزيل أوثانها، ولا يُبقي على رئيس في ديارها: وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ، تَنَبَّأْ وَقُلْ: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَلْوِلُوا قَائِلِينَ: يَالَلْيَوْمِ الرَّهِيبِ! ٣إِنَّ يَوْمَ الرَّبِّ بَاتَ وَشِيكاً؛ يَوْمُ الرَّبِّ قَرِيبٌ، إِنَّهُ يَوْمٌ مُكْفَهِرٌّ بِالْغُيُومِ، سَاعَةُ دَيْنُونَةٍ لِلأُمَمِ، ٤إِذْ يُجَرَّدُ سَيْفٌ عَلَى مِصْرَ، فَيَعُمُّ الذُّعْرُ الشَّدِيدُ إِثْيُوبِيَا، عِنْدَمَا يَتَهَاوَى قَتْلَى مِصْرَ وَيُسْتَوْلَى عَلَى ثَرْوَتِهَا، وَتُنْقَضُ أُسُسُهَا. ٥ثُمَّ تَسْقُطُ مَعَهُمْ بِالسَّيْفِ إِثْيُوبِيَا وَفُوطُ وَلُودُ وَشِبْهُ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلِيبِيَا وَشُعُوبُ الأَرْضِ الْمُتَحَالِفَةِ مَعَهُمْ. ٦حَقّاً يَسْقُطُ مُنَاصِرُ مِصْرَ وَتُذَلُّ كِبْرِيَاءُ عِزَّتِهَا، فَيَتَهَاوَى بِالسَّيْفِ سُكَّانُهَا مِنْ مَجْدَلَ إِلَى أَسْوَانَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ٧فَتُصْبِحُ أَكْثَرَ الأَرَاضِي الْمُقْفِرَةِ وَحْشَةً، وَتَضْحَى مُدُنُهَا أَكْثَرَ الْمُدُنِ خَرَاباً! ٨فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أُضْرِمُ نَاراً فِي مِصْرَ وَيَنْهَارُ جَمِيعُ حُلَفَائِهَا. ٩فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُسْرِعُ رُسُلِي إِلَى إِثْيُوبِيَا الْمُطْمَئِنَّةِ لِيُثِيرُوا فِيهَا الرُّعْبَ فِي يَوْمِ هَلاَكِ مِصْرَ، الَّذِي لاَبُدَّ أَنْ يَتَحَقَّقَ. ١٠لأَنِّي سَأُفْنِي جَمَاهِيرَ مِصْرَ بِيَدِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ. ١١إِذْ يُقْبِلُ هُوَ وَجَيْشُهُ، أَعْتَى جُيُوشِ الأُمَمِ، لِخَرَابِ دِيَارِ مِصْرَ، فَيُجَرِّدُونَ عَلَيْهَا سُيُوفَهُمْ وَيَمْلأُونَ أَرْضَهَا بِالْقَتْلَى. ١٢وَأُجَفِّفُ مَجَارِيَ نَهْرِ النِّيلِ، وَأَبِيعُ الأَرْضَ لِقَوْمٍ أَشْرَارٍ، وَأُخَرِّبُ الْبِلاَدَ فِيهَا بِيَدِ غُرَبَاءَ. أَنَا الرَّبُّ قَضَيْتُ. ١٣ثُمَّ أُحَطِّمُ الأَصْنَامَ وَأُزِيلُ الأَوْثَانَ مِنْ مَمْفِيسَ، وَلاَ يَبْقَى بَعْدُ رَئِيسٌ فِي دِيَارِ مِصْرَ، وَأُلْقِي فِيهَا الرُّعْبَ..... (حزقيال ٣٠)

يُفسِّر النصارى عبارة ولا يبقى بعدُ رئيس في ديار مصر بأن هذه النبوءة العجيبة قد انطبقت على مصر من وقتها حتى سنة ١٩٥٢ سنة قيام الثورة المصرية، فلقد توالى حكّام غرباء على مصر من بابل وفارس واليونان والرومان والعرب والأتراك... الخ، أي ظلّت النبوة سارية لأكثر من ٢٥٠٠ سنة.

نبوءة لحزقيال ضد فرعون

أوحى الربُّ إلى حزقيال أنه سوف يحطِّم ذراع فرعون مصر؛ فيجعلُها لا تقدر على حمل السيف، وأضافت النبوءة أن الربَّ سوف يحطِّم ذراعي فرعون، ويُسقط السيف من

يده. وأنه سوف يشتّت المصريين بين الأمم من جرّاء غزو ملك بابل لديارهم؛ ليدركوا أنه الربُّ: ٢٠وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ العبرِيّ (أيْ آذارَ مَارِسَ) مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ (مِنْ سَبْيِ الْمَلِكِ يَهُويَاكِينَ)، أَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢١«يَاابْنَ آدَمَ، إِنِّي حَطَّمْتُ ذِرَاعَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَلَنْ تُجْبَرَ بِالرَّفَائِدِ أَوِ الْعَصَائِبِ، فَتُجَرِّدُ سَيْفاً، ٢٢وَهَا أَنَا أَنْقَلِبُ عَلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ وَأُحَطِّمُ ذِرَاعَيْهِ، السَّلِيمَةَ وَالْمَكْسُورَةَ، وَأُسْقِطُ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ. ٢٣وَأُشَتِّتُ الْمِصْرِيِّينَ بَيْنَ الأُمَمِ وَأُفَرِّقُهُمْ فِي الْبُلْدَانِ. ٢٤وَأُشَدِّدُ ذِرَاعَيْ مَلِكِ بَابِلَ وَأَضَعُ سَيْفِي فِي يَدِهِ، وَأُحَطِّمُ ذِرَاعَ فِرْعَوْنَ، فَيَئِنُّ أَمَامَهُ أَنِينَ الْجَرِيحِ. ٢٥وَأُشَدِّدُ ذِرَاعَيْ مَلِكِ بَابِلَ. أَمَّا ذِرَاعَا فِرْعَوْنَ فَتَتَهَاوَيَانِ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَضَعُ سَيْفِي فِي يَدِ مَلِكِ بَابِلَ، فَيُجَرِّدُهُ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ. ٢٦وَأُبَدِّدُ الْمِصْرِيِّينَ بَيْنَ الأُمَمِ وَأُمَزِّقُهُمْ فِي الْبُلْدَانِ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». (حزقيال ٣٠)

نبوءة لحزقيال ضد فرعون وشعبه

يتوعّد الربُّ فرعون مصر وشعبه بأنهم وإن كانوا كشجر أرز لبنان في شموخهم وبهائهم، وطيب مشربهم ومأكلهم، وتطاولهم على كلٍّ من حولهم، وتفاخرهم بما ينعمون به من خيرات؛ فإن الربَّ سوف يسلّط عليهم أعداء أشدّاء، يخرّبون ديارهم، ويحرقون أشجارهم ومزروعاتهم، وينشرون الخراب في أرجاء بلادهم؛ فتصير مأوى لحيوانات البرّ وكواسر الطير. ويقول الربُّ: إن سقوط ملكهم سيكون مروِّعا، وأن الأمم سوف ترتعب لمصير فرعون وشعبه، وأن كل حلفائهم سوف يصيبهم مثل ما أصابهم:..... أَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ، قُلْ لِفِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ وَلِشَعْبِهِ: مَنْ مَاثَلْتَ بِعَظَمَتِكَ؟ ٣إِنَّنِي أُشَبِّهُكَ بِشَجَرَةِ أَرْزٍ فِي لُبْنَانَ، بَهِيَّةِ الأَغْصَانِ، وَارِفَةِ الظِّلِّ، شَامِخَةٍ تُطَاوِلُ قِمَّتُهَا الْغُيُومَ،..... ٦وَعَشَّشَتْ فِي أَغْصَانِهَا كُلُّ طُيُورِ السَّمَاءِ، وَتَحْتَ فُرُوعِهَا وَلَدَتْ كُلُّ حَيَوَانِ الْبَرِّ، وَأَوَتْ تَحْتَ ظِلِّهَا كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ الْعَظِيمَةِ..... ١٠لِذَلِكَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ يَافِرْعَوْنُ شَمَخْتَ بِقَامَتِكَ وَطَاوَلْتَ بِهَامَتِكَ الْغُيُومَ، تَكَبَّرَ قَلْبُكَ مِنْ جَرَّاءِ عَظَمَتِكَ. ١١أَسْلَمْتُكَ إِلَى يَدِ الْمُتَسَلِّطِ عَلَى الأُمَمِ فَيُعَامِلُكَ أَقْسَى مُعَامَلَةٍ. إِنِّي نَبَذْتُكَ لِفَرْطِ شَرِّكَ. ١٢وَيَسْتَأْصِلُهُ الْغُرَبَاءُ عُتَاةُ الأُمَمِ، وَيَتْرُكُونَهُ، فَتَتَهَاوَى أَغْصَانُهُ عَلَى الْجِبَالِ وَفِي جَمِيعِ الْوِهَادِ،..... وَلِكَيْ

لاَ تبلُغَ أَيَّةُ شَجَرَةٍ تُرْوِيهَا الْمِيَاهُ مِثْلَ هَذَا الْعُلُوِّ، لأَنَّهَا جَمِيعَهَا مَآلُهَا الْمَوْتُ، حَيْثُ تَمْضِي إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى بَيْنَ الْفَانِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ، مَعَ الْهَابِطِينَ إِلَى الْهَاوِيَةِ..... ١٦ مِنْ جَلَبَةِ سُقُوطِهِ حِينَ أَنْزَلْتُهُ إِلَى الْهَاوِيَةِ مَعَ الْهَابِطِينَ إِلَيْهَا ارْتَعَدَتِ الأُمَمُ،..... ١٧ هُمْ أَيْضاً يَنْحَدِرُونَ مَعَهُ إِلَى الْهَاوِيَةِ لِيَنْضَمُّوا إِلَى قَتْلَى السَّيْفِ، وَكَذَلِكَ يَهْلِكُ حُلَفَاؤُهُ مِنَ الأُمَمِ الْمُقِيمِينَ تَحْتَ ظِلِّهِ..... سَتَنْحَدِرُ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى مَعَ أَشْجَارِ عَدْنٍ، وَتَرْقُدُ مَعَ الْغُلْفِ، مَعَ الْمَقْتُولِينَ بِالسَّيْفِ. هَذَا هُوَ مَصِيرُ فِرْعَوْنَ وَكُلِّ شَعْبِهِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ». (حزقيال ٣١)

نبوءة ثانية لحزقيال ضد فرعون

يقول الربُّ عن فرعون: إنه وإن شبّه نفسه بأسد تهابه جميع الأمم، فإنه لا يزيد عن كونه تمساحا يخوض في مياه الأنهار فيُكدِّر ماءها. ويقول الربُّ: إنه سوف يسلِّط عليه أقواما يُلْقون عليه شباكهم فيصطادونه ويطرحونه على الأرض بلا حول ولا قوة؛ فتنهش من لحمه طيور السماء ووحوش الأرض، ويتناثر لحمه على الجبال، وجيفه على الأودية، وترتوي الأرض من دمه الجاري، وما يفيض منه يملأ الوديان ويبلغ قمم الجبال. ويقول الربُّ أنه عندما يُخمِد أنفاس فرعون سوف يحجُب الشمس بالسحاب، ويُخفي نور القمر، ويُعتِّم السماء، ويجعل الظلام يغمر الأرض، ويُشيع الغمّ في قلوب أمم كثيرة حوله؛ فيعتري الفزعُ شعوبَهم، وتقشعرُ قلوبُ ملوكهم؛ خوفا من يوم مثل يومه:..... أَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ، انْدُبْ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ بِمَرْثَاةٍ وَقُلْ لَهُ: أَنْتَ شَبَّهْتَ نَفْسَكَ بِشِبْلٍ بَيْنَ الأُمَمِ، مَعَ أَنَّكَ مِثْلُ تِمْسَاحٍ فِي الْبِحَارِ. اقْتَحَمْتَ أَنْهَارَكَ وَكَدَّرْتَ الْمَاءَ بِقَدَمَيْكَ وَعَكَّرْتَ أَنْهَارَهُمْ. ٣لِذَلِكَ هَا أَنَا أَنْشُرُ عَلَيْكَ شَبَكَتِي مَعَ أَقْوَامِ شُعُوبٍ غَفِيرَةٍ فَيُصْعِدُونَكَ وَأَنْتَ عَالِقٌ فِيهَا. ٤وَأَتْرُكُكَ مُلْقًى عَلَى الأَرْضِ وَأَطْرَحُكَ فِي الْعَرَاءِ، فَأَجْعَلُ كُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ تَسْتَقِرُّ عَلَيْكَ، وَأُشْبِعُ مِنْكَ جَمِيعَ وُحُوشِ الأَرْضِ. ٥وَأَنْثُرُ لَحْمَكَ عَلَى الْجِبَالِ، وَمِنْ جِيَفِكَ أَمْلأُ الأَوْدِيَةَ. ٦وَأُرْوِي الأَرْضَ مِنْ دَمِكَ الْجَارِي حَتَّى يَبْلُغَ الْجِبَالَ وَتَفِيضَ بِهِ الْوِهَادُ. ٧وَعِنْدَمَا أُخْمِدُكَ أَحْجُبُ السَّمَاوَاتِ وَأُظْلِمُ نُجُومَهَا، وَأُكَفِّنُ الشَّمْسَ بِسَحَابٍ، وَلاَ يُنِيرُ الْقَمَرُ بِضَوْئِهِ. ٨وَأُعْتِمُ فَوْقَكَ كُلَّ أَنْوَارِ السَّمَاءِ الْمُضِيئَةِ، وَأَجْعَلُ الظُّلْمَةَ تَغْمُرُ أَرْضَكَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: ٩وَأُشِيعُ الْغَمَّ فِي قُلُوبِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ عِنْدَمَا أَكْسِرُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي أَرَاضٍ

غَرِيبَةٍ عَنْكَ. ١٠وَلأَجْلِ مَا يُصِيبُكَ يَعْتَرِي الْفَزَعُ شُعُوباً كَثِيرَةً، وَتَنْتَابُ مُلُوكَهُمْ قَشْعَرِيرَةٌ رَهِيبَةٌ، عِنْدَمَا أَخْطِرُ أَمَامَهُمْ بِسَيْفِي، فَيَرْتَعِدُونَ جَمِيعاً فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، كُلُّ وَاحِدٍ خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ فِي يَوْمِ سُقُوطِكَ. (حزقيال ٣٢)

ويقول الربُّ: إن جيوش بابل سوف يُهلكون جيوش فرعون، ويُذِلّون كبرياءه، ويبيدون الناس والبهائم؛ فلا يعودون يكدِّرون الماء بأرجلهم ولا أظلافهم، فتصبح مياههم صافية، وأنهارهم جارية بكل يُسْر. ويقول الربُّ أنه حين يُحوِّل أرض مصر إلى خراب، ويُقفرها من أهلها؛ يدركون أنه هو الربُّ: ١١لأَنَّ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا سَيْفُ مَلِكِ بَابِلَ يَقَعُ عَلَيْكَ، ١٢فَأُهْلِكُ جُيُوشَكَ بِسُيُوفِ الْجَبَابِرَةِ مِنْ أَعْتَى الأُمَمِ فَيُذِلُّونَ كِبْرِيَاءَ مِصْرَ وَيُفْنُونَ جُيُوشَهَا. ١٣وَأُبِيدُ جَمِيعَ بَهَائِمِهَا الْمُرْتَوِيَةِ مِنَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ، فَلاَ تُكَدِّرُهَا مِنْ بَعْدُ رِجْلُ إِنْسَانٍ وَلاَ تُعَكِّرُهَا أَظْلاَفُ الْبَهَائِمِ. ١٤حِينَئِذٍ أَجْعَلُ مِيَاهَهُمْ صَافِيَةً، وَأَنْهَارَهُمْ تَجْرِي بِنُعُومَةٍ كَالزَّيْتِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ١٥وَحِينَ أُحَوِّلُ أَرْضَ مِصْرَ إِلَى خَرَابٍ، وَأُقْفِرُهَا مِمَّنْ فِيهَا، وَعِنْدَمَا أَقْضِي عَلَى جَمِيعِ سُكَّانِهَا، حِينَئِذٍ يُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. (حزقيال ٣٢)

ويقول الربُّ: إنه سوف يُدْفَنُ جُنْدُ مصر مع غيرهم من أمم الأرض المتكبِّرة في الجُبّ؛ ليرقدوا مع أمثالهم من الغُلْف (غير المختونين من الذكور)، لأنهم سيكونون جميعا صرعى بسيوف الأعداء أو أسرى. ويقول الربُّ: إن قبورهم ستكون بجانب قبور آشور وفارس وجميع حلفائهم وكل من حولهم:..... أَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ١٨«يَاابْنَ آدَمَ، أَعْوِلْ عَلَى جُنْدِ مِصْرَ، وَأَحْدِرْهُ مَعَ سَائِرِ الأُمَمِ الْعَظِيمَةِ إِلَى طَبَقَاتِ الأَرْضِ السُّفْلَى مَعَ الْهَابِطِينَ إِلَى الْجُبِّ. ١٩عَلَى مَنْ تَفَوَّقْتَ بِالْجَمَالِ؟ انْزِلْ وَارْقُدْ مَعَ الْغُلْفِ. ٢٠يَسْقُطُونَ صَرْعَى وَسَطَ قَتْلَى السَّيْفِ. قَدْ أُسْلِمَتْ مِصْرُ لِلسَّيْفِ، وَأَسَرُوهَا مَعَ كُلِّ حُلَفَائِهَا. ٢١يُخَاطِبُهُ صَنَادِيدُ الْجَبَابِرَةِ هُوَ وَأَعْوَانَهُ مِنْ وَسَطِ مَقَرِّ الْمَوْتَى. قَدْ هَبَطُوا وَاضْطَجَعُوا. جَمِيعُهُمْ غُلْفٌ قَتْلَى السَّيْفِ. ٢٢هُنَاكَ أَشُورُ وَقَوْمُهُ جَمِيعاً قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ قُبُورُهُمْ. كُلُّهُمْ صَرْعَى السَّيْفِ. ٢٣الَّذِينَ صَارَتْ قُبُورُهُمْ فِي أَسَافِلِ الْجُبِّ، وَحَوْلَهُ قُبُورُ حُلَفَائِهِ، كُلُّهُمْ قَتْلَى، صَرْعَى السَّيْفِ. أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشَاعُوا الرُّعْبَ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ. ٢٤وَهُنَاكَ أَيْضاً عِيلاَمُ وَحُلَفَاؤُهَا بِأَسْرِهِمْ يُحِيطُونَ بِقَبْرِهَا..... ٢٥قَدْ جَعَلُوا لِمِصْرَ وَلِحُلَفَائِهَا مَثْوىً بَيْنَ الْقَتْلَى، وَقُبُورُهُمْ حَوْلَ عِيلاَمَ،..... عِيلاَمُ أَيْضاً وَسَطَ

الْقَتْلَى. ٢٦وَهُنَاكَ أَيضاً مَاشِكُ وَتُوبَالُ وَكُلُّ حُلَفَائِهِمَا تُحِيطُ بِهِمَا قُبُورُهُمْ..... ٢٨أَمَّا أَنْتَ يَافِرْعَوْنُ فَفِي وَسَطِ الْغُلْفِ تَتَكَسَّرُ، وَتَرْقُدُ بَيْنَ قَتْلَى السَّيْفِ. ٢٩وَهُنَاكَ أَيضاً أَدُومُ وَمُلُوكُهَا وَرُؤَسَاؤُهَا مِمَّنْ طُرِحُوا مَعَ قَتْلَى السَّيْفِ رَغْمَ عُتُوِّهِمْ..... ٣٠وَهُنَاكَ أُمَرَاءُ الشِّمَالِ جَمِيعُهُمْ وَكُلُّ الصَّيْدُونِيِّينَ الْمُنْحَدِرِينَ مَعَ الْقَتْلَى،..... (حزقيال ٣٢)

يقول النصارى: إن هذه الظلمة تشير للأيام الأخيرة، وإنها من علامات النهاية بعد أن تُضرب دولةُ ضد المسيح (الدجال)، وتملأ دماءُ أتباعه الجبال والوديان، وبالنسبة لفرعون تُفسّر هذه الآيات روحيًا بأنها ظلمة النفس؛ فلم يعُدْ لهذا الشرير بصيرة ليرى نور الله، ولم يعُدْ له رجاء في خلاص من محنته التي وضع نفسه فيها. ويقولون أن هذه الظلمة حدثت فعلا في أيام ضربات الله العشر على يد موسى.

تعقيب

ورد في (الإصحاح التاسع عشر من سفر أشعياء) أن الربّ سوف يجعل الأعداء يهدمون أصنام مصر، ويجعلُ المصريّين يقتلون بعضُهم بعضا، ويجعلُ مياه النيل تجفّ؛ فيعُمّ البلاء، وتصبح أرض يهوذا مثار رعب وفزع لهم. وتضيف النبوءة أنه سيكون لبني إسرائيل نفوذ كبير في مصر، ويكون لهم خمس مدن تدين باليهودية. وتقول النبوءة كذلك أن مصر وآشور سوف يتّحدان على عبادة رب بني إسرائيل.

ولنا أن نتساءل متى كان بنو إسرائيل مثار تهديد للمصريين؟ ومتى كان لهم خمس مدن في مصر تدين باليهودية؟ ومتى اتّحدت مصر وآشور على عبادة رب بني إسرائيل؟

أما قول النصارى عن تساقُط أصنام مصر عند دخول المسيح إلى أرض مصر: فلا دليل عليه من التاريخ أو المأثور. أما قولُهم أن وجود اللغة الكنعانية في آثار مصر إشارة إلى انتشار المسيحية فيها، فلا أرى له أي علاقة بالنبوءة، وانتشار المسيحية في مصر معلوم ولا يحتاج إلى دليل أو برهان.

ورد في (الإصحاح العشرين من سفر أشعياء) أنه لمّا هزَم جيشُ آشور بني إسرائيل، طلب الربُّ من أشعياء أن يمشي حافيا مدة ثلاث سنوات؛ علامة على المصائب التي سوف يُنزلها بمصر والحبشة.

والسؤال هو هل يحتاج الربُّ لمثل هذه الطقوس كي يُجْري مشيئتَه، أو يُنْزل قضاءه على أحد من خلقه؟

ورد في (الإصحاح السادس والأربعين من سفر إرميا) أن الربَّ سوف يوقع الهزيمة بجيش فرعون أمام جيش بابل في كركميش مهما كانت استعداداتهم للقتال، وتصدّرت النبوءة معلومة تقول أن نبوخذناصر قد قضى على جيش فرعون فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِحكم يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا.

عن أي نبوءة نتكلّم إذا؟ إنه سرد تاريخي حاول كاتبه تقديمه كنبوءة لكنه فشل في حبك النص، أو رُبّما من أعاد صياغته هو الذي وقع في هذه السقطة.

ورد في (الإصحاح التاسع والعشرين من سفر حزقيال) أن الربَّ سوف يُهلك فرعون وجنودَه في البرِيّة، حتى يدركوا أنه لا ربَّ غيرُه. والتساؤل هو من يبقى ليتّعظ بعد أن يَهلك الجميع؟

ويسترسل الربُّ في وعيده فيقول: إنه سوف يُرسل عليهم عدوّا يقتل الإنسان والحيوان، ويترك ديارهم خربة مقفرة لمدة أربعين سنة، ويُشتِّت من بقي منهم بين الأمم. وأنا أسأل من بقي منهم بعد كل هذا الدمار لِيُقْتَل أو يُشتَّت بيد عدو أو خلافه؟

وتتواصل النبوءة، فيقول الربُّ: إنه في نهاية الأربعين سنة سوف يجمع المصريين من الشتات، ويجعل منهم مملكة حقيرة في جنوب مصر. وأنا أتساءل هل تحقّق ذلك فعلا كما تقول النبوءة؟ لم يذكر التاريخ شيئا من ذلك.

أما تفسير النصارى بقولهم: إن الله ينظر لإيمان المصريين بالمسيح في المستقبل، فهناك فاصل زمني كبير بين زمن النبوءة وانتشار المسيحية في مصر يجعل فترة الأربعين سنة التي حدّدتها النبوءة لا تدعم هذا التفسير.

ورد في (الإصحاح التاسع والعشرين من سفر حزقيال) أن نبوخذناصر ملك بابل لَمّا استولى على صور؛ لم يجد فيها أي غنيمة تعوِّضه عما كابده في حصارها، وأن الربّ سوف يكافئه بخيرات مصر لتكون عوضا له ولجيشه.

وأنا أتساءل لماذا يعوِّض الربُّ ملك بابل وهو كافر؟ وعمّا يُعوِّضه وقد كان من ألدِّ أعداء بني إسرائيل؟

ورد في (الإصحاح الثلاثين من سفر حزقيال) أن الربَّ يقول: إن خراب مصر سيكون على يد نَبُوخَذْنَاصَّر مَلِكِ بَابِل، وأنه سوف يكتسح كل جيرانها وحلفائها، وأنه سوف يبيع أرضها للأشرار، ولا يُبقي على رئيس في ديارها.

وتفسير النصارى لعبارة ولا يَبْقى بعدُ رئيس في ديار مصر بأن هذه النبوءة العجيبة قد انطبقت على مصر من وقتها حتى سنة ١٩٥٢ سنة قيام الثورة المصرية، أي ظلّت النبوءة سارية لأكثر من ٢٥٠٠ سنة.

وأنا أتساءل هل حدّدت النبوءة وقتا زمنيا معيّنا لسريانها؟ والجواب بالنفي طبعا. وهذا لا يدعم هذا التفسير. والنبوءة إذا كانت من الربِّ حقًا، ولم يحدِّدها بزمن معين؛ فإنها تسري على الدوام وإلى آخر الزمان.

ورد في (الإصحاح الثلاثين من سفر حزقيال) أن الربَّ سوف يحطِّم ذراع فرعون مصر فلا تقدر على حمل السيف، وأنه سوف يشتِّت المصريين بين الأمم؛ ليدركوا أنه الربُّ. كما ورد في (الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر حزقيال) أن الربَّ يقول: إن خراب مصر سيكون مروِّعا للمصريين وحلفائهم، وأن حلفاءهم سوف يصيبهم ما أصابهم.

وأنا أرى أن هذا والله لا يزيد عن كونه أحقادا دفينة وأمنيات شرِّيرة؛ صيغت في شكل نبوءات، ليُضْفي عليها مؤلِّفوها شيئا من القداسة؛ والربُّ منها براء.

كما أن عبارة ليدركوا أنّه الربُّ قد تكرّرت كثيرا؛ سواء كانت موجّهة إلى بني إسرائيل أو إلى غيرهم من الشعوب، والأوْلى أن تُذْكر فقط في حالة بني إسرائيل الذين رأوا أنهم هم المؤمنون بالربِّ دون غيرهم، ولا تواجه لغير المؤمنين من خلق الله.

ورد في (الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر حزقيال) أن الربَّ سوف يُسلِّط على فرعون من يخمُد أنفاسه؛ فتنْهش الطيور والوحوش من لحمه، ويتناثر لحمُه وجيفُه، ويملأ دمُه الوديان حتى قمم الجبال.

وأنا أتعجَّب هل يكفي لحم فرعون ودمه لكل ذلك؟ وإذا كان المقصود هو وجنوده، فإن الخلل في صياغة النّص معيب جدا. ويبقى تعجُّب أعجب؛ هل يُعْقل هذا القدر من لحم الموتى والجيف؟ وهذا القدر من الدم؟ والله إنه الحقد الأسود الذي حرّك القلم الذي سطّر مثل هذه التُّرّهات.

أما قول الربِّ: إنه سوف يُظْلم الدنيا بموت فرعون، ويُلْقي الرعب في كل الأمم المحيطة بمصر؛ فهو والله من علامات اليوم الآخر، وقد هلك فرعون ومن بعدُه؛ ولا زالت الدنيا قائمة.

ورد في (الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر حزقيال) أن الربَّ يقول أن جيوش بابل سوف يقضون على جيش فرعون، ويُهلكون الناس والبهائم، ويحوِّلون أرض مصر إلى خرائب ليُذكروا أنه الربُّ. كما ورد في (نفس الإصحاح) أن الربَّ يقول: إن جنود مصر سوف يُدفنون في الجُبِّ مع غيرهم من الغُلْف ومعهم جيوش بابل وآشور وفارس وكل حلفائهم.

وهذه أيضا من علامات الأيام الأخيرة؛ حتى حسب معتقد اليهود، فكيف عجّلوا بها في هذه النبوءة؟ أم أنها ستأتي على دفعات؟

أما قول النصارى: إن هذه الظُلْمة تشير للأيام الأخيرة، وهي من علامات النهاية بعد أن تُضْرب دولةُ ضد المسيح (الدجال) وتملأ دماءُ أتباعه الجبال والوديان، فلا نختلف معه كثيرا.

أما تفسيرهم لها بالنسبة لفرعون تفسيرا روحيًا بقولهم أنها ظُلْمة النفس، فأي نفس تبقى بعد الموت لترى أو تسمع أو تتعِظ؟

أما قولُهم: إن هذه الظلمة حدثت فعلا في أيام ضربات الله العشر على يد موسى، فلا أرى أي علاقة بين ما حدث أيام موسى بنبوءة قيلت بعده بمئات السنين؛ فالنبوءة تشير إلى المستقبل ولا تؤرخ للماضي. كما أن النبوءة لا تُؤوّل بأكثر من تأويل، وإلا فقدت مغزاها ومصداقيتها.

الفصل الثالث عشر

نبوءات ضد

دمشق وصور وصيـدا

الفصل الثالث عشر

نبوءات ضد دمشق وصور وصيدا

نبوءة لأشعياء ضد دمشق ومملكة إسرائيل

تقول النبوءة: إن دمشق سوف ينقَرِض اسمُها من بين مثيلاتها من المدن، وتُصْبح مبانيها أنقاضا، وتُهْجر بقيّةُ المدن التابعة لها، وتزول حصونها، وينتهي المُلْك منها. وتقول النبوءة أن نفس المصير سوف تلقاه مملكة إسرائيل، ويزول مجدها، وتصبح حقولها جرداء لا زرع فيها ولا حصاد. ويقول الربُّ أنه سوف يُنْجي من هذا المصير جماعة قليلة من بني إسرائيل حتى يُدْركوا أنه القادر وليس معبوداتهم التي يصنعونها بأيديهم. ويقول الربُّ: إن البركة سوف تُنْزع من بني إسرائيل بسبب بعدهم عن تقديسه، والتماسهم النُّصْرة من غيره. ويقول الربُّ أنه سوف يُرْسل عليهم جيوشا كأمواج البحر؛ تجرُفُ كلَّ ما في طريقها. ويقول الربُّ أنه لمَّا تنتهي مُهِمَّة هؤلاء الغازين، سوف يبدِّدهم؛ فيتلاشون، ويكون مصيرُهم كمصير أي مُغْتصب: نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ دِمَشْقَ: «انْظُرُوا هَا دِمَشْقُ تَنْقَرِضُ مِنْ بَيْنِ الْمُدُنِ وَتُصْبِحُ كَوْمَةَ أَنْقَاضٍ. ٢تُهْجَرُ مُدُنُ عَرُوعِيرَ، وَتُصْبِحُ مَرَاعِيَ لِلْقُطْعَانِ تَرْبِضُ فِيهَا وَلاَ أَحَدَ يُخِيفُهَا ٣تَزُولُ الْمَدِينَةُ الْمُحَصَّنَةُ مِنْ أَفْرَايِمَ، وَالْمُلْكُ مِنْ دِمَشْقَ، وَتُصْبِحُ بَقِيَّةُ أَرَامَ مُمَاثِلَةً لِمَجْدِ أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ الزَّائِلِ، هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. ٤فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَخْبُو مَجْدُ يَعْقُوبَ وَتَذُوبُ سَمَانَةُ بَدَنِهِ،..... ٦وَمَعَ ذَلِكَ تَبْقَى فِيهِ خُصَاصَةٌ، كَزَيْتُونَةٍ نُفِضَتْ حَبَّاتُهَا، فَتَسَاقَطَتْ إِلاَّ حَبَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ظَلَّتْ فِي رَأْسِ أَعْلَى غُصْنٍ،..... ٧فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَرْنُو النَّاسُ إِلَى صَانِعِهِمْ وَيَلْتَفِتُونَ بِعُيُونِهِمْ إِلَى قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ٨وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْمَذَابِحِ الَّتِي صَنَعَتْهَا أَيْدِيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى تَمَاثِيلِ السَّوَارِي وَالشُّمُوسِ، وَلاَ إِلَى مَذَابِحِ الْبَخُورِ صَنْعَةِ أَصَابِعِهِمْ. ٩فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تُصْبِحُ مُدُنُهُمُ الْمَنِيعَةُ مُقْفِرَةً..... ١٠لأَنَّكُمْ قَدْ نَسِيتُمْ إِلَهَ خَلاَصِكُمْ، وَلَمْ تَذْكُرُوا صَخْرَةَ عِزِّكُمْ..... ١٢يَالَجَلَبَةِ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ يَضِجُّونَ كَبَحْرٍ عَجَّاجٍ! يَالَصَخَبِ الأُمَمِ! فَإِنَّهُمْ يَصْخَبُونَ كَعَجِيجِ لُجَجٍ غَامِرَةٍ. ١٣أُمَمٌ تَهْدِرُ كَهَدِيرِ الْمِيَاهِ، وَلَكِنْ حَالَمَا يَزْجُرُهَا الرَّبُّ تَهْرُبُ بَعِيداً، وَتَتَطَايَرُ كَمَا تَتَطَايَرُ عُصَافَةُ الْجِبَالِ أَمَامَ الرِّيحِ، أَوْ كَالْهَبَاءِ أَمَامَ الْعَاصِفَةِ. ١٤فِي الْمَسَاءِ يَطْغَى عَلَيْهِمْ رُعْبٌ، وَفِي الصَّبَاحِ يَتَلاَشَوْنَ. هَذَا هُوَ نَصِيبُ نَاهِبِينَا وَحَظُّ سَالِبِينَا. (أشعياء ١٧)

نبوءة لعاموس ضد دمشق وملِكِها

تقول النبوءة: إنه بسبب معاصي دمشق ضد الربِّ وضد شعب الربِّ وما فعلوه بهم: بأن داسوا الشعب بالنوارج في جلعاد، فإنه سوف يُسلِّط عليهم عدوّا يقتحم الحصون التي بناها بنهدد ملكهم السابق، ويجتاح أسوار دمشق، ويحطِّم أماكن أصنامهم؛ فيهلك من جراء ذلك الملك حزائيل وأهل بيته جميعا وكل صاحب سلطة وغالبية الشعب، ومن يبقي منهم يساق للسبي في أرض بعيدة، ولا يبقى لهم من النعيم إلا الذكرى: هَذِهِ كَلِمَاتُ عَامُوسَ الَّذِي كَانَ رَاعِياً مِنْ رُعَاةِ تَقُوعَ، يُنْبِيءُ فِيهَا بِمَا رَآهُ بِشَأْنِ إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ عُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، وَفِي أَيَّامِ يَرُبْعَامَ بْنِ يُوآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، قَبْلَ وُقُوعِ الزَّلْزَلَةِ بِسَنَتَيْنِ. ٢قَالَ: «يَزْأَرُ الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ وَيُدَوِّي بِصَوْتِهِ مِنْ أُورُشَلِيمَ، فَتَنْتَحِبُ مَرَاعِي الرُّعَاةِ، وَتَذْوِي قِمَّةُ الْكَرْمَلِ. ٣هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ مَعَاصِي دِمَشْقَ الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهَا سَخَطِي، لأَنَّ أَهْلَهَا قَدْ دَاسُوا شَعْبِي فِي جِلْعَادَ بِنَوَارِجَ مِنْ حَدِيدٍ. ٤لِذَلِكَ أُرْسِلُ نَاراً عَلَى بَيْتِ حَزَائِيلَ فَتَلْتَهِمُ حُصُونَ بَنْهَدَدَ. ٥وَأُحَطِّمُ مِزْلاَجَ دِمَشْقَ وَأَسْتَأْصِلُ أَهْلَ وَادِي آوَنَ، وَأُهْلِكُ حَامِلَ صَوْلَجَانِ مُلْكِ بَيْتِ عَدْنٍ، وَيُسَاقُ شَعْبُ أَرَامَ إِلَى السَّبْيِ إِلَى أَرْضِ قِيرَ. (عاموس ١)

نبوءة لإرميا ضد دمشق

يقول الربُّ عن دمشق: إن الخِزْي سوف يلحق بمدنها حماة وأرفاد، وسوف تخور قواها وتُولِّي مدبرة، وسوف ترتعب شعوبُها ويكونون جميعا كامرأة فاجأها المخاض لمّا يفاجئهم الأعداء. ويقول الربُّ: إن الناس سوف يتعجّبون لما أنزله بالمدينة التي كانت تثير فرحه وإعجابه لأنه سوف يجعل شبابها يتساقطون صرعى في ساحاتها، وسوف يُبيد جميع جنودها، ويُشعل النار في أسوارها؛ فتلتهم قصور ملوكها: ٢٣نُبُوءَةٌ عَنْ دِمَشْقَ: «قَدْ لَحِقَ الْخِزْيُ بِحَمَاةَ وَأَرْفَادَ إِذْ بَلَغَتْهُمَا الأَنْبَاءُ الْمُزْعِجَةُ، ذَابَتَا خَوْفاً وَاضْطَرَبَتَا كَالْبَحْرِ الْهَائِجِ. ٢٤خَارَتْ قُوَى دِمَشْقَ وَأَدْبَرَتْ لِتَهْرُبَ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الرُّعْبُ، وَأَدْرَكَهَا الْكَرْبُ وَالأَلَمُ كَامْرَأَةٍ مَاخِضٍ. ٢٥كَيْفَ لَمْ يُبْقَ عَلَى الْمَدِينَةِ الشَّهِيرَةِ، مَدِينَةِ مَسَرَّتِي؟ ٢٦لِذَلِكَ سَيَتَسَاقَطُ شَبَابُهَا فِي سَاحَاتِهَا، وَيَبِيدُ جَمِيعُ جُنُودِهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: ٢٧سَأُضْرِمُ النَّارَ فِي سُورِ دِمَشْقَ فَتَلْتَهِمُ قُصُورَ بَنْهَدَدَ». (إرميا ٤٩)

نبوءة لأشعياء ضد صور

تقول النبوءة: إن صور (مدينة فينيقية) بعد أن كانت مزدهرة بتجارتها مع جميع الأمم المجاورة سوف يُرْسِلُ الربُّ عليها الكلدانيين ليخرّبوها، ويقضوا على كل عوامل الازدهار فيها، وأن خرابها سوف يكون مؤثرا جدا في كل الشعوب التي كانت تتعامل معها مثل ترشيش (إسبانيا) ومصر وصيدا وكتيم (قبرص). وقد قضى الربُّ بذلك على صور ليحُطّ من كبريائها. ويقول الربُّ: إن خرابها سيستمر سبعين سنة، ثم يعود لها مجدُها، وتعود فتتاجر مع جميع الأمم، وتصبح تجارتُها مصدر فخر للربِّ؛ لأن خَراجَها سوف يُصْرف في مصارف يرضاها الربُّ، وعلى السائرين في طريقه: نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ صُورَ: وَلْوِلِي يَاسُفُنَ تَرْشِيشَ، لأَنَّ صُورَ قَدْ هُدِمَتْ، فَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ وَلاَ مَرْفَأٌ. تَمَاماً كَمَا بَلَغَكُمُ النَّبَأُ وَأَنْتُمْ فِي أَرْضِ قُبْرُصَ..... انْتَحِبُوا يَاأَهْلَ السَّاحِلِ. ٧أَهَذِهِ هِيَ مَدِينَتُكُمُ الْمُبْتَهِجَةُ الَّتِي نَشَأَتْ مُنْذُ الْقِدَمِ، وَالَّتِي تَنْقُلُهَا قَدَمَاهَا لِلتَّغَرُّبِ فِي أَرْضٍ بَعِيدَةٍ؟ ٩إِنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ هُوَ الَّذِي قَضَى بِذَلِكَ، لِيَحُطَّ مِنْ كِبْرِيَاءِ كُلِّ مَجْدٍ، وَلِيُذِلَّ كُلَّ شُرَفَاءِ الأَرْضِ..... ١١بَسَطَ الرَّبُّ يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، وَزَعْزَعَ مَمَالِكَ، أَصْدَرَ أَمْرَهُ عَلَى كَنْعَانَ كَيْ تُدَمَّرَ حُصُونُهَا،..... ١٣تَأَمَّلِي فِي أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَانْظُرِي إِلَى شَعْبِهَا، فَهُمْ وَلَيْسَ الأَشُورِيُّونَ الَّذِينَ سَيَجْعَلُونَ صُورَ مَرْتَعاً لِلْوُحُوشِ، وَسَيَنْصِبُونَ حَوْلَهَا أَبْرَاجَهُمْ، وَيَمْسَحُونَ قُصُورَهَا عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَيُحَوِّلُونَهَا إِلَى خَرَابٍ. ١٤انْتَحِبِي يَا سُفُنَ تَرْشِيشَ لأَنَّ حُصُونَكِ قَدْ تَهَدَّمَتْ. ١٥وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَظَلُّ صُورُ مَنْسِيَّةً طَوَالَ سَبْعِينَ سَنَةً، كَحِقْبَةِ حَيَاةِ مَلِكٍ وَاحِدٍ،..... ١٧وَفِي نِهَايَةِ السَّبْعِينَ سَنَةً يَفْتَقِدُ الرَّبُّ صُورَ، فَتَرْجِعُ إِلَى عَهْدِهَا، وَتَزْنِي مَعَ كُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. ١٨أَمَّا تِجَارَتُهَا وَأُجْرَتُهَا فَتُصْبِحُ قُدْساً لِلرَّبِّ. لاَ تُخْزَنُ وَلاَ تُدَّخَرُ لأَنَّ تِجَارَتَهَا تُوَفِّرُ غِذَاءً وَفِيراً، وَثِيَاباً فَاخِرَةً لِلسَّاكِنِينَ أَمَامَ الرَّبِّ. (أشعياء ٢٣)

يرى النصارى أن المتنبِّئ هنا ينظر للمستقبل إلى حوالي ١٥٠ سنة بعد النبوّة، ويرى نبوخذناصر ملك بابل قادما على صور. وكان ملك آشور كعادته قد أتى بالكلدانيين من الشمال وأسكنهم في ذلك المكان فأصبحوا مملكة عظيمة أسقطت آشور نفسها. ويقولون: إن مدّة السبعين سنة هي نفسها التي سُبي فيها شعب الله إلى بابل، وإلى هناك سُبي أيضا شعب صور حيث تعرّفوا على اليهود، وربّما أُعجبوا بهم وبعبادتهم. فبعد عودتهم أرسلوا عطايا للهيكل، وخدموا في بناء الهيكل.

نبوءة لعاموس ضد صور

تقول النبوءة: إنه بسبب معاصي صور وخطاياهم، وما قاموا به من أسْر لجميع بني إسرائيل وبيعهم إلى أدوم، ونقْضهم لمعاهدة الوفاق التي كانت بين الشعبين، فإن الربَّ سوف يسلِّط عليهم عدوّا يجتاح أسوار مدينتهم، ويدُكّ حصونها: ٩هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ مَعَاصِي صُورَ الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهَا سَخَطِي، لأَنَّ أَهْلَهَا سَلَّمُوا شَعْباً بِكَامِلِهِ إِلَى أَدُومَ، وَنَقَضُوا عَهْدَ الإِخْوَةِ. ١٠لِهَذَا أُرْسِلُ نَاراً عَلَى أَسْوَارِ صُورَ فَتَلْتَهِمُ حُصُونَهَا. (عاموس ١)

نبوءة لحزقيال ضد صور

تقول النبوءة: إن الربَّ سوف ينتقم من صور بسبب شماتتها لهزيمة أورشليم، ولأنها رأت في ذلك فائدة قصوى لها لتحوُّل قوافل التجارة من أورشليم إليها؛ فتزداد أرباحها وتكثر أموالها. ويقول الربُّ أنه سوف يجعل أممًا كثيرة تهاجمها بجيوش كأمواج البحر فتمحوها من على وجه الأرض، وتغتصب أموالها وثرواتها. ويقول الربُّ: إن نبوخذناصر ملك بابل سوف يستولي على جميع مدنها الساحلية، ويكون لنصره دوي مرعب على جميع الجُزُر المجاورة لها، ويمحوها فلا يبقى لها أثر: أَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢«يَاابْنَ آدَمَ، لأَنَّ صُورَ قَدْ شَمِتَتْ بِأُورُشَلِيمَ، وَقَالَتْ: هَا بَوَّابَةُ الشُّعُوبِ قَدِ انْهَارَتْ، وَتَحَوَّلَتِ الْقَوَافِلُ إِلَيَّ. هَا أَنَا أَزْدَهِرُ إِذْ حَلَّ بِهَا الدَّمَارُ. ٣لِذَلِكَ يُعْلِنُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أُعَاقِبُكِ يَاصُورُ، فَأَجْعَلُ أُمَماً كَثِيرَةً تُهَاجِمُكِ كَمَا يَهْجُمُ الْبَحْرُ بِأَمْوَاجِهِ. ٤فَيَهْدِمُونَ أَسْوَارَ صُورَ وَأَبْرَاجَهَا، وَأَكْشِطُ تُرَابَهَا عَنْهَا، وَأُحَوِّلُهَا إِلَى صَخْرَةٍ جَرْدَاءَ..... ثُمَّ تَغْدُو غَنِيمَةً لِلأُمَمِ..... ٧لأَنَّ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا آتِي بِمَلِكِ الْمُلُوكِ، نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ مِنَ الشِّمَالِ بِخَيْلٍ وَبِمَرْكَبَاتٍ وَبِفُرْسَانٍ وَأَقْوَامٍ غَفِيرَةٍ، ٨فَيُبِيدُ بِالسَّيْفِ قُرَى رِيفِكِ..... وَيَقْضِي بِالسَّيْفِ عَلَى شَعْبِكِ، فَتَتَهَاوَى إِلَى الأَرْضِ أَرْكَانُ عِزِّكِ،..... ١٥وَهَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ عَنْ مَدِينَةِ صُورَ: أَلاَ تَرْتَعِدُ مُدُنُ السَّوَاحِلِ لِجَلَبَةِ سُقُوطِكِ، وَلِصُرَاخِ الْجَرْحَى، وَلِوُقُوعِ الْقَتْلِ فِيكِ، ١٦فَيَنْزِلُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْمُدُنِ السَّاحِلِيَّةِ عَنْ عُرُوشِهِمْ..... وَيَجْلِسُونَ عَلَى الأَرْضِ مُرْتَجِفِينَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، مَذْعُورِينَ لِمَا أَصَابَكِ..... ٢١وَأَجْلِبُ الرُّعْبَ عَلَيْكِ فَلاَ يَبْقَى مِنْكِ أَثَرٌ وَإِذْ يُبْحَثُ عَنْكِ لاَ يُعْثَرُ عَلَيْكِ أَبَداً، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ». (حزقيال ٢٦)

نبوءة لحزقيال ضد صيدون

تقول النبوءة: إن الربّ قد غضب على صيدون (صيدا) بسبب ما فعلته بشعب يهوذا بعد خراب أورشليم؛ إذ اعتدت على الذين بقوا منهم، وأسرتهم وباعتهم لليونانيين. ويقول الربُّ: إنه سوف يسلّط عليهم الوباء فيحصُدُهم حصدا، ويسلّط عليهم الأعداء فيقتلون من نجا منهم بالسيوف؛ فلا ينجو منهم أحد. وبذلك يريح الربُّ شعب إسرائيل من أذيّتهم عندما يعودون من السبي، ويقيمون في مواطنهم آمنين على أنفسهم؛ يشيّدون
البيوت، ويغرسون الكروم دون خوف من شرِّهم: ٢٠وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً:
٢١«يَاابْنَ آدَمَ، الْتَفِتْ بِوَجْهِكَ نَحْوَ صَيْدُونَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهَا. ٢٢وَقُلْ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ:
هَا أَنَا أَنْقَلِبُ عَلَيْكِ يَاصَيْدُونُ وَأَتَجَلَّى بِمَجْدِي فِيكِ فَيُدْرِكُ سُكَّانُكِ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أُنَفِّذُ
فِيكِ أَحْكَاماً وَأَتَقَدَّسُ فِي وَسَطِكِ. ٢٣أَجْعَلُ الْوَبَأَ يَتَفَشَّى فِيكِ وَتُسْفَكُ دِمَاءٌ فِي أَزِقَّتِكِ،
وَيَتَسَاقَطُ فِي وَسَطِكِ جَرْحَى السَّيْفِ الَّذِي يُحْدِقُ بِكِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ.
٢٤فَلاَ يَتَعَرَّضُ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ إِلَى وَخَزَاتِ الْعُلَّيْقِ وَلاَ إِلَى شَوْكَةٍ مُؤْذِيَةٍ مِنَ الأُمَمِ الْمُحِيطَةِ
بِهِمْ مِمَّنْ تُبْغِضُهُمْ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا السَّيِّدُ الرَّبُّ..... وَتَتَجَلَّى قَدَاسَتِي فِيهِمْ أَمَامَ عُيُونِ
الأُمَمِ، عِنْدَمَا يَعُودُونَ وَيَسْتَوْطِنُونَ فِي أَرْضِهِمِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لِعَبْدِي يَعْقُوبَ، ٢٦وَيُقِيمُونَ
فِيهَا مُطْمَئِنِّينَ وَيُشَيِّدُونَ بُيُوتاً وَيَغْرِسُونَ كُرُوماً وَيَسْكُنُونَ آمِنِينَ. (حزقيال ٢٨)

تعقيب

ورد في (الإصحاح السابع عشر من سفر أشعياء) أن دمشق سوف ينقرض اسمُها من بين مثيلاتها من المدن وكذلك مملكة إسرائيل.

وقد زالت مملكة إسرائيل كما هو معلوم، لكن دمشق بقيت حتى يومنا هذا. وقد يعلو مجدُها أحيانا وينخفض، لكنها باقية على أي حال.

ورد في (نفس الإصحاح من نفس السفر) أن الربَّ سوف يُنجي جماعة من بني إسرائيل؛ حتى يدركوا أنه هو القادر وليس معبوداتهم.

وكما ذكرت التوراة، فإن العائدين من السبي هم من مملكة يهوذا، وتبدّد جميع بني إسرائيل؛ حتى مملكة يهوذا لم يعد منها إلا عِدّة آلاف فقط، وهذا يؤكد عدم تحقُّق النبوءة بنجاة القلّة التي ذكرت في النبوءة.

ورد في (الإصحاح الأول من سفر عاموس) أن عدوّا سوف يجتاح دمشق؛ فيهدم حصونها ومبانيها، ويقتل ملكها وحاشيته وغالبية شعبها، ويسوق الباقين للأسر. كما ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر إرميا) أن الربَّ سوف يجعل الأعداء يحرقون دمشق بالنار، فيهلَك شبابُها وجنودُها، وتحترق حصونُها وقصورُها. ويقول الربُّ أن دمشق كانت مثار فرحه وإعجابه.

وأنا أقول: إن الدمار والهلاك الذي يتوعد به الربُّ جميع أعداء بني إسرائيل؛ وهم كثر فهو أمر وارد دائما في نصوص التوراة، أمّا أن دمشق كانت مثار فرح وإعجاب الربِّ فأمر يثير الدهشة. والسؤال هو من أي ناحية كانت تثير فرح الربِّ، وأهلها لم يكونوا مؤمنين أبدا بالربِّ؟

ورد في (الإصحاح الثالث والعشرين من سفر أشعياء) أن عدوّا سوف يجتاح مدينة صور؛ فيقضي على كل عوامل الازدهار فيها، وأن خرابها سيستمر سبعين سنة ثم يعود لها مجدُها، وتصبح تجارتُها مصدر فخر للرب؛ لأن خراجها سوف يُصْرف في مصارف يرضاها الربُّ.

حين تسمّي النبوءة ملك بابل باسمه، وتحدّد فترة وقوع الحدث بمدّة بعينها؛ إنما هو محض افتراء. فالنبوءات تُغطي رموزا وإشارات، أما ذكرُ أسماء بعينها، وتواريخ بذاتها؛ فهو تدوين لأحداث وقعت لا نبوءات بأحداث ستقع.

أما تفسير عبارة: تصبح تجارتُها مصدر فخر للرب؛ لأن خراجها سوف يُصرف في مصارف يرضاها الربُّ، شعب صور كان يرسل هدايا لهيكل الرب وأنهم خدموا في بناء الهيكل فهو مُجرّد اجتهاد لتأكيد صحة النبوءة، وأحداث التاريخ لا تشير إلى تحقُّق شيء من ذلك.

ورد في (الإصحاح الأول من سفر عاموس) أنه بسبب ما قامت به صور ضد بني إسرائيل، فإن الربَّ سوف يسلِّط عليها عدوّا يجتاح أسوارها، ويدُكّ حصونها. كما ورد في (الإصحاح السادس والعشرين من سفر حزقيال) أن الربَّ سوف ينتقم من صور بسبب شماتتها لهزيمة أورشليم، وأن نبوخذناصر ملك بابل سوف يمحوها فلا يبقى لها أثر.

وهكذا نرى أن الربَّ دائما يتوعّد أعداء بني إسرائيل وينتقم منهم بنفسه، وبنو إسرائيل يتفرّجون. كما نرى أن انتقام الربِّ مهلك ومدمِّر. والعجيب أن هؤلاء الأعداء ينهضون ثانية؛ فالهلاك الموعود إذا هو من بنات أفكار كاتبي التوراة، ويعبِّر عن حقد دفين ضد كل بني البشر. فمن يستحقون الحياة في اعتقادهم هم بنو إسرائيل فقط، وما عداهم من بني البشر هم أعداء ويستحقّون انتقام الربِّ. إنها العنصرية المقيتة التي تسيطر على أفئدة هؤلاء القوم.

ورد في (الإصحاح الثامن والعشرين من سفر حزقيال) أن الربّ قد غضب على صيدا بسبب ما فعلته بشعب يهوذا بعد خراب أورشليم، وأنه سوف يسلِّط عليهم الوباء والأعداء فلا ينجو منهم أحد؛ وبذلك يُريح الربُّ شعب إسرائيل من أذيّتهم عندما يعودون من السبي.

هل يعقل هذا؟ وهل لذلك نصيب من الواقع والتاريخ؟ أين هم بنو إسرائيل منذ عودتهم من السبي؟ لم يبقوا طويلا، وبقيت صيدا حتى قيام دولتهم الموهومة إسرائيل بعد

عام ١٩٤٨ ميلادية. وأنا أقول موهومة لأن بقاءها مرهون بدعم الغرب لها، ونهايتها محتومة لو تُرِك أمرُها لأهل البلاد الأصليّين. والله المستعان.

الفصل الرابع عشر

نبوءات ضد

مدن فلسطينية وقبائل عربية

الفصل الرابع عشر

نبوءات ضد مدن فلسطينية وقبائل عربية

نبوءة لعاموس ضد فلسطين

تقول النبوءة: إنه بسبب ما قام به الفلسطينيون ضد شعب الربِّ؛ بأن قاموا ببيعهم كعبيد لأدوم، فإنه سوف يسلِّط عليهم عدوًّا يجتاح أسوار مدينتهم غزّة ويدُكّ حصونها، وكذلك بقية مدنهم أشدود وأشقلون وعقرون؛ فيهلك الفلسطينيون عن آخرهم: ٦هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ مَعَاصِي غَزَّةَ الثَّلاثِ وَالأَرْبَعِ لَنْ أَرُدَّ عَنْهَا سَخَطِي، لأَنَّ أَهْلَهَا نَفَوْا شَعْباً عَنْ آخِرِهِ لِيُسَلِّمُوهُ إِلَى أَدُومَ. ٧لِذَلِكَ سَأُرْسِلُ نَاراً عَلَى أَسْوَارِ غَزَّةَ تَلْتَهِمُ حُصُونَهَا. ٨وَأَسْتَأْصِلُ أَهْلَ أَشْدُودَ، وَأُهْلِكُ حَامِلَ صَوْلَجَانِ مُلْكِ أَشْقَلُونَ، وَأُوَجِّهُ ضَرَبَاتِي ضِدَّ عَقْرُونَ فَيَفْنَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الْفِلِسْطِيِنِيِّينَ. (عاموس ١)

نبوءة لإرميا ضد فلسطين

أوحى الربُّ إلى إرميا أن فرعون سوف يهاجم أرض فلسطين كسيل جارف؛ يُدمِّر مدنها ويقضي على شعبها، ويستغيثون ولا مغيث. ومن هول الموقف لا يلتفت الآباء إلى صراخ الأبناء، فهم حينئذ أجْبَنُ وأضعف من أن يفكِّروا إلا في أنفسهم. ويقول الربُّ: إن يوم إبادتهم مقبل هم وكل حلفائهم مثل صور وصيدا. ويقول الربُّ: إن الخراب سوف يشمل مدن فلسطين غزة وأشقلون وجميع مدن الساحل: هَذِهِ هِيَ النُّبُوءَةُ الَّتِي أَوْحَى بِهَا الرَّبُّ إِلَى إِرْمِيَا عَنِ الْفِلِسْطِيِنِيِّينَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِمَ فِرْعَوْنُ غَزَّةَ. ٢هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: «هَا هِيَ مِيَاهٌ تَطْغَى مِنَ الشِّمَالِ، فَتُصْبِحُ سَيْلاً جَارِفاً، فَتَغْمُرُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، الْمَدِينَةَ وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا. فَيَسْتَغِيثُ النَّاسُ وَيُوَلْوِلُ كُلُّ أَهْلِ الْبِلاَدِ، ٣مِنْ صَوْتِ وَقْعِ حَوَافِرِ خَيْلِهِ، وَمِنْ جَلَبَةِ مَرْكَبَاتِهِ، وَمِنْ صَرِيرِ عَجَلاَتِهَا، فَلاَ يَلْتَفِتُ الآبَاءُ إِلَى الأَبْنَاءِ مِنْ فَرْطِ مَا يَعْتَرِيهِمْ مِنْ وَهْنٍ. ٤رُعْباً مِنَ الْيَوْمِ الْمُقْبِلِ لإِبَادَةِ الْفِلِسْطِيِنِيِّينَ، ولاِسْتِئْصَالِ صُورَ وَصَيْدُونَ وَكُلِّ مُعِينٍ بَاقٍ، لأَنَّ الرَّبَّ يُدَمِّرُ الْفِلِسْطِيِنِيِّينَ بَقِيَّةَ جَزِيرَةِ كَفْتُورَ. ٥قَدْ أَصْبَحَتْ غَزَّةُ جَرْدَاءَ، وَسَادَ أَشْقَلُونَ صَمْتُ الْمَوْتِ..... ٦يَاسَيْفَ الرَّبِّ، مَتَى تَسْتَكِينُ؟ اسْتَقِرَّ فِي غِمْدِكَ وَاهْدَأْ وَاسْتَرِحْ. ٧كَيْفَ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَسْتَكِينَ، وَقَدْ أَصْدَرَ الرَّبُّ لَهُ أَمْرَهُ لِيَضْرِبَ أَشْقَلُونَ وَمُدُنَ سَاحِلِ الْبَحْرِ، هُنَاكَ وَاعَدَهُ الرَّبُّ عَلَى اللِّقَاءِ». (إرميا ٤٧)

نبوءة لحزقيال ضد الفلسطينيين وسكان ساحل البحر

تقول النبوءة: إن الربَّ سوف ينتقم من الفلسطينيين، ويعاقب الكريتيين وجميع سكان ساحل البحر؛ لأنهم أفرطوا في عدائهم لبني إسرائيل، وتعمّدوا تخريب ديارهم وهيكلهم: ١٥ وَهَذَا أَيْضاً مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ قَدْ أَقْدَمُوا عَلَى الانْتِقَامِ وَأَفْرَطُوا فِيهِ بِكُلِّ لُؤْمِ قُلُوبِهِمْ، عَامِدِينَ إِلَى الْخَرَابِ بِسَبَبِ عَدَاوَةٍ أَبَدِيَّةٍ، ١٦ هَا أَنَا أُعَاقِبُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَأَسْتَأْصِلُ الْكَرِيتِيِّينَ، وَأُبِيدُ بَقِيَّةَ سُكَّانِ سَاحِلِ الْبَحْرِ، ١٧ وَأُنَفِّذُ فِيهِمِ انْتِقَامِي الْعَظِيمَ بِتَأْدِيبٍ مُفْعَمٍ بِالسَّخَطِ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، إِذْ أَصُبُّ نِقْمَتِي عَلَيْهِمْ». (حزقيال ٢٥)

نبوءة لأشعياء ضد قيدار

تقول النبوءة: إن العدوَّ سوف يباغت قبيلة قيدار في غضون سنة، فلا يستطيعون ردّه؛ لأنهم لا يملكون العدد الكافي من الرماة ليصمدوا أمامه. وتقول النبوءة: إنهم سوف يلجأون إلى مدينة تيماء طلبا للماء والخبز لكنهم لن يجدوا عندهم حاجتهم: ١٣ نُبُوءَةٌ بِشَأْنِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ: سَتَبِيتِينَ فِي صَحَارِي بِلاَدِ الْعَرَبِ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ، ١٤ فَاحْمِلُوا يَا أَهْلَ تَيْمَاءَ الْمَاءَ لِلْعَطْشَانِ، وَاسْتَقْبِلُوا الْهَارِبِينَ بِالْخُبْزِ، ١٥ لأَنَّهُمْ قَدْ فَرُّوا مِنَ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَالْقَوْسِ الْمُتَوَتِّرِ، وَمِنْ وَطِيسِ الْمَعْرَكَةِ. ١٦ لأَنَّهُ هَذَا مَا قَالَهُ لِي الرَّبُّ: فِي غُضُونِ سَنَةٍ مُمَاثِلَةٍ لِسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ، ١٧ وَتَكُونُ بَقِيَّةُ الرُّمَاةِ، الأَبْطَالُ مِنْ أَبْنَاءِ قِيدَارَ، قِلَّةً. لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ. (أشعياء ٢١)

نبوءة لإرميا ضد قيدار وممالك حاصور

تتحدّث النبوءة عن قبائل قيدار وممالك حاصور الذين هاجمهم نبوخذناصر، وتقول أن الربَّ قد أمر بتدميرهم، وأن عدوا سوف يزحف ناحيتهم، ويستولي على خيامهم وقطعان ماشيتهم. ويقول الربُّ أنه قد أمر نبوخذنانصر ملك بابل بأن يهاجم هذه الأمة المترفة المسالمة، وأنه لن يمنعه منهم بوابات أو مزاليج، وسيكونون فريسة سهلة هم وماشيتهم، وأنهم سوف يفرّون من أمامه مذعورين؛ ويتركون بلادهم مأوى لبنات آوى لا تصلح لحياة ولا لسكن: ٢٨ نُبُوءَةٌ عَنْ قِيدَارَ وَمَمَالِكِ حَاصُورَ الَّتِي هَاجَمَهَا نَبُوخَذْنَاصَّرُ:

«هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: هُبُّوا وَازْحَفُوا عَلَى قِيدَارَ. دَمِّرُوا أُمَمَ الْمَشْرِقِ. ٢٩فَإِنَّ خِيَامَهُمْ
وَقُطْعَانَ أَغْنَامِهِمْ يُسْتَوْلَى عَلَيْهَا، وَتُؤْخَذُ أَسْتَارُهُمْ وَأَمْتِعَتُهُمْ، وَتُنْهَبُ جِمَالُهُمْ مِنْهُمْ، وَيَهْتِفُ
بِهِم الرِّجَالُ: الرُّعْبُ يُحْدِقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. ٣٠اهْرُبُوا سَرِيعاً. تَفَرَّقُوا. تَوَارَوْا فِي الأَعْمَاقِ
يَاأَهْلَ حَاصُورَ، يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ تَآمَرَ عَلَيْكُمْ وَدَبَّرَ خُطَّتَهُ ضِدَّكُمْ.
٣١هُبُّوا، وَازْحَفُوا عَلَى أُمَّةٍ مُتْرَفَةٍ تَسْكُنُ فِي دِعَةٍ، يَقُولُ الرَّبُّ. لاَ بَوَّابَاتِ لَهَا وَلاَ مَزَالِيجَ بَلْ
تَسْكُنُ مُنْفَرِدَةً. ٣٢سَتُصْبِحُ إِبِلُهُمْ غَنِيمَةً وَمَاشِيَتُهُمْ سَلْباً، وَأُذَرِّي لِكُلِّ رِيحٍ كُلَّ مَقْصُوصِي
زَوَايَا الشَّعْرِ، وَأُوقِعُ بِهِم الْبَلِيَّةَ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ: ٣٣فَتُصْبِحُ حَاصُورُ مَأْوَى
لِبَنَاتِ آوَى، وَخَرَاباً إِلَى الأَبَدِ. لاَ يُقِيمُ هُنَاكَ أَحَدٌ، وَلاَ يَتَغَرَّبُ فِيهَا إِنْسَانٌ». (إرميا – ٤٩)

تعقيـب

ورد في (الإصحاح الأول من سفر عاموس) أن الرب سوف يُسلِّط على الفلسطينيين عدوّا يجتاح مدنهم، ويُهلكهم عن آخرهم. كما ورد في (الإصحاح السابع والأربعين من سفر إرميا) أن الربَّ قد أوحى إلى إرميا أن فرعون سوف يهاجم أرض فلسطين كسيل جارف يدمّر جميع مدنهم ومدن حلفائهم كصور وصيدا وجميع مدن الساحل، ويقضي على جميع شعوبهم. كما ورد في (الإصحاح الخامس والعشرين من سفر حزقيال) أن الربَّ سوف ينتقم من الفلسطينيين والكريتيين وجميع سكان ساحل البحر؛ لأنهم أفرطوا في عدائهم لبني إسرائيل.

النبوءات الثلاث تشير إلى هلاك الفلسطينيين ومن حالفهم، وكل متنبِّئ من المتنبِّئين الثلاثة يشير إلى أن الهلاك سيقع على يد عدوّ غير الآخر، يعني ثلاثة أعداء. فعاموس يشير إلى الآشوريين، وإرميا يشير إلى المصريين، وحزقيال يشير إلى البابليين. وكل نبوءة أشارت إلى هلاك ودمار يقع بهؤلاء القوم لا تقوم لهم قائمة بعده. هل يعقل هذا؟ إما أن هناك خللا بيِّنا في تقدير قدْر الدمار والهلاك الذي تقول النبوءة: إنه سوف يقع، أو مبالغة شديدة، أو تكرارا لحدوث النبوءة على لسان كل منهم؛ لأنه يكفي دمارا واحدا كالذي وصفته أي نبوءة من النبوءات الثلاث فلا تقوم للفلسطينيين قائمة بعدها.

ورد في (الإصحاح الحادي والعشرين من سفر أشعياء) أن العدوَّ سوف يباغت قبيلة قيدار (قبيلة عربية) في غضون سنة فلا يستطيعون ردّه.

وأنا أقول: إنه بصرف النظر عن الواقع أو التاريخ، فإن فترة سنة للتنبّؤ ليست مُعْتَبَرة، ويمكن أن تكون تحليلا لوقائع معينة، أو توقُّعا لحدوثها، أو شيئا من هذا القبيل.

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر إرميا) أن الربّ قد أمر بتدمير قبيلة قيدار وممالك حاصور الذين هاجمهم نبوخذناصر.

والسؤال هو هل أمر الربُّ بتدميرهم قبل هجوم نبوخذناصر عليهم أم بعد الهجوم؟ فإذا كان الربُّ قد أمر بتدميرهم قبل هجوم نبوخذناصر عليهم، يكون هناك خلل في صياغة النبوءة. أما إذا كان الربُّ قد أمر بتدميرهم بعد الهجوم، فلا مبرِّر لأمر الربِّ إذا؛ وقد حدث الهجوم فعلا وسوف يتمُّ تدميرهم لا محالة.

الفصل الخامس عشر

نبوءات بزوال فارس وما يليها

الفصل الخامس عشر

نبوءات بزوال فارس وما يليها

نبوءة لإرميا ضد عيلام

في مستهل حكم صدقيا ملك يهوذا أوحى الربُّ إلى إرميا بنبوءة ضد عيلام (فارس) أنه سوف يحطِّم أقواسهم التي هي مصدر قوّتهم الأولى، ويوقع الرعب في قلوبهم فيفِرّون من أمام أعدائهم الذين سوف يتعقّبونهم حتى يفنوهم بسيوفهم. ويقول الرب: إنه سوف يقضي على ملكهم وكل عظمائهم، وينصُب عرشه في أرضهم. ثم يقول الربُّ: إنه سوف يرُدّ سبيهم في الأيام المقبلة: ٣٤النُّبُوءَةُ الَّتِي أَوْحَى بِهَا الرَّبُّ إِلَى إِرْمِيَا عَنْ عِيلاَمَ فِي مُسْتَهَلِّ حُكْمِ صِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا: ٣٥هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: «هَا أَنَا أُحَطِّمُ قَوْسَ عِيلاَمَ، عِمَادَ قُوَّتِهِمْ. ٣٦وَأُرْسِلُ عَلَى عِيلاَمَ الرِّيَاحَ الأَرْبَعَ مِنْ أَطْرَافِ السَّمَاءِ الأَرْبَعَةِ، وَأُذَرِّيهِمْ لِكُلِّ تِلْكَ الرِّيَاحِ، فَلاَ تَبْقَى أُمَّةٌ لاَ يُسْبَى إِلَيْهَا الْعِيلاَمِيُّونَ. ٣٧وَأُفْزِعُ عِيلاَمَ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ وَأَمَامَ طَالِبِي نُفُوسِهِمْ، وَأُعَاقِبُهُمْ بِالشَّرِّ وَبِغَضَبِي اللاَّهِبِ، وَأَجْعَلُ السَّيْفَ يَتَعَقَّبُهُمْ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ. ٣٨وَأَنْصِبُ عَرْشِي فِي عِيلاَمَ، وَأَقْضِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَعَلَى عُظَمَائِهِمْ. ٣٩وَلَكِنْ أَرُدُّ سَبْيَ عِيلاَمَ فِي الأَيَّامِ الآتِيَةِ يَقُولُ الرَّبُّ». (إرميا ٤٩)

يقول النصارى في تأويل عبارة «أنصُب عرشي في عيلام»: إن هذا تحقّق أولا على يد نبوخذناصر ملك بابل؛ فقد أخضعهم بعد هذه النبوءة، ثم جاء كورش «مسيح الرب» رمزا للمسيح المحرِّر. ويقولون في تأويل عبارة «أردُّ سبْي عيلام»: إن هذا قد تحقق جزئيا على يد كورش، ثم كلّيا بالمسيح حين وصلتهم البشارة، وأن إيمانهم بالمسيح هي العودة الحقيقية من السّبي.

حلم دانيال بالحيوانات الأربعة

في السنة الأولى من حكم بَيلْشَاصَّر مَلِكِ بَابِل شاهد دانيال في الرؤيا أربعة حيوانات عظيمة تصعُد من البحر، الأوّل على شكل أسد بجناحين كجناحي النسر، ولم يلبث حتى

اقتُلعت جناحاه وانتصب واقفا على رِجْلين كأنّه إنسان. والثاني على شكل دُبّ قائم على جنب واحد وبين أسنانه ثلاثة أضلع. والثالث على شكل نمر وله أربعة أجنحة كأجنحة الطائر وأربعة رءوس. والرابع حيوان ضخم له عشرة قرون وأسنان ضخمة من حديد افترس وسحق الحيوانات الثلاثة، ثم اقتُلعت ثلاثة قرون من قرونه ونبت قرن آخر محلها، وفيه عيون كعيون الإنسان، وفم يتكلّم مثل كلام البشر: فِي السَّنَةِ الأُولَى لِحُكْمِ بَيلْشَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ رَأَى دَانِيآلُ حُلْماً وَرُؤًى، مَرَّتْ بِرَأْسِهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فِي فِرَاشِهِ، فَدَوَّنَ الْحُلْمَ وَحَدَّثَ بِخُلاَصَةِ الرُّؤْيَا. ٢قَالَ دَانِيآلُ: «شَاهَدْتُ فِي رُؤْيَايَ لَيْلاً، وَإِذَا بِأَرْبَعِ رِيَاحِ السَّمَاءِ قَدْ هَجَمَتْ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ، ٣وَمَا لَبِثَ أَنْ صَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ يَخْتَلِفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. ٤فَكَانَ الأَوَّلُ كَالأَسَدِ بِجَنَاحَيْنِ كَجَنَاحَيِ النَّسْرِ. وَبَقِيتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى اقْتُلِعَ جَنَاحَاهُ، وَانْتَصَبَ عَلَى الأَرْضِ وَاقِفاً عَلَى رِجْلَيْنِ كَإِنْسَانٍ، وَأُعْطِيَ عَقْلَ إِنْسَانٍ. ٥وَرَأَيْتُ حَيَوَاناً آخَرَ شَبِيهاً بِالدُّبِّ، قَائِماً عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ، وَفِي فَمِهِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ثَلاَثُ أَضْلُعٍ وَقِيلَ لَهُ: «انْهَضْ وَكُلْ لَحْماً كَثِيراً». ٦ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ هَذَا حَيَوَاناً آخَرَ مِثْلَ النَّمِرِ، لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ، وَفُوِّضَتْ إِلَيْهِ سُلْطَاتٌ. ٧وَشَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدّاً، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. ٨وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونَ إِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلِعَتْ ثَلاَثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقَرْنِ عُيُونٌ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمَ. (دانيال ٧)

ويتابع دانيال رؤياه فيقول: إن عرشا قد انتُصِب، وعلى الكرسي جلس الأزليُّ (الربّ) وعليه ثياب بيضاء كالثلج، ورأسه مغطّى بشعر كالصوف النقي، وتَحُفُّ به ألوف من الملائكة، ويمثُل في حضرته ألوف منها. ويقول: إن مجلس القضاء قد انعقد، وفُتحت الدفاتر المقيّد بها مصير المخلوقات، وتكلّم القرن ونطق بكلام بالغ، وإذ بالحيوان يُقتل ويطرح جسدُه في النار، أما بقية الحيوانات فقد جرِّدت من سلطانها لكنها تُركت حيّة لأجل محدّد. ويقول دانيال أنه شاهد ما يشبه الإنسان قد أتى على متن السحاب، ولمّا وصل إلى المجلس، قرّبوه من الربِّ، فأنعم عليه بسلطان على جميع الشعوب وعلى كل الأمم إلى

أبد الآبدين: ٩وَفِيمَا كُنْتُ أَنْظُرُ، نُصِبَتْ عُرُوشٌ وَاعْتَلَى الأَزَلِيُّ كُرْسِيَّهُ وَكَانَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيباً مُتَوَهِّجاً وَعَجَلاَتُهُ نَاراً مُتَّقِدَةً. ١٠وَمِنْ أَمَامِهِ يَتَدَفَّقُ وَيَجْرِي نَهْرٌ مِنْ نَارٍ، وَتَخْدُمُهُ أُلُوفُ أُلُوفِ الْمَلاَئِكَةِ، وَيَمْثُلُ فِي حَضْرَتِهِ عَشَرَاتُ الأُلُوفِ. فَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ. ١١وَبَقِيتُ أُرَاقِبُ الْقَرْنَ مِنْ جَرَّاءِ مَا تَفَوَّهَ بِهِ مِنْ عَظَائِمَ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَتَلِفَ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُوداً لِلنَّارِ. ١٢أَمَّا سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ فَقَدْ جُرِّدَتْ مِنْ سُلْطَانِهَا، وَلَكِنَّهَا وُهِبَتِ الْبَقَاءَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لِزَمَنٍ مَا. ١٣وَشَاهَدْتُ أَيْضاً فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِمِثْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ مُقْبِلاً عَلَى سَحَابٍ حَتَّى بَلَغَ الأَزَلِيَّ فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ. ١٤فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ وَمَلَكُوتٍ لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ لاَ يَفْنَى، وَمُلْكُهُ لاَ يَنْقَرِضُ. (دانيال ٧)

تفسير حلم دانيال بالحيوانات الأربعة

ويقول دانيال: إنه طلب من أحد الواقفين أن يفسّر له هذه الرؤيا، فقال له: إن الحيوانات الأربعة العظيمة هي أربعة ملوك يملكون الأرض، ثم تكون هزيمتهم على يد طائفة من المؤمنين. وتفصيل ذلك أن آخر الممالك الأربعة سوف يكون سقوطها مختلفا لأنها ستتوسّع جدا على حساب الممالك الثلاثة التي سبقتها، وسوف يتولّى زمام المُلْك فيها عشرة ملوك دفعة واحدة، ثم يأتي ملك آخر فيقوم بقهر ثلاثة منهم وإخضاع ممالكهم لسلطانه. وسوف يكون هذا الملك قاسيا جبّارا، وسوف ينصبُّ عداؤه على المؤمنين؛ فينكِّل بهم، ويستهين بالشريعة، وسوف تكون نهايته سريعة كبدايته، وتُوهَبُ المملكةُ إلى شعب الربِّ، ويكون مُلْكُهم مُلْكا أبديا، ويخضع لهم جميع السلاطين ويطيعونهم. ويقول دانيال: إن الرؤيا أفزعته، وغيّرت من هيئته؛ لكنّه كتم أمرها في قلبه: ١٥أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ فَقَدْ رَانَ الْحُزْنُ عَلَى رُوحِي فِي دَاخِلِي وَرَوَّعَتْنِي رُؤَى رَأْسِي. ١٦فَاقْتَرَبْتُ مِنْ أَحَدِ الْوَاقِفِينَ أَسْتَفْسِرُ مِنْهُ حَقِيقَةَ الأَمْرِ، فَأَطْلَعَنِي عَلَى مَعْنَى الرُّؤْيَا قَائِلاً: ١٧«هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الأَرْبَعَةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ يَظْهَرُونَ عَلَى الأَرْضِ. ١٨غَيْرَ أَنَّ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْمَمْلَكَةِ وَيَتَمَلَّكُونَهَا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. ١٩حِينَئِذٍ أَرَدْتُ أَنْ أَطَّلِعَ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَيَوَانِ الرَّابِعِ الَّذِي كَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ،..... ٢٣فَأَجَابَ: إِنَّ الْحَيَوَانَ الرَّابِعَ هُوَ رَمْزٌ لِلْمَمْلَكَةِ الرَّابِعَةِ عَلَى الأَرْضِ، وَهِيَ

تَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ لأَنَّهَا تَسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَتُخْضِعُهَا وَتَسْحَقُهَا. ٢٤ أَمَّا الْقُرُونُ الْعَشَرَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فَهِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ يَتَوَلَّوْنَهَا، ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخْضِعُ ثَلاَثَةَ مُلُوكٍ، ٢٥ وَيُعَيِّرُ الْعَلِيَّ وَيُنَكِّلُ بِقِدِّيسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الأَوْقَاتَ وَالْقَوَانِينَ، فَيُذِلُّ الْقِدِّيسِينَ ثَلاَثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفَ السَّنَةِ. ٢٦ وَلَكِنْ يَنْعَقِدُ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ، فَيُجَرَّدُ مِنْ سُلْطَانِهِ فَيُدَمَّرُ وَيَفْنَى إِلَى الْمُنْتَهَى. ٢٧ وَتُوهَبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتاً أَبَدِيّاً، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلاَطِينِ وَيُطِيعُونَهُ. ٢٨ إِلَى هُنَا خِتَامُ الرُّؤْيَا. أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ فَقَدْ رَوَّعَتْنِي أَفْكَارِي كَثِيراً وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتِي، وَلَكِنِّي كَتَمْتُ الأَمْرَ فِي قَلْبِي». (دانيال ٧)

يفسِّر النصارى النبوءة بقولهم: إن الأسد بجناحي نسر يشير إلى مملكة بابل، والصدر والذراعين إلى مملكة مادي وفارس، والدبّ إلى مملكة اليونان، والنمر إلى الإمبراطورية الرومانية. ويقولون: إن الحيوان الهائل هو صورة جديدة للدولة الرمانية، والثلاثة أضلع بين أسنانه هم بابل ومصر وليديا، وجهة الجنوب مقصود بها مصر، وجهة الغرب مقصود بها اليونان وتركيا، والأربعة رءوس هم أربعة ملوك خلفوا الإسكندر، والوحش الجديد الذي ليس له شبيه هو الدولة الرومانية، والعشرة قرون هم عشرة أباطرة سوف يحكمون الدولة الرومانية (بشكلها الجديد)، والقرن الصغير هم اليهود. وما أعقب ذلك هو الدينونة؛ فهم قوى بدأت صغيرة ثم نمت وتحوّلت لقوى عظيمة اضطهدت شعب الله.

حلم دانيال بالكبش والتيس

في رؤيا لدانيال في السنة الثالثة من حكم بَيلْشَاصَّر مَلِكِ بابل يقول: إنه رأى كبشا له قرنان؛ أحدهما أطول من الآخر، وكان الكبش ينْطَحُ ما حوله غربا وشمالا وجنوبا فلا يقدر حيوان على مقاومته. وفجأة اندفع تيس من جهة الغرب فهجم على الكبش بقرن بارز بين عينيه فصرعه وحطّم قرنيه. وعظُمَ شأنُ التيس بين الحيوانات، لكن ما لبث قرنُه العظيم أن انكسر، ونبتت عوضا عنه أربعة قرون برزت نحو الجهات الأربع: وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مُدَّةِ حُكْمِ بَيلْشَاصَّرَ الْمَلِكِ، ظَهَرَتْ لِي أَنَا دَانِيآلَ رُؤْيَا أُخْرَى بَعْدَ الرُّؤْيَا الأُولَى، ٢ وَكُنْتُ آنَئِذٍ فِي شُوشَانَ عَاصِمَةِ وِلاَيَةِ عِيلاَمَ بِجِوَارِ نَهْرِ أُولاَيَ، ٣ فَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَإِذَا بِي أَرَى كَبْشاً وَاقِفاً

عِنْدَ النَّهرِ، وَلَهُ قَرْنَانِ طَوِيلاَنِ. إِنَّمَا أَحَدُهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الآخرِ، مَعَ أَنَّ الأَطْوَلَ نَبَتَ بَعْدَ الأَوَّلِ.
٤وَرَأَيْتُ الْكَبْشَ يَنْطَحُ غَرْباً وَشِمَالاً وَجَنُوباً، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْرُؤَ أَيُّ حَيَوَانٍ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مُنْقِذٍ مِنْهُ، فَفَعَلَ كَمَا يَحْلُو لَهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ ٥وَبَيْنَمَا كُنْتُ مُتَأَمِّلاً، أَقْبَلَ تَيْسٌ مِنَ الْمَغْرِبِ عَبْرَ كُلِّ الأَرْضِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّهَا. وَكَانَ لِلتَّيْسِ قَرْنٌ بَارِزٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. ٦وَانْدَفَعَ بِكُلِّ شِدَّةِ قُوَّتِهِ نَحْوَ الْكَبْشِ ذِي الْقَرْنَيْنِ الَّذِي رَأَيْتُهُ وَاقِفاً عِنْدَ النَّهرِ. ٧وَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَيْهِ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ وَحَطَّمَ قَرْنَيْهِ، فَعَجَزَ الْكَبْشُ عَنْ صَدِّهِ. وَطَرَحَهُ التَّيْسُ عَلَى الأَرْضِ وَدَاسَهُ وَلَمْ يَكُنْ لِلْكَبْشِ مَنْ يُنْقِذُهُ مِنْ يَدِهِ. ٨فَعَظُمَ شَأْنُ التَّيْسِ. وَعِنْدَمَا اعْتَزَّ انْكَسَرَ الْقَرْنُ الْعَظِيمُ وَنَبَتَ عِوَضاً عَنْهُ أَرْبَعَةُ قُرُونٍ بَارِزَةٍ نَحْوَ جِهَاتِ الأَرْضِ الأَرْبَعِ. (دانيال ٨)

ويتابع دانيال رؤياه قائلا: ولم يلبث أن برز من أحد هذه القرون الأربعة قرن صغير، وأخذ القرن ينمو وينمو حتى عظُم أمرُه وامتد جنوبا وشرقا ونحو أرض إسرائيل. ويقول دانيال أن هذا القرن تحدّى كلّ ملوك الأرض، وتطاول على شريعة الله، وألغى المحرقة، وهدم الهيكل. ويقول: إنه سمع أحد الملائكة يسأل الآخر إلى متى يستمر ذلك الفساد؟ فيجيبه الآخر إلى ٢٣٠٠ يوم ثم يتطهّر الهيكل: ٩وَنَمَا مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا قَرْنٌ صَغِيرٌ عَظُمَ أَمْرُهُ، وَامْتَدَّ جَنُوباً وَشَرْقاً وَنَحْوَ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، ١٠وَبَلَغَ مِنْ عَظَمَتِهِ أَنَّهُ تَطَاوَلَ عَلَى مُلُوكِ الأَرْضِ وَقَضَى عَلَى بَعْضِهِمْ وَدَاسَ عَلَيْهِمْ، ١١وَتَحَدَّى حَتَّى رَئِيسِ الْجُنْدِ، وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ، وَأَلْغَى الْمُحْرَقَةَ الدَّائِمَةَ وَهَدَمَ الْهَيْكَلَ. ١٢وَبِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ سُلِّطَ عَلَى جُنْدِ الْقِدِّيسِينَ وَعَلَى الْمُحْرَقَةِ الْيَوْمِيَّةِ. وَحَالَفَهُ التَّوْفِيقُ فِي كُلِّ مَا صَنَعَ فَطَرَحَ الْحَقَّ عَلَى الأَرْضِ. ١٣فَسَمِعْتُ قُدُّوساً يَتَكَلَّمُ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ قُدُّوسٌ آخَرُ: «كَمْ يَطُولُ زَمَنُ الرُّؤْيَا بِشَأْنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَمَعْصِيَةِ الْخَرَابِ، وَتَسْلِيمِ الْهَيْكَلِ وَالْجُنْدِ لِيَكُونُوا مَدُوسِينَ؟» ١٤فَأَجَابَهُ: «إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلاَثِ مِئَةِ يَوْمٍ ثُمَّ يَتَطَهَّرُ الْهَيْكَلُ». (دانيال ٨)

جبرائيل يفسّر ما رآه دانيال في رؤياه

يقول دانيال: إنه طلب تفسيرا لهذه الرؤيا، وإذ به يرى الربَّ في هيئة إنسان، ويسمع صوتا صادرا من بين ضفتي نهر أولاي يقول يا جبرائيل فسّر له الرؤيا، فيقول جبرائيل: إن ما رأيته سوف يحدُث عندما يشاء الله، أما الكبش ذو القرنين فهو ملوك مادي وفارس،

والتيس الأشعر هو ملك اليونان، والقرن النابت بين عينيه هو أول ملك لهذه المملكة، وما إن يسقط حتى يخلفه أربعة ملوك يتقاسمون مملكته ولكنهم لن يكونوا في مثل قوته. وبسبب معاصيهم وما يقترفوه من آثام سوف يسلّط الله عليهم ملكا فظّا داهية ينزع الملك منهم ويعيث في الأرض فسادا، ويجدّف على الله فتكون نهايته داءا يصيبه فلا يبرأ منه حتى يلقي حتفه. وقال جبرائيل لدانيال إن ما رأيته هو ما سيقع بعد فترة الـ ٢٣٠٠ يوم، لكن لا تتكلّم بما رأيت حتى يأتي وقته:
١٥وَبَعْدَ أَنْ شَاهَدْتُ أَنَا دَانِيآلَ الرُّؤْيَا وَطَلَبْتُ تَفْسِيراً لَهَا، إِذَا بِشِبْهِ إِنْسَانٍ وَاقِفٍ أَمَامِي. ١٦وَسَمِعْتُ صَوْتَ إِنْسَانٍ صَادِراً مِنْ بَيْنِ ضَفَّتَيْ نَهْرِ أُولاَيَ قَائِلاً: «يَاجِبْرَائِيلُ، فَسِّرْ لِهَذَا الرَّجُلِ الرُّؤْيَا». ١٧فَجَاءَ إِلَيَّ حَيْثُ وَقَفْتُ، فَتَوَلاَنِي الْخَوْفُ وَانْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ لِي: «افْهَمْ يَاابْنَ آدَمَ. إِنَّ الرُّؤْيَا تَخْتَصُّ بِوَقْتِ الْمُنْتَهَى». ١٨وَفِيمَا كَانَ يُخَاطِبُنِي وَأَنَا مُكِبٌّ بِوَجْهِي إِلَى الأَرْضِ غَشِيَنِي سُبَاتٌ عَمِيقٌ، فَلَمَسَنِي وَأَنْهَضَنِي عَلَى قَدَمَيَّ، ١٩وَقَالَ: «هَا أَنَا أُطْلِعُكَ عَلَى مَا سَيَحْدُثُ فِي آخِرِ حِقْبَةِ الْغَضَبِ، لأَنَّ الرُّؤْيَا تَرْتَبِطُ بِمِيعَادِ الانْتِهَاءِ. ٢٠إِنَّ الْكَبْشَ ذَا الْقَرْنَيْنِ الَّذِي رَأَيْتَهُ هُوَ مُلُوكُ مَادِي وَفَارِسَ. ٢١وَالتَّيْسَ الأَشْعَرَ هُوَ مَلِكُ الْيُونَانِ، وَالْقَرْنَ الْعَظِيمَ النَّابِتَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ هُوَ الْمَلِكُ الأَوَّلُ. ٢٢وَمَا إِنِ انْكَسَرَ حَتَّى خَلَفَهُ أَرْبَعَةٌ عِوَضاً عَنْهُ، تَقَاسَمُوا مَمْلَكَتَهُ وَلَكِنْ لَمْ يُمَاثِلُوهُ فِي قُوَّتِهِ. ٢٣وَفِي أَوَاخِرِ مُلْكِهِمْ عِنْدَمَا تَبْلُغُ الْمَعَاصِي أَقْصَى مَدَاهَا، يَقُومُ مَلِكٌ فَظٌّ حَاذِقٌ دَاهِيَةٌ، ٢٤فَيَعْظُمُ شَأْنُهُ، إِنَّمَا لَيْسَ بِفَضْلِ قُوَّتِهِ. وَيُسَبِّبُ دَمَاراً رَهِيباً وَيُفْلِحُ فِي الْقَضَاءِ عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَيَقْهَرُ شَعْبَ اللهِ. ٢٥وَبِدَهَائِهِ وَمَكْرِهِ يُحَقِّقُ مَآرِبَهُ، وَيَتَكَبَّرُ فِي قَلْبِهِ وَيُهْلِكُ الْكَثِيرِينَ وَهُمْ فِي طُمَأْنِينَةٍ، وَيَتَمَرَّدُ عَلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ لَكِنَّهُ يَتَحَطَّمُ بِغَيْرِ يَدِ الإِنْسَانِ. ٢٦وَرُؤْيَا الأَلْفَيْنِ وَالثَّلاَثِ مِئَةِ يَوْمٍ الَّتِي تَجَلَّتْ لَكَ هِيَ رُؤْيَا حَقٌّ، وَلَكِنِ اكْتُمِ الرُّؤْيَا لأَنَّهَا لَنْ تَتَحَقَّقَ إِلاَّ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ».
٢٧فَضَعُفْتُ أَنَا دَانِيآلَ وَنَحَلْتُ أَيَّاماً، ثُمَّ قُمْتُ وَعُدْتُ أُبَاشِرُ أَعْمَالَ الْمَلِكِ. وَرَوَّعَتْنِي الرُّؤْيَا، وَلَمْ أَكُنْ أَفْهَمُهَا. (دانيال ٨)

يقول النصارى: إن نبوات هذا الإصحاح تتحدّث عن المملكتين القريبتين فارس واليونان، وقصد الله أن يعزّي شعبه ويخبرهم عن الأيام الآتية وحتى نهاية الزمان. والكبش ذو القرنين هما مملكتي مادي وفارس. وكانت فارس هي الأصغر لكنها صارت الأكبر. وهم في فتوحاتهم لم يتّجهوا أبدا ناحية الشرق.

ويقولون: إن تيس الماعز هو الإسكندر الأكبر الذي أتى من الغرب، واصطدم مع الفرس في ثلاث معارك انتصر فيها. ومات الإسكندر ولم يترك ابنا يرثه فاقتسم قادتُه الأربعةُ مملكته.

ويقولون: إن القرن الصغير يشير للملك من نسل السلوكيين وهو أنطيوخس إبيفانيوس؛ أي اللامع، لكن اليهود - تلاعبا بالألفاظ - أطلقوا عليه إبيمانس؛ أي المجنون.

ويقولون: إن فخر الأراضي تشير إلى أورشليم ففيها سيولد المسيح، وأن المدة المذكورة تساوي نفس المدة من يوم دنّس اليونانيون الهيكل حتى تطهّر بواسطة منيلاوس رئيس الكهنة من سنة ١٧١ ق. م إلى سنة ١٦٥ ق. م

ويقولون: إنه فيما يتعلق بأنطيوخس ابيفانيوس؛ فكما شرح الملاك لدانيال من أنه سيأتي في نهاية مملكة اليونان؛ حين يملأ اليهود كأس معاصيهم ويكونون مستحقِّين لهذا الخراب، ويكون هذا الملك قضيب تأديب لهم، وتعظُم قوته، وهذا ما يجعلُنا نُطبّقه على ضد المسيح.

رؤيا لدانيال عن الأيّام المُقبِلة

في هذه الرؤيا رأى دانيالُ الربَّ مرتديا ثوبا من الكتان، ومتمنطقا بحزام من ذهب نقي، وجسمه كالزبرجد، ووجه يتألّق كما يتألّق البرْقُ، وعيناه تتوهّجان كمصباحين، وذراعاه ورجلاه تلمع كنحاس مصقول، ويتكلّم بصوت جهوري. ويقول دانيال: إنه أحسّ بالرهبة والخور (الضعف)، وسقط على وجهه مغشيّا عليه، وراح في سبات عميق: وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِحُكْمِ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ،..... ٤وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ، بَيْنَمَا كُنْتُ إِلَى جِوَارِ نَهْرِ دِجْلَةَ الْكَبِيرِ، ٥تَطَلَّعْتُ حَوْلِي فَإِذَا بِرَجُلٍ مُرْتَدٍ كَتَّاناً، وَحَقَوَاهُ مُتَحَزِّمَانِ بِنِطَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، ٦وَجِسْمُهُ كَالزَّبَرْجَدِ، وَوَجْهُهُ يَتَأَلَّقُ كَالْبَرْقِ وَعَيْنَاهُ تَتَوَهَّجَانِ كَمِصْبَاحَيْ نَارٍ، وَذِرَاعَاهُ وَرِجْلاَهُ لاَمِعَةٌ كَالنُّحَاسِ الْمَصْقُولِ، وَأَصْدَاءُ كَلِمَاتِهِ كَجَلَبَةِ جُمْهُورٍ. ٧كُنْتُ وَحْدِي أَنَا دَانِيآلَ الَّذِي شَاهَدْتُ الرُّؤْيَا،..... ٨وَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي أَشْهَدُ الرُّؤْيَا الْعَظِيمَةَ، وَقَدْ تَلاَشَتْ مِنِّي الْقُوَّةُ، وَتَحَوَّلَتْ نَضَارَتِي إِلَى ذُبُولٍ، وَفَقَدْتُ قُدْرَتِي. ٩وَمَا إِنْ سَمِعْتُ أَصْدَاءَ كَلِمَاتِهِ حَتَّى سَقَطْتُ عَلَى وَجْهِي إِلَى الأَرْضِ يَغْشَانِي سُبَاتٌ عَمِيقٌ. (دانيال ١٠)

ويتابع دانيال قوله بأن الملاك جبرائيل أقبل عليه، وأمسك بيديه، وساعده على النهوض؛ فجثا على يديه وركبتيه وهو يرتجف، وأن الملاك قال له: قف على رجليك واسمع لما سأقوله لك؛ فنهض وهو يرتعد. وقال له الملاك لا تخف يا دانيال فقد استجاب الله لتضرُّعاتك، وأرسلني لتلبيتها لك لكن ملك فارس قاومني مدة ٢١ يوما، فأقبل الملاك ميخائيل لمعونتي بعد أن حُجزتُ هناك عند ملوك فارس. وقد جئت الآن لأطلعك على ما سوف يصيب بني إسرائيل في الأيام الأخيرة لأن الرؤيا تتعلّق بالأيام المقبلة: ١٠وَإِذَا بِيَدٍ لَمَسَتْنِي وَأَقَامَتْنِي، وَأَنَا أَرْتَجِفُ عَلَى يَدَيَّ وَرُكْبَتَيَّ ١١وَقَالَ لِي: «يَادَانِيآلُ، أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْبُوبُ، افْهَم الْكَلاَمَ الَّذِي أُخَاطِبُكَ بِهِ، وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لأَنَّنِي قَدْ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ».....
١٢فَقَالَ لِي: «لاَ تَخَفْ يَادَانِيآلُ، فَمُنْذُ الْيَوْمِ الأَوَّلِ الَّذِي عَزَمْتَ فِيهِ عَلَى الْفَهْمِ، وَتَذَلَّلْتَ أَمَامَ إِلهِكَ، سُمِعَتْ تَضَرُّعَاتُكَ، وَهَا أَنَا جِئْتُ تَلْبِيَةً لَهَا. ١٣غَيْرَ أَنَّ رَئِيسَ مَمْلَكَةِ فَارِسَ قَاوَمَنِي وَاحِداً وَعِشْرِينَ يَوْماً. فَأَقْبَلَ مِيخَائِيلُ، أَحَدُ كِبَارِ الرُّؤَسَاءِ لِمَعُونَتِي، بَعْدَ أَنْ حُجِزْتُ هُنَاكَ عِنْدَ مُلُوكِ فَارِسَ. ١٤وَقَدْ جِئْتُ الآنَ لأُطْلِعَكَ عَلَى مَا يُصِيبُ شَعْبَكَ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ، لأَنَّ الرُّؤْيَا تَخْتَصُّ بِالأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ». (دانيال ١٠)

ويتابع دانيال قوله بأنه أطرق بوجهه إلى الأرض دون أن يتكلّم، وإذ بيد الله تلمس شفتاه؛ ففتح فمه وقال لجبرائيل كيف تتجرّأ على التحدُّث إليه (مومئا إلى الربِّ) فأنا لم أجد في نفسي قدرة على ذلك؟ فعاد الربُّ وشدّه إليه وقال له: لا تخف أيها الرجل المحبوب، فاستعاد رباطة جأشه، وقال أنا مُنصت إليك يا سيدي، فقال له الربُّ هل أدركت الآن لماذا جئتُ إليك؟ لأنني ذاهب لأحارب ملك فارس وأردت أن أُطلِعَكَ على ما سيحدث، وما إن أنتهي من ملك فارس حتى أُسلِّط عليه ملك اليونان. والواقع أنني لا أجد مؤازرا لي ضد هؤلاء جميعا سوى حارس شعبكم الملاك ميخائيل: ١٥فَلَمَّا خَاطَبَنِي بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ، أَطْرَقْتُ بِوَجْهِي إِلَى الأَرْضِ وَصَمَتُّ، ١٦وَإِذَا بِشِبْهِ بَنِي الْبَشَرِ لَمَسَ شَفَتَيَّ، فَفَتَحْتُ فَمِي وَقُلْتُ لِلْمَاثِلِ أَمَامِي: «يَاسَيِّدِي، قَدْ غَلَبَتِنِي الآلاَمُ بِسَبَبِ الرُّؤْيَا، فَمَا امْتَلَكْتُ قُوَّةً، ١٧فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ عَبْدُ سَيِّدِي هَذَا أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَ سَيِّدِي، وَقَدْ نَضَبَتْ مِنِّي الْقُوَّةُ، وَلَمْ تَبْقَ فِيَّ نَسَمَةٌ؟» ١٨فَعَادَ مَنْ هُوَ فِي شِبْهِ إِنْسَانٍ وَلَمَسَنِي وَشَدَّدَنِي، ١٩وَقَالَ: «لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْبُوبُ؛ سَلاَمٌ لَكَ. تَقَوَّ وَتَشَجَّعْ». وَحَالَمَا كَلَّمَنِي دَبَّتْ فِيَّ الْقُوَّةُ وَقُلْتُ: «لِيَتَكَلَّمْ سَيِّدِي لأَنَّكَ شَدَّدْتَنِي». ٢٠فَسَأَلَنِي:

«هَلْ أَدْرَكْتَ لِمَاذَا جِئْتُ إِلَيْكَ وَالآنَ هَا أَنَا أَعُودُ لأُحَارِبَ رَئِيسَ فَارِسَ، وَمَا إِنْ أَنْتَهِي مِنْهُ حَتَّى يُقْبِلَ رَئِيسُ الْيُونَانِ. ٢١ وَلَكِنِّي أُطْلِعُكَ عَلَى مَا نُصَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ الْحَقِّ، وَلاَ أَحَدٌ يُؤَازِرُنِي ضِدَّ هَؤُلاَءِ سِوَى حَارِسِ شَعْبِكُمُ الْمَلاَكِ مِيخَائِيلَ». (دانيال ١٠)

يقول النصارى: إن الإصحاحات من العاشر حتى الثاني عشر هي نبوّة واحدة أظهرها الله لمصلحة الكنيسة؛ ليس بالرموز والعلامات كما سبق، لكنها تأتي هنا بصورة واضحة وكلمات محدّدة كمن يقُصّ تاريخًا قد حدث أو يحكي حكاية قد رآها. وقد أُعطَى دانيال هذه الرؤيا بعد سنتين من عودة اليهود من السبي، وهي نبوات خاصة بالعلاقة بين البطالسة في مصر والسلوكيين في سوريا، وتنتهي بموت أنطيوخس إيبفانيوس، وفيها نبوّات واضحة عن ضد المسيح، وتُحدِّثنا عن الضيقة العظيمة ونهاية الأزمنة. ويرى النصارى أن الرجل لابس الكتان يمثل إحدى ظهورات المسيح قبل التجسُّد.

نبوءة لدانيال بزوال سلطان فارس وما يلي ذلك

يقول الملاك جبرائيل لدانيال: إنه في السنة الأولى لحكم داريوس كان يدعمه ويؤازره، وأنه سوف يتولّى حكم فارس ثلاثة ملوك، وتكون البلاد تحت حكمهم في استقرار وأمان، وأنه سوف يأتي رابع فيتحرّش بمملكة اليونان؛ فيكون ذلك سببا في دفع ملكها العظيم إلى غزو الفرس والسيطرة على بلادهم. ثم يموت ملك اليونان العظيم بدون عقب، فتنقسم مملكته إلى أربعة ممالك صغيرة: «فَقَدْ سَبَقَ لِي فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنْ حُكْمِ دَارِيُوسَ الْمَادِيِّ أَنْ آزَرْتُهُ وَشَدَّدْتُهُ. ٢ وَالآنَ لأَكْشِفَنَّ لَكَ الْحَقِيقَةَ، فَهَا ثَلاَثَةُ مُلُوكٍ يَتَوَلَّوْنَ حُكْمَ فَارِسَ، يَعْقُبُهُمْ رَابِعٌ يَكُونُ أَوْفَرَهُمْ ثَرَاءً. وَبِفَضْلِ قُوَّةِ غِنَاهُ يُثِيرُ الْجَمِيعَ عَلَى مَمْلَكَةِ الْيُونَانِ. ٣ وَلَكِنْ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْيُونَانِ مَلِكٌ عَاتٍ يَتَمَتَّعُ بِسُلْطَانٍ عَظِيمٍ، وَيَفْعَلُ مَا يَحْلُو لَهُ. ٤ وَلَكِنْ فِي ذِرْوَةِ قُوَّتِهِ تَنْقَسِمُ مَمْلَكَتُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، فَلاَ تَكُونُ لِعَقِبِهِ، وَلاَ تَكُونُ فِي مِثْلِ قُوَّةِ مُلْكِهِ، بَلْ يَتَوَلاَّهَا آخَرُونَ. أَمَّا سُلْطَانُهُ فَيَنْقَرِضُ. (دانيال ١١)

ويتابع دانيال رؤياه بقوله: إنه في جنوب الإمبراطورية اليونانية تنمو قوّة عظيمة، ويظهر فيها ملك يكون أكثر قوّة من كل من سبقوه، ويتّسع نفوذه وسلطانه، ويسعى إلى الوحدة مع ملك الشمال فيزوّجه ابنته؛ لكن هذا الزواج يتسبّب في فتنة عظيمة في مملكة

الشمال، وتُقتل ابنة ملك الجنوب وكذلك ملك الشمال بيد زوجته. فيقوم أخو ابنة ملك الجنوب بغزو مملكة الشمال انتقاما لأخته، ويُنكّل بهم ويأخذ السبايا وينهب النفائس. وتستمر الحرب سجالا بين ملك الجنوب وملك الشمال؛ فينتصر ملك الجنوب تارة وينتصر ملك الشمال تارة، ثم يُهزم ملك الشمال هزيمة نكراء تدفعه إلى إعداد جيش أضخم من كل جيوشه السابقة، ويهجم به على مملكة الجنوب فيستولي على إحدى مدنها الحصينة لأن ملك الجنوب يكون منشغلا بثورة داخلية، ثم يتابع هجومه فيستولي على المزيد من البلاد من ضمنها أرض إسرائيل ويُخضعها لسلطانه، ثم تكون هناك مفاوضات بين الطرفين للصلح، ويُزوّج ملكُ الشمال ابنته لملك الجنوب لتكون عينا له لكن ابنته تأخذ جانب زوجها، فيتحوّل إلى مدن الساحل ليستولي عليها لكنه يجد مقاومة شديدة وتُلحق به الهزيمة فيعود أدراجه إلى حصونه ليحتمي بها من ملاحقتهم فيموت غيلة ويختفي ذكره: ٥ثُمَّ تَنْمُو قُوَّةُ الْجَنُوبِ غَيْرَ أَنَّ وَاحِداً مِنْ قُوَّادِ مَلِكِ الْيُونَانِ الْمُنْقَرِضِ يُصْبِحُ أَكْثَرَ قُوَّةً مِنْهُ، وَيَتَّسِعُ نُفُوذُهُ وَسُلْطَانُهُ. ٦وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ يَعْقِدُ الْمَلِكَانِ مُعَاهَدَةَ سَلاَمٍ، تُصْبِحُ فِيهَا ابْنَةُ مَلِكِ الْجَنُوبِ زَوْجَةً لِمَلِكِ الشِّمَالِ، وَلَكِنَّهَا تَفْقِدُ تَأْثِيرَهَا عَلَيْهِ، فَلاَ تَتَحَقَّقُ لَهَا وَلاَ لأَبِيهَا وَلاَ لابْنِهَا وَلاَ لِمَنْ آزَرَهَا فِي تِلْكَ الأَوْقَاتِ آمَالٌ. ٧وَيَتَوَلَّى مِنْ فَرْعِ أُصُولِهَا (أَيْ أَخُوهَا) الْمُلْكَ، فَيَزْحَفُ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ وَيَقْتَحِمُ حِصْنَ مَلِكِ الشِّمَالِ وَيُنَكِّلُ بِهِمْ وَيَقْهَرُهُمْ. ٨وَيَسْبِي إِلَى مِصْرَ آلِهَتَهُمْ مَعَ أَصْنَامِهِمْ وَالآنِيَةِ النَّفِيسَةِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. ثُمَّ يَتَوَقَّفُ عَنْ مُحَارَبَةِ مَلِكِ الشِّمَالِ لِعِدَّةِ سَنَوَاتٍ. ٩ثُمَّ يَغْزُو مَلِكُ الشِّمَالِ أَرْضَ مَلِكِ الْجَنُوبِ وَلَكِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى أَرْضِهِ فَاشِلاً. ١٠إِلاَّ أَنَّ بَنِي مَلِكِ الشِّمَالِ يَثُورُونَ وَيَحْشِدُونَ جُيُوشاً عَظِيمَةً، تَتَقَدَّمُ كَالطُّوفَانِ عَبْرَ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَتَهْجُمُ عَلَى أَرْضِ مَلِكِ الْجَنُوبِ حَتَّى تَبْلُغَ الْعَاصِمَةَ. ١١فَيَنْفَجِرُ مَلِكُ الْجَنُوبِ غَيْظاً، فَيُجَنِّدُ جُيُوشاً هَائِلَةً وَيَخْرُجُ وَيُحَارِبُ مَلِكَ الشِّمَالِ وَيَقْهَرُ جُيُوشَهُ ١٢وَيَقْضِي عَلَيْهَا، وَيُفْنِي عَشَرَاتِ الأُلُوفِ، وَيَشْمَخُ قَلْبُهُ. غَيْرَ أَنَّ ١٣مَلِكَ الشِّمَالِ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يُجَنِّدَ جَيْشاً عَرَمْرَماً أَضْخَمَ مِنَ الْجَيْشِ السَّابِقِ، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ يَزْحَفُ بِقُوَّاتِهِ الْكَبِيرَةِ وَعُدَّتِهِ الْعَظِيمَةِ. ١٤وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ يَتَمَرَّدُ كَثِيرُونَ عَلَى مَلِكِ الْجَنُوبِ، وَيَثُورُ الْمُتَمَرِّدُونَ مِنْ أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، وَلَكِنَّهُمْ يُخْفِقُونَ، وَذَلِكَ لإِتْمَامِ الرُّؤْيَا. ١٥وَيُقْبِلُ مَلِكُ الشِّمَالِ وَيُقِيمُ مَتَارِيسَ الْحِصَارِ، وَيَسْتَوْلِي عَلَى مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ، وَتَعْجِزُ قُوَّاتُ مَلِكِ الْجَنُوبِ وَفِرَقُهُ الْمُنْتَخَبَةُ عَنْ صَدِّهِ، لأَنَّهَا تَفْقِدُ كُلَّ قُوَّةٍ. ١٦أَمَّا

الْمَلِكُ الْغَازِي فَيَفْعَلُ مَا يَطِيبُ لَهُ، ولاَ أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ. وَيَسْتَوْلِي عَلَى الأَرْضِ الْبَهِيَّةِ وَيُخْضِعُهَا لِسُلْطَانِهِ. ١٧ وَيُوَطِّدُ الْعَزْمَ عَلَى دُخُولِ أَرْضِ مَلِكِ الْجَنُوبِ بِكُلِّ جُيُوشِهِ، إلاَّ أَنَّهُ يَحْمِلُ مَعَهُ شُرُوطَ صُلْحٍ. وَيُزَوِّجُ مَلِكَ الْجَنُوبِ مِنِ ابْنَتِهِ لِتَكُونَ لَهُ عَيْناً علَيْهِ. وَلَكِنَّ خُطَّتَهُ لاَ يُحَالِفُهَا النَّجَاحُ. ١٨ فَيَتَحَوَّلُ نَحْوَ مُدُنِ سَاحِلِ الْبَحْرِ وَيَسْتَوْلِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا، غَيْرَ أَنَّ قَائِداً يَرُدُّهُ عَنْهَا وَيُلْحِقُ بِهِ عَارَ الْهَزِيمَةِ. ١٩ فَيَرْجِعُ إِلَى حُصُونِ أَرْضِهِ، فَتَعْتَرِضُهُ الْعَقَبَاتُ فِي أَثْنَاءِ عَوْدَتِهِ فَيَتَعَثَّرُ وَيَخْتَفِي ذِكْرُهُ. (دانيال ١١)

ويتابع دانيال رؤياه بقوله: إنه يخْلُفُ ملِكَ الشمال من يجتهد في جمع الجزية من بني إسرائيل، ويشتدُّ في فرضها عليهم؛ فيغتاله أحدُ قوّاده ويعتلي عرش المملكة. ولما كان هذا الأخير يتّصِف بالدهاء والمكر، فإنه سيتمكّن من تحقيق انتصارات كثيرة، وقهر جيوشٍ قويّة، ولن يسلم من أذاه حتى معاهدوه وحلفاؤه. ويقول دانيال أنه سوف يُعِدُّ جيشا قويا لقتال ملك الجنوب، لكنه لا يقدر على هزيمته بسبب تآمر بعضِ قوّاده عليه؛ فتكون بينهما مفاوضات للصلح، ويعود إلى مملكته بغنائم كثيرة. ولما كان بنو إسرائيل يقفون بجانب ملك الجنوب فقد أضمر في نفسه أن يهاجم بلادهم ويدمّر أرضهم. وعندما يشرع بذلك الهجوم، يفاجأ بسفن حربية من جهة قبرص تنقضُّ على جيشه؛ فتوقع به خسائر كبيرة، فيزداد غيظُه على بني إسرائيل، فتهاجم بعضُ قوّاته حصن الهيكل، وتزيل المحرقة، وتنصُبُ فيه تماثيل لآلهتهم ويقتلون وينهبون. ويقول دانيال أنه سوف يتعرّض المؤمنون من شعب بني إسرائيل للاضطهاد، أما المنافقون منهم فسوف ينضمّون إلى المعتدي حتى يتم وعدُ الله: ٢٠ ثُمَّ يَعْتَلِي الْعَرْشَ بَعْدَهُ مَنْ يَبْعَثُ جُبَاةَ الْجِزْيَةِ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنَّهُ فِي غُضُونِ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ تُصِيبُهُ الْهَزِيمَةُ مِنْ غَيْرِ فِتْنَةٍ وَلاَ حَرْبٍ. ٢١ وَيَخْلُفُهُ حَقِيرٌ لَمْ يُنْعَمْ عَلَيْهِ بِجَلاَلِ الْمُلْكِ، إِنَّمَا يُحْرِزُ الْعَرْشَ فَجْأَةً، وَيَتَوَلَّى زِمَامَ الْمَمْلَكَةِ بِالْمُدَاهَنَةِ. ٢٢ وَيَمْحَقُ جُيُوشاً بِأَسْرِهَا فَتَنْدَحِرُ أَمَامَهُ، وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ. ٢٣ وَمُنْذُ اللَّحْظَةِ الَّتِي يُبْرِمُ فِيهَا عَهْداً يَتَصَرَّفُ بِمَكْرٍ، وَيُحْرِزُ قُوَّةً وَعَظَمَةً بِنَفَرٍ قَلِيلٍ، ٢٤ يَقْتَحِمُ فَجْأَةً أَخْصَبَ الْبِلاَدِ، وَيَرْتَكِبُ مِنَ الْمُوبِقَاتِ مَا لَمْ يَرْتَكِبْهُ آبَاؤُهُ وَلاَ أَسْلاَفُهُ. وَيُغْدِقُ الثَّرَاءَ عَلَى أَعْوَانِهِ مِمَّا نَهَبَهُ وَغَنِمَهُ، وَيَرْسِمُ خُطَطاً لِلاسْتِيلاَءِ عَلَى الْحُصُونِ، إِنَّمَا يَحْدُثُ هَذَا إِلَى أَمَدٍ وَجِيزٍ. ٢٥ وَيَسْتَثِيرُ هِمَّتَهُ وَيُجَنِّدُ قُوَّاتِهِ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ الْجَنُوبِ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ وَيَتَأَهَّبُ مَلِكُ الْجَنُوبِ لِلْقِتَالِ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ وَقَوِيٍّ جِداً، وَلَكِنَّهُ لاَ يَصْمُدُ، لأَنَّ أَعْدَاءَهُ يَتَآمَرُونَ عَلَيْهِ.

٢٦وَيَخُونُهُ الآكِلُونَ مِنْ طَعَامِهِ الشَّهِيِّ، وَيَنْدَحِرُ جَيْشُهُ وَيُصْرَعُ كَثِيرُونَ. ٢٧وَيُضْمِرُ هَذَانِ الْمَلِكَانِ ارْتِكَابَ الْمَكَائِدِ، وَيَنْطِقَانِ بِالْكَذِبِ وَهُمَا يَجْلِسَانِ عَلَى مَائِدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلاَ يُفْلِحَانِ لأَنَّ مَوْعِدَ حُلُولِ قَضَاءِ اللهِ بَاتَ وَشِيكاً. ٢٨وَيَرْجِعُ مَلِكُ الشِّمَالِ إِلَى بِلاَدِهِ بِغِنًى جَزِيلٍ، وَفِي قَلْبِهِ أَنْ يُدَمِّرَ أَرْضَ إِسْرَائِيلَ، فَيَفْعَلُ ذَلِكَ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَرْضِهِ. ٢٩وَفِي الْمَوْعِدِ الْمُقَرَّرِ يَعُودُ وَيَقْتَحِمُ أَرْضَ الْجَنُوبِ، وَلَكِنَّ حَمْلَتَهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لاَ تَكُونُ مُمَاثِلَةً لِلْحَمْلَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ. ٣٠إِذْ تَنْقَضُّ عَلَيْهِ سُفُنٌ حَرْبِيَّةٌ مِنْ قُبْرُصَ، فَيَعْتَرِيهِ يَأْسٌ وَيَغْلِي غَيْظاً عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَيَصْغَى إِلَى مَشُورَةِ رَافِضِي الْعَهْدِ الْمُقَدَّسِ. ٣١فَتُهَاجِمُ بَعْضُ قُوَّاتِهِ حِصْنَ الْهَيْكَلِ وَتُنَجِّسُهُ، وَتُزِيلُ الْمُحْرَقَةَ الدَّائِمَةَ، وَتَنْصِبُ الرِّجْسَ الْمُخَرِّبَ. ٣٢وَيُغْوِي بِالْمُدَاهَنَةِ الْمُتَعَدِّينَ عَلَى عَهْدِ الرَّبِّ. أَمَّا الشَّعْبُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ إِلَهَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَصْمُدُونَ وَيُقَاوِمُونَ. ٣٣وَالْعَارِفُونَ مِنْهُمْ يُعَلِّمُونَ كَثِيرِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ يُقْتَلُونَ بِالسَّيْفِ وَالنَّارِ وَيَتَعَرَّضُونَ لِلأَسْرِ وَالنَّهْبِ أَيَّاماً. ٣٤وَلاَ يَلْقَوْنَ عِنْدَ سُقُوطِهِمْ إِلاَّ عَوْناً قَلِيلاً، وَيَنْضَمُّ إِلَيْهِمْ كَثِيرُونَ نِفَاقاً. ٣٥وَيَعْثُرُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ تَمْحِيصاً لَهُمْ وَتَنْقِيَةً، حَتَّى يَأْزِفَ وَقْتُ النِّهَايَةِ فِي مِيقَاتِ اللهِ الْمُعَيَّنِ. (دانيال ١١)

ويتابع دانيال رؤياه بقوله أنه سوف يتجبّر ملكُ الشمال، ويحتقر جميع الآلهة، ويتعالى على جميع الأوثان، ولا تكون له شهوة إلا شهوة القوّة والكبرياء، ويحارب الناس لنشر عبادة إله غريب لا يعرفونه، ويقسّم الأرض على أتباعه ومؤيّديه. ويحاول ملك الجنوب أن يتصدّى له، فينقضُّ على جيشه فيدمِّره ويقتحم دياره، ويغزو أرض إسرائيل؛ فيقتل الألوف منهم، ويبسُط يده على كل الأراضي، ويسير الليبيون والإثيوبيون في ركابه، وينصب خيمته الملكيّة بين البحر وأورشليم. وتأتيه أخبار بتحرُّكات ضدّه من جهة الشرق ومن جهة الشمال، فيتحرك بقوّاته للقضاء عليها، لكنه يلقى حتفه دون أن يُكمل مهمّته: ٣٦وَيَصْنَعُ الْمَلِكُ مَا يَطِيبُ لَهُ، وَيَتَعَظَّمُ عَلَى كُلِّ إِلَهٍ، وَيُجَدِّفُ بِالْعَظَائِمِ عَلَى إِلَهِ الآلِهَةِ، وَيُفْلِحُ، إِلَى أَنْ يَحِينَ اكْتِمَالُ الْغَضَبِ إِذْ لاَبُدَّ أَنْ يَتِمَّ مَا قَضَى اللهُ بِهِ. ٣٧وَلَنْ يُبَالِيَ هَذَا الْمَلِكُ بِآلِهَةِ آبَائِهِ وَلاَ بِمَعْبُودِ النِّسَاءِ، وَلاَ بِأَيِّ وَثَنٍ آخَرَ إِذْ يَتَعَظَّمُ عَلَى الْكُلِّ. ٣٨إِنَّمَا يُكْرِمُ إِلَهَ الْحُصُونِ بَدَلاً مِنْهُمْ، وَهُوَ إِلَهٌ لَمْ يَعْرِفْهُ آبَاؤُهُ، وَيُكْرِمُهُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَالنَّفَائِسِ. ٣٩وَيَقْتَحِمُ الْقِلاَعَ الْمُحَصَّنَةَ بِاسْمِ إِلَهٍ غَرِيبٍ. وَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِهِ يُغْدِقُ عَلَيْهِ الإِكْرَامَ، وَيُوَلِّيهِ عَلَى كَثِيرِينَ، وَيَقْسِمُ الأَرْضَ بَيْنَهُمْ، أُجْرَةً لَهُمْ. ٤٠وَعِنْدَمَا تَأْزِفُ النِّهَايَةُ يُحَارِبُهُ مَلِكُ الْجَنُوبِ، فَيَنْقَضُّ

عَلَيْهِ مَلِكُ الشِّمَالِ كَالزَّوْبَعَةِ بِمَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ وَسُفُنٍ كَثِيرَةٍ، وَيَقْتَحِمُ دِيَارَهُ كَالطُّوفَانِ
الْجَارِفِ. ٤١وَيَغْزُو أَرْضَ إِسْرَائِيلَ فَيَسْقُطُ عَشَرَاتُ الأُلُوفِ صَرْعَى، وَلاَ يَنْجُو مِنْهُ سِوَى
أَرْضِ أَدُومَ وَأَرْضِ مؤاب وَالْجُزْءِ الأَكْبَرِ مِنْ أَرْضِ عَمُّونَ. ٤٢يَبْسُطُ يَدَهُ عَلَى الأَرَاضِي فَلاَ
تُفْلِتُ مِنْهُ حَتَّى أَرْضُ مِصْرَ. ٤٣وَيَسْتَوْلِي عَلَى كُنُوزِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَعَلَى كُلِّ ذَخَائِرِ مِصْرَ.
وَيَسِيرُ اللِّيبِيُّونَ وَالإِثْيُوبِيُّونَ فِي رِكَابِهِ. ٤٤وَتَبْلُغُهُ أَخْبَارٌ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنَ الشِّمَالِ، فَيَرْجِعُ
بِغَضَبٍ شَدِيدٍ لِيُدَمِّرَ وَيَقْضِيَ عَلَى كَثِيرِينَ، ٤٥وَيَنْصُبُ خَيْمَتَهُ الْمَلَكِيَّةَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَأُورُشَلِيمَ،
وَيَبْلُغُ نِهَايَةَ مَصِيرِهِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ نَصِيرٍ». (دانيال ١١)

يفسّر النصارى النبوءة بأن الملاك جبرائيل كان يؤازر داريوس ليُطْلق الشعب من أرض العبوديّة. وأن رابع ملوك الفرس وهو زركسيس قد أثار اليونان بهجومه عليها وتلقّى هزيمة نكراء. وأن الإسكندر مات شابا، وأن أمّه قتلت أخيه وابنيه لتحكم هي. وأنه قد خلفه قادتُه الأربعة لكنهم لم يكونوا في مثل قُوّته. وأنه كانت أقوى مملكتين من الممالك الأربع هما مملكة مصر (البطالمة نسبة لمؤسسها بطليموس) وتُسمّى مملكة الجنوب، ومملكة سوريا (السلوكيون نسبة لمؤسسها سلوكس) وتُسمّى مملكة الشمال، وأنهما ظلاّ في صراع دائم حول إسرائيل ويهوذا. وبعد وفاة لإسكندر بنحو ٧٠ سنة زوّج بطليموس فيلادلفوس ملك مصر ابنته برنيكي لأنطيوخس ثيوس ملك سوريا، فقامت زوجة ملك سوريا الأولى لاوديس بمكائد ضدّه مما يضطره إلى تطليق برنيكي وردّ زوجته الأولى لاوديس، لكنها قامت بقتله بالسُمّ ودبّرت لقتل مُطلّقته وولدها منه، وأقامت على العرش ولدها وأسمته سلوكس كاللينيكوس. وقام بطليموس إيروجيتس شقيق برنيكي بقتل لاوديس ودخول أرضها والاستيلاء على الغنائم والسبايا. واضطر للعودة لسماعه بأخبار فتنة في مصر. وبعد فترة سقط كاللينيكوس عن جواده فمات بسببها، وحاول ابنا كاللينيكوس الانتقام، لكن الأكبر وهو سلوكس كيرونوس مات مقتولا بالسم على يد أصدقائه، وحكم أخوه أنطيوخس ولقّب نفسه بالكبير، وحاول غزو مصر بجيش كبير لكنه هُزم على يد فيلوباتير. وحدثت حركة عصيان في سوريا ضدّه فاضطر أن يعقد صلحا مع أنطيوخس. ويتحالف أنطيوخس مع فيليب المقدوني، ويطرد المصريين من أورشليم ويفرض سلطانه عليها. وليأمن بطليموسُ إيفانس زوّجه ابنته كليوباترا وأوصاها ضده

إلا أنها وقفت بجانب زوجها ضد أبيها. وقد وجّه أنطيوخس أطماعه نحو اليونان، وتمّت له السيطرة على جزر بحر إيجه، ثم عبر إلى اليونان؛ إلا أن اليونان عقدت حلفا دفاعيا مع الرومان، وهزم لوكيوس أسكيبيو الروماني أنطيوخس، وفرض عليه شروطا مهينة، وثار عليه جنوده والشعب فقتلوه وخلفه ابنه سلوكس فيلوباتر الذي اغتاله قائده هليودوروس وملك محلّه.

ويقولون: إن هذه النبوءة بخصوص أنطيوخس إبيفانيوس آخر ملوك السلوكيين، وهو شخص ماكر كذاب أطلق عليه اليهود المجنون (إبيمانس). وكان محتقرا من الجميع.

ويقولون: إنه كما تعوّدنا من الأنبياء أنهم حين يتكلّمون عن ازدهار الدولة اليهودية يكون المقصود كنيسة المسيح. وحين يتكلّمون عن الضيقات التي تصيب شعب الربّ يصلُح تطبيقها على الكنيسة. ومملكة أنطيوخس تشير لمملكة ضد المسيح في قيامها وسقوطها، وسقوط دولة ضد المسيح يكون إيذانا بنهاية العالم ومجيء يوم الدينونة.

ويقولون كان أنطيوخس إيبفانوس كما يقولون: شاذا غريب التصرفات وخسيسا. وأنه قتل هليودوروس واستولى على الحكم في الولاية السورية بدلا منه، كما استولى على مصر بالخديعة وخيانة رجال ملك مصر فيلومتير له بإيعاز من أنطيوخس. ثم زحف بجيشه على أورشليم وقتل منهم ٨٠٠٠ وباع ٤٠٠٠٠ عبيدا في مصر. وبعد سنتين قام بحملة ثانية على مصر لكنه اضطر للرجوع عنها بضغط من الرومان. ويقال أنه هدم جزءا من الهيكل وأبطل العبادة فيه، وأوقف المحرقة الدائمة حتى يجبرهم على إتباع دينه الوثني.

ويقول النصارى عن إيقاف المحرقة: إنه إشارة إلى أن ضد المسيح قد يُعطِّل الخدمة في الكنائس أيضا.

ويقولون: إن هذا الاضطهاد سيستمر أياما حدّدها الوحي سابقا بـ ٢٣٠٠ يوم، وإن الله سمح بها لكي يطهِّر شعبه.

ويقولون: إن العون القليل الذي أشارت إليه النبوءة جاء عن طريق يهوذا والمكابيين الذين هبّوا لنصرة الشعب. ويقولون: إن هذا الملك تجبّر وطغى. أما ما تقوله النبوءة من:

إنه سوف ينصُب فسطاطه (عرشه) بين البحر وجبل المقدس فيقولون: إنها لا تنطبق على أنطيوخس هذا فلم يحدث أن نصّب نفسه إلها، بل كان يعبد جوبيتر، وأنه وضع تمثال إلهه في الهيكل، وأن الآيات تنطبق على ضد المسيح؛ فضد المسيح هو المخرِّب، وسيصُبُّ الله عليه وعلى من يتبعه جام غضبه ويهلكهم هلاكا أبديا.

ويقولون: إنه يبدو أن هناك شخصا تشير له النبوءات سيظهر في نهاية الأيام، وستكون له قوّة، وأنه غالبا سيكون إنسانا فيه كل حكمة وقوة وذكاء ودهاء ودموية وكذب، وسيصنع آيات عظيمة. ويقولون: إنه سوف يظهر في وسط اليهود؛ فهم مازالوا ينتظرون مجيء المسيح. ومن علاماته كذلك شذوذه عن الطبيعة؛ فهو لا يبالي بشهوة النساء، وأنه سوف يتمحور حول ذاته؛ فلا إله له، ولا مشاعر كمشاعر البشر؛ وربما يكون شاذا جنسيا.

ويقولون: إنه من شدّة وضوح النبوات، ظن نقُّاد الكتاب المقدس أن كاتب السفر أحد من العصر اليوناني.

تعقيب

ورد في (الإصحاح التاسع والأربعين من سفر إرميا) أن الربّ سوف يسلّط على فارس عدوّا يفنيهم بسيوفه، ويقضي على مَلِكهم وكل زعمائهم. وتقول النبوءة: إنه سوف ينصب عرشه في أرضهم، وأن الربّ سوف يردُّ سبْيهم فيما بعد.

وأنا أتعجب من أن يفنيهم العدوُّ بسيوفه ويبقى منهم سبْي يَعِدُ الله بردهم. وقول الربِّ: إنه سوف ينصب عرشه في أرضهم لا يتحقّق إلا بقيام دولة للرب في بلاد فارس، ولم يتحقّق ذلك طبعا.

أما قول النصارى: إن عرش الربِّ قد تحقّق أولا على يد نبوخذناصر ملك بابل، وثانيا على يد كورش فقد جانبه الصواب لأن نبوخذناصر وكورش لم يعتنق أي منهما دين بني إسرائيل أو يدْعو إلى معتقدهم.

أما قولهم: إن ردّ سبْي عيلام قد تحقّق جزئيا في كورش، وكليّا في المسيح؛ فلم تنتشر المسيحية في بلاد فارس لنقبل مثل هذا التفسير؛ ولو من باب المجاز.

ورد في (الإصحاح السابع من سفر دانيال) أنه في السنة الأولى من حكم بَيْلْشَاصَّر مَلِكِ بَابِل شاهد دانيال في الرؤيا أربعة حيوانات تصعد من البحر، وأسهب في وصف تلك الحيوانات بصورة بالغة الغرابة والتعقيد؛ لا يقدر على رصدها سوى عدسات كاميرات الأفلام التسجيلية.

والأغرب من حيوانات دانيال هو مجلس الربِّ الذي أسماه الأزلي، وشبّهه بالإنسان بما على جسمه من ثياب، وما على رأسه من شعر، وحوله ألوف من الملائكة. والغريب أنه وصف الربَّ ولم يصف الملائكة، فهل الملائكة أكثر قداسة من الرب فلم يستطع أن ينظر إليها أو يصفها؟ والأكثر غرابة منها هذا القرن الذي تكلّم بكلام بالغ لم يذكر دانيال منه شيئا، والدفتر الذي فُتح ولم نعرف عن محتواه شيئا.

أما سير الأحداث في المجلس فتستحقُّ منّا وقفة، فالحيوان يُقْتل ويُطْرح جسدُه في النار؛ كيف ولماذا؟ وبقية الحيوانات تُجرّد من سلطانها؛ كيف ولماذا؟ وتُتْرك حيّة لأجل، كيف

ولماذا؟ وأتى ابن الإنسان على متن السحاب فأنعم عليه الرب بسلطان على جميع الشعوب، كيف ولماذا؟ فنحن أمام وصف لأحداث وقعت، أو أحداث تمنّى الرائي وقوعها بالصورة التي ذكرها لكن وقوعها كما وصف مستحيل.

أما التفسير الذي فسّره أحدُهم في الرؤيا لدانيال بأن الحيوانات الأربعة هي أربعة ممالك تقضي كل واحدة منها على سابقتها، وتكون النهاية في المجمل لمملكة مؤمنة. والمملكة المؤمنة بالطبع هم بنو إسرائيل كما يقصد دانيال، وهذا لم يتحقق.

وفي الختام يقول دانيال: إن الرؤيا روّعته، لكنّه كتم أمرها في قلبه. والسؤال هو لمّا كان قد كتم أمرها في قلبه فكيف باح بها؟ ومن أمره بذلك؟

أما تأويل النصارى للنبوءة بقولهم: إن الأسد يشير إلى مملكة بابل، والصدر والذراعين إلى مملكة مادي وفارس، والدبّ إلى مملكة اليونان، والنمر إلى الإمبراطورية الرومانية، وأن الحيوان الهائل هو صورة جديدة للدولة الرمانية، والثلاثة أضلع بين أسنانه هم بابل ومصر وليديا، وما تلا ذلك فأنا أرى فيه إسقاطا غير واقعي على أحداث تاريخية واقعية.

كما أرى أن النبوءة قد صيغت في الأصل لتتناسب مع وقائع التاريخ، بدليل أن ابن الإنسان الذي تقول النبوءة: إنه أتى على متن السحاب لم يأت حتى تكتمل فصول القصة. أما القول بأنه المسيح، فلا يستقيم مع قصد اليهود.

ورد في (الإصحاح الثامن من سفر دانيال) أنه في السنة الثالثة من حكم بَيلْشَاصَّر مَلِكِ بابل رأى دانيال كبشا له قرنان، نطحه تيس بقرن بارز بين عينيه فصرعه وحطّم قرنيه، وما لبث أن انكسر قرن التيس العظيم ونبتت عوضا عنه أربعة قرون. وبرز من أحد هذه القرون الأربعة قرن صغير أخذ ينمو حتى عظُم أمرُه وتحدى كل ملوك الأرض.

أليس غريبا أن تكون شخوص الرؤيا هي كبش وتيس وقرون ثم يصير قرن منها ملكا ويتحدّى كل ملوك الأرض، وأنا أتساءل كيف كانت رؤية دانيال البصرية لذلك؟ وكيف تطاول هذا المتجبِّر على شريعة الله وألغى المحرقة وهدم الهيكل في الرؤيا؟

أما تفسير جبرائيل للرؤيا فهو الأغرب إذا يقول: إن الكبش ذا القرنين هو ملوك مادي وفارس، والتيس الأشعر هو ملك اليونان، والقرن النابت بين عينيه هو أول ملك لهذه المملكة، يخلفه أربعة ملوك يتقاسمون مملكته، ثم ينزعها منهم آخر يجدِّف على الله فتكون نهايته داءا مميتا؛ فيضعنا أمام سرْد تاريخي، وتفاصيل لا ترقى لمقام النبوءة؛ صيغت بتعبيرات بشرية.

أما ما قاله جبرائيل من إن ما رآه دانيال سيقع بعد فترة الـ ٢٣٠٠ يوم، وقول النصارى: إن هذه المدة تساوي نفس المدة من يوم تدنيس الهيكل على يد اليونانيين حتى تطهيره بواسطة منيلاوس رئيس الكهنة من سنة ١٧١ ق. م إلى سنة ١٦٥ ق. م، فهذا قول غير دقيق حيث من المفترض أن تغطِّي الفترة المذكورة في النبوءة أحداث النبوءة من بداية تلك الأحداث لا من تدنيس الهيكل.

أما وصيّة جبرائيل لدانيال بأن لا يتكلّم بما رآه، ثم يتكلم بكل ما رآه؛ فما معنى وصية جبرائيل إذا؟

ورد في (الإصحاح العاشر من سفر دانيال) أن دانيال رأى الربَّ، ووصف جسمه بأوصاف غريبة. وأنا أتساءل كيف تأتّى له تقدير حالة المعادن التي تكوّن منها جسدُ الربِّ؟ وبأي مقياس تم له تقييمها؟ ناهيك عن تجسيد الربِّ المرفوض عقلا ونقلا.

وما قاله الملاك جبرائيل لدانيال: من إن الرب قد أرسله له لكن ملك فارس قاومه مدة ٢١ يوما حتى أقبل الملاك ميخائيل لمعونته. هل يُعقل هذا؟ ملاك مرسل من قبل الربِّ ويقدر على مقاومته بشر !

وما قاله الربُّ: من إنه ذاهب ليحارب ملك فارس وأراد أن يطلعه على ما سيحدث غير مقبول في حقِّ الربِّ تجاه عبد من عباده.

وما قاله الربُّ: من إنه لا يجد مؤازرا له ضد هؤلاء جميعا سوى الملاك ميخائيل. أليس من العجيب أن يشتكي الربُّ لدانيال من أنه لا يجد مؤازرا له سوى الملاك ميخائيل ! وهل يحتاج الرب إلى معين؟ وهل يكون الملاك ميخائيل إلا جنديًا من جنوده !

ورد في (الإصحاح الحادي عشر من سفر دانيال) أن الملاك جبرائيل قال لدانيال: إنه سوف يتولّى حكم فارس ثلاثة ملوك. ثم يأتي ملك رابع فيتحرّش بمملكة اليونان، فتأتي اليونان وتغزو الفرس وتسيطر على بلادهم، ثم يموت ملك اليونان فتنقسم مملكته إلى أربعة ممالك صغيرة. ثم أخبره بتفاصيل مواجهات بين مملكتين من تلك الممالك هي مملكة الجنوب ومملكة الشمال، وتخريب مملكة الشمال للهيكل، وأن المنافقين من بني إسرائيل سوف يوالونهم، وأن المؤمنين منهم سوف يتعرّضون للاضطهاد، وأن ملك الشمال سوف يحارب الناس لنشر عبادة إله غريب لا يعرفونه، ويقسّم الأرض على أتباعه ومؤيّديه، وينصب خيمته الملكية بين البحر وأورشليم، ثم يلقى حتفه.

وأنا أرى أن ما قاله الملاك جبرائيل ليس إلا سردا تاريخيا لأحداث وقعت وتمت صياغتها بصيغة النبوءة.

وقول النصارى: إن الإصحاحات من العاشر حتى الثاني عشر هي نبوّة واحدة أظهرها الله لمصلحة الكنيسة؛ ليس بالرموز والعلامات كما سبق، لكنها تأتي هنا بصورة واضحة وكلمات محدّدة كمن يقص تاريخا قد حدث أو يحكي حكاية قد رآها؛ فإنه يؤكد رأينا في أن النبوءة ليست إلا سردا لأحداث وقعت وليست تنبّؤا.

ويقع النصارى في تناقض بيّن بقولهم أن مملكة أنطيوخس تشير لمملكة ضد المسيح في قيامها وسقوطها، وأن سقوط دولة ضد المسيح سيكون إيذانا بنهاية العالم ومجيء يوم الدينونة، وأن هناك شخصا تشير له النبوات سيظهر في نهاية الأيام وستكون له قوة، وسيصنع آيات عظيمة، وأنه سوف يظهر في وسط اليهود. وهم بذلك يقدّمون أكثر من تفسير للنبوءة، وهذا لا يستقيم مع مصداقية النبوءات.

الفصل السادس عشر

نبوءات ضد أشخاص بعينهم

الفصل السادس عشر

نبوءات ضد أشخاص بعَينِهِمْ في التوراة

نبوءة بهلاك أُسرة عالي الكاهن

أرسل الله أحد أنبيائه إلى الكاهن عالي ليُخبره أنه بسبب عدم قيامه بمُهِمَّة الكهانة المنوطة به كما يجب، وبسبب مظهره هو وأبنائه الذي يوحي بالطهر بعكس ما كانوا يقومون به فعلا من انتهاك لحرمات الله، والاستهانة بأوامره ونواهيه، واستغلالهم القرابين والنذور لتحقيق أغراضهم الشخصية؛ فإن الربّ إله إسرائيل سوف يحرمهم من خدمة بيته، وسوف يُسلِّط عليهم الموت فيخطف رجالهم في ريعان شبابهم، ولا يُبقي على شيوخهم، ويُضيِّق عليهم في معيشتهم فلا يتنعمون كبقية بني إسرائيل. ومن يبقى منهم على وجه الحياة يكون ذلك سببا لحزنه وحسرة في قلبه، لأنهم سوف يتمنّون الموت ليستريحوا مما هم فيه من عجز ومذلّة. وعلامة على ذلك يموت إبناه حُفْنِي وَفِينْحَاسَ في يوم واحد. ويقول الربّ: إنه سوف يختار كاهنا له غيره، فيأتيه كل من بقي من ذرِّيَّته متوسِّلا أن يُطعمه أو يمنحه فرصة
عمل من أجل كِسْرة خبز: ٢٩فَلِمَاذَا تَحْتَقِرُونَ ذَبِيحَتِي وَتَقْدِمَتِي الَّتِي أَمَرْتُ بِهَا لِلْمَسْكَنِ،
وَتُفَضِّلُ ابْنَيْكَ عَنِّي لِتُكَدِّسُوا الشَّحْمَ عَلَى أَبْدَانِكُمْ، مِمَّا تَخْتَزِنُونَهُ مِنْ قَرَابِينِ شَعْبِي؟ ٣٠لِذَلِكَ
يَقُولُ الربّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: لَقَدْ وَعَدْتُ أَنْ يَظَلَّ بَيْتُكَ وَبَيْتُ أَبِيكَ يَخْدُمُونَ فِي مَحْضَرِي إِلَى
الأَبَدِ. أَمَّا الآنَ، يَقُولُ الربّ: فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، لأَنَّنِي أُكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي، أَمَّا
الَّذِينَ يَحْتَقِرُونَنِي فَيَصْغُرُونَ. ٣١هَا هِيَ أَيَّامٌ مُقْبِلَةٌ يَخْطِفُ فِيهَا الْمَوْتُ رِجَالَكُمْ فَلاَ يَبْقَى
شَيْخٌ فِي بَيْتِكَ. ٣٢ وَتَشْهَدُ ضِيقاً فِي مَسْكَنِي، بَيْنَمَا يَنْعَمُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ بِالرَّفَاهِيَةِ وَيَخْلُو
بَيْتُكَ مِنَ الشُّيُوخِ كُلَّ الأَيَّامِ. ٣٣وَيَكُونُ مَنْ أَسْتَحْيِيهِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ لِخِدْمَةِ مَذْبَحِي سَبَباً فِي
إِغْشَاءِ عَيْنَيْكَ بِالدُّمُوعِ وَإِذَابَةِ قَلْبِكَ بِالْحُزْنِ، وَبَقِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ يَمُوتُونَ شُبَّاناً. ٣٤وَتَصْدِيقاً
لِقَوْلِي أُعْطِيكَ عَلاَمَةً تُصِيبُ ابْنَيْكَ حُفْنِي وَفِينْحَاسَ: إِنَّهُمَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ يَمُوتَانِ كِلاَهُمَا.
٣٥فَأَخْتَارُ لِنَفْسِي كَاهِناً مُخْلِصاً يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى مَا بِقَلْبِي وَنَفْسِي فَأُقِيمُ لَهُ بَيْتاً أَمِيناً، وَيَصِيرُ
كَاهِناً لِلْمَلِكِ الَّذِي أَخْتَارُهُ. ٣٦وَكُلُّ مَنْ يَبْقَى مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يَأْتِي إِلَيْهِ سَاجِداً مُتَوَسِّلاً مِنْ أَجْلِ
قِطْعَةِ فِضَّةٍ وَرَغِيفِ خُبْزٍ، مُتَضَرِّعاً إِلَيْهِ قَائِلاً: هَبْنِي عَمَلاً بَيْنَ الْكَهَنَةِ لآكُلَ كِسْرَةَ خُبْزٍ».
(صموئيل الأول ٢)

تأويل النبوءة ضد عالي الكاهن

في إحدى مواجهات بني إسرائيل مع الفلسطينيين هُزِم الإسرائيليون هزيمة نكراء، واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد الذي كان شعارا يلتفّ حوله جميع الإسرائيليين، ومات ابنا الكاهن عالي حُفْنِي وَفِينْحَاسُ. ولما عرف عالي خبر المعركة، واستيلاء الفلسطينيين على تابوت العهد، وموت ابنيه، سقط من على كرسيّه فانكسرت رقبته ومات من فوره، وماتت زوجة ابنه فينحاس بعد مخاض عسير: ١٢وَأَقْبَلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى شِيلُوهَ بِثِيَابٍ مُمَزَّقَةٍ وَرَأْسٍ مُعَفَّرٍ بِالتُّرَابِ. ١٣وَكَانَ عَالِي حِينَذَاكَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ إِلَى جِوَارِ الطَّرِيقِ يُرَاقِبُ، لأَنَّ قَلْبَهُ كَانَ مُضْطَرِباً عَلَى مَصِيرِ تَابُوتِ اللهِ. وَمَا إِنْ دَخَلَ الرَّجُلُ الْمَدِينَةَ وَأَذَاعَ النَّبَأَ حَتَّى ضَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا بِالصُّرَاخِ. ١٤فَتَسَاءَلَ عَالِي: «مَا سِرُّ هَذَا الضَّجِيجِ؟» فَأَسْرَعَ الرَّجُلُ يُبَلِّغُهُ الْخَبَرَ..... ١٦فَقَالَ الرَّجُلُ: «لَقَدْ وَصَلْتُ لِتَوِّي مِنْ مَيْدَانِ الْقِتَالِ هَارِباً الْيَوْمَ مِنْ لَهِيبِ الْمَعْرَكَةِ». فَسَأَلَهُ: «مَاذَا جَرَى يَا بُنَيَّ؟» ١٧فَأَجَابَ: «انْهَزَمَ الإِسْرَائِيلِيُّونَ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ جِداً مِنَ الْجَيْشِ، وَمَاتَ أَيْضاً هُنَاكَ ابْنَاكَ حُفْنِي وَفِينْحَاسُ، وَأُخِذَ تَابُوتُ اللهِ». ١٨وَمَا إِنْ ذَكَرَ الرَّجُلُ نَبَأَ تَابُوتِ اللهِ حَتَّى سَقَطَ عَالِي عَنِ الْكُرْسِيِّ إِلَى الْوَرَاءِ إِلَى جِوَارِ الْبَابِ، فَانْكَسَرَتْ رَقَبَتُهُ وَمَاتَ لأَنَّهُ كَانَ رَجُلاً شَيْخاً ثَقِيلَ الْجِسْمِ..... ١٩وَكَانَتْ كَنَّتُهُ امْرَأَةُ فِينْحَاسَ حُبْلَى تُوشِكُ عَلَى الْوِلاَدَةِ، فَلَمَّا بَلَغَهَا خَبَرُ الاسْتِيلاَءِ عَلَى تَابُوتِ اللهِ وَوَفَاةِ حَمِيهَا وَمَقْتَلِ زَوْجِهَا، سَقَطَتْ وَوَلَدَتْ، لأَنَّ آلاَمَ الْمَخَاضِ هَاجَمَتْهَا. ٢٠وَعِنْدَ احْتِضَارِهَا قَالَتْ لَهَا النِّسْوَةُ الْمُحِيطَاتُ بِهَا: «لاَ تَجْزَعِي، فَقَدْ رُزِقْتِ بِوَلَدٍ»؛ فَلَمْ تُجِبْ وَلَمْ يَأْبَهْ قَلْبُهَا لِلْبُشْرَى. (صموئيل الأول ٤)

نبوءة ضد الملك شاول

احتشد الإسرائيليون حول الملك شاول في الجلجال لمواجهة الفلسطينيين، وفي المقابل احتشد الفلسطينيون بقوة لا طاقة للإسرائيليين بها، فجبُنوا عن مواجهتهم، وملأ الذعرُ قلوبهم. وكان شاول في انتظار صموئيل ليباركه ويدعو له بالانتصار، فلما تأخّر قام هو بنفسه بتقديم الذبائح والمحرقات. وما إن وصل صموئيل وعلم بما قام به شاول حتى عنّفه على خطيئته، وأبلغه أنه بسبب عدم انقياده لأوامر الربّ فإن مُلْكه لن يدوم، وأن الربّ

قد اختار غيره ليحل محله:..... وَأَطْلَقَ شَاوُلُ البُوقَ فِي كُلِّ الأَرْضِ قَائِلاً: «لِيَسْمَعْ جَمِيعُ الْعِبْرَانِيِّينَ». ٤فَذَاعَ نَبَأٌ أَنَّ شَاوُلَ هَاجَمَ حَامِيَةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَأَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عَازِمُونَ عَلَى الانْتِقَامِ مِنَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ، فَتَحَرَّكَ جَيْشُ إِسْرَائِيلَ كُلُّهُ وَلَحِقَ بِشَاوُلَ فِي الْجِلْجَالِ. ٥وَاحْتَشَدَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِمُحَارَبَةِ إِسْرَائِيلَ بِقُوَّةٍ تَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلاَثِينَ أَلْفَ مَرْكَبَةٍ حَرْبِيَّةٍ، وَسِتَّةِ آلافِ فَارِسٍ وَجَيْشٍ كَرَمْلِ شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي كَثْرَتِهِ، وَتَجَمَّعُوا فِي مِخْمَاسَ شَرْقِيَّ بَيْتِ آوِنَ. ٦وَعِنْدَمَا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ حَرَجَ مَوْقِفِهِم اعْتَرَاهُمُ الضِّيقُ، فَاخْتَبَأُوا فِي الْمَغَاوِرِ وَالأَدْغَالِ وَبَيْنَ الصُّخُورِ وَالأَبْرَاجِ وَالآبَارِ. ٧وَاجْتَازَ بَعْضُ الْعِبْرَانِيِّينَ نَهْرَ الأُرْدُنِّ إِلَى أَرْضِ جَادٍ وَجِلْعَادَ. أَمَّا شَاوُلُ فَظَلَّ فِي الْجِلْجَالِ مَعَ بَقِيَّةٍ مِنَ الْجَيْشِ مَلأَ قُلُوبَهَا الذُّعْرُ. ٨وَمَكَثَ شَاوُلُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي الْجِلْجَالِ يَنْتَظِرُ مَجِيءَ صَمُوئِيلَ بِمُوجِبِ اتِّفَاقٍ سَابِقٍ. وَعِنْدَمَا تَأَخَّرَ صَمُوئِيلُ عَنِ الْحُضُورِ وَتَفَرَّقَ الْجَيْشُ عَنْ شَاوُلَ، ٩قَالَ شَاوُلُ: «قَدِّمُوا إِلَيَّ الْمُحْرَقَةَ وَذَبَائِحَ السَّلاَمِ». وَقَرَّبَ الْمُحْرَقَةَ. ١٠وَمَا إِنِ انْتَهَى مِنْ تَقْدِيمِهَا حَتَّى أَقْبَلَ صَمُوئِيلُ، فَخَرَجَ شَاوُلُ لِلِقَائِهِ لِيَتَلَقَّى بَرَكَتَهُ. ١١فَسَأَلَ صَمُوئِيلُ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟» فَأَجَابَهُ شَاوُلُ: «رَأَيْتُ أَنَّ الشَّعْبَ تَفَرَّقَ عَنِّي، وَأَنْتَ لَمْ تَحْضُرْ فِي مَوْعِدِكَ، وَالْفِلِسْطِينِيُّونَ مُحْتَشِدُونَ فِي مِخْمَاسَ، ١٢فَقُلْتُ إِنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مُتَأَهِّبُونَ الآنَ لِلْهُجُومِ عَلَيَّ فِي الْجِلْجَالِ وَأَنَا لَمْ أَتَضَرَّعْ إِلَى الربِّ بَعْدُ طَلَباً لِعَوْنِهِ، فَوَجَدْتُ نَفْسِي مُرْغَماً عَلَى تَقْرِيبِ الْمُحْرَقَةِ». ١٣فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «لَقَدْ تَصَرَّفْتَ بِحَمَاقَةٍ، فَأَنْتَ قَدْ عَصِيتَ وَصِيَّةَ الربِّ إِلَهِكَ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا. وَلَوْ أَطَعْتَهُ لَثَبَّتَ مُلْكَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. ١٤أَمَّا الآنَ، فَلأَنَّكَ لَمْ تُطِعْ مَا أَمَرَكَ الربُّ بِهِ فَإِنَّ مُلْكَكَ لَنْ يَدُومَ، لأَنَّ الربَّ قَدِ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُصْبِحَ رَئِيساً عَلَى شَعْبِهِ». (صموئيل الأول ١٣)

نبوءة ثانية ضد الملك شاول

قال صموئيل لشاول: إن الربّ سوف يعاقب العماليق، وإنه يأمره أن يهاجمهم ويقضي عليهم جميعا رجالا ونساء وأطفالا ورُضّعا وكلّ ماشيتهم. وهجم شاول على العماليق فأسر ملكهم أجاج، وقضى على جميع الشعب بحدِّ السيف؛ لكنه لم يقتُل مِلِكَهُم، كما أنه احتفظ بخيار ماشيتهم. وقال الربّ لصموئيل أنه ندم أن جعل شاول ملكا لأنه لم ينفّذ كل أوامره. عندئذ اتجه صموئيل إلى شاول وأبلغه أن الربّ سوف يحرمه من الملك: وَقَالَ صَمُوئِيلُ

لِشَاوُلَ:..... ٢هَذَا مَا يَقُولُهُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي مُزْمِعٌ أَنْ أُعَاقِبَ عَمَالِيقَ جَزَاءَ مَا ارْتَكَبَهُ فِي حَقِّ الإِسْرَائِيلِيِّينَ حِينَ تَصَدَّى لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ. ٣فَاذْهَبِ الآنَ وَهَاجِمْ عَمَالِيقَ وَاقْضِ عَلَى كُلِّ مَالَهُ. لاَ تَعْفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَلِ اقْتُلْهُمْ جَمِيعاً رِجَالاً وَنِسَاءً، وَأَطْفَالاً وَرُضَّعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جِمَالاً وَحَمِيراً». ..... ٧وَهَجَمَ شَاوُلُ عَلَى الْعَمَالِقَةِ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ مِنْ حَوِيلَةَ حَتَّى مَشَارِفِ شُورٍ مُقَابِلَ مِصْرَ. ٨وَأَسَرَ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ حَيّاً، وَقَضَى عَلَى جَمِيعِ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ. ٩وَعَفَا شَاوُلُ عَنْ أَجَاجَ وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالْعُجُولِ وَالْخِرَافِ، وَعَنْ كُلِّ مَا هُوَ جَيِّدٌ، وَأَبَوْا أَنْ يَقْضُوا عَلَيْهَا، وَلَمْ يُدَمِّرُوا إِلاَّ الأَمْلاَكَ وَالْغَنَائِمَ الَّتِي لاَ قِيمَةَ لَهَا..... ١٧فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «أَلَمْ تَكُنْ تَحْسَبُ نَفْسَكَ حَقِيراً، وَلَكِنَّ الربّ جَعَلَكَ عَلَى رَأْسِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ وَأَقَامَكَ مَلِكاً عَلَيْهِمْ، ١٨وَكَلَّفَكَ بِمُحَارَبَةِ عَمَالِيقَ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ قَضَاءً مُبْرَماً؟ ١٩فَلِمَاذَا لَمْ تُطِعْ أَمْرَ الربّ، بَلْ تَهَافَتَّ عَلَى الْغَنِيمَةِ وَارْتَكَبْتَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الربّ؟»..... ولأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الربّ فَقَدْ رَفَضَكَ الربّ مِنَ الْمُلْكِ». (صموئيل الأول ١٥)

تأويل النبوءة ضد الملك شاول

في مواجهة لبني إسرائيل مع الفلسطينيين بقيادة شاول، قتل الفلسطينيون منهم أعدادا كثيرة، وتفرّق الباقون من حول شاول. وتعقّب الفلسطينيون شاول وأبناءه فقتلوا منهم يُونَاثَانَ وَأَبِينَادَابَ وَمَلْكِيشُوعَ، ولما اشتدّت على شاول جراحُه، طلب من حامل سلاحه أن يقتله بسيفه لكنه جَبُنَ، فنصب شاول سيفه على الأرض، وارتمى عليه بصدره؛ فمات من فوره، وكذلك فعل حاملُ سلاحه بنفسه: وَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى جَبَلِ جِلْبُوعَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمْعٌ غَفِيرٌ وَهَرَبَ الْبَاقُونَ. ٢وَتَعَقَّبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ شَاوُلَ وَأَبْنَاءَهُ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ يُونَاثَانَ وَأَبِينَادَابَ وَمَلْكِيشُوعَ. ٣وَاشْتَدَّتِ الْمَعْرَكَةُ حَوْلَ شَاوُلَ، وَأَثْخَنَ رُمَاةُ السِّهَامِ شَاوُلَ بِالْجِرَاحِ. ٤فَقَالَ شَاوُلُ لِحَامِلِ سِلاَحِهِ: «اسْتَلَّ سَيْفَكَ وَاقْتُلْنِي بِهِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ هَؤُلاَءِ الْغُلْفُ وَيَطْعَنُونِي وَيُشَوِّهُونِي». فَأَبَى حَامِلُ سِلاَحِهِ الانْصِيَاعَ لِطَلَبِ سَيِّدِهِ خَوْفاً، فَأَخَذَ شَاوُلُ السَّيْفَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ. ٥وَعِنْدَمَا شَاهَدَ حَامِلُ سِلاَحِهِ أَنَّ شَاوُلَ قَدْ مَاتَ، وَقَعَ هُوَ أَيْضاً عَلَى سَيْفِهِ وَمَاتَ. ٦وَهَكَذَا مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَاوُلُ وَأَبْنَاؤُهُ الثَّلاَثَةُ وَحَامِلُ سِلاَحِهِ وَجَمِيعُ رِجَالِهِ مَعاً. (صموئيل الأول ٣١)

غضب الربّ على الملك سليمان؛ لأنه انحرف عن طريقه، ولم يطع فرائضه التي أوصاه بها؛ فتوعّده بتمزيق أوصال مملكته من بعده وتحويلها لأحد عبيده، وأنه سوف يُبقي جزءا واحدا منها فقط لسبط من أسباطه: ٩فَغَضِبَ الرب عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ ضَلَّ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُ مَرَّتَيْنِ، ١٠وَنَهَاهُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يُطِعْ وَصِيَّتَهُ. ١١لِهَذَا قَالَ اللهُ لِسُلَيْمَانَ: «لأَنَّكَ انْحَرَفْتَ عَنِّي وَنَكَثْتَ عَهْدِي، وَلَمْ تُطِعْ فَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي حَتْماً أُمَزِّقُ أَوْصَالَ مَمْلَكَتِكَ، وَأُعْطِيهَا لأَحَدِ عَبِيدِكَ. ١٢إِلاَّ أَنَّنِي لاَ أَفْعَلُ هَذَا فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا. ١٣غَيْرَ أَنِّي أُبْقِي لَهُ سِبْطاً وَاحِداً، يَمْلِكُ عَلَيْهِ إِكْرَاماً لِدَاوُدَ عَبْدِي، وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا».... (الملوك الأول ١١)

تأويل النبوءة ضد الملك سليمان

تقول التوراة: إن الربّ قد أثار على الملك سليمان الأدوميّين بقيادة ملكهم هدد الذي لجأ إلى فرعون مصر وصار شوكة في جنب الملك سليمان، كما أثار عليه رَزُونُ بْنُ أَلِيدَاعَ؛ الذي استولى على دمشق وجعلها مركزا لتهديده. كما أثار عليه يَرُبْعَامُ بْنُ نَابَاطَ وهو من سبط أفرايم وكان من عمّاله لكنه انشقّ عليه؛ فكانت التهديدات تحيط بمملكته من الخارج، وتهدِّد استقرارها من الداخل. وقد تنبأ أَخِيَّا الشِّيلُونِيُّ بتمزيق مملكة سليمان على يد يَرُبْعَامُ بْنُ نَابَاطَ: ١٤وَأَثَارَ الربّ عَلَى سُلَيْمَانَ هَدَدَ سَلِيلَ النَّسْلِ الْمَلَكِيِّ الأَدُومِيِّ،..... ١٧وَلَكِنَّ هَدَدَ وَبَعْضَ رِجَالِ أَبِيهِ الأَدُومِيِّينَ اسْتَطَاعُوا الْهَرَبَ وَاللُّجُوءَ إِلَى مِصْرَ،..... ٢٣وَأَثَارَ اللهُ عَلَى سُلَيْمَانَ خَصْماً آخَرَ هُوَ رَزُونُ بْنُ أَلِيدَاعَ، الَّذِي هَرَبَ مِنْ عِنْدِ سَيِّدِهِ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكِ صُوبَةَ،..... فَانْطَلَقَ رَزُونُ بِعِصَابَتِهِ إِلَى دِمَشْقَ وَأَقَامُوا فِيهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. ٢٥وَظَلَّ رَزُونُ خَصْماً لإِسْرَائِيلَ طَوَالَ حَيَاةِ سُلَيْمَانَ، فَضْلاً عَمَّا خَلَقَهُ هَدَدُ مِنْ مَتَاعِبَ..... ٢٦وَتَمَرَّدَ يَرُبْعَامُ بْنُ نَابَاطَ الأَفْرَايِمِيُّ مِنْ صَرَدَةَ، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ سُلَيْمَانَ،..... ٢٩وَحَدَثَ أَنَّ يَرُبْعَامَ خَرَجَ مِنْ أُورُشَلِيمَ، فَالْتَقَاهُ النَّبِيُّ أَخِيَّا الشِّيلُونِيُّ فِي الطَّرِيقِ. وَكَانَ النَّبِيُّ يَرْتَدِي رِدَاءً جَدِيداً، وَلَمْ يَكُنْ سِوَاهُمَا فِي الْحَقْلِ، ٣٠فَتَنَاوَلَ أَخِيَّا الرِّدَاءَ الْجَدِيدَ الَّذِي عَلَيْهِ وَمَزَّقَهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قِطْعَةً، ٣١وَقَالَ لِيَرُبْعَامَ: «خُذْ لِنَفْسِكَ عَشْرَ قِطَعٍ، لأَنَّهُ هَكَذَا يَقُولُ الربّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أُمَزِّقُ

الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ سُلَيْمَانَ وَأُعْطِيكَ عَشَرَةَ أَسْبَاطٍ، ٣٢وَلاَ يَبْقَى لَهُ سِوَى سِبْطٍ وَاحِدٍ إِكْرَاماً لِعَبْدِي دَاوُدَ،..... (الملوك الأول ١١)

وقد تمرّد بنو إسرائيل على رحبعام الذي تولّى الملك بعد أبيه سليمان، ونصّبوا يربعام بن نباط على الأسباط العشرة وبقي رحبعام ملكا على يهوذا فقط: ١٨وَعِنْدَمَا أَرْسَلَ الْمَلِكُ رَحُبْعَامُ أَدُورَامَ الْمُوَكَّلَ عَلَى أَعْمَالِ التَّسْخِيرِ إِلَى أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ فَمَاتَ، فَبَادَرَ الْمَلِكُ رَحُبْعَامُ وَاسْتَقَلَّ مَرْكَبَتَهُ هَارِباً إِلَى أُورُشَلِيمَ. ١٩وَهَكَذَا تَمَرَّدَ إِسْرَائِيلُ عَلَى ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. ٢٠وَعِنْدَمَا عَلِمَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرُجُوعِ يَرُبْعَامَ مِنْ مِصْرَ، اسْتَدْعَوْهُ لِلْمُثُولِ أَمَامَ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ، وَنَصَّبُوهُ مَلِكاً عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ تَحْتَ حُكْمِ رَحُبْعَامَ سِوَى سِبْطِ يَهُوذَا. (الملوك الأول ١١)

نبوءة ضد يرُبعام بن نباط

مرض أَبِيَّا بْنُ يَرُبْعَامَ الملك فأمر زوجته أن تذهب به متنكِّرة إلى أَخِيَّا الذي تنبّأ له من قبل بأنه سيكون ملكا بعد سليمان، وطلب منها أن تسأله عن مصير الغلام هل سيبْرَأ من مرضه أم سيموت. ولما دخلت زوجتُه على أخيّا قال لها: إن الربّ قد قضى على يربعام ببلايا عظام؛ لأنه ارتكب من السيئات ما فاق جميع من كانوا قبله ولم يحفظ وصايا الربّ ؛ فسوف يُبيد الربُّ كلَّ ذكر من نسله حتى يفنى بيتُه، وإن الربّ قد أمر بأن يموت ولده لدى وصولها إلى المدينة؛ وأن هذا الولد هو الوحيد من نسل يربعام الذي ينوح عليه الإسرائيليون ويدفنونه دون سائر بيت يربعام: فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَرِضَ أَبِيَّا بْنُ يَرُبْعَامَ، ٢فَقَالَ يَرُبْعَامُ لِزَوْجَتِهِ: «تَنَكَّرِي حَتَّى لاَ يَكْتَشِفَ أَحَدٌ أَنَّكِ زَوْجَتِي، وَامْضِي إِلَى شِيلُوهَ حَيْثُ يُقِيمُ أَخِيَّا الَّذِي أَنْبَأَنِي أَنَّنِي سَأَمْلِكُ عَلَى هَذَا الشَّعْبِ،.....، وَانْطَلِقِي إِلَيْهِ وَهُوَ يُخْبِرُكِ بِمَصِيرِ الْغُلاَمِ».... ٦فَلَمَّا سَمِعَ أَخِيَّا وَقْعَ خَطَوَاتِهَا وَهِيَ دَاخِلَةٌ مِنَ الْبَابِ قَالَ: «ادْخُلِي يَا زَوْجَةَ يَرُبْعَامَ. لِمَاذَا تَتَنَكَّرِينَ؟ إِنَّنِي أَحْمِلُ إِلَيْكِ أَخْبَاراً سَيِّئَةً. ٧اذْهَبِي وَبَلِّغِي يَرُبْعَامَ قَضَاءَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ:..... ٩لَقَدِ ارْتَكَبْتَ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا فَاقَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكَ،..... ١٠لِذَلِكَ هَا أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَبْتَلِيَ بَيْتَكَ بِشَرٍّ عَظِيمٍ، وَأُبِيدَ كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ نَسْلِكَ، عَبْداً كَانَ أَمْ حُرّاً، وَأُفْنِيَ

بَيْتَكَ..... ١٢وَأَضَافَ أَخِيَّا: «أَمَّا أَنْتِ فَانْهَضِي وَانْطَلِقِي إِلَى بَيْتِكِ، وَحَالَمَا تَدْخُلِينَ الْمَدِينَةَ يَمُوتُ الْوَلَدُ، ١٣فَيَنُوحُ عَلَيْهِ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَيَدْفِنُونَهُ، لأَنَّ هَذَا وَحْدَهُ مِنْ نَسْلِ يَرُبْعَامَ يُوَارَى فِي قَبْرٍ، (الملوك الأول ١٤)

تأويل النبوءة ضد يربعام بن نباط

عادت زوجة يربعام إلى بيتها في ترصة، وما إن وصلت إلى عتبة البيت حتى مات الغلام، فدفنه الإسرائيليون وناحوا عليه: ١٧فَعَادَتْ زَوْجَةُ يَرُبْعَامَ إِلَى تِرْصَةَ. وَمَا إِنْ وَصَلَتْ إِلَى عَتَبَةِ بَابِ الْبَيْتِ حَتَّى مَاتَ الْغُلاَمُ، ١٨فَدَفَنَهُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَنَاحُوا عَلَيْهِ، تَمَاماً حَسَبَ كَلاَمِ الربِّ الَّذِي نَطَقَ بِهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ أَخِيَّا النَّبِيِّ (الملوك الأول ١٤)

وفي مواجهة بين مملكة إسرائيل بقيادة يربعام ومملكة يهوذا بقيادة أبيا، انكسرت قوات يربعام، وتمكّن جيش أبيا من القضاء عليهم قضاء مبرما، ولم يستعد يربعام قوته حتى مماته: ١٣وَكَانَ يَرُبْعَامُ قَدْ أَعَدَّ كَمِيناً لِيَدُورَ وَيُهَاجِمَهُمْ مِنَ الْخَلْفِ، فَأَصْبَحَ جَيْشُ يَهُوذَا وَاقِعاً بَيْنَ الْقُوَّاتِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ وَالْكَمِينِ. ١٤وَتَبَيَّنَ جَيْشُ يَهُوذَا أَنَّهُمْ مُحَاطُونَ بِالْحَرْبِ مِنْ أَمَامٍ وَمِنْ خَلْفٍ، فَاسْتَغَاثُوا بِالرَّبِّ وَنَفَخَ الْكَهَنَةُ بِالأَبْوَاقِ. ١٥وَهَتَفَ مُقَاتِلُو يَهُوذَا بِصَيْحَاتِ الْحَرْبِ، عِنْدَئِذٍ هَزَمَ الرَّبُّ يَرُبْعَامَ وَإِسْرَائِيلَ أَمَامَ أَبِيَّا وَجَيْشِ يَهُوذَا. ١٦وَانْكَسَرَ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَأَسْلَمَهُمُ الرَّبُّ لِقُوَّاتِ يَهُوذَا. ١٧وَتَمَكَّنَ أَبِيَّا وَجَيْشُهُ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ قَضَاءً مُبْرَماً..... ٢٠وَلَمْ يَسْتَعِدْ يَرُبْعَامُ قُوَّتَهُ مُدَّةَ حُكْمِ أَبِيَّا، وَأَخِيراً ضَرَبَهُ الرَّبُّ وَمَاتَ. (أخبار الأيام الثاني ١٣)

وبعد موت يربعام خلفه ابنه ناداب على عرش إسرائيل، وتمرّد عليه بعشا بن أخيا واغتاله، وتولّى عرش إسرائيل من بعده، ثم أباد كل ذريته ولم يُبْق على أحد منهم؛ تحقيقا لنبوءة أخيا: ٢٥وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِحُكْمِ آسَا مَلِكِ يَهُوذَا، اعْتَلَى نَادَابُ بْنُ يَرُبْعَامَ عَرْشَ إِسْرَائِيلَ،..... ٢٧وَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ بَعْشَا بْنُ أَخِيَّا مِنْ بَيْتِ يَسَّاكَرَ، وَاغْتَالَهُ..... وَخَلَفَهُ عَلَى الْعَرْشِ. ٢٩وَمَا إِنْ تَوَلَّى زِمَامَ الْمُلْكِ حَتَّى أَبَادَ كُلَّ ذُرِّيَّةِ يَرُبْعَامَ، وَلَمْ يُبْقِ عَلَى نَسَمَةٍ مِنْهُمْ، تَحْقِيقاً لِقَضَاءِ الرَّبِّ الَّذِي نَطَقَ بِهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ أَخِيَّا الشِّيلُونِيِّ، (الملوك الأول ١٥)

نبوءة ضد رجل الله

كان هناك نبيٌّ كاذب من بيت إيل أخبره أبناؤه بحكاية رجل الله وما فعله مع يربعام فاقتفى أثره، ولما أدركه طلب منه أن يصطحبه إلى بيته ليُطعِمَه فأجابه أنه لا يستطيع ذلك لأن الربّ أمره أن لا يأكل طعاما ولا يشرب ماء في هذا الموضع، فأجابه النبيُّ الكاذب أنه نبيٌّ مثلُه، وأن الربّ أمره أن يذهب معه؛ فصدّقه وذهب معه. وأثناء الطعام أمر الربُّ النبيَّ الكاذب أن يُبلغ رجل الله أنه خالف أمر الربِّ، ولم يُطع وصيّته التي أوصاه بها، وأن جزاءه أن لا تُدْفن جثّته في قبر آبائه: ١١وَكَانَ هُنَاكَ نَبِيٌّ شَيْخٌ مُقِيماً فِي بَيْتِ إِيلَ، فَجَاءَ أَبْنَاؤُهُ وَسَرَدُوا عَلَيْهِ كُلَّ مَا أَجْرَاهُ رَجُلُ اللهِ مِنْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي بَيْتِ إِيلَ، وَحَدَّثُوهُ بِمَا خَاطَبَ بِهِ الْمَلِكَ. ١٢فَسَأَلَهُمْ أَبُوهُمْ: «مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ انْصَرَفَ؟» فَأَخْبَرُوهُ، لأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا الطَّرِيقَ الَّتِي انْصَرَفَ فِيهَا ..... ١٤وَاقْتَفَى أَثَرَهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ جَالِساً تَحْتَ الْبَلُّوطَةِ. فَسَأَلَهُ: «هَلْ أَنْتَ رَجُلُ اللهِ الَّذِي وَفَدَ مِنْ يَهُوذَا؟» فَأَجَابَهُ: «أَنَا هُوَ». ١٥فَقَالَ لَهُ: «تَعَالَ مَعِي إِلَى الْبَيْتِ لِتَأْكُلَ طَعَاماً». ١٦فَأَجَابَهُ: «لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْجِعَ مَعَكَ أَوْ أَدْخُلَ بَيْتَكَ أَوْ آكُلَ طَعَاماً أَوْ أَشْرَبَ مَاءً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، ١٧لأَنَّ الربَّ أَمَرَنِي قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ طَعَاماً وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً وَلاَ تَنْصَرِفْ فِي نَفْسِ الطَّرِيقِ الَّتِي جِئْتَ مِنْهَا». ١٨فَقَالَ لَهُ: «أَنَا أَيْضاً نَبِيٌّ مِثْلُكَ وَقَدْ أَمَرَنِي مَلاَكُ الربِّ أَنْ أَرْجِعَ بِكَ مَعِي إِلَى بَيْتِي فَتَقْتَاتَ وَتَشْرَبَ مَاءً». وَهَكَذَا كَذِبَ عَلَيْهِ. ١٩(فَصَدَّقَهُ) وَرَجَعَ مَعَهُ وَتَنَاوَلَ طَعَاماً فِي بَيْتِهِ وَشَرِبَ مَاءً. ٢٠وَفِيمَا هُمَا جَالِسَانِ حَوْلَ الْمَائِدَةِ يَتَنَاوَلاَنِ الطَّعَامَ، خَاطَبَ الربُّ النَّبِيَّ الشَّيْخَ، ٢١فَقَالَ لِرَجُلِ اللهِ الْوَافِدِ مِنْ يَهُوذَا: «هَذَا مَا يَقُولُهُ الربُّ: لأَنَّكَ خَالَفْتَ أَمْرَ الربِّ وَلَمْ تُطِعْ وَصِيَّتَهُ الَّتِي أَوْصَاكَ بِهَا الربُّ إِلَهُكَ، ٢٢فَرَجَعْتَ وَأَكَلْتَ طَعَاماً وَشَرِبْتَ مَاءً فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي حَذَّرَكَ مِنْهُ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ فِيهِ طَعَاماً وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً، فَإِنَّ جُثَّتَكَ لَنْ تُدْفَنَ فِي قَبْرِ آبَائِكَ». (الملوك الأول ١٣)

تأويل النبوءة ضد رجل الله

بعد أن تناول رجلُ الله طعامه، انصرف من عند النبي الكاذب. وفي الطريق قتله أسد، وظلّت جثّته مطروحة في الطريق والحمار والأسد يقفان بجوارها. ولما عرف النبيُّ الكاذب بالخبر قال حتما هو رجل الله الذي خالف أمر الربِّ فأوقعه فريسة للأسد: ٢٣وَبَعْدَ أَنْ

تَنَاوَلَ نَبِيُّ يَهُوذَا طَعَاماً وَشَرِبَ مَاءً، أَسْرَجَ لَهُ مُضِيفُهُ حِمَارَهُ. ٢٤وَبَيْنَمَا هُوَ مُنْصَرِفٌ فِي طَرِيقِهِ صَادَفَهُ أَسَدٌ وَقَتَلَهُ، وَظَلَّتْ جُثَّتُهُ مَطْرُوحَةً فِي الطَّرِيقِ، وَالْحِمَارُ وَالأَسَدُ وَاقِفَانِ إِلَى جُوَارِ الْجُثَّةِ. ٢٥وَمَرَّ قَوْمٌ فَشَاهَدُوا الْجُثَّةَ مَطْرُوحَةً فِي الطَّرِيقِ وَالأَسَدُ وَاقِفٌ إِلَى جُوَارِهَا فَأَتَوْا وَأَذَاعُوا الْخَبَرَ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا النَّبِيُّ الشَّيْخُ. ٢٦وَعِنْدَمَا سَمِعَ النَّبِيُّ الشَّيْخُ بِالنَّبَإِ قَالَ: «هُوَ حَتْماً رَجُلُ اللهِ الَّذِي خَالَفَ أَمْرَ الربِّ، فَأَوْقَعَهُ الربُّ بَيْنَ مَخَالِبِ الأَسَدِ فَافْتَرَسَهُ وَقَتَلَهُ تَحْقِيقاً لِقَضَائِهِ الَّذِي نَطَقَ بِهِ». (الملوك الأول ١٣)

نبوءة ضد الملك بعشا بن أخيا

أوحى الربّ إلى يَاهُو بْنِ حَنَانِي أن يُبْلِغ بَعْشَا بن أخيا أنه من أجل سلوكه مثل سلوك يَرُبْعَامَ الذي ضلّ من قبل، فإن الربّ سوف يستأصل ذرّيّته وكلَّ نسله، ويقضي على بيته كما فعل بسلفه يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ: وَأَوْحَى الربّ إِلَى النَّبِيِّ يَاهُو بْنِ حَنَانِي بِرِسَالَةٍ لِيُبَلِّغَهَا لِبَعْشَا: ٢«لَقَدْ رَفَعْتُكَ مِنَ الْحَضِيضِ، وَنَصَّبْتُكَ مَلِكاً عَلَى شَعْبِي وَلَكِنَّكَ سَلَكْتَ فِي سُبُلِ يَرُبْعَامَ، وَجَعَلْتَ شَعْبِي يَأْثَمُونَ وَيُثِيرُونَ غَيْظِي بِخَطَايَاهُمْ. ٣لِهَذَا سَأَسْتَأْصِلُ ذُرِّيَّتَكَ وَسَائِرَ نَسْلِ بَيْتِكَ، وَأُبِيدُ بَيْتَكَ كَمَا أَبَدْتُ بَيْتَ يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ. ٤فَكُلُّ مَنْ يَمُوتُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ فِي الْمَدِينَةِ تَأْكُلُهُ الْكِلاَبُ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ فِي الْحَقْلِ تَنْهَشُهُ طُيُورُ السَّمَاءِ»..... ٦وَمَاتَ بَعْشَا وَدُفِنَ فِي تِرْصَةَ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَيْلَةُ عَلَى عَرْشِ إِسْرَائِيلَ. (الملوك الأول ١٦)

تأويل النبوءة ضد الملك بعشا بن أخيا

تولّى زمام الحكم أيلة بعد موت أبيه بعشا، فتآمر عليه زمري أحد قواده، واغتاله وخلفه على العرش، وأباد كل ذرية بعشا وجميع المقرّبين منه: ٨وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ حُكْمِ آسَا مَلِكِ يَهُوذَا، اعْتَلَى أَيْلَةُ بْنُ بَعْشَا فِي تِرْصَةَ عَرْشَ إِسْرَائِيلَ لِمُدَّةِ سَنَتَيْنِ. ٩فَتَآمَرَ عَلَيْهِ زِمْرِي قَائِدُ نِصْفِ فِرْقَةِ الْمَرْكَبَاتِ ...... ١٠فَاقْتَحَمَ زِمْرِي الْمَنْزِلَ وَاغْتَالَ أَيْلَةَ ..... وَخَلَفَهُ عَلَى عَرْشِ إِسْرَائِيلَ. ١١وَحَالَمَا تَسَلَّمَ زِمَامَ الْمُلْكِ أَبَادَ كُلَّ ذُرِّيَّةِ بَعْشَا، فَلَمْ يُبْقِ عَلَى ذَكَرٍ مِنْهُمْ، كَمَا قَتَلَ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى بَعْشَا وَأَصْحَابه. (الملوك الأول ١٦)

نبوءة بهلاك الملك اخاب وزوجته إيزابل

أمر الربّ إِيلِيَّا أن يمضي إلى أَخْابَ ملك إسرائيل ويقول له: لأنك خطّطت لقتل نَابُوتَ وكل ذريته واستوليت على كرمه (حديقته)، فإن الربّ قد قضى عليك أن تُقْتل في نفس المكان الذي قُتل فيه نابوت، وأن تلعق الكلابُ دمَكَ كما لَعَقَتْ دَمَهُ، وأنه سوف يُفْني ذرِّيَّتك، ويجعل مصير بيتك كمصير بيت يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ وبيت بَعْشَا بْنِ أَخِيَّا. أما زوجتُك إِيزَابَلَ فسوف تلتهم الكلاب جُثّتها لأنها هي التي أغوتك على الشر: ١٧وَلَكِنَّ الربّ قَالَ لإِيلِيَّا التِّشْبِيِّ: ١٨«قُم امضِ لِلِقَاءِ أَخْآبَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْمُقِيمِ فِي السَّامِرَةِ، فَهَا هُوَ قَدْ نَزَلَ إِلَى كَرْمِ نَابُوتَ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ، ١٩وَقُلْ لَهُ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الربّ: هَلْ قَتَلْتَ وَامْتَلَكْتَ أَيْضاً؟ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَعِقَتْ فِيهِ الْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْعَقُ الْكِلاَبُ دَمَكَ أَيْضاً»..... ٢١لِهَذَا يَقُولُ الربّ: هَا أَنَا أَجْلِبُ عَلَيْكَ شَرّاً وَأُبِيدُ ذُرِّيَّتَكَ وَأُفْنِي كُلَّ ذَكَرٍ لَكَ، حُرّاً كَانَ أَمْ عَبْداً. ٢٢وَأَجْعَلُ مَصِيرَ بَيْتِكَ كَمَصِيرِ بَيْتِ يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ، وَكَمَصِيرِ بَيْتِ بَعْشَا بْنِ أَخِيَّا، لِفَرْطِ مَا أَثَرْتَهُ مِنْ غَيْظِي، وَلأَنَّكَ اسْتَغْوَيْتَ إِسْرَائِيلَ لارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ». ٢٣وَأَصْدَرَ الربّ قَضَاءَهُ عَلَى إِيزَابَلَ قَائِلاً: «إِنَّ الْكِلاَبَ سَتَلْتَهِمُ جُثَّتَهَا عِنْدَ مِتْرَسَةِ يَزْرَعِيلَ.....) (الملوك الأول – ٢١)

الربُّ يتراجع عن هلاك الملك أخآب

لما سمع أَخْآبُ ما قاله إِيلِيَّا مزّق ثيابه، وارتدى ثيابا رثّة، وصام وتذلَّل للربّ. ولما رأى الربُّ منه ذلك قال لإِيلِيَّا أنه من أجل توبة أخآب فإنه لن يُنْزل به العقاب الذي توعّده به، لكن سيُنْزله ببيته في أيام ابنه: ٢٧وَعِنْدَمَا سَمِعَ أَخْآبُ هَذَا الْقَضَاءَ، مَزَّقَ ثِيَابَهُ وَارْتَدَى مِسْحاً، وَصَامَ وَاضْطَجَعَ بِثِيَابِ الْمِسْحِ وَمَشَى ذَلِيلاً. ٢٨فَقَالَ الربّ لإِيلِيَّا: «هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ ذَلَّ أَخْآبُ أَمَامِي؟ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَنْ أَجْلِبَ الشَّرَّ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، بَلْ أُنْزِلَ الْعِقَابَ بِبَيْتِهِ فِي أَيَّامِ ابْنِهِ». (الملوك الأول ٢١)

موت الملك أخآب

بعد ثلاث سنوات اتفق كل من يَهُوشَافَاطُ ملك يهوذا وأَخْآبُ ملك إسرائيل على محاربة الآراميين لاسترداد رَامُوتَ جِلْعَادَ من بين أيديهم، ولما طلب ملك يهوذا من ملك

إسرائيل أن يطلب مشورة الربّ استشار أربعمائة من الأنبياء الكذبة، نصحوه بأن يحارب، وأخبروه أن الربّ سوف ينصره على أعدائه. أما مِيخَا بن يَمْلَة؛ فقد قال له: إن نتيجة المعركة هي هزيمة بني إسرائيل وموت الملك لكنه لم يصدِّقه. وتقابلت الجيوش، وانطلق سهم طائش فأصاب أخآب في بطنه إصابة مميتة وتفرّقت قواته: ٢وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ قَدِمَ يَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُوذَا لِزِيَارَةِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، ٤وَسَأَلَ أَخْآبُ يَهُوشَافَاطَ: «هَلْ تَشْتَرِكُ مَعِي فِي الْحَرْبِ لاِسْتِرْجَاعِ رَامُوتَ جِلْعَادَ؟» فَأَجَابَهُ يَهُوشَافَاطُ: «مَثَلِي مَثَلُكَ: شَعْبِي كَشَعْبِكَ وَخَيْلِي كَخَيْلِكَ». ٥ثُمَّ قَالَ يَهُوشَافَاطُ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ: «اطْلُبِ الْيَوْمَ مَشُورَةَ الربّ». ٦فَجَمَعَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ نَحْوَ أَرْبَعِ مِئَةٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ الأَصْنَامِ وَسَأَلَهُمْ: «هَلْ أَذْهَبُ لِلْحَرْبِ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ أَمْ أَمْتَنِعُ؟» فَأَجَابُوهُ: «اذْهَبْ، فَإِنَّ الربّ سَيَنْصُرُكَ وَيُسَلِّمُهَا لَكَ»..... ٩فَأَمَرَ أَخْآبُ أَحَدَ رِجَالِهِ بِاسْتِدْعَاءِ مِيخَا بن يَمْلَةَ..... ١٥وَلَمَّا حَضَرَ أَمَامَ الْمَلِكِ سَأَلَهُ: «يَامِيخَا، هَلْ نَذْهَبُ لِلْحَرْبِ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ، أَمْ نَمْتَنِعُ؟»..... ١٧عِنْدَئِذٍ قَالَ مِيخَا: «رَأَيْتُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ مُبَدَّدِينَ عَلَى الْجِبَالِ كَخِرَافٍ بِلاَ رَاعٍ. فَقَالَ الربّ: لَيْسَ لِهَؤُلاَءِ قَائِدٌ، فَلْيَرْجِعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ بِسَلاَمٍ». ١٨فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِيَهُوشَافَاطَ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّهُ لاَ يَتَنَبَّأُ عَلَيَّ بِغَيْرِ الشَّرِّ؟»..... ٢٩وَتَوَجَّهَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُوذَا إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ. ٣٠فَقَالَ أَخْآبُ لِيَهُوشَافَاطَ: «إِنَّنِي سَأَخُوضُ الْحَرْبَ مُتَنَكِّراً، أَمَّا أَنْتَ فَارْتَدِ ثِيَابَكَ الْمَلَكِيَّةَ»..... ٣٤وَلَكِنْ حَدَثَ أَنَّ جُنْدِيّاً أَطْلَقَ سَهْمَهُ مِنْ قَوْسِهِ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ، فَأَصَابَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ أَوْصَالِ دِرْعِهِ،..... وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ عِنْدَ الْمَسَاءِ، فَجَرَى دَمُ الْجُرْحِ إِلَى أَرْضِ الْمَرْكَبَةِ. ٣٦وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ تَجَاوَبَتْ صَرْخَةٌ بَيْنَ قُوَّاتِ الْجَيْشِ: «لِيَرْجِعْ كُلُّ رَجُلٍ إِلَى مَدِينَتِهِ وَإِلَى أَرْضِهِ». ٣٧وَهَكَذَا مَاتَ الْمَلِكُ فَنَقَلُوهُ إِلَى السَّامِرَةِ حَيْثُ دُفِنَ فِيهَا..... (الملوك الأول ٢٢)

موت أخزيا بن أخآب

وخلف أَخَزْيَا أباه أَخْآبَ على مُلك إسرائيل، وارتكب الشرّ في عيني الربّ مثل أبيه وأمه: ٥١وَمَلَكَ أَخَزْيَا بْنُ أَخْآبَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ،..... وَدَامَ مُلْكُهُ سَنَتَيْنِ، ٥٢ارْتَكَبَ فِيهِمَا الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الربّ، وَسَلَكَ فِي سُبُلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ،..... (الملوك الأول ٢٢)

وسقط أخزيا فأصيب بجُرْح قاتل، وقال ملاك الربّ لإِيلِيَّا التِّشْبِيِّ أن يخبر رسل الملك الذين أرسلهم لاستشارة كهنة معبد بَعْلَ زَبُوبَ إِلَهِ عَقْرُونَ أنه لن ينْهض من فراشه ثانية، وأنه سوف يموت بسبب جرحه. ومات أَخَزْيَا متأثرا بجرحه وخلفه أخوه يَهُورَامُ على حكم إسرائيل: ٢وَسَقَطَ أَخَزْيَا مِنْ كُوَّةٍ فِي عُلِّيَّةِ قَصْرِهِ فِي السَّامِرَةِ، فَأُصِيبَ بِجُرْحٍ قَاتِلٍ. وَبَعَثَ رُسُلاً إِلَى مَعْبَدِ بَعْلَ زَبُوبَ إِلَهِ عَقْرُونَ قَائِلاً: «امْضُوا وَاسْأَلُوهُ إِنْ كُنْتُ أَبْرَأُ مِنْ جُرْحِي؟» ٣فَقَالَ مَلاَكُ الربّ لإِيلِيَّا التِّشْبِيِّ: «قُمْ وَاذْهَبْ لِلِقَاءِ رُسُلِ مَلِكِ السَّامِرَةِ وَقُلْ لَهُمْ: هَلْ لأَنَّهُ لاَ يُوجَدُ إِلَهٌ فِي إِسْرَائِيلَ تَذْهَبُونَ لِسُؤَالِ بَعْلَ زَبُوبَ إِلَهِ عَقْرُونَ؟ ٤لِذَلِكَ هَذَا مَا يَقُولُهُ الربّ: إِنَّ السَّرِيرَ الَّذِي رَقَدْتَ عَلَيْهِ لَنْ تَنْهَضَ عَنْهُ، بَلْ حَتْماً تَمُوتُ».... ١٧فَمَاتَ أَخَزْيَا بِمُوْجِبِ كَلاَمِ الربّ الَّذِي نَطَقَ بِهِ عَلَى لِسَانِ إِيلِيَّا. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ، خَلَفَهُ أَخُوهُ يَهُورَامُ،..... (الملوك الثاني ١)

القضاء على بيت أخاب

أمر أَلِيشَعُ أَحَدَ رجاله بأن ينطلق إلى رَامُوتِ جِلْعَادَ، وأن يبلغ يَاهُو بْنِ يَهُوشَافَاطَ بْنِ نِمْشِي أن الربّ قد اختاره ليكون ملِكا على إسرائيل، وأن يصُبَّ الزيت على رأسه إيذانا بذلك. وأمره أن يبلغه أن الربَّ قد اختاره ليقضي على بيت أخاب، وأن يخبره أن الكلاب سوف تلتهم إيزابل ولا يتقدم أحد لدفنها: وَاسْتَدْعَى أَلِيشَعُ النَّبِيُّ أَحَدَ الأَنْبِيَاءِ وَقَالَ لَهُ:.....انْطَلِقْ إِلَى رَامُوتِ جِلْعَادَ. ٢وَحَالَمَا تَصِلُ إِلَى هُنَاكَ ابْحَثْ عَنْ يَاهُو بْنِ يَهُوشَافَاطَ بْنِ نِمْشِي،..... ٣وَصُبَّ مِنْ قِنِّينَةِ الزَّيْتِ عَلَى رَأْسِهِ وَقُلْ لَهُ: هَذَا مَا يَقُولُهُ الربّ: قَدِ اخْتَرْتُكَ لِتَكُونَ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ..... ٦فَنَهَضَ وَتَبِعَهُ إِلَى مُخْدَعٍ دَاخِلِيٍّ، حَيْثُ صَبَّ النَّبِيُّ الزَّيْتَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَهُ: «هَذَا مَا يَقُولُهُ الربّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: قَدِ اخْتَرْتُكَ لِتَكُونَ مَلِكاً عَلَى شَعْبِ الربّ إِسْرَائِيلَ، ٧فَتَقْضِي عَلَى بَيْتِ أَخْآبَ..... ١٠وَتَلْتَهِمُ الْكِلاَبُ إِيزَابَلَ فِي حَقْلِ يَزْرَعِيلَ، وَلَنْ تَجِدَ مَنْ يَدْفِنُهَا»..... (الملوك الثاني ٩)

ولجأ يهورام إلى حقل في يزرعيل بسبب جراح أصابته في حربه مع الآراميين فانطلق إليه ياهو. وما إن علم يهورام بمقدمه حتى امتطى مركبته هاربا، فأطلق عليه ياهو سهما قاتلا، وأمر ياهو قائد مركبته أن يطرح جُثّته في الحقل: ١٤وَهَكَذَا تَمَرَّدَ يَاهُو بْنُ يَهُوشَافَاطَ

بْنِ نِمْشِي عَلَى يُورَامَ..... ١٥وَكَانَ يَهُورَامُ الْمَلِكُ قَدْ لَجَأَ إِلَى يَزْرَعِيلَ رَيْثَمَا يَبْرَأُ مِنَ الْجِرَاحِ الَّتِي أَصَابَهُ بِهَا الأَرَامِيُّونَ فِي حَرْبِهِ مَعَ حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ..... ١٦ثُمَّ امْتَطَى (ياهو) مَرْكَبَتَهُ وَانْطَلَقَ إِلَى يَزْرَعِيلَ حَيْثُ كَانَ يُورَامُ (يهورام) مُضْطَجِعاً هُنَاكَ،..... ٢١فَأَمَرَ يَهُورَامُ بِتَجْهِيزِ مَرْكَبَتِهِ،..... ٢٢فَلَمَّا رَأَى يَهُورَامُ يَاهُو سَأَلَهُ: «أَلِلْخَيْرِ قُدُومُكَ؟» فَأَجَابَهُ يَاهُو: «أَيُّ خَيْرٍ مَادَامَ فُجُورُ أُمِّكَ إِيزَابَلَ وَسِحْرُهَا مُتَفَشِّيَيْنِ؟» ٢٣فَأَمْسَكَ يَهُورَامُ زِمَامَ الْمَرْكَبَةِ وَأَطْلَقَ الْعِنَانَ لِخُيُولِهِ هَارِباً..... ٢٤فَأَطْلَقَ يَاهُو سَهْماً عَلَى يَهُورَامَ اخْتَرَقَ ظَهْرَهُ وَنَفَذَ مِنْ قَلْبِهِ، فَأَرْدَاهُ قَتِيلاً فِي مَرْكَبَتِهِ، ٢٥وَقَالَ لِبِدْقَرَ قَائِدِ مَرْكَبَتِهِ: «ارْفَعْهُ وَاطْرَحْهُ فِي حَقْلِ نَابُوتَ الْيَزْرَعِيلِيِّ،.....) (الملوك الثاني ٩)

وتوجّه ياهو إلى قصر إيزابل، وأمر بإلقائها من أعلى؛ فتناثرت دماؤها وداستها الخيول بحوافرها، فأمر بطرح جثتها في حقل يزرعيل. وبعد فترة التهمت الكلاب جثتها: ٣٠وَتَوَجَّهَ يَاهُو إِلَى يَزْرَعِيلَ. فَلَمَّا عَلِمَتْ إِيزَابَلُ بِذَلِكَ كَحَّلَتْ عَيْنَيْهَا وَزَيَّنَتْ شَعْرَهَا وَأَطَلَّتْ مِنَ الْكُوَّةِ..... ٣٣فَقَالَ: «اطْرَحُوهَا». فَأَلْقَوْا بِهَا مِنَ الْكُوَّةِ فَتَنَاثَرَ بَعْضُ دَمِهَا عَلَى الْجِدَارِ وَعَلَى الْخَيْلِ الَّتِي دَاسَتْهَا بِحَوَافِرِهَا. ٣٤وَدَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْقَصْرِ حَيْثُ أَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبُوا وَافْتَقِدُوا هَذِهِ الْمَرْأَةَ الْمَلْعُونَةَ وَادْفِنُوهَا، لأَنَّهَا بِنْتُ مَلِكٍ». ٣٥وَعِنْدَمَا خَرَجُوا لِيَدْفِنُوهَا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَشْلاَئِهَا سِوَى الْجُمْجُمَةِ وَالرِّجْلَيْنِ وَكَفَّيِ الْيَدَيْنِ، (الملوك الثاني ٩)

وأرسل ياهو رسائل إلى شيوخ مدينة يزرعيل والأوصياء على أبناء آخاب وأمرهم بقطع رءوس أبناء آخاب السبعين وتقديمها إليه كدليل على تأييدهم له، وما إن بلغتهم رسالة ياهو حتى قبضوا عليهم جميعا وقتلوهم ووضعوا رءوسهم في سلال وأرسلوها إليه في يَزْرَعِيلَ، وقام هو بقتل البقيّة الباقية من نسل آخاب وجميع إخوته تنفيذا لقضاء الربّ: وَكَانَ لأَخْآبَ سَبْعُونَ ابْناً يُقِيمُونَ فِي السَّامِرَةِ، فَكَتَبَ يَاهُو رَسَائِلَ بَعَثَ بِهَا إِلَى شُيُوخِ مَدِينَةِ يَزْرَعِيلَ وَإِلَى الأَوْصِيَاءِ عَلَى أَبْنَاءِ أَخْآبَ قَائِلاً:..... «إِنْ كُنْتُمْ حَقّاً مِنْ أَنْصَارِي، وَتَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِي، فَاقْطَعُوا رُؤُوسَ أَبْنَاءِ سَيِّدِكُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَأَحْضِرُوهَا إِلَيَّ فِي يَزْرَعِيلَ،..... ٧فَلَمَّا بَلَغَتْهُمْ رِسَالَةُ يَاهُو قَبَضُوا عَلَى الأُمَرَاءِ وَقَتَلُوا سَبْعِينَ رَجُلاً وَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ فِي سِلاَلٍ وَأَرْسَلُوهَا إِلَيْهِ فِي يَزْرَعِيلَ..... ١١وَقَضَى يَاهُو عَلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ نَسْلِ أَخْآبَ فِي يَزْرَعِيلَ، وَعَلَى كُلِّ عُظَمَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَكَهَنَتِهِ، فَلَمْ يُفْلِتْ لَهُ حَيٌّ. ١٢ثُمَّ تَوَجَّهَ مِنْ هُنَاكَ

نَحْوَ السَّامِرَةِ. وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى جُوَارِ بَيْتِ عَقْدِ الرُّعَاةِ فِي الطَّرِيقِ، ١٣ صَادَفَ يَاهُو إِخْوَةَ أَخَزْيَا مَلِكِ يَهُوذا،..... ١٤ فَقَالَ: «اقْبِضُوا عَلَيْهِمْ أَحْيَاءً». فَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ أَحْيَاءً وَقَتَلُوهُمْ جَمِيعاً عِنْدَ بِئْرِ بَيْتِ عَقْدٍ، وَعَدَدُهُمُ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ رَجُلاً. (الملوك الثاني ١٠)

اليشع يضمن النصر للملك يهورام

اجتمعت جيوش يهوذا وإسرائيل وحليفهما ملك أدوم لمحاربة المؤابيين، وطلب يهورام ملك إسرائيل من أَلِيشَع أن يتنبأ له بنتيجة المعركة، فقال له: إن الربّ يطلب منهم أن يحفروا في الوادي حفرا كثيرة وعميقة فيفيض الوادي بالماء ليشربوا منه هم وبهائمهم. وقال له أن الربّ سوف ينصرهم على أعدائهم؛ وعليهم أن يدمّروا حصونهم، ويقطعوا كل شجرة مثمرة، ويردموا كل عيون الماء، ويخرّبوا حقولهم بالحجارة: ١٣ فَقَالَ أَلِيشَعُ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ:..... ١٦ فَقَالَ: «هَذَا مَا يَقُولُهُ الربّ: احْفُرُوا فِي هَذَا الْوَادِي حُفَراً كَثِيرَةً وَعَمِيقَةً، ١٧ وَمَعَ أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رِيحاً وَلاَ مَطَراً فَإِنَّ هَذَا الْوَادِي سَيَفِيضُ بِالْمَاءِ، فَتَشْرَبُونَ أَنْتُمْ وَمَاشِيَتُكُمْ وَبَهَائِمُكُمْ. ١٨ وَهَذَا أَمْرٌ يَسِيرٌ لَدَى الربّ، وَهُوَ أَيْضاً يَنْصُرُكُمْ عَلَى مَلِكِ مُوآبَ. ١٩ فَتُدَمِّرُونَ كُلَّ مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ، وَكُلَّ مَدِينَةٍ رَئِيسِيَّةٍ، وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، وَتَرْدُمُونَ كُلَّ عُيُونِ الْمَاءِ، وَتُخَرِّبُونَ كُلَّ حَقْلٍ خَصِبٍ بِالْحِجَارَةِ». ٢٠ وَفِي الصَّبَاحِ، فِي مِيعَادِ تَقْدِيمِ الْمُحْرَقَةِ دَوَّى هَدِيرُ مِيَاهٍ مُتَدَفِّقَةٍ مِنْ طَرِيقِ أُدُومَ، فَفَاضَتِ الأَرْضُ بِالْمِيَاهِ. (الملوك الثاني ٣)

تحقُّق النصر للملك يهورام

وفي الصباح فاضت الأرض بالمياه، ولما بكّر المؤابيون لمحاربتهم رأوا أشعة الشمس منعكسة على المياه أمامهم فظنّوها دماء من أثر قتال جيوش الملوك الثلاثة مع بعضهم البعضُ، فانطلقوا دون رويّة لنهب معسكراتهم، فباغتهم الإسرائيليون، فأذهلتهم المفاجأة وارتدوا على أعقابهم. وتعقّبهم الإسرائيليون؛ وهم يقتلونهم، ويدمّرون مدنهم، ويخرّبون حقولهم، ويردمون عيونهم، ويقطعون شجرهم تحقيقا للنبوءة: ٢١ وَعِنْدَمَا عَلِمَ الْمُوآبِيُّونَ أَنَّ الْمُلُوكَ الثَّلاَثَةَ اجْتَمَعُوا لِمُحَارَبَتِهِمْ جَنَّدُوا كُلَّ قَادِرٍ عَلَى حَمْلِ السِّلاحِ مِنَ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، وَاحْتَشَدُوا عِنْدَ الْحُدُودِ. ٢٢ وَحِينَ بَكَّرُوا فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي رَأَوْا أَشِعَّةَ الشَّمْسِ مُنْعَكِسَةً

عَلَى الْمِيَاهِ أَمَامَهُمْ، فَبَدَتْ لَهُمْ حَمْرَاءَ كَالدَّمِ. ٢٣فَظَنُّوهَا دماً وَقَالُوا: «قَدْ تَحَارَبَ الْمُلُوكُ مَعاً، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. فَهَيَّا إِلَى النَّهْبِ أَيُّهَا الْمُوآبِيُّونَ». ٢٤فَانْطَلَقُوا إِلَى مُعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، فَهَبَّ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَهَاجَمُوهُمْ فَفَرُّوا أَمَامَهُمْ، فَتَعَقَّبَهُمُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ إِلَى بِلاَدِهِمْ وَهُمْ يَقْتُلُونَهُمْ. ٢٥وَهَدَمُوا الْمُدُنَ. وَرَاحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْجَيْشِ يُلْقِي حَجَراً فِي كُلِّ حَقْلٍ خِصْبٍ حَتَّى مَلأُوهَا، وَرَدَمُوا جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ، وَقَطَعُوا كُلَّ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ،.... (الملوك الثاني ٣)

نبوءة بانتصار الملك يوآش ثلاث مرات

زار يوآش ملك إسرائيل أليشع واستغاثه، فقال له خذ سهما وأطلقه؛ مُرْدِفا أن هذا هو سهم خلاص الرب له، وأنه سوف يقضي على الآراميين ويفنيهم. ثم طلب منه أن يضرب بكفيه على الأرض فضرب ثلاث مرات، فقال له بسخط: لو ضربت أكثر لظللت تُلْحِقْ بهم الهزيمة حتى تبيدهم، ولكنك لن تنتصر عليهم سوى ثلاث مرات فقط: ١٤وَعِنْدَمَا مَرِضَ أَلِيشَعُ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ زَارَهُ يُوآشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، وَأَكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ بَاكِياً قَائِلاً: «يَاأَبِي، يَاأَبِي، يَامَرْكَبَاتِ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا». ١٥فَقَالَ لَهُ أَلِيشَعُ: «تَنَاوَلْ قَوْساً وَسِهَاماً». فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ قَوْساً وَسِهَاماً. ١٦ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ: «وَتِّرِ الْقَوْسَ» فَوَتَّرَ الْقَوْسَ، ثُمَّ وَضَعَ أَلِيشَعُ يَدَهُ عَلَى يَدَيِ الْمَلِكِ. ١٧وَقَالَ: «افْتَحِ الْكُوَّةَ الشَّرْقِيَّةَ». فَفَتَحَهَا، فَقَالَ أَلِيشَعُ: «ارْمِ السَّهْمَ». فَأَطْلَقَهُ فَقَالَ أَلِيشَعُ: «هَذَا سَهْمُ خَلاَصٍ لِلرَّبِّ، سَهْمُ انْتِصَارٍ عَلَى أَرَامَ، فَهَا أَنْتَ سَتَقْضِي عَلَى أَرَامَ فِي أَفِيقَ وَتُفْنِيهِمْ». ١٨ثُمَّ قَالَ أَلِيشَعُ: «خُذِ السِّهَامَ». فَأَخَذَهَا. فَقَالَ أَلِيشَعُ لِلْمَلِكِ: «اضْرِبْ عَلَى الأَرْضِ» فَضَرَبَ عَلَى الأَرْضِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَتَوَقَّفَ، ١٩فَسَخَطَ عَلَيْهِ أَلِيشَعُ وَقَالَ: «لَوْ ضَرَبْتَ خَمْسَ أَوْ سِتَّ مَرَّاتٍ لَظَلَلْتَ تُلْحِقُ الْهَزِيمَةَ بِأَرَامَ حَتَّى تُبِيدَهُمْ، وَلَكِنَّكَ الآنَ لَنْ تَنْتَصِرَ عَلَيْهِم سِوَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ». (الملوك الثاني ١٣)

انتصار الملك يوآش على الآراميين ثلاث مرات

تقول التوراة: إن يوآش واجه الآراميين في ثلاث معارك، وانتصر عليهم فيها، واستردَّ مدن إسرائيل من تحت أيديهم: ٢٢أَمَّا حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرَامَ فَاسْتَمَرَّ فِي مُضَايَقَةِ إِسْرَائِيلَ طَوَالَ أَيَّامِ يَهُوأَحَازَ،..... ٢٤ثُمَّ مَاتَ حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرَامَ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ بَنْهَدَدُ..... وَهَزَمَهُ يُوآشُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، تَمَكَّنَ خِلاَلَهَا مِنِ اسْتِرْدَادِ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ. (الملوك الثاني ١٣)

نبوءة بسلب نفائس الملك حزقيا

علم بَرُودَخُ بَلاَدَانُ ابْنُ الْمَلِكِ الْبَابِلِيِّ بَلاَدَانَ بِمَرَضِ حَزَقِيَّا، فأرسل إليه وفدا محمّلا بالهدايا ليزوره في مرضه فاحتفى بهم حَزَقِيَّا، وأطلعهم على كل ما في خزائنه من نفائس، وعلى كل ما في مخازنه من أسلحة، ولم يترك شيئا في قصره دون أن يُطلعهم عليه. ولمّا علم أَشَعْيَاءُ بأمرهم أخبر حزقيا بأن الربَّ قد قضى عليه بأن يُنقل كلُّ ما في قصره إلى بابل، ويُسبى بعضُ أبنائه ليكونوا خصيانا في قصر ملك بابل: ١٢وَعِنْدَمَا عَلِمَ بَرُودَخُ بَلاَدَانُ ابْنُ الْمَلِكِ الْبَابِلِيِّ بَلاَدَانَ بِمَرَضِ حَزَقِيَّا، بَعَثَ إِلَيْهِ (وَفْداً) وَرَسَائِلَ وَهَدَايَا. ١٣فَاحْتَفَى بِهِمْ حَزَقِيَّا، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى كُلِّ مَا فِي خَزَائِنِ نَفَائِسِهِ مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَأَطْيَابٍ وَعُطُورٍ، وَعَلَى كُلِّ مَخَازِنِ أَسْلِحَتِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَا يَحْتَفِظُ بِهِ فِي خَزَائِنِهِ. لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً فِي قَصْرِهِ وَفِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ لَمْ يُطْلِعْهُمْ عَلَيْهِ..... ١٦فَقَالَ إِشَعْيَاءُ لِحَزَقِيَّا: «اسْمَعْ كَلاَمَ الربِّ. ١٧هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يُنْقَلُ فِيهَا إِلَى بَابِلَ كُلُّ مَا فِي قَصْرِكَ، وَمَا ادَّخَرَهُ أَسْلاَفُكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، وَلاَ يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ، يَقُولُ الربُّ: ١٨وَيُسْبَى بَعْضُ أَبْنَائِكَ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِكَ لِيَكُونُوا خِصْيَاناً فِي قَصْرِ مَلِكِ بَابِلَ».....
(الملوك الثاني ٢٠)

نبوءة ضد الملك منسى بن حزقيا

قال الربُّ على لسان بعض أنبيائه: إنه لأن مَنَسَّى بن حزقيا مَلِكَ يَهُوذَا قد اقترف الموبقات، وارتكب شرورا أشد فظاعة من شرور الأموريين؛ فإنه سوف يجلب شرا على أورشليم ويهوذا مثل الذي أوقعه بآخاب ونسله، وأنه سوف يمسحها من الوجود، ويُسْلِم شعبها إلى أيدي أعدائهم؛ فيصبحون غنيمة وأسرى لهم: ١٠ثُمَّ قَالَ الربُّ عَلَى لِسَانِ عَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ: ١١«لأَنَّ مَنَسَّى مَلِكَ يَهُوذَا اقْتَرَفَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمُوبِقَاتِ، وَارْتَكَبَ شُرُوراً أَشَدَّ فَظَاعَةً مِنْ شُرُورِ الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ، وَأَضَلَّ يَهُوذَا فَجَعَلَهُ يَأْثَمُ بِعِبَادَةِ أَصْنَامِهِ، ١٢لِذَلِكَ يَقُولُ الربُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرّاً عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا، فَتَطِنُّ أُذُنَا كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ. ١٣وَسَأُوقِعُ عَلَى أُورُشَلِيمَ الْعِقَابَ الَّذِي أَوْقَعْتُهُ بِالسَّامِرَةِ، وَبِأَخْآبَ وَنَسْلِهِ. وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ مِنَ الْوُجُودِ كَمَا يُمْسَحُ الطَّبَقُ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ، ثُمَّ يُقْلَبُ عَلَى وَجْهِهِ لِيَجِفَّ. ١٤وَأَنْبِذُ بَقِيَّةَ شَعْبِي وَأُسَلِّمُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ غَنِيمَةً وَأَسْرَى لَهُمْ،.....
(الملوك الثاني ٢١)

في آخر أيام حكم يُوشِيَّا زحف فرعون مصر نَخُوُ لمحاربة الأشوريين، فهب يُوشِيَّا لمساعدة ملك أشور؛ فقُتِل أثناء المعركة وحمله رجاله فدفنوه في أورشليم: ٢٩وَفِي أَيَّامِ حُكْمِ يُوشِيَّا زَحَفَ فِرْعَوْنُ نَخُوُ مَلِكُ مِصْرَ نَحْوَ نَهْرِ الْفُرَاتِ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ أَشُورَ، فَهَبَّ يُوشِيَّا لِمُسَاعَدَةِ مَلِكِ أَشُورَ عِنْدَ مَجَدُّو، فَقَتَلَهُ مَلِكُ مِصْرَ، فِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ. ٣٠فَحَمَلَهُ رِجَالُهُ فِي مَرْكَبَةٍ وَعَادُوا بِهِ مِنْ مَجَدُّو لأُورُشَلِيمَ، حَيْثُ دَفَنُوهُ فِي قَبْرِهِ. فَوَلَّى الشَّعْبُ يَهُوآحَازَ بْنَ يُوشِيَّا مَلِكاً عَلَيْهِمْ خَلَفاً لأَبِيهِ. (الملوك الثاني ٢٣)

وتولّى يهوياكين (من نسل حزقيا) المُلك على يهوذا، وفي فترة حكمه التي دامت ثلاثة أشهر زحف جيش نبوخذناصر ملك بابل على أورشليم وحاصرها؛ فاستسلم الملك وأمُّه وجميع رجاله وسيقوا إلى السبي، وولّى ملك بابل مَتَّنِيَّا عَمَّ يَهُويَاكِينَ الملك خلفا له، وغيّر اسمه إلى صِدْقِيَّا. وما لبث صدقيا أن تمرّد على ملك بابل الذي أرسل جيشه لحصار أورشليم، وأُسر صدقيا، وفُقِئَتْ عيناه، وقُتِل جميعُ أبنائه، وسيق إلى الأسر في بابل: ٨وَكَانَ يَهُويَاكِينُ فِي الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ حِينَ مَلَكَ، وَدَامَ حُكْمُهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِي أُورُشَلِيمَ،..... ١٠وَفِي أَيَّامِهِ زَحَفَ قَادَةُ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ..... ١٢فَاسْتَسْلَمَ يَهُويَاكِينُ مَلِكُ يَهُوذَا وَأُمُّهُ وَرِجَالُهُ وَقَادَتُهُ وَخِصْيَانُهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ نَبُوخَذْنَاصَّرُ..... ١٧وَوَلَّى مَلِكُ بَابِلَ مَتَّنِيَّا عَمَّ يَهُويَاكِينَ خَلَفاً لَهُ، بَعْدَ أَنْ غَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى صِدْقِيَّا..... ١٨وَكَانَ صِدْقِيَّا فِي الْحَادِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ حِينَ مَلَكَ، وَدَامَ حُكْمُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ..... وَمَا لَبِثَ صِدْقِيَّا أَنْ تَمَرَّدَ عَلَى مَلِكِ بَابِلَ. (الملوك الثاني ٢٤)

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِمُلْكِ صِدْقِيَّا، فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، زَحَفَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ بِكَامِلِ جَيْشِهِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرَهَا،..... ٤وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَتَحَ صِدْقِيَّا وَرِجَالُهُ ثُغْرَةً فِي سُورِ الْمَدِينَةِ، وَتَسَلَّلَ مَعَ رِجَالِهِ الْمُحَارِبِينَ مِنْ خِلاَلِ الْبَوَّابَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ السُّورَيْنِ نَحْوَ حَدِيقَةِ الْمَلِكِ..... ٥فَتَعَقَّبَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الْمَلِكَ، وَأَدْرَكَتْهُ فِي صَحْرَاءِ أَرِيحَا، بَعْدَ أَنْ تَفَرَّقَتْ قُوَّاتُهُ عَنْهُ. ٦فَأَسَرُوا الْمَلِكَ وَاقْتَادُوهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ الْمُقِيمِ

فِي رَبْلَةَ، وَحَرَّضُوهُ عَلَى الْقَضَاءِ عَلَيْهِ. ٧ثُمَّ قَتَلُوا أَبْنَاءَ صِدْقِيَّا عَلَى مَرْأَى مِنْهُ، وَقَلَعُوا عَيْنَيْهِ، وَقَيَّدُوهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ، وَسَاقُوهُ إِلَى بَابِلَ. (الملوك الثاني ٢٥)

نبوءة ضد الملك يهوآحاز بن يوشيا

أمر الربُّ إرميا أن يذهب إلى قصر الملك يهوآحاز بن يوشيا ملك يهوذا ويُقدِّم له النصح بأن يُجري العدل بين رعيته، وأن يمتنع عن سفك دماء الأبرياء من شعبه، وأن يتجنّب عبادة الأصنام تأسّيا بوالده الذي كان يسير في طريق الرب. وأمره أن يُخبر الملك بأنه إن أطاع وصايا الربِّ فسوف يظلُّ المُلك فيه وفي ذريته، وإن هو لم يعمل بها فسوف يسلِّط الربُّ عليه جنودا لا قبل له بها تُحوِّل قصره إلى أطلال ومدنه إلى قفار: هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: «انْحَدِرْ إِلَى قَصْرِ مَلِكِ يَهُوذَا وَأَعْلِنْ هُنَاكَ هَذَا الْقَضَاءَ: ٢اسْمَعْ كَلِمَةَ الرَّبِّ يَامَلِكَ يَهُوذَا الْمُتَرَبِّعَ عَلَى عَرْشِ دَاوُدَ، أَنْتَ وَخُدَّامُكَ وَشَعْبُكَ الْمُجْتَازِينَ مِنْ هَذِهِ الْبَوَّابَاتِ: ٣أَجْرُوا الْعَدْلَ وَأَنْقِذُوا الْمُغْتَصَبَ مِنْ يَدِ الْمُغْتَصِبِ، وَلاَ تَجُورُوا عَلَى الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، وَلاَ تَتَعَسَّفُوا عَلَيْهِمْ، وَلاَ تَسْفِكُوا دَماً بَرِيئاً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. ٤لأَنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُمْ هَذَا الْكَلاَمَ فَإِنَّ مُلُوكاً يَتَرَبَّعُونَ عَلَى عَرْشِ دَاوُدَ، رَاكِبِينَ مَرْكَبَاتٍ وَخُيُولاً يَجْتَازُونَ هُمْ وَخُدَّامُهُمْ وَشَعْبُهُمْ بَوَّابَاتِ هَذَا الْقَصْرِ. ٥وَلَكِنْ إِنْ عَصَيْتُمْ هَذِهِ الْوَصَايَا، فَقَدْ أَقْسَمْتُ بِنَفْسِي يَقُولُ الرَّبُّ: أَنْ يَتَحَوَّلَ هَذَا الْقَصْرُ إِلَى أَطْلاَلٍ».... ٨وَتَعْبُرُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ، فَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ لِرَفِيقِهِ: لِمَاذَا صَنَعَ الرَّبُّ هَكَذَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ؟ ٩فَيُجِيبُونَ: لأَنَّهُمْ نَبَذُوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلَهِهِمْ وَسَجَدُوا لِلأَوْثَانِ وَعَبَدُوهَا». (إرميا ٢٢)

ويَنْصَحُ إرميا بني إسرائيل أن لا ينوحوا على يوشيا الملك الصالح الذي مات، وأن شلوم ابنه (يهوآحاز) هو الأحقُّ بالنوح عليه، لأنه لن يعود من منفاه الذي نفاه إليه نخو فرعون مصر، بل يموت في منفاه: ١٠لاَ تَنُوحُوا عَلَى الْمَيْتِ وَلاَ تَنْدُبُوهُ، إِنَّمَا ابْكُوا عَلَى الْمَنْفِيِّ الَّذِي لَنْ يَرْجِعَ وَلَنْ يَرَى أَرْضَ مَوْطِنِهِ ١١لأَنَّهُ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ عَنْ شَلُّومَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، الَّذِي تَوَلَّى الْعَرْشَ عِوَضَ أَبِيهِ، وَالَّذِي خَرَجَ مَنْفِياً مِنْ هَذَا الْمَكَانِ: «إِنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى هُنَا بَعْدُ. ١٢بَلْ يَمُوتُ فِي مَنْفَاهُ الَّذِي سَبَوْهُ إِلَيْهِ وَلَنْ يَرْجِعَ لِيَرَى هَذِهِ الأَرْضَ ثَانِيَةً». (إرميا ٢٢)

تأويل النبوءة ضد الملك يهوآحاز بن يوشيا

اعتقل فرعون مصر نخو الملك يهوآحاز وساقه أسيرا إلى مصر حيث مات ونصّب أخاه ألياقيم بدلا منه وغيّر اسمه إلى يهوياقيم: ٣٣وَاعْتَقَلَ فِرْعَوْنُ نَخُوَ يَهُوآحَازَ وَقَيَّدَهُ فِي رَبْلَةَ فِي أَرْضِ حَمَاةَ لِئَلاَّ يَمْلِكَ فِي أُورُشَلِيمَ،..... ٣٤وَنَصَّبَ فِرْعَوْنُ نَخُوَ أَلِيَاقِيمَ بْنَ يُوشِيَّا خَلَفاً لِيُوشِيَّا أَبِيهِ، وَغَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى يَهُويَاقِيمَ. ثُمَّ سَاقَ يَهُوآحَازَ أَسِيراً إِلَى مِصْرَ حَيْثُ مَاتَ. (الملوك الثاني ٢٣)

نبوءة ضد الملك يهوياقيم بن يوشيا

توعّدُ الربُّ يهوياقيم بن يوشيا بالويل وسوء العاقبة لأنه أسّس ملكه على ظُلْم الرعية والتهافت على الربح الحرام وسفك دم البريء، وقال الربُّ أن قصره الذي حرص على رفع بنيانه وتزيين جدرانه لن يحفظ له مُلْكه، ولن يتمتّع بخيراته التي تحقّقت له مثل أبيه؛ لأنّه ظالم وأبوه كان عادلا ويسير في طريق الربّ. وقد حكم عليه الربُّ بأن يموت ذليلا مغمورا لا يندبه أحد من أهله أو حتى من عبيده أو رعيّته، وأن جُثّته سوف تُدفن خارج أسوار أورشليم: ١٣«وَيْلٌ لِمَنْ يَبْنِي بَيْتَهُ عَلَى الظُّلْمِ وَمَخَادِعَهُ الْعَالِيَةَ عَلَى الْجَوْرِ، الَّذِي يَسْتَخْدِمُ جَارَهُ مَجَّاناً وَلاَ يُوْفِيهِ أُجْرَةَ عَمَلِهِ، ١٤الَّذِي يَقُولُ: «سَأَبْنِي لِنَفْسِي بَيْتاً رَحْباً وَغُرَفاً عَالِيَةً فَسِيحَةً. وَأَفْتَحُ لَهُ كُوًى وَأُغَشِّيهِ بِأَلْوَاحِ الأَرْزِ وَأَدْهُنُهُ بِأَلْوَانٍ حَمْرَاءَ. ١٥أَتَظُنُّ أَنَّكَ صِرْتَ مَلِكاً لأَنَّكَ بَنَيْتَ بَيْتَكَ مِنَ الأَرْزِ؟ أَمَا أَكَلَ أَبُوكَ وَشَرِبَ وَأَجْرَى عَدْلاً وَحَقّاً، فَتَمَتَّعَ بِالْخَيْرَاتِ؟ ١٦قَدْ قَضَى بِالْعَدْلِ لِلْبَائِسِ وَالْمِسْكِينِ فَأَحْرَزَ خَيْراً. أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ مَعْرِفَتِي؟» يَقُولُ الرَّبُّ: ١٧«أَمَّا أَنْتَ فَعَيْنَاكَ وَقَلْبُكَ مُتَهَافِتَةٌ عَلَى الرِّبْحِ الْحَرَامِ، وَعَلَى سَفْكِ الدَّمِ الْبَرِيءِ، وَعَلَى الظُّلْمِ وَالابْتِزَازِ». ١٨لِذَلِكَ هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ عَنْ يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا، مَلِكِ يَهُوذَا: «لَنْ يَنْدُبَكَ أَحَدٌ قَائِلاً: آهِ يَاأَخِي أَوْ آهِ يَاأُخْتِي، أَوْ يَنْدُبُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: آوَّاهُ يَاسَيِّدِي، أَوْ آهِ عَلَى جَلاَلِهِ. ١٩بَلْ يُدْفَنُ دَفْنَ حِمَارٍ، مَجْرُوراً وَمَطْرُوحاً خَارِجَ بَوَّابَاتِ أُورُشَلِيمَ». (إرميا ٢٢)

تأويل النبوءة ضد الملك يهوياقيم بن يوشيا

ورد في سفر الملوك الثاني أن يهوياقيم تمرّد على تبعيّته لنبوخذناصر ملك بابل، وأن الغزاة قضوا على مملكة يهوذا، وأن يهوياقيم مات وخلفه ابنه يهوياكين، ولم يورد السفر أي

ذكر لكيفية موته: وَفِي غُضُونِ حُكْمِهِ هَاجَمَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ مَمْلَكَةَ يَهُوذَا، فَخَضَعَ لَهُ يَهُويَاقِيمُ طَوَالَ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ، ثُمَّ تَمَرَّدَ عَلَيْهِ. ٢فَأَرْسَلَ الرَّبُّ غُزَاةً مِنْ كِلْدَانِيِّينَ وَأَرَامِيِّينَ وَمُوآبِيِّينَ وَعَمُّونِيِّينَ لِلإِغَارَةِ عَلَى مَمْلَكَةِ يَهُوذَا وَإِبَادَتِهَا،..... ٦ثُمَّ مَاتَ يَهُويَاقِيمُ، وَخَلَفَهُ ابْنُهُ يَهُويَاكِينُ. (الملوك الثاني ٢٤)

أما سفر أخبار الأيام الثاني فيقول أن نبوخذناصر ملك بابل قد أخذه مقيّدا بالسلاسل إلى بابل: ٥وَكَانَ يَهُويَاقِيمُ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ حِينَ مَلَكَ، وَدَامَ حُكْمُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَارْتَكَبَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. ٦ثُمَّ هَاجَمَهُ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ وَأَخَذَهُ أَسِيراً مُقَيَّداً إِلَى بَابِلَ. (أخبار الأيام الثاني ٣٦)

نبوءة ضد الملك كنياهو (يهوياكين) بن يهوياقيم

قال الربُّ عن كنياهو (يهوياكين): إنّه سوف يُسلِمُه إلى قبْضة عدوِّه نبوخذناصر ملك بابل، وأن مصيره سيكون الهلاك هو وأمّه في أرض الأعداء، ولن ينجح أحد من ذرِّيّته في الجلوس على عرش يهوذا: ٢٤«حَيٌّ أَنَا» يَقُولُ الرَّبُّ: «لَوْ كَانَ كُنْيَاهُو بْنُ يَهُويَاقِيمَ مَلِكُ يَهُوذَا خَاتِماً فِي يَدِي الْيُمْنَى لَنَزَعْتُهُ مِنْهَا. ٢٥وَأَسْلَمْتُهُ لِطَالِبِي نَفْسِهِ، إِلَى أَيْدِي مَنْ يَفْزَعُ مِنْهُمْ، وَإِلَى قَبْضَةِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، وَإِلَى أَيْدِي الْكَلْدَانِيِّينَ. ٢٦سَأُطَوِّحُ بِهِ وَبِأُمِّهِ الَّتِي حَمَلَتْهُ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى، لَمْ يُولَدَا فِيهَا وَهُنَاكَ يَمُوتَانِ. ٢٧وَلَنْ يَعُودَا قَطُّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يَتُوقَانِ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا».... ٣٠سَجِّلُوا أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ عَقِيمٌ، رَجُلٌ لَنْ يُفْلِحَ فِي حَيَاتِهِ، وَلَنْ يَنْجَحَ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَى عَرْشِ دَاوُدَ وَتَوَلِّي مُلْكِ يَهُوذَا». (إرميا ٢٢)

تأويل النبوءة ضد الملك كنياهو (يهوياكين) بن يهوياقيم

أثناء حكم ياهوياكين ليهوذا زحف نبوخذناصر ملك بابل على أورشليم وحاصرها فاستسلم يهوياكين هو وأمُّه وجميعُ قادته لملك بابل الذي سباهم إلى بابل، وولّى عمه مَتَّنِيَّا مكانه بعد أن غير اسمه إلى صِدْقِيَّا: ١٠وَفِي أَيَّامِهِ زَحَفَ قَادَةُ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ..... ١٢فَاسْتَسْلَمَ يَهُويَاكِينُ مَلِكُ يَهُوذَا وَأُمُّهُ وَرِجَالُهُ وَقَادَتُهُ

وَخِصْيَانُهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ...... ١٧وَوَلَّى مَلِكُ بَابِلَ مَتَّنِيَّا عَمَّ يَهُويَاكِينَ خَلَفاً لَهُ، بَعْدَ أَنْ غَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى صِدْقِيَّا. (الملوك الثاني ٢٤)

أرسل ملك بابل نبوخذناصر من قبض على يهوياكين ملك يهوذا وأسره إلى بابل، وولّى أخاه صِدْقِيَّا خلفا له: ٩وَكَانَ يَهُويَاكِينُ فِي الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ حِينَ مَلَكَ، وَدَامَ حُكْمُهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ فِي أُورُشَلِيمَ، وَارْتَكَبَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. ١٠وَفِي مَطْلَعِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ، أَرْسَلَ الْمَلِكُ نَبُوخَذْنَاصَّرُ فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَنَقَلَهُ إِلَى بَابِلَ مَعَ آنِيَةِ بَيْتِ الرَّبِّ الثَّمِينَةِ، وَوَلَّى أَخَاهُ صِدْقِيَّا خَلَفاً لَهُ عَلَى يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ. (أخبار الأيام الثاني ٣٦)

نبوءة ضد الملك صدقيا

أمر الربُّ حزقيال أن يُبلغ ملك إسرائيل صدقيا أن ساعته قد اقتربت، وأن تاج المُلك سوف يُخلع عن رأسه، وأنه سوف يُسبى إلى بابل: ٢٥وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَطْعُونُ الأَثِيمُ، مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، يَامَنْ أَزِفَ يَوْمُهُ فِي سَاعَةِ الْعِقَابِ النِّهَائِيِّ ٢٦اخْلَعِ الْعِمَامَةَ، وَانْزِعِ التَّاجَ، فَلَنْ يَبْقَى الْحَالُ كَسَالِفِ الْعَهْدِ بِهِ، ارْفَعِ الْوَضِيعَ، وَضَعِ الرَّفِيعَ. ٢٧هَا أَنَا أَقْلِبُهُ، أَقْلِبُهُ، أَقْلِبُهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْهُ أَثَرٌ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ صَاحِبُ الْحُكْمِ، فَأُعْطِيَهُ إِيَّاهُ. (حزقيال ٢١)

تأويل النبوءة ضد الملك صدقيا

ورد في سفر الملوك الثاني أنه في السنة التاسعة لِمُلْكِ صِدْقِيَّا على يهوذا زحف نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ بِجَيْشِهِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرَهَا، واستمر الحصار حتى تفاقمت المجاعة ولم يجد الناس الخبز ليأكلوه، وأن صدقيا وبعض رجاله تسلّلوا من ثغرة في سور المدينة وفرّوا في اتجاه الصحراء؛ لكن قوّات من جيش نبوخذناصر تعقّبوهم وأسروا الملك، وقتلوا أبناءه على مرأى منه، وقلعوا عينيه، وساقوه إلى بابل مقيّدا بالسلاسل. وأحرق البابليون الهيكل وسائر بيوت المدينة بعد أن استولوا على ما فيها من نفائس، وسبوا جميع الشعب إلا بقية من الفقراء تركوهم ليزرعوا الأرض ويفلحوها: وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِمُلْكِ صِدْقِيَّا، فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، زَحَفَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ بِكَامِلِ جَيْشِهِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرَهَا، وَأَقَامَ حَوْلَهَا أَبْرَاجاً. ٢وَاسْتَمَرَّ حِصَارُ أُورُشَلِيمَ حَتَّى الْعَامِ

الْحَادِي عَشَرَ مِنْ مُلْكِ صِدْقِيَّا ٣وَفِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنَ الشَّهْرِ الرَّابِعِ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، تَفَاقَمَتِ الْمَجَاعَةُ فِي الْمَدِينَةِ، حَتَّى لَمْ يَجِدْ أَهْلُهَا خُبْزاً يَأْكُلُونَهُ. ٤وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَتَحَ صِدْقِيَّا وَرِجَالُهُ ثُغْرَةً فِي سُورِ الْمَدِينَةِ، وَتَسَلَّلَ مَعَ رِجَالِهِ الْمُحَارِبِينَ مِنْ خِلالِ الْبَوَّابَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ السُّورَيْنِ نَحْوَ حَدِيقَةِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْكِلْدَانِيُّونَ مُحِيطِينَ بِالْمَدِينَةِ. فَتَوَجَّهَ صِدْقِيَّا وَمُقَاتِلُوهُ إِلَى طَرِيقِ الصَّحْرَاءِ. ٥فَتَعَقَّبَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الْمَلِكَ، وَأَدْرَكَتْهُ فِي صَحْرَاءِ أَرِيحَا، بَعْدَ أَنْ تَفَرَّقَتْ قُوَّاتُهُ عَنْهُ. ٦فَأَسَرُوا الْمَلِكَ وَاقْتَادُوهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ الْمُقِيمِ فِي رِبْلَةَ، وَحَرَّضُوهُ عَلَى الْقَضَاءِ عَلَيْهِ. ٧ثُمَّ قَتَلُوا أَبْنَاءَ صِدْقِيَّا عَلَى مَرْأَى مِنْهُ، وَقَلَعُوا عَيْنَيْهِ، وَقَيَّدُوهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ، وَسَاقُوهُ إِلَى بَابِلَ. ٨وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، قَدِمَ نَبُوزَرَادَانُ قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلَكِيِّ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، ٩وَأَحْرَقَ الْهَيْكَلَ وَقَصْرَ الْمَلِكِ وَسَائِرَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ الْعُظَمَاءِ..... ١١وَسَبَى نَبُوزَرَادَانُ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ الَّذِي بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبِينَ الَّذِينَ لَجَأُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ وَسِوَاهُمْ مِنَ السُّكَّانِ. ١٢وَلَكِنَّهُ تَرَكَ فِيهَا فُقَرَاءَ الأَرْضِ الْمَسَاكِينَ لِيَزْرَعُوهَا وَيَفْلَحُوهَا..... (الملوك الثاني ٢٥)

نبوءة ضد يهورام بن يهوشافاط

لما استتبّ مُلْك يهوذا ليهورام بعد موت أبيه يهوشافاط، قتل جميعَ إخوته وبعض الزعماءِ في عهد أبيه بحدِّ بالسيف، وارتكب الشرّ في عيني الربِّ، وشيّد المعابد للأصنام، وأغوى شعبه ليسيروا في طريق الشرِّ. وسلّمه إيليّا خطابا يقول فيه: إن الربَّ سوف يعاقب شعبه وأبناءه ونساءه، وسوف يضربه هو بأمراض كثيرة وداء عضال تتساقط منه أمعاؤه: وَمَاتَ يَهُوشَافَاطُ فَدُفِنَ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، وَخَلَفَهُ عَلَى الْمُلْكِ ابْنُهُ يَهُورَامُ ..... ٤وَلَمَّا اسْتَتَبَّ لَهُ الأَمْرُ عَلَى عَرْشِ الْمَمْلَكَةِ قَتَلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ بِالسَّيْفِ، كَمَا قَضَى عَلَى بَعْضِ الزُّعَمَاءِ ..... ٦وَسَلَكَ فِي نَهْجِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ، مُقْتَفِياً خُطَى بَيْتِ أَخْآبَ لأَنَّهُ كَانَ مُتَزَوِّجاً مِنِ ابْنَةِ أَخْآبَ، فَارْتَكَبَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ ..... ١١كَمَا شَيَّدَ مَعَابِدَ الْمُرْتَفَعَاتِ أَيْضاً فِي جِبَالِ يَهُوذَا، وَأَغْوَى أَهْلَ أُورُشَلِيمَ عَلَى خِيَانَةِ الرَّبِّ وَأَضَلَّ يَهُوذَا. ١٢وَتَسَلَّمَ خِطَاباً مِنْ إِيلِيَّا النَّبِيِّ وَرَدَ فِيهِ: «هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ إِلَهُ دَاوُدَ أَبِيكَ: لأَنَّكَ لَمْ تَسْلُكْ فِي نَهْجِ يَهُوشَافَاطَ أَبِيكَ،

وَلاَ فِي طُرُقِ آسَا مَلِكِ يَهُوذَا،..... ١٤فَإِنَّ الرَّبَّ سَيُعَاقِبُ شَعْبَكَ وَأَبْنَاءَكَ وَنِسَاءَكَ، وَكُلَّ مَا لَكَ عِقَاباً شَدِيداً. ١٥وَسَيَضْرِبُكَ بِأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ، فَتُعَانِي مِنْ دَاءِ عُضَالٍ فِي أَمْعَائِكَ حَتَّى تَتَسَاقَطَ أَمْعَاؤُكَ مِنْ جَرَّائِهِ يَوْماً فَيَوْماً». (أخبار الأيام الثاني ٢١)

تأويل النبوءة ضد يهورام بن يهوشافاط

أثار الربُّ على يهورام أعداءه من الفلسطينيين والعرب من حوله؛ فهاجموا بلاده واستولوا عليها، ونهبوا كل الأموال المدّخرة في قصره، وسبوا أبناءه ونساءه، وضربه الربُّ بداء عضال في أمعائه ومات وهو يعاني من أمراض خبيثة: ١٦وَأَثَارَ الرَّبُّ عَلَى يَهُورَامَ عَدَاءَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَالْعَرَبِ الْمُسْتَوْطِنِينَ إِلَى جِوَارِ الْكُوشِيِّينَ. ١٧فَهَاجَمُوا يَهُوذَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، وَنَهَبُوا كُلَّ الأَمْوَالِ الْمُدَّخَرَةِ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ، وَسَبَوْا أَبْنَاءَهُ وَنِسَاءَهُ. وَلَمْ يَبْقَ لَهُ ابْنٌ إِلاَّ يَهُوآحَازَ أَصْغَرَ أَوْلاَدِهِ. ١٨وَمَا لَبِثَ أَنْ ضَرَبَهُ الرَّبُّ بِدَاءٍ عُضَالٍ فِي أَمْعَائِهِ. ١٩وَمَعَ مُرُورِ الأَيَّامِ، وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَنَتَيْنِ تَسَاقَطَتْ أَمْعَاؤُهُ مِنْ جَرَّاءِ الدَّاءِ، فَمَاتَ وَهُوَ يُقَاسِي مِنْ مُخْتَلَفِ الأَمْرَاضِ الْخَبِيثَةِ،..... (أخبار الأيام الثاني ٢١)

نبوءة بموت حَنَنِيَّا النبي الكاذب

تنبأ حَنَنِيَّا بْنُ عَزُورَ بأن الربَّ قد أعلن أنه حطّم نير ملك بابل (كناية عن انتهاء سُلْطته) وأنه بعد عامين سوف يُعيد كل آنية هيكل الربِّ التي اغتصبها نبوخذناصر وكل المسبيِّين، فردّ عليه إرميا ليتك تكون صادقا. عندئذ قام حنانيا بتحطيم نير إرميا (الذي يحمله على كتفيه) استهزاء بنبوءته باستمرار العبودية لملك بابل. وعند هذا الحدِّ من التحدِّي لإرادة الربِّ، أمر الربُّ إرميا أن يُخبر حنانيا أنه سوف يُميتُه في هذه السنة: وَفِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ فِي مُسْتَهَلِّ حُكْمِ صِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، قَالَ لِي حَنَنِيَّا بْنُ عَزُّورَ النَّبِيُّ الْكَاذِبُ: ..... ٢«هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: إِنِّي قَدْ حَطَّمْتُ نِيرَ مَلِكِ بَابِلَ. ٣وَبَعْدَ عَامَيْنِ أَرُدُّ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ كُلَّ آنِيَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ الَّتِي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَحَمَلَهَا إِلَى بَابِلَ..... ٥عِنْدَئِذٍ قَالَ إِرْمِيَا النَّبِيُّ لِحَنَنِيَّا الْمُتَنَبِّيءِ أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَسَائِرِ الشَّعْبِ الْمَاثِلِ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ: ٦«آمِينَ. لِيُحَقِّقِ الرَّبُّ هَذَا، وَلْيُتَمِّمِ الرَّبُّ كَلاَمَكَ الَّذِي تَنَبَّأْتَ بِهِ، وَيَرُدَّ آنِيَةَ هَيْكَلِهِ وَكُلَّ الْمَسْبِيِّينَ مِنْ بَابِلَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. ٧لَكِنْ أَصْغِ إِلَى

هَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي أَنْطِقُ بِهَا عَلَى مَسْمَعِكَ وَعَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ كُلِّهِ: ٨إِنَّ الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ كَانُوا
قَبْلِي وَقَبْلَكَ فِي الأَزْمَانِ السَّالِفَةِ، تَنَبَّأُوا عَلَى بُلْدَانٍ كَثِيرَةٍ وَمَمَالِكَ عَظِيمَةٍ بِالْحُرُوبِ وَالْجُوعِ
وَالْوَبَاءِ. ٩أَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي تَنَبَّأَ بِالسَّلاَمِ، فَعِنْدَ تَحَقُّقِ نُبُوءَتِهِ يُعْرَفُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَهُ حَقّاً».
١٠فَأَخَذَ حَنَنِيَّا الْمُتَنَبِّيءُ الْكَاذِبُ النِّيرَ عَنْ عُنُقِ إِرْمِيَا النَّبِيِّ وَحَطَّمَهُ، ١١وَقَالَ أَمَامَ كُلِّ
الشَّعْبِ: «هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: هَكَذَا أُحَطِّمُ نِيرَ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ بَعْدَ عَامَيْنِ عَنْ أَعْنَاقِ
جَمِيعِ الأُمَمِ». ثُمَّ مَضَى إِرْمِيَا النَّبِيُّ فِي سَبِيلِهِ. ١٢وَبَعْدَ أَنْ حَطَّمَ حَنَنِيَّا الْمُتَنَبِّيءُ الْكَاذِبُ النِّيرَ
عَنْ عُنُقِ إِرْمِيَا قَالَ الرَّبُّ لإِرْمِيَا النَّبِيِّ: ١٣«اذْهَبْ وَقُلْ لِحَنَنِيَّا:..... «اسْمَعْ يَاحَنَنِيَّا، هَذَا مَا
يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: إِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَبْعَثْكَ، وَأَنْتَ جَعَلْتَ هَذَا الشَّعْبَ يُصَدِّقُ كَذِبَكَ. ١٦لِذَلِكَ هَكَذَا
يُعْلِنُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أُبِيدُكَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ فَتَمُوتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لأَنَّكَ نَطَقْتَ بِالتَّمَرُّدِ عَلَى
الرَّبِّ». (إرميا ٢٨)

تأويل النبوءة بموت حَنَنِيَّا النبي الكاذب

في الآية التالية من نفس الإصحاح ورد أن حنانيا مات في الشهر السابع من نفس السنة التي تنبأ فيها إرميا بموته: ١٧وَفِي الشَّهْرِ السَّابِعِ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ عَيْنِهَا مَاتَ حَنَنِيَّا. (إرميا ٢٨)

حلم نبوخذناصر ملك بابل

قال الملك: إنه رأى في منامه شجرة عظيمة، أوراقها جميلة، وثمارها كثيرة، يستظلُّ بظلِّها الوحوش، وتأوي إلى أغصانها الطيور، ويأكل منها كلُّ حيّ. وقال الملك أنه سمع صوتا مدوّيا يقول: اقطعوا الشجرة، ومزِّقوا أغصانها، وبعثروا أوراقها وثمارها حتى تتشرّد الوحوش من تحتها وتهجر الطيور أغصانها. ويضيف الصوت قائلا: لكن اتركوا أصل ساقها في الأرض، وأوثقوه بقيد من حديد ونحاس في وسط عشب الحقل؛ ليبتلّ من ندى السماء، ويكون طعامُه من عشب الحقل مع البهائم، وليتحوّل عقلُه من عقل إنسان إلى عقل حيوان إلى أن تنقضي سبعةُ أزمان. وطلب الملك من دانيال أن يفسّر له حلمه بعد أن عجز حكماءُ مملكته عن تفسيره:...... ١٠وَهَذِهِ هِيَ الرُّؤْيَا الَّتِي شَهِدْتُهَا فِي مَنَامِي: رَأَيْتُ وَإِذَا بِشَجَرَةٍ مُنْتَصِبَةٍ فِي وَسَطِ الأَرْضِ ذَاتِ ارْتِفَاعٍ عَظِيمٍ، ١١وَقَدْ نَمَتِ الشَّجَرَةُ وَقَوِيَتْ

حَتَّى بَلَغَ ارْتِفَاعُهَا السَّمَاءَ، وَبَدَتْ لِلْعِيَانِ حَتَّى إِلَى أَطْرَافِ الأَرْضِ. ١٢وَكَانَتْ أَوْرَاقُهَا
جَمِيلَةً وَأَثْمَارُهَا كَثِيرَةً، تَوَافَرَ فِيهَا غِذَاءٌ لِلْجَمِيعِ، وَتَحْتَهَا تَسْتَظِلُّ وُحُوشُ الصَّحْرَاءِ وَتَأْوِي
إِلَى أَغْصَانِهَا طُيُورُ السَّمَاءِ، وَمِنْهَا يَقْتَاتُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ. ١٣ثُمَّ شَاهَدْتُ فِي الرُّؤَى وَأَنَا فِي
مَنَامِي، وَإِذَا بِرَقِيبٍ قُدُّوسٍ قَدْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ١٤وَهَتَفَ بِصَوْتٍ مُدَوٍّ وَقَالَ: اقْطَعُوا
الشَّجَرَةَ وَاقْضِبُوا أَغْصَانَهَا وَبَعْثِرُوا أَوْرَاقَهَا وَانْثُرُوا أَثْمَارَهَا، لِتَشْرُدَ الْوُحُوشُ مِنْ تَحْتِهَا،
وَتَهْجُرَ الطُّيُورُ أَغْصَانَهَا. ١٥وَلَكِنِ اتْرُكُوا سَاقَ أَصْلِهَا فِي الأَرْضِ، وَأَوْثِقُوهُ بِقَيْدٍ مِنْ حَدِيدٍ
وَنُحَاسٍ فِي وَسَطِ عُشْبِ الْحَقْلِ. لِيَبْتَلَّ بِنَدَى السَّمَاءِ، وَلْيَكُنْ طَعَامُهُ مِنْ عُشْبِ الْحَقْلِ مَعَ
الْبَهَائِمِ. ١٦وَلْيَتَحَوَّلْ عَقْلُهُ مِنْ عَقْلِ إِنْسَانٍ إِلَى عَقْلِ حَيَوَانٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَزْمِنَةٍ.
١٧قَدْ صَدَرَ هَذَا الْقَضَاءُ عَنْ أَمْرِ الرُّقَبَاءِ السَّاهِرِينَ، وَقَرَارُ الْحُكْمِ بِكَلِمَةِ الْقُدُّوسِينَ، لِكَيْ
يُدْرِكَ الأَحْيَاءُ أَنَّ الْعَلِيَّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ، يَهَبُهَا لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُوَلِّي عَلَيْهَا أَحْقَرَهُمْ.
١٨هَذَا هُوَ الْحُلْمُ الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا نَبُوخَذْنَاصَّرَ الْمَلِكُ، وَعَلَيْكَ أَنْتَ يَابَلْطَشَاصَّرُ أَنْ تُفَسِّرَهُ،
لأَنَّ كُلَّ حُكَمَاءِ مَمْلَكَتِي قَدْ عَجَزُوا عَنْ إِطْلاَعِي عَلَى تَفْسِيرِهِ. أَمَّا أَنْتَ فَتَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لأَنَّ
فِيكَ رُوحَ الآلِهَةِ الْقُدُّوسِينَ». (دانيال ٤)

تفسير دانيال لحلم نبوخذناصر ملك بابل

ويُفسِّر دانيال الحلم للملك فيقول: إن الشجرة التي شاهدتَها هي أنت أيها الملك،
وقد قضى الله أن تُطْرد من بين الناس، وتلوذ بالصحراء تأكل من عشبها وترتوي من ندى
السماء سبع سنين؛ هي فترة اختبار لك لتتوب عن خطاياك. أما المحافظة على ساق الشجرة
فمعناه أن مملكتك سوف تبقى حتى تنتهي فترة الاختبار، ويرى الله إن كنت قد آمنت به
وأقلعت عن خطاياك فيرُدّها إليك:..... ٢٠الشَّجَرَةُ الَّتِي شَاهَدْتَهَا وَالَّتِي نَمَتْ وَاشْتَدَّتْ
وَبَلَغَ ارْتِفَاعُهَا السَّمَاءَ فَبَدَتْ لِلْعِيَانِ حَتَّى أَطْرَافِ الأَرْضِ،..... ٢٢هِيَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.....
٢٣أَمَّا مَا شَاهَدْتَهُ مِنْ أَنَّ رَقِيباً قُدُّوساً قَدْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ..... ٢٤فَهَذَا هُوَ تَفْسِيرُهُ، وَهَذَا
هُوَ قَضَاءُ الْعَلِيِّ الَّذِي يَحُلُّ بِسَيِّدِي الْمَلِكِ: ٢٥سَيَطْرُدُونَكَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ فَتَأْوِي مَعَ حَيَوَانِ
الصَّحْرَاءِ، يُطْعِمُونَكَ الْعُشْبَ كَالثِّيرَانِ، وَتَبْتَلُّ بِنَدَى السَّمَاءِ، إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ عَلَيْكَ سَبْعَةُ
أَزْمِنَةٍ،..... ٢٦أَمَّا الأَمْرُ الصَّادِرُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى سَاقِ الشَّجَرَةِ فَمَعْنَاهُ أَنَّ مَمْلَكَتَكَ تَبْقَى لَكَ

حَتَّى تُدْرِكَ أَنَّ السِّيَادَةَ هِيَ لِلسَّمَاءِ. ٢٧لِذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، تَقَبَّلْ مَشُورَتِي وَتَخَلَّ عَنْ خَطَايَاكَ
بِالْبِرِّ وَآثَامِكَ بِمُمَارَسَةِ الرَّحْمَةِ مَعَ الْبَائِسِينَ، عَسَى أَنْ يَطُولَ فَلاَحُكَ». (دانيال ٤)

تأويل حلم نبوخذناصر ملك بابل

وبعد مضي اثني عشر شهرا على هذا الحلم تم حكم القضاء على الملك، فنُزِع عنه مُلْكه، وطُرِد من بين الناس، وأكل العشب كالثيران، وابتلَّ جسمُه بندى السماء، واسترخى شعره مثل النسور، وطالت أظفاره مثل كواسر الطيور. وفي نهاية الزمن المحدّد، ثاب إلى رشده، وآمن بقدرة الله؛ فعاد إليه جلالُ مُلْكه، وطلبه مشيروه وكبراءُ دولته؛ فثبّتوه على عرشه:
٢٨وَقَدْ أَصَابَ نَبُوخَذْنَاصَّرَ الْمَلِكَ كُلُّ مَا أَنْبَأَ بِهِ دَانِيآلُ. ٢٩فَبَعْدَ انْقِضَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً عَلَى
هَذَا الْحُلْمِ، وَفِيمَا كَانَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ يَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ قَصْرِ بَابِلَ الْمَلَكِيِّ، ٣٠قَالَ: «أَلَيْسَتْ
هَذِهِ هِيَ بَابِلُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي بَنَيْتُهَا بِقُوَّةِ اقْتِدَارِي لِتَكُونَ عَاصِمَةً لِلْمَمْلَكَةِ، وَلِجَلاَلِ مَجْدِي؟»
٣١وَفِيمَا كَانَتْ كَلِمَاتُهُ بَعْدُ تَتَرَدَّدُ عَلَى شَفَتَيْهِ تَجَاوَبَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «يَانَبُوخَذْنَاصَّرُ
الْمَلِكُ، لَكَ يَقُولُونَ الآنَ قَدْ زَالَ عَنْكَ الْمُلْكُ..... ٣٣فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَمَّ حُكْمُ الْقَضَاءِ عَلَى
نَبُوخَذْنَاصَّرَ، فَطُرِدَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ وَأَكَلَ الْعُشْبَ كَالثِّيرَانِ، وَابْتَلَّ جِسْمُهُ بِنَدَى السَّمَاءِ حَتَّى
اسْتَرْخَى شَعْرُهُ مِثْلَ النُّسُورِ، وَطَالَتْ أَظْفَارُهُ مِثْلَ بَرَاثِنِ الطُّيُورِ. ٣٤وَفِي خِتَامِ السَّبْعَةِ الأَزْمِنَةِ،
أَنَا نَبُوخَذْنَاصَّرُ، الْتَفَتُّ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَرَجَعَ إِلَيَّ عَقْلِي، وَبَارَكْتُ الْعَلِيَّ وَسَبَّحْتُ وَحَمَدْتُ الْحَيَّ
الأَبَدِيَّ ذَا السُّلْطَانِ السَّرْمَدِيِّ، وَالَّذِي مُلْكُهُ عَلَى مَدَى الأَجْيَالِ. ٣٥وَعَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ أَهْلِ
الأَرْضِ لاَ يُحْسَبُونَ شَيْئاً، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ، وَلَيْسَ مَنْ يَكُفُّ
يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ ٣٦فِي ذَلِكَ الْحِينِ ثَابَ إِلَيَّ عَقْلِي، وعَادَ إِلَيَّ جَلاَلُ مَمْلَكَتِي وَمَجْدِي
وَبَهَائِي، وَطَلَبَنِي مُشِيرِيَّ وَنُبَلاَءُ دَوْلَتِي، وَتَثَبَّتُّ عَلَى عَرْشِ مَمْلَكَتِي وَازْدَادَتْ عَظَمَتِي جِدّاً.
٣٧فَالآنَ، أَنَا نَبُوخَذْنَاصَّرُ، أُسَبِّحُ وَأُمَجِّدُ وَأَحْمَدُ مَلِكَ السَّمَاءِ الَّذِي جَمِيعُ أَعْمَالِهِ حَقٌّ، وَطُرُقُهُ
عَادِلَةٌ وَقَادِرٌ عَلَى إِذْلاَلِ كُلِّ مَنْ يَسْلُكُ بِالْكِبْرِيَاءِ. (دانيال ٤)

يقول مفسرو التوراة: إن الملك أصيب بمرض الاستذءاب؛ حيث يتصوّر المريض نفسه ذئبا، ويُفضِّل أن يعيش مع الحيوانات. وأن هذا ما حدث للملك، وأن ابنه قد ملك مكانه في فترة مرضه. وأنه شفي لأنه تاب عن كبريائه، وطلب الرحمة من الله؛ فعاد إليه مُلْكه، وأنهى حياته مؤمنا بالله.

نبوءات ضد أشخاص بعَينِهم في القرآن

وعيد الله للوليد بن المغيرة

يقول المولى عزّ وجلّ عن الوليد بن المغيرة؛ من سادة قريش: إنـه كثير الحلف كذبا، ودائما يغتابُ الناس ويمْشِي بينهم بالنميمة ، ولا يعمل الخير أبدا، ويتجاوز الحدَّ في قضاء حقِّه، ولا يتورّع عن المنكرات، وإنه غليظ في طبعه، كما أنه مشهور بين الناس باللؤم وخِسّة الطبع. ويقول الله جلّ في علاه: إنه رغم إنعامه عليه بكثرة المال والولد، فإنه يقول عن القرآن المنزَّل من لدنه جل شأنه أنه من عند محمّد؛ جمعه من أساطير القدماء. ويقول الله جلّ في علاه: إنه من أجل ذلك سوف يجعل على أنفه علامة يُعيَّر بها طوال عمره كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ (القلم) وفي معركة بدر خُطِم (قُطِع) أنفُه بالسيف، فتحقّق وعيد الله له في الدنيا.

أما عن وعيد الله له في الآخرة فيقول المولى عزّ وجلّ عنه: إنه كان يتباهي بكثير ماله وعديد ولده، ويقول: إن الله سوف يأتيه بالمزيد. ويتوعّده الله بعذاب شديد في نـار جهنم لأنه كفر بآيات الله، وقال حين سمع القرآن؛ أنه ليس من كلام الله ولكن من كلام البشر، وقال أنه سحر تعلّمه محمد من سحرة متمرّسين كما في قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (المدّثّر) وقد أماته الله على الكفر حتى يتحقّق فيه وعيد الله له بعذاب النار وبئس المصير.

وعيد الله لأبي لهب وزوجه

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه (عشيرته) ذات يوم ليُنْذرهم من عذاب شديد إن هم لم يؤمنوا بالله وبرسوله، فسخط عليه عمُّه أبو لهب وقال له تبا لك: (ويل لك)

ألهذا جمعتنا !! فنزل قول الله تعالى يدعو عليه بالويل والثبور، وينبئه أن ماله لن يُغْني عنه من عذاب يوم أليم، وأنه سوف يُعذّب في نار جهنّم. وكانت امرأته دائمة التعرُّض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذى، وكانت تُلْقي بالشوك في طريقه حتى يؤذيه؛ فتوعّدها الله بالعذاب في الآخرة بأن جعل عملها أن تجمع الحطب لتُلْقي به على زوجها في النار؛ لتزداد النار اشتعالا، فيستمرُّ عذابها وعذاب زوجها إلى الأبد كما في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ (المسد) وقد ماتا على الكفر ليتحقّق فيهما وعيد الله لهما بالعذاب في نار جهنّم خالدين فيه أبدا.

وعيد الله للعاص بن وائل

كان العاص بن وائل السهْمي من كفّار مكة المبالغين في عداوتهم للإسلام ولرسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم. وحدث أن جاء نفر من المسلمين يطالبونه ببعض مال لهم عنده فقال مستهزئا: ألستم تزعمون أن في الجنّة ذهبا وحور عين؟ إذا سوف أجمع منها المال الوفير، وأُنجب الولد والذرية، فقط أمهلوني حتى البعْث لأردّ لكم مالكم. ويتعجّب المولى عزّ جلّ من جرأته عليه وتأوّله بما لا يملك عليه دليلا ولا عهدا منه جلّ شأنُه، ويتوعّده بعذاب أليم؛ متّصل غير منقطع يوم يبعثه وحيدا للحساب لا مال له ولا ولد كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (مريم) وقد مات على الكفر ليتحقّق فيه وعيد الله عزّ وجلّ.

تعقيب

ورد في الإصحاح (الثاني من سفر صموئيل الأول) أن الربّ يقول للكاهن عالي على لسان أحد أنبيائه أنه بسبب عدم قيامه بمُهِمّة الكهانة كما ينبغي، سوف يحرمه وجميع أهله من خدمة بيته، وأنه وسوف يُسلِّط الموت على آل بيته شبابهم وشيوخهم، ويجعل من يبقى منهم على وجه الحياة يتمنّى الموت. كما ورد في الإصحاح (الرابع من نفس السفر) خبر موت ابني عالي في مواجهة مع الفلسطينيين، وسقوطه هو نفسه من على كرسيه سقوطا أدّى إلى موته، وموت زوجة ابنه في مخاض عسير.

ورد في الإصحاح (الحادي عشر من سفر الملوك الأول) أن الربّ توعّد الملك سليمان بتمزيق أوصال مملكته لأنّه انحرف عن طريقه. ويُقدِّم (الإصحاح ذاته) تأويلا للنبوءة فيقول: إن الرب قد أثار عليه الأدوميين، وأن بني إسرائيل بعد موته قد نصّبوا يربعام بن ناباط من سبط أفرايم على الأسباط العشرة، وبقي ابنه رحبعام ملكا على يهوذا فقط.

هكذا يورد السفر النبوءة وتأويلها. وهذا يتكرّر كثيرا، وأرى فيه نوعا من السرد لجأ إليه كاتب النص ليضفي على النص صبغة قُدْسيّة قد تكون أكثر تأثيرا في القارئ.

ورد في الإصحاح (الثالث عشر من سفر صموئيل الأول) أن صموئيل قد أبلغ الملك شاول أن الربّ قد اختار غيره ليحِلّ محلّه في مُلْك بني إسرائيل لعدم انقياده لأوامر الربّ. كما ورد في الإصحاح (الخامس عشر من نفس السفر) أن صموئيل قد أبلغ الملك شاول أن الربّ قد ندم أن جعله ملكا لأنّه لم ينفِّذ جميع أوامره (أي الرب)، وأنّه سوف يحرمه من المُلْك. وقد ورد في الإصحاح (الحادي والثلاثين من نفس السفر) أن الملك شاول لما اشتدّت عليه جروحه في إحدى مواجهاته مع الفلسطينيين قتل نفسه بسيفه.

وأتعجّب من اختيار الربّ لشاول لمُلْك بني إسرائيل ثم عدوله عن ذلك لعدم انصياع شاول لأوامره. ألم يكن اختيار الربّ له لما يرىٰ فيه من صلاح !! أم لماذا اختاره إذا دون سواه؟ كما أن موته منتحرا ينزع عنه كل صفة حميدة يستحقها ويكون الرب قد اختاره للمُلْك من أجلها. أما أن يندم الربُّ على اختياره له، فالندم صفة لا تليق أبدا بحقِّ الرب.

ورد في الإصحاح (الثالث عشر من سفر الملوك الأول) أن رجل الله الذي خالف أمر الله وأكل في موضع أمره الله أن لا يأكل فيه بسبب تصديقه لنبي كاذب أخبره أن الرب أمره أن يأكل في داره؛ فكان جزاؤه أن لا تُدْفن جثّته في قبر آبائه. وتورد الآيات التالية من (نفس السفر) أن أسدا قتل رجل الله، وأن جثّته ظلّت مطروحة في الطريق والحمارُ والأسدُ يقفان بجوارها. ترى ماذا يفعلان بجوار الجثة؟

ورد في الإصحاح (الرابع عشر من سفر الملوك الأول) أن أخيا قد تنبّأ بموت الغلام المريض أَبِيَّا بْنُ يَرُبْعَامَ، وأن الرب سوف يبيد كل ذكر من نسل يربعام حتى يَفْنى بيتُه. كما ورد في (نفس الإصحاح) خبر موت الغلام كما تنبّأ أخيا. وكما سلف فإن السفر تنبأ بموت الغلام، ثم أورد خبر موته؛ فهل يُعدُّ ذلك تنبُّؤا؟

كما ورد في الإصحاح (الثالث عشر من سفر أخبار الأيام الثاني) خبر هزيمة جيش يربعام أمام جيش أبيّا ملك يهوذا في مواجهة بين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل، وأنّه مات موتة طبيعية؛ فأي عقاب أوقعه الرب على يربعام؟ أليس الموتُ مصيرَ كل حي؟

ورد في الإصحاح (السادس عشر من سفر الملوك الأول) أن الربّ قد أوحى إلى ياهو أن يُبْلغ الملك بعشا بأنه سوف يستأصل ذرّيته بسبب انحرافه عن طريق الربّ، ويجعل أجسادهم مطعما للكلاب والطيور الجارحة. ويتابع (الإصحاح المذكور) أن بعشا قد مات وخلفه ابنُه أيلة على الحكم، وأن ابنه قد اغتيل على يد زمري الذي أباد كل ذرية بعشا، ولم يذكر شيئا عن كلاب جائعة أو طيور جارحة.

ورد في الإصحاح (الحادي والعشرين من سفر الملوك الأول) أن الربّ قد أوحى إلى إِيلِيَّا أن يُبْلغ أَخْآبَ ملك إسرائيل أنه قد قضى أن يُقتل بنفس الطريقة التي قُتِل بها نَابُوت اليَزْرَعِلي، وأن تفنى كلّ ذريته. وورد في (نفس الإصحاح) أن الربّ قد وعد أن لا يُنْزل به العقاب الذي توعّده به، لكنه سوف يُنْزله بآل بيته في أيام ابن له. هكذا يُنْذر الربُّ ثم يتراجع !! والله لو فعلها أحد من البشر لما سلم من توبيخ الناس له.

كما ورد في الإصحاح (الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول) أن أخزيا بن آخاب قد مات بسبب جرح قاتل. كما ورد في الإصحاح (التاسع من سفر الملوك الثاني) أن الربَّ

قد اختار ياهو بن ياهوشافاط ليقضي على بيت آخاب، وأن الكلاب سوف تنهش جسد إيزابل زوجته، كما ورد في (نفس الإصحاح) أن يورام (يهورام) ابنه قد قُتِل وطُرِحَتْ جثّته في الطريق، وأن إيزابل زوجته قد قُتِلَتْ والتهمت الكلاب جثّتها. كما ورد في الإصحاح (العاشر من نفس السفر) أن أبناء آخاب السبعين قد قُطِعتْ رءوسهم جميعا، وأن قضاء الرب بهلاك نسل آخاب قد تم كما أراد الرب.

ولنا وقفة تعجُّب أمام صفات هذا الربِّ الذي تُقدِّمه لنا التوراة بأنّه يندم، ويتراجع، وينتقم من أبرياء بسبب جُرْم اقترفه غيرُهم؛ حتى لو كانوا آباءهم، فهل يَصِحُّ أن يعاقب الابن نيابة عن أبيه؟

ورد في الإصحاح (الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني) أن يهوآحاز بن يوشيا ملك يهوذا قد سيق أسيرا إلى مصر ومات في الأسر. كما ورد في الإصحاح (الثاني والعشرين من سفر إرميا) أن الربَّ قد وعد بأن يظل المُلْك فيه وفي ذريته إن هو أطاعه، ويتابع نفس السفر بأنه لن يعود من منفاه بل يموت فيه.

وقد اتفق السفران فيما يتعلق بأسر يهوآحاز، أما سفر إرميا فقد ناقض نفسه فيما أورده من وعد الربِّ له بأن يظلّ المُلْك فيه هو وذريته، ومن أنه لن يعود من منفاه بل يموت فيه؛ فما هو تفسير ذلك بمقياس النبوءات الربّانية.

ورد في الإصحاح (الثاني والعشرين من سفر إرميا) كذلك أن الرب قد توعّد يهوياقيم بن يوشيا أن يموت ذليلا مغمورا، وأن تُدْفن جُثّتُه خارج أسوار أورشليم. وذكر الإصحاح (الرابع والعشرون من سفر الملوك الثاني) أنه مات دون أن يذكر كيف مات، كما ذكر الإصحاح (السادس والثلاثون من سفر أخبار الأيام الثاني) أن نبوخذناصر قد أخذه مقيّدا بالسلاسل إلى بابل؛ فأيّهما نصدّق؟

ورد في الإصحاح (الثاني والعشرين من سفر إرميا) كذلك أن الرب قد توعّد كنياهو (يهوياكين) بن يهوياقيم أنه سوف يهلك هو وأمه في أرض الأعداء. وقد ذكر الإصحاح (الرابع والعشرون من سفر الملوك الثاني) أن يهوياكين ملك يهوذا استسلم هو وأمه وجميع

قادته لملك بابل نبوخذناصر الذي سباهم إلى بابل وولّى عمه مَتَّنِيَّا مكانه بعد أن غيّر اسمه إلى صِدْقِيَّا. كما ذكر الإصحاح (السادس والثلاثون من سفر أخبار الأيام الثاني) أن نبوخذناصر أسره إلى بابل وولّى أخاه صِدْقِيَّا خلفا له. والأمر المحيِّر هو هل صدقيا هذا هو عمّه أم أخوه؟

ورد في الإصحاح (الثالث من سفر الملوك الثاني) أن أَلِيشَعْ قد تنبأ بأن الربَّ سوف ينصُر جيوش بني إسرائيل على الأدوميّين، وأنهم سوف يدمِّرون حصونهم، ويقطعون كل شجرة مثمرة، ويردمون كل عيون الماء، ويخرِّبون حقولهم بالحجارة. ويخبرنا (نفس الإصحاح) بأن النتيجة كانت كما قالت النبوءة دون أي مواجهة تذكر مع جيش الأعداء.

ونعجب من هذا الربِّ الذي يفعل لهذا الشعب كل ما يحلو لهم، وبالأسلوب الذي يوافق هواهم.

ورد في الإصحاح (الثالث عشر من سفر الملوك الثاني) أن أَلِيشَعُ قد تنبأ بانتصار يوآش ملك إسرائيل على الآراميين في ثلاث مواجهات لأنه ضرب الأرض ثلاث مرات فقط، وأنه سوف يقضي عليهم ويفنيهم. ويورد (نفس الإصحاح) أنه قد انتصر عليهم ثلاث مرات، ولكن لم يذكر شيئا عن فنائهم الذي ذكرته النبوءة.

وتعجُّبُنا هنا من تقدير الرب الذي يأتي بناء على تصرُّفات عباده لا كما يقدِّر هو ويختار، وهل قدرة الربِّ على فناء أعدائه تعتمد على عدد المواجهات التي يجريها أولياؤه معهم؟

ورد في الإصحاح (العشرين من سفر الملوك الثاني) أن أَشَعْيَاءُ قد تنبّأ بنقل كل ما في قصر الملك حزقيا إلى بابل، وسبْي بعض أبنائه ليكونوا خصيانا في قصر ملك بابل، كما ورد في الإصحاح (الحادي والعشرين من نفس السفر) أن بعض الأنبياء قد تنبأوا بأن الرب سوف يمحو أورشليم من الوجود بسبب خطايا مَنَسَّى بن حزقيا.

كما ورد في الإصحاح (الرابع والعشرين من نفس السفر) أن يهوياكين ملك يهوذا سُبي هو وأمُّه إلى بابل.

كما ورد في الإصحاح (الخامس والعشرين من نفس السفر) أن متنيا (صدقيا) عمّ يهوياكين قد فُقِئت عيناه، وقُتِل جميعُ أبنائه، وأنه سُبِي إلى بابل.

كما ورد في الإصحاح (الحادي والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني) أن يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا قَتَل جميع إخوته، وارتكب الشرّ في عيني الربّ؛ فتنبأ عليه إيليّا بأن الربَّ سوف يعاقبه عقابا شديدا. ويورد (نفس الإصحاح) أن الرب قد أثار عليه أعداءه فسبوا نساءه وأولاده، وأصيب هو بداء عضال.

كما ورد في الإصحاح (الثامن والعشرين من سفر إرميا) أن الرب قد أخبره بموت حَنَنِيَّا بْنُ عَزُورَ النَّبِيُّ الْكَاذِبُ لأنه ادعى أن الربَّ قد أخبره بأنه سوف يفُك أسر بني إسرائيل لدى بابل، وأن البابليين سوف يعيدون لهم كل ما اغتصبوه منهم، ويخبرنا نفس الإصحاح بتحقق موته في نفس السنة.

وهكذا نرى أن ما سبق ذكره من نبوءات أوردتها التوراة، وما ذكرته من تأويلات لتلك النبوءات لا تعدو عن كونها سردا لتلك الوقائع في صورة نبوءات. حتى الوقائع ذاتها لا تخلو من مبالغات وتهويلات لا تؤيِّدها وقائع ولا مستندات، وكذلك مسمّيات معظم الأشخاص والأماكن.

أمّا ما ذكره القرآن الكريم عن الشخصيات التي تناولناها، وما توعّدهم به الله، فقد وقع فعلا، وكلُّه كان متداولا بين الناس وقتها، وسجّله المؤرِّخون والرواة. والتاريخ منهم ليس ببعيد.

الفصل السابع عشر

إظهار الله لبعض غَيْبِهِ

الفصل السابع عشر

إظهار الله لبعض غَيبِه

حتميَّةُ الإيمان بالغيب

لكي يكون المؤمنُ مؤمنا حقّ الإيمان، ومصدّقا بما أنزل الله جلّ في علاه على رسوله ومولاه محمّدا ﷺ أن يؤمن بما أخبر الله به من غيب؛ مثل البعث والجنّة والنّار وغير ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ (البقرة)

إحاطةُ علمِ الله بكل شيء

يعلم الله جلّ شأنه ما تُخْفيه صدورُ الناس وما تُعْلِنُهُ نفوسُهُم، وعلمه محيط بكل ما في السماوات والأرض؛ لا يخفى عليه شيء منه قلّ أو كثُر كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٩ ﴾ (آل عمران)

وأعمال العبادِ لا تخفى على الله عزّ وجلّ مهما قَلّتْ؛ حتى لو بلغت وزن حبّة من خَرْدَل (نوع من البهار)، ومهما حاول العبدُ إخفاءها فإنها لا تخفى على الله جل في علاه، وسوف يحاسبه عليها يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦ ﴾ (لقمان) بهذا ينصح لقمانُ الحكيمُ ابنَه.

ويعلم الله جلّ شأنه الغيب (ما يغيب عنا) والشهادة (ما نشهد وقوعه)، فما يغيب عنا سواء في المكان أو الزمان معلوم له عزّ وجلّ؛ لأنه هو مُبْدِع (خالق من غير مثال سابق) الماضي والحاضر والمستقبل، وكل ما فيها من أمور تجري بعلمه وبإرادته كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣ ﴾ (هود)

وبجانب علمِه جلّ شأنه بكلّ شيء، فإن كلّ شيء مُسجّل عنده في اللوح المحفوظ قبل أن يقع منه شيء، وقبل خلق السماوات والأرض وما فيهن كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ (النمل)

ومن كمال علمِه جلّ شأنه أنه يعلم ما تحمل كلُّ أنثى من مخلوقاته، وما تُسْقِطُه الأرحامُ من أجِنَّة، وما تحتفظ به ليكتمل خلقُه فيها. وكلُّ شيء عنده بمقدار؛ لا يتقدّم عليه ولا يتأخّر عنه، ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمتُه وعلمُه. ولا عجب؛ فهو عالم الغيب والشهادة فلا يغيب عن علمه شيء، وهو الكبير في ذاته، والمتعالي على جميع مخلوقاته كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ (الرعد)

الله جلّ في علاه هو وحده الذي يعلم متى تقوم الساعة، ومتى تخرج الثمرة من وعائها الذي يحتويها، ويعلم وحده ما تحمله كلُّ أنثى، وما تضع من حمل كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ...﴿٤٧﴾ ﴾ (فصلت)

مفاتيح الغيب

من علوم الغيب التي اختصّ الله جلّ في علاه بها نفسه، ولم يُطْلع عليها أحدا من خلقه: موعد قيام الساعة، وموعد نزول الغيث (المطر) وكمِّيّته، وما تحمل كل أنثى؛ ذكرا كان أو أنثى، واحدا كان أو أكثر، شقيّا كان أم سعيدا في دنياه. كما يحيط علمه بفترة الحمل التي قد تنقُص أو تزيد حسب تقديره هو جلّ شأنه. وهو الذي يعلم متى ينتهي أجل (عُمْر) كلِّ نفس، وكيف وبأي أرض تموت. وأنه قد تكفّل برزق الإنسان؛ يأتيه وقتما يشاء جلّ شأنه، وبالكيفية التي يشاء، وبالقدْر الذي يشاء كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (لقمان)، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الرعد)

إظهار الله بعض غيبه لبعض رسله

علمُ الغيبِ صِفَةٌ من صفات الله جلّ شأنه، وقد يشاء أن يُطْلع بعضَ رسله على بعضِ غيبه؛ كمعجزة يؤيّد بها دعوتهم أمام الناس. وكان الله إذا أراد أن يُبْلغ نبيّه بما أراد من علم الغيب، فإنه يُرْسل أمين وحي السماء؛ جبريلَ عليه السلام بالخبر أو المعلومة ومعه ملكان يساندانه؛ حتى لا يكون للشيطان إليه سبيلا، فتصِل الرسالةَ كما أرادها الله جلّت قدرته بلا زيادة أو نقصان كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الجن) هذا ما أمر الله جلّ في علاه به نبيّه كي يُبْلغه إلى كفار مكة؛ الذين جادلوه في موعد قيام الساعة وما يتهدّدُهم به من عذاب.

ماهيّـة الـروح

لمّا سُئِل رسول الله ﷺ عن الروح التي بها يحيا بدن (جسم) الإنسان، أمره ربُّه جلّ شأنه أن يقول لهم أن علمَها عنده هو وحده، وأن علم الإنسان قاصر عن أن يعرف كُنْهَها وماهيتها بدليل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء)

خلقُ السماوات والأرض

خلق الله جلّ شأنه الأرض في يومين اثنين. وفي أربعة أيام أخرى خلق الجبال عليها لتحفظها ثابتة غير مُهْتزّة، وبارك فيها بتكثير المياه والزروع والثمار وغيرها مما تحتاجه المخلوقات، وجعل لكل رزقه لا يزيد عن حاجته ولا ينقُص. ثم قصد إلى السماء التي كانت لا تزال بخارا فأمرها هي والأرض أن تكونا كما أراد، فكانتا دون تلكُّؤ أو عصيان لمشيئته. وفي يومين اثنين جعلهُنّ سبعَ سماوات، وجعل لكل سماء نظامها وقوانينها التي تحكمها بأمره ومشيئته كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ

أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (فصلت) وخلَق الله جلّ شأنه النجوم التي تُزيِّن السماء الدنيا لتكون كمصابيح تبدِّد الظُّلمات، وقذائف تصيب من يسترق السمع من الجن؛ وذلك بتقدير منه. وهو المُهَيْمن (المسيطر) على خَلْقِه، العليم بما يُصْلِحهم.

خلق الله جلّ شأنه السماوات والأرض على ما فيهما من مخلوقات لا يُمكن حصر عددها ولا الإحاطة بعظمتها في ستة أيام، ثم استوى تبارك وتعالى على العرش الذي يسَعُ السماوات والأرض وما فيهن؛ استواء يليق بجلاله وعظمته. وأخبر جلّ شأنه أن عرشه كان على الماء قبل خلْقِهنّ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ...﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (يونس)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ...﴿٧﴾ ﴾ (هود)

ومن آيات قُدْرَة الله جلّ في علاه أنه رفع السماوات بغير عمد تراها الأبصار، وجعل الجبال رواسي تحفظ الأرض من أن تميل أو تهتزّ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ...﴿٢﴾ ﴾ (الرعد)، وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ (لقمان) هذا ما خلقه الله بقدرته، فماذا خلق الذين يعبدونهم من دونه؟ ألا يدل ذلك على ضلال هؤلاء المشركين، وجحدهم (نكرانهم) لنعم الله عليهم.

خلقُ الإنسانِ

يقول المولى عزّ وجلّ: إنه خلق الإنسان بداية من الطين؛ كما في خلق آدم أبو البشر عليه السلام، وأنه جعل تكاثُرَه عن طريق نُطْفة (الحيوان المنوي) من الزوج، تستقِرُّ في قرار مكين هو رَحِم الزوجة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (المؤمنون) ويقول علماء الأجنّة: إن وصف الرَّحِم بالقرار المكين وصفٌ بالغ الدقة لتكوين الرحم بالصورة التي هيّأه الله جلّ شأنه عليها لاحتضان الجنين فترة الحمل ؛ فقد جعله الله جلّ شأنه مكانا آمنا لنُموّ الجنين واستقراره حتى موعد ولادته.

وفيما يلي آيات كريمات تُصوِّر مسيرة الإنسان من بداية خَلْقِه حتى بَعْثِه، فيقول المولى عزّ وجلّ: إنه خلق الإنسان وجعله بشرا سويّا مختارا، لكن اختياره لا يُبْعده عن سلطان الله وقدرته؛ الذي هو أقرب إليه من الوريد الذي يجري بدم الحياة في جسمه، وإنّه قد أوكل به ملكين لصيقين به (شديدي القرب منه) يُسجّلان أقواله، ويرصُدان حركاته وسكناته. وإنه مهما طال به العمر فإن له ساعة يموت فيها ولا مهرب له منها. ولمّا تحين ساعةُ البعث ويُنْفخ في الصور (القرن) ينهض من قبره؛ يسوقه ملَكٌ إلى أرض المحشر (مكان جمع المخلوقات للحساب يوم القيامة)، ويشهد عليه ملَكٌ بكل أعماله في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (ق) ساعتها يعرف الإنسان أنه كان غافلا عن هذا المصير الذي ينتظره، ولم يعمل لمثل هذا اليوم الماثل أمامه ويراه رأي العين.

عرضُ التكليف على جميع المخلوقات

يقول المولى عزّ وجلّ: إنه عرض أمانة التكليف على السماوات والأرض والجبال فخفْن أن لا يقدِرْن على حملها، وطلبن من الله جلّت قدرته أن يجعلهُنّ مسيّرات غير مخيّرات، وأن الإنسان قبلها دون أن يُقدِّر تبعاتها بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب) ولو يدري الإنسان أيّ تكريم أكرمه الله به؛ بأن جعله مخيّرا، لما حاد عن الصراط المستقيم قيد أنملة تقديرا لهذا التكريم من خالقه جلّ شأنه.

ميثاق الله مع ذرّية آدم

استخرج الله جلّ شأنه من صُلْب آدم ذريته (كهيئة الذر) وأشهدهم على أنفسهم أنهُ ربُّهم، وأنه لا إله إلا هو كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف) كما أن الله عزّ وجلّ فَطَرَ الإنسانَ وجبله على توحيده وعدم الشرك به. وصدق رسول الله ﷺ القائل: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه (ينشّئانه يهوديا) أو ينصّرانه (ينشّئانه نصرانيا) أو يمجّسانه (ينشّئانه مجوسيا)».

التحذير من يوم الحساب

يُطمئِن المولى سبحانه وتعالى نبيّه محمّدا ﷺ، ويُنبِئه بمصير هؤلاء المتكبّرين بقوله تعالى لا يخطر ببالك يا محمّد أن الله مُخْلِف وعده رسله بنصرهم وإهلاك عدوِّهم، وأنّه قادر على ذلك، وأن انتقامه يكون شديدا. ويصف المولى سبحانه وتعالى لمحات من يوم الحساب؛ فترى الأرض التي نعيش عليها تتبدّل إلى صعيد آخر يسع جميع مخلوقاته، والسماوات على سعتها مطويّات بيمينه، والخلائق جميعا قد حُشِروا أمام جبروته، والمجرمون من الخَلْق قد سُلْسِلوا بسلاسل من نار في جماعات كلّ حسب ذنبه؛ وعليهم ثياب من قطران شديد الاشتعال نتن الرائحة، والنار تلفح وجوههم من كل جانب كما قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (إبراهيم) وهذا هو يوم الجزاء؛ لتنال كلُّ نفس جزاءها؛ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وحساب الخلائق كلها عند الله لا يستغرق الكثير من الوقت. وقد أنزل الله هذا القرآن إنذارا للناس، وليكون بما فيه من الحجج والبراهين دليلا على وحدانيته جلّ شأنه، وأحقيته بالعبادة دون سائر المخلوقات، وتذكرة لذوي العقول السليمة.

المَوْتَةُ الكُبرى والمَوْتَةُ الصُغرى

يقول المولى عزّ وجلّ: إنه هو الذي يتوفّى النفسَ التي حان أجلُها (يأمر ملَكَ الموت بقبض روحها)؛ فهذه هي المَوْتَةُ الكبْرى، وأنه يتوفّى النفس التي لم يحن أجلُها في نومها (المَوْتَةُ الصغرى)؛ أي أن الإنسان في حالة النوم يكون ميّتا مَوْتَةً صغْرى، فإذا لم يكن قد حان أجلُه، فإن روحه تُردّ إلى جسده ليزاول حياته الطبيعية حتى يحين أجلُه؛ سواء كان مستيقظا أم نائما بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الزمر) ولمّا كنّا في نومنا أمواتا، فكم من العمر نكون أحياء؟ وماذا نقدّم لأخرانا في عمرنا القصير الذي نحياه؟

أعضاؤنا تشهد علينا يوم الحساب

يقول المولى عزّ وجلّ مُحذِّرا من عمل السيّئات؛ ومن أنها لا تُحصى علينا فقط، بل ستشهد بها علينا جوارحُنا من سمع وبصر وجلود، وسوف يتعجّب كلٌّ منّا من شهادة جوارحه عليه وهي التي شاركته فيما كان يفعل؛ بل هي التي قامت بما فعل، مثل العين التي نظرت إلى المحرَّم، واليد التي بطشت أو سرقت ويسألها لماذا شهدَتْ عليه فتقول: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (فصلت) أين المفرُّ إذا؟

تحدّي الله لكفّارِ مكّة

يُقْسِمُ كفّارُ مكّة لرسول الله محمّدا ﷺ أنهم سوف يؤمنون به لو نزلت عليه آية من عند الله تؤكّد صِدْق نبوَّته، ويأمر المولى عزّ وجلّ نبيّه أن يبلغهم أن الآيات عند الله، ولو شاء لأرسلها، لكنّه يعلم أنهم لن يؤمنوا حتى لو أنزل ملائكته كما طلبوا وجعل الموتى وكل مخلوقاته تشهد لهم بصدق نبوّته، وأنهم لن يؤمنوا لأن فطرتهم الفاسدة منعتهم من الإيمان

في البدء، فحوَّل الله قلوبهم عن الحقِّ، وجعلهم يتخبّطون في ضلالهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) ﴾ (الأنعام) ولأنّه كلام الله جلّ في علاه؛ فقد وقع دون تبديل أو تغيير، ومات هؤلاء المعاندين على كُفرِهم؛ إلا من أراد الله لهم الهداية منهم؛ وقليل ما هم.

إخبار الله بانتصار الرّوم على الفُرس

في بداية بعثة محمّد ﷺ كانت هناك حرب بين الفُرْسِ والرّوم انتهت بانتصار الفُرْسِ على الرّوم. ولمّا كان الرّوم أهلَ كتاب والفُرْسُ أهل ضلالَ؛ فقد حزن المسلمون لانتصار الفُرسِ على الرّوم، وبالمقابل فرح الكفار بذلك، وكانوا يعايرون المسلمين. ونزلت هذه الآيات تطمئن المسلمين على قرب نصر الله للرّوم، وجعل الله عزّ وجلّ أجلا لذلك يُقدّر بنحو تسع سنين كما في قوله تعالى: ﴿ الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) ﴾ (الروم) وقد تحقّق ذلك، وانتصر الرّوم على الفُرْسِ في الموعد الذي ضربه الله لنصرهم. والتاريخ يذكُر أنه تم انتصار الفرس في بلاد الشام بقيادة خسرو ابرويز أو خسرو الثاني المعروف بكسرى على الروم بقيادة هيراكليوس الصغير المعروف بهرَقْل عام ٦١٤م واستولى الفرس على أنطاكية ثم دمشق، ثم حاصروا مدينة بيت المقدس وأحرقوها ونهبوها ودمّروا كنيسة القيامة. وردّ هِرقْلُ الكرّة عليهم في معركة على أرض أرمينية عام ٦٢٢م.

ويقول صاحبُ الظلال في تفسيره للقرآن الكريم: إنه في حديث رواه ابن جرير بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبّون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبّون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم. فلما نزلت آية ألم. غلبت الروم ... (الآية) قالوا: يا

أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الرّوم تظهر على فارس في بضع سنين، قال صدق، قالوا هل لك أن نقامرك؛ فبايعوه على أربع قلائص (قلائد من ذهب) إلى سبع سنين. فمضت السبْعُ ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، فشقّ على المسلمين، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا دون العشر، قال اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل. فما مضت السنتان حتى جاءت الرّكْبان بخبر ظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك.

إخبار الله لرسوله عن كيد الكفّار له

كان المشركون في همٍّ وغمٍّ بسبب تكاثُر عدد المسلمين في مكّة، وذيوع خبر رسول الله ﷺ وما يدعو إليه من عبادة الله وحده بين القبائل، وكانوا يرون في ذلك تهديدا عظيما لمكانتهم كسدنة (خُدّام) لبيت الله الحرام، وما يجلبه عليهم ذلك من مكاسب عظيمة ومن رواج لتجارتهم؛ فما كان منهم إلا أن تآمروا ضده بليل، واتّفقوا على قتله ﷺ، فأرسل الله عزّ وجلّ رسوله جبريل عليه السلام ليحذِّره منهم ويأمره بالهجرة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال) وخرج من بيته ﷺ وطالبوه (المتربِّصون به) يترصّدون له أمام باب بيته وسيوفهم مشرعة ليفتِكوا به عند خروجه؛ فأعمى الله جلّ في علاه أبصارهم ولم يروه عند خروجه من باب البيت، وتمّت هجْرَتُه إلى يثرب (المدينة المنوّرة فيما بعد) دون أن يناله مكروه.

وعد الله لرسوله بالنّصر في بَدْر

استقر المقام برسول الله ﷺ والمهاجرين بالمدينة، وصار لهم شأن بعد فترة الاستضعاف في مكّة قبل هجرته ﷺ. ولمّا سمع بأخبار قافلة لقريش قادمة من الشام، ندب المسلمين للخروج للتصدِّي للقافلة عسى الله أن يمكِّنهم منها؛ فيستردّون بعضا من أموالهم التي اغتصبوها منهم عند هجرتهم، فاستجاب للنداء نفر قليل من المسلمين يزيد على الثلاثمائة بقليل. ولمّا عرف قائدُ القافلة أبو سفيان بخروج المسلمين من أجل القافلة، استنفر قريشا (حثّهم على الخروج لنصرته) فخرجوا في حوالي ألف مقاتل لحماية القافلة من أن تقع في أيدي المسلمين، وانحاز أبو سفيان بالقافلة إلى طريق البحر لينجو بها. ولمّا عرف رسول الله

ﷺ بخروج جيش قريش ونجاة القافلة؛ عرض الأمر على من معه، وخيّرهم بين الرجوع إلى المدينة أو مواجهة المشركين، وأخبرهم أن الله قد وعده إحدى الطائفتين؛ الفوز بالقافلة أو النصر على المشركين. فوافقوا على مواجهة كفار مكة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الأنفال) وكان النّصرُ حليفَ المسلمين كما وعد الله جلّ شأنه رسوله الكريم.

إخبار الله لرسوله عن المنافقين

أخبر المولى عزّ وجلّ نبيّه محمّدا ﷺ عن هؤلاء الصنف من المنافقين الذين يعلنون إسلامهم كذبا ونفاقا، ويحلفون بأغلظ الأيمان حتى يُصدِّقهم الناس وينخدعوا بهم، ووصفهم بأنهم ضعيفوا الإيمان، وضعيفوا الفهم، وقد تمكّن الكُفر منهم. وحذّر الله رسوله من أن ينخدع بمظهرهم الحسن، أو أن يُسْتدرج بكلامهم المعسول؛ لأنهم من الضعف بمكان، كأنهم خُشُب مُسْندة إلى جدار لا تلبس أن تقع من أقل هزّة، ويظنّون أن أي صوت يسمعونه هو من عَدُوٍّ قادم إليهم كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (المنافقون)

وأخبر المولى عزّ وجلّ نبيه محمّدا ﷺ عن هؤلاء المنافقين الذين استمعوا إليه وهو يتحدث عن يوم القيامة ثم خرجوا بعد سماعهم ما قال يسألون مستهزئين أيمكن أن تقوم الساعة !! وقال الله عنهم: إنه قد أغلق قلوبهم على الكفر لأنهم اتبعوا أهواءهم ولم يُحكِّموا عقولهم فيما سمعوه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ (محمد)

عاتب المولى عزّ وجلّ رسوله الكريم لأنه أذن لبعض المسلمين بالتخلُّف عن الخروج معه لغزوة تبوك متعلِّلين ببعض الأعذار. وقال عنهم أنهم غير معذورين، وأنهم لو أرادوا

الخروج لقدروا عليه؛ لكنّهم استثقلوا مشقة السفر، واستصغروا الغنيمة والأجر، ولو أنهم كانوا يؤمنون بالله حقّ الإيمان لما تخلّفوا عن الغزو، ولبذلوا في سبيل ذلك المال والنفس. وقال المولى عزّ وجلّ لنبيّه: لو لم تأذن لهم لتبيّن لك الصادق منهم من الكاذب، ولو خرجوا معكم لما كانوا عونا لكم بل كانوا حملا ثقيلا عليكم، ولعملوا على تثبيط عزائمكم. كما أخبر الله نبيّه عنهم أنهم كانوا ينقمون على المسلمين منذ دخل الإسلام إلى المدينة، لكن انتصار المسلمين في بَدْر أكرههم على إعلان إسلامهم وإضمار الكفر لأن كفّة الإسلام صارت هي الراجحة كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)﴾ (التوبة)

كما أخبر الله عزّ وجلّ نبيّه محمّدا ﷺ عن المنافقين أنهم دائما في خوف من أن تُنَزَّل عليه سورة تنبئه بما في قلوبهم من حقد على الإسلام وأهله، وبأنّهم يتظاهرون بعكس ذلك. كما أخبر نبيّه أنهم سوف يعتذرون إليه عند عودته إلى المدينة، وأمره أن لا يقبل اعتذارهم، وأن يُبلغهم أن الله قد أخبره بأمرهم، وأن الله سوف يفضحهم في الدنيا وفي الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) ...يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾ (التوبة)

كما أخبر الله عزّ وجلّ نبيّه محمّدا ﷺ أن المنافقين سوف يُقسمون له أنهم كانوا معذورين في التخلف عن الخروج لغزوة تبوك حتى لا تعاتبوهم عند عودتكم. وأمر نبيّه أن يعرض عنهم ولا يلتفت إليهم لأن نواياهم خبيثة، ومصيرهم النار جزاء أعمالهم. وأخبره أنهم سوف يقسمون له على حسن نواياهم، وحذّر المسلمين من تصديقهم وإعلان الرضا عن أفعالهم لأنه قد غضب عليهم كما في قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (التوبة)

ويتابع المولى عزّ وجلّ فضحه لهؤلاء النفر من المنافقين بقوله: إن المؤمنين من الناس كانوا ينصحونهم بالكف عن نفاقهم، وأن يخلصوا نيّاتهم ويطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم الله لكنهم كانوا يشيحون عنهم مستكبرين. وينه المولى عزّ وجلّ رسوله ﷺ أن يستغفر لهم، لأنه جلّ شأنه لن يغفر لهم حتى لو استغفر لهم سبعين مرة. ويخبره عن حالهم أنهم كانوا يقولون للمسلمين من الأنصار (المسلمين من أهل المدينة) أن لا يُنفقوا على المهاجرين (المسلمين من أهل مكة) حتى يعودوا عن إسلامهم وينفضّوا عن الرسول، كما قالوا وهم عائدون من غزوة بني المصطلق: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنّ الأعزُّ (يعنون أنفسهم) منها الأذلّ (يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه). ويؤكّد الله عزّ وجلّ لرسوله أن العِزّة والنصر له جلّ شأنه ولرسوله وللمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المنافقون)

مسجد ضرار

أخبر المولى عزّ وجلّ نبيّه محمّدا ﷺ عن هؤلاء النفر من المنافقين الذين بنوا مسجدا يجتمعون فيه لتدبير مكائدهم ضِدّ المسلمين وليناف‍سون به مسجد قُباء، وقال له: إنهم سوف

يحلفون له أن مقاصدهم حسنة ونواياهم طيبة؛ وهم كاذبون. وأمر الله جلّ شأنه نبيّه أن لا يصلِّي في هذا المسجد أبدا لأنه لم يؤسّس مرضاة لله. وقال عن مسجد قُباء: إنه أُسِّس مرضاة لله، ولا يصلِّي فيه إلا رجال طاهروا القلب والقالب؛ وهذا ما يُحبّه الله، ويجازي عليه خير الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) ﴾ (التوبة) وقد تمّ هدْم هذا المسجد لقطْع الطريق عليهم، وفضْح مقاصدهم الدنيئة.

بشارة الله لرسوله بفتح مكّة

قصد رسولُ الله ﷺ بجماعة المسلمين مكّة بقصد أداء العمرة، فصدّهم المشركون، ولم يُمكّنوهم من أدائها. وبعد مفاوضات تم الاتفاق بين الطرفين على أن يرجع المسلمون إلى المدينة عامهم هذا ويعودون العام المقبل، وتم عقد معاهدة صلح سُمِّيت بصلح الحُدَيْبِيَة؛ باسم المكان الذي عُقِدت فيه المعاهدة. ورأى كثير من الصحابة في ذلك تخاذلا ونزولا على رغبة كُفّار مكّة لشِدَّة حُبِهم لدخول مكة، وشِدَّة ثقتهم في نصر الله لهم، لكن الله عزّ وجلّ سمّاه فتحا، وبشّر رسوله الكريم بقرب دخوله مكّة فاتحا لا مُعتمرا، كما بشّر الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) ... لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) ... لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) ﴾ (الفتح) وقد تحقّق للمسلين بشرى المغانم الكثيرة بفتح خَيْبَر لدى عودتهم من الحديبية، وتحقّق النصر بفتح مكّة بعدها.

فضح الله للمتخلّفين من الأعراب

امتنع كثير من الأعراب مِمَّن يعيشون حول المدينة عن أن يخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى مكّة عام الحُدَيْبِيَة، فأخبره الله عزّ وجلّ بأمرهم، وأنهم سوف يعتذرون إليه عند رجوعه بأنّهم قد أهمّهم أمر أهلهم وأموالهم؛ فانشغلوا بها عن الخروج معه، وسيطلبون منه أن يستغفر لهم الله ، وأمره أن يقول لهم لا أملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضَرًّا أو أراد بكم نفعا؛ فهو الأعلم بسرائركم. وقال له اعلم يا محمد أن خُبْث سرائرهم قد زيّنت لهم أنكم (أي المسلمين) لن تعودوا سالمين إلى أهليكم، وسوف يخيب ظنُّهم كما في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الفتح) وقد فتح الله جلّ شأنه على المسلمين مكّة دون قتال تحقيقا لوعده لرسوله.

ولمّا علم هؤلاء المخلّفون بنيّة الرسول ﷺ غزو خَيْبَر، وأن الله قد بشّره بالنصر فيها؛ رأوا في ذلك فرصة لغنيمة سهلة، فطلبوا المشاركة في هذه الغزوة. أمر الله رسوله أن لا يوافق على خروجهم معه، لأنه قد وعد أهل الحُدَيْبِيَة بالنصر في خيبر عوضا لهم عما عانوه من إحباط في يوم الحُدَيْبِيَة، وهؤلاء المخلّفون لا يستحقون ثمرة هذا النصر. ويقول المولى عزّ وجلّ عنهم أنهم سيقولون عندما يرفض الرسول الإذن لهم بالخروج معه بأن المسلمين يحسدونهم ولا يريدون لهم الخير، وأن هذا لأنهم لا يفقهون من أمور الدين شيئا كما في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الفتح)

ويأمر المولى عزّ وجلّ نبيّه محمّدا ﷺ أنْ يقول لهؤلاء المخلّفين الذين تخلفوا عن الحُدَيْبِيَة: إنهم سوف يُدْعون إلى حرب قوم أشدّاء؛ هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذّاب. ويُحذِّرهم الله من التخلُّف عن قتالهم، ويخوِّفهم من عذاب النار إن هم فعلوا ذلك، ويبشِّرهم بالغنيمة

والنصر إن هم هبّوا لقتالهم مع جماعة المسلمين كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الفتح) وقد ارتدّ بنو حنيفة عن الإسلام بقيادة مُسَيْلِمة الكذّاب مدّعي النُّبُوَّة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجمع الجموع لقتالهم، وكان النصر حليفا للمسلمين.

فضح الله لتحالُف المنافقين مع يهود بني النضير

يُخبر المولى عزّ وجلّ نبيّه محمّدا ﷺ عن تحالف منافقي المدينة مع يهود بني النضير، وتعهُّدهم لهم بأن يحاربوا معهم المسلمين إن هم خرجوا لحربهم، وأن ينصروهم ضد المسلمين إن هم تعرّضوا لحرب من المسلمين. ويُطَمْئِن الله جل في علاه نبيّه الكريم من جهة هذا الحلف الكاذب، ويبشّره بأنهم لن يخرجوا معهم لقتال، وإن قاتلوا معهم فسيولّون الأدبار خوفا على أنفسهم، وأنهم لفساد عقيدتهم فإنهم يخشونكم أنتم المسلمين أكثر من خشيتهم لله، وأنهم والكافرين من أهل الكتاب ليسوا مستعدِّين لخوض غمار حرب مكشوفة يتقابل فيها الرجال وجها لوجه؛ لكنهم من فَرْطِ جُبْنِهم يفضّلون القتال من خلف حصون محصّنة، والاحتماء بالمتاريس كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الحشر) وقد حارب المسلمون بني النضير وأخرجوهم من ديارهم، ولم يجرؤ هؤلاء المنافقين على نصرتهم، أو تقديم أي عون لهم.

حيـاة البـرزخ

ورد في القرآن الكريم بعض الآيات التي تشير إلى حياة البَرْزَخ، و البَرْزَخُ هو العالم الذي تسكنه الأرواح بعد خروجها من الأجساد. وعندما يموت الإنسان ويُسجّى جسدُه

في لحدِه (يستوي ذلك من دُفِنَ في لحد أم لم يُدْفَنْ) يرى مقعده من النار، ومقعده من الجنة؛ فيتمنّى على الله أن يُرْجعه إلى الدنيا، ليستكثر من عمل الخير إن كان مؤمنا؛ رغبة في الاستزادة مما عند الله من النعيم، وليعمل الصالحات إن كان كافرا؛ لعلّه ينجو من عذاب النار؛ لكن الله يقول: لا عودة، ويجعل بينه وبين الدنيا حاجزا حتى يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (المؤمنون)

ولّما كان آلو فرعون أشدَّ كفرا وتجبُّرا، فقد خصّهم الله جل شأنه بالذكر في قرآنه الكريم للموعظة بقوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر) والآيات تشير إلى مؤمن آل فرعون الذي كان يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام ولكنهم كانوا يجادلونه ويشتدُّون معه ويهدِّدونه بسوء العاقبة، فنجّاه الله من كيدهم وأغرق آل فرعون في اليمِّ (البحر). وفي البَرْزَخِ تُعْرض أرواحُهُم على النار صباحا ومساء، فيرَوْن مقعدهم من النار؛ فتتعذّب نفوسُهم أشد العذاب حتى قيام الساعة، فإذا قامت الساعة عُذِّبوا في النّار بأرواحهم وأجسادهم. ويستوي في ذلك جميع الكفار والمشركين بالله والعاصين لأوامره جلّ شأنه. أما المؤمنون فتُعْرض أرواحُهُم على الجنّة، ويرَوِن مقاعدهم فيها إلى أن تقوم الساعة فيدخلونها فرحين.

خروج الدابّة

لّما ينتشر الفسادُ في الأرض، وينحرف الناس عن دين الله؛ فلا يأمرون بمعروف ولا يتناهون عن منكر، يُخْرج الله جلّ شأنه دابّة من باطن الأرض تقول للناس: إنه قد اقترب وقتُ البعث الذي كنتم تُنْكِرونه، وأن العذاب واقع بكم لا محالة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (النمل)

محاورة أهل الجنّة وأهل النّار

يحصُل حوار مؤثّر بين أهل الجنَّة وأهل النَّار؛ فيقول الذين أنعم الله عليهم بدخول الجنّة لأهل النّار؛ لقد وعدنا الله بالجنّة وكان وعدُه حقّا، وتوعّدكُم بالنار فكان وعيده حقّا أليس كذلك؟ فيجيبهم أهل النار نعم تحقّق وعيده لنا. ويسمعون جميعا قائلا يقول لعنة الله على الكافرين: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الأعراف)

أصحاب الأعراف

جعل الله بين الجنّة والنّار سورا يحجز بينهما، وعلى السور رجال تساوت سيّئاتُهم مع حسناتِهم؛ وينتظرون الفصل في أمرهم إما إلى جنّة وإما إلى نار. وهؤلاء الناس يعرفون كلا من أهل الجنّة وأهل النّار بعلامات تميّزهم؛ فينظرون إلى أهل الجنة ويحيّونهم بتحيّة الإسلام، ويتمنّون على الله أن يكونوا معهم، وينظرون إلى أهل النار ويستعيذون بالله من مثل مصيرهم، وينادون رجالا من أصحاب النار، ويسألونهم هل أنقذتكم قوّتُكم واستكبارُكم عن اتباع الرسل من عذاب النّار؟ كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأعراف)

مجادلة الشيطان مع أوليائه

ومن الطريف في هذا اليوم العظيم هذه المجادلة بين الشيطان وبين أوليائه الذين يلومونه على إغوائه لهم، فيقول لهم: لا تلوموني ولوموا أنفسكم، فقد وعدكم الله بالبعث والجزاء؛ لكنكم كذّبتم كلام الله وصدّقتموني أنا، ولم أُجبِركم على طاعتي؛ بل هي نفوسكم المريضة التي زيّنت لكم ذلك. وفي هذا اليوم الذي يُجازى المرء فيه بعمله، ولا أحد يغيثُ أحدا، فقد تبرّأتُ من اعتقاداتكم الفاسدة وإشراككم بي مع الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ

عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (إبراهيم)

قِصّة زَيْنَب بنت جَحْش رضي الله عنها

كان زَيْدُ بن حارثة يشتكي لرسول الله ﷺ أنفة من زوجه زَيْنَب بنت جَحْش وتعاليا في تعاملها معه كزوج، وكان يقول له أنه يفكّر في أن يطلّقها. وكان الله جلّ شأنه قد أوحى لرسوله أن زَيْدا سيُطلّقها ويتزوّجها هو، لكنه كان يحاول أن يثني زيد عن طلاقها لفرط حبّه له وحدَبه عليه. وعاتب الله نبيّه بسبب ذلك لأن مشيئة الله نافذة لا ريب لإبطال عادة جاهليّة متجذّرة في النفوس؛ وهي التبنّي وما يترتب عليه من تبعات لا يرضى لها الله أن تستمرّ؛ كأن يرث الأب ابنه بالتبنّي، ويرث الابن أباه بالتبنّي كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الأحزاب) وقد تم مراد الله جلّ في علاه، فطلّق زيد زينبا وتزوّجها رسول الله؛ ليكون درسا عمليّا يُحتذى؛ وما أبلغه من درس.

تعقيب

من أُسُسِ الإسلام التي تواتر ذكْرُها في القرآن الكريم؛ الإيمان بالغيب، وقد قرنه المولى عزّ وجلّ بإقامة الصلاة التي هي عماد الدين، وخصّ به ذاته فلا يعلم الغيب أحد من خلقه، وعِلْمُه محيط بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء قلّ أو كثُر، صغُر أو كبُر، غاب عنا أو حضر. وكل أفعال العباد وما يجري على الخلائق مُسجّل في اللوح المحفوظ عنده جلّ شأنه.

ومن أمور الغيب على سبيل المثال لا الحصر الأرحام وما يتخلّق فيها أو تطرحه من حمل، موعد قيام الساعة، كمّيات الثمر وأنواعها على كثرتها، موعد نزول المطر وكمّيته وموطن نزوله، أحوال العباد وجميع المخلوقات.

وقد يُطْلِع الله جلّ شأنُه بعضَ رسله على بعض غيبه في حدود وبضمانات حدّدها، وفي ظروف قدّرها جلّ شأنه.

وقد أخبر المولى عزّ وجلّ عن خلق الأرض والسماوات، وتقدير أرزاق العباد والمخلوقات بقدر معلوم وموزون. وعن خلق الإنسان بداية من آدم عليه السلام، ومراحل خلق الجنين في الرحم، ومراحل نمو الإنسان، والملائكة الموكلة به طوال حياته، وعند موته وبعثه وحتى ساعة الحساب.

وأخبر المولى عزّ وجلّ أن كل ما في الكون من نجوم وكواكب وشموس وجبال وزرع وحيوان مسيّرون بأمره ومشيئته، ووفقا لسننه وقوانينه. وفي المقابل جعل الإنسان مخيّرا؛ وكان هذا قمة التكريم له، ودليل عُلُوِّ قدره عنده جلّ شأنه.

وأخبر المولى عزّ وجلّ أنه فطر الإنسان على عقيدة التوحيد، وجعله موحّدا بطبيعته لو لم يتسبب أحد في تحويله عن فطرته التي فطره الله عليها.

ولما كان الإنسان مخيّرا في أفعاله، فقد سنّ الله جلّ شأنه للناس سننا وشرائع لتستقيم الحياة، وتستقِرّ أمور الخلق بما يكفل لهم إعمار الأرض وعبادته حق العبادة. ولما انحرفت

البشرية عن فطرتها أرسل رسله ليعيدوا الناس إلى الطريق المستقيم، وجعل الأرض مستقرّا ومتاعا إلى حين، وكتب الموت على الجميع، وجعل البعث ليوم الحساب، وجعل المصير الأبدي في الحياة الأخرى جنة لمن آمن به وبرسله وعمل بمقتضى شرائعه، ونارا لمن عصاه وكذّب رسله وعاث في الأرض فسادا.

أخبر المولى عزّ وجلّ عن انتصار الرّوم على الفُرْس بعد هزيمتهم وهذا يؤكد تعاطُف المسلمين مع الرّوم؛ وهم أهل كتاب ضد الفُرْس؛ وهم أهل شرك وضلال.

أخبر المولى عزّ وجلّ رسوله الكريم عن كيْد الكفّار له وحذّره من أنهم يأتمرون على قتله، وأمره بالهجرة إلى يثرب التي صارت مركزا للدعوة الإسلامية، ونقطة انطلاق إلى أرجاء المعمورة. ومثل هذا التحذير هو بمثابة تأييد منه جلّ شأنه لرسوله ﷺ.

بَشّر المولى عزّ وجلّ رسوله الكريم بالنصر على المشركين في موقعة بَدْر، وكان نصر القِلّة المؤمنة على الكثرة الكافرة في أول صدام بين جماعة الإيمان وجماعة الكفر إيذانا بأن هذا الدين سوف يعلو على من سواه من الملل والنحل والديانات المُحرّفة.

كما بَشّره بفتح مكّة، وكان ذلك إيذانا بانطلاق الدعوة إلى جميع الآفاق. ومن ثمرات هذا الفتح أن أهلها؛ وقد كانوا الأكثر عداوة للإسلام ونبيّه الكريم، صاروا هم أشد الناس حرصا على نشر الدعوة والجهاد في سبيلها، وحملوا لواءها إلى الناس جميعا.

أخبر المولى عزّ وجلّ رسوله الكريم بما يكِنُّه المنافقون للإسلام ونبيه الكريم لأنه كان يعاملهم بظاهرهم ويترك باطنهم إلى مولاه جلّ في علاه، ولم يتركه جلّ شأنه في غفلة من أمرهم. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعرفهم بأسمائهم لكنه لم يُعلِمْ أحدا بشأنهم، وترك أمرهم إلى الله يقتصُّ منهم بمشيئته.

ولما كان المنافقون من أكثر البشر خِسّة وسوء خُلُقْ؛ فقد حذّر المولى عزّ وجلّ رسوله الكريم منهم. ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام حريصا على هداية الناس جميعا، فقد كان يدعو لهم بالهداية، لكن الله الأعلم ببواطنهم نهاه عن ذلك، وأمره أن لا يستغفر لأحد منهم.

ولما كانت مساجدُ الله هي أشرف البقاع على الأرض لأنها موضع السجود له جلّ شأنه ولا يجوز أن تُبنى لأمر من أمور الدنيا. ولما كان مسجد ضرار قد بُنِي ليكون مقرّا للكيد للإسلام والمسلمين، فقد أمر الله جلّ شأنه بهدمه فضحا لمن بنوه، وتبصِرة للمسلمين بأمرهم.

لم يقف المنافقون في بُغْضهم للإسلام عند حدِّ حديث النفس، بل تخطّاه إلى الكيد والتآمر مع أعداء المسلمين؛ وهم اليهود الذين كانوا أكثر الناس عداوة للإسلام والمسلمين، وكانوا يتحيّنون الفرص للقضاء على الدعوة في مَهْدِها، والتخلُّص من حامل لوائها محمّدا عليه الصلاة والسلام. ونصر الله جلّ شأنه نبيّه على اليهود في المدينة وما حولها، وأخرجهم المسلمون من ديارهم؛ فلم تحميهم حصونهم ولا أسلحتهم التي كدّسوها لحرب المسلمين.

وممّا أخبر عنه المولى عزّ وجلّ في قرآنه الكريم حياة البرزخ، وما يكون عليه حال الإنسان بعد الموت وقبل البعث، وهي من أمور الغيب التي نصدِّق بها، ونعتقد فيها كأننا رأيناها وعشنا أحداثها لأن الله جلّ في علاه هو الذي أَخْبَرَ بها.

ومن أمور الغيْب التي أخبر عنها المولى عزّ وجلّ في كتابه الكريم خروج الدابّة لتحذِّر الناس من يوم البعث الذي اقترب، وتخوِّفهم من عذاب الله إن ماتوا على الكفر.

ومن أمور الغيب التي أخبر عنها المولى عزّ وجلّ في كتابه الكريم ما يدور من حوار بين أهل الجنّة وأهل النّار، وبين أهل الأعراف وكلٍ من أهل الجنة وأهل النار، وبين الشيطان وأوليائه. وهي والله من الأمور التي تدعو إلى التفكُّر ومراجعة النفس لعلّ الله جل في علاه أن يتغمّدنا بواسع رحمته، ويجعلنا من أهل جنّته؛ إنه سميع مجيب قادر مقتدر.

ومن أمور الغيْب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم قصّة طلاق زَيْنَب بنت جحش من زَيْد بن حارثة رضي الله عنهما، وزواجها من رسول الله عليه الصلاة والسلام لإبطال عادة جاهلية لا تستقيم مع شرع الله. وأن يجعل المولى عزّ وجلّ رسوله محمّدا عليه الصلاة والسلام هو القدوة في أمر كهذا؛ لهو الدليل القاطع على عِظَم الأمر وجِدِّيته.

الفصل الثامن عشر

يأجـوج ومأجـوج

الفصل الثامن عشر

ياجوج وماجوج في التوراة

مؤامرة جوج الشريرة

يقول حزقيال: إن الربّ توعّد جوج رئيس روش ماشك وتوبال (روسيا) وكلّ من تجمّع معه من جيوش فارس وإثيوبيا وليبيا وجومر (شرق تركيا) وبيت توجرمة (جنوب شرق أرمينيا) وصاروا تحت إمرته من أجل الغنيمة؛ بأنّه سوف يقهرهُم جميعا، ويفرّق جمعهم، ويردّهم عن أرض إسرائيل رغم أعدادهم الهائلة، ورغم أسلحتهم القاتلة، ورغم زهوهم بقوّتهم. ويقول الربُّ لجوج: لا يغرّنك أنك قوي وهم ضعفاء، وأنك متحفّز لقتالهم وهم مسالمون وغير متأهّبين لقتال: وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: ٢ «يَاابْنَ آدَمَ، الْتَفِتْ بِوَجْهِكَ نَحْوَ جُوجٍ أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ، ٣وَقُلْ، هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَنْقَلِبُ عَلَيْكَ يَاجُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ، ٤وَأَقْهَرُكَ وَأَضَعُ شَكَائِمَ فِي فَكَّيْكَ، وَأَطْرُدُكَ أَنْتَ وَكُلَّ جَيْشِكَ خَيْلاً وَفُرْسَاناً..... ٥وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ رِجَالُ فَارِسَ وَإِثْيُوبِيَا وَفُوطَ..... ٦وَأَيْضاً جُومَرُ وَكُلُّ جُيُوشِهِ، وَبَيْتُ تُوجَرْمَةَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ مَعَ كُلِّ جَيْشِهِ. جَمِيعُهُمْ جُيُوشٌ غَفِيرَةٌ اجْتَمَعَتْ إِلَيْكَ. ٧تَأَهَّبْ وَاسْتَعِدَّ أَنْتَ وَجَمِيعُ الْجُيُوشِ الْمُنْضَمَّةِ إِلَيْكَ، لأَنَّكَ أَصْبَحْتَ لَهُمْ قَائِداً، ٨إِذْ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ تُسْتَدْعَى لِلْقِتَالِ، فَتُقْبِلُ فِي السِّنِينَ الأَخِيرَةِ إِلَى الأَرْضِ النَّاجِيَةِ مِنَ السَّيْفِ الَّتِي تَمَّ جَمْعُ أَهْلِهَا مِنْ بَيْنِ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ، فَأَقَامُوا مُطْمَئِنِّينَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي كَانَتْ دَائِماً مُقْفِرَةً فِي نَظَرِ الَّذِينَ لَمَّ شَتَاتُهُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ، ٩فَتَأْتِي مُنْدَفِعاً كَزَوْبَعَةٍ، وَتَكُونُ كَسَحَابَةٍ تُغَطِّي الأَرْضَ أَنْتَ وَجُيُوشُكَ وَكُلُّ مَنْ مَعَكَ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ..... ١٢لِلاسْتِيلاَءِ عَلَى الأَسْلاَبِ وَنَهْبِ الْغَنَائِمِ وَمُهَاجَمَةِ الْخَرَائِبِ الَّتِي أَصْبَحَتْ آهِلَةً، وَلِمُحَارَبَةِ الشَّعْبِ الْمُجْتَمِعِ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ، الْمُقْتَنِي مَاشِيَةً وَأَمْلاَكاً، الْمُسْتَوْطِنِ فِي مَرْكَزِ الأَرْضِ. ١٣وَيَسْأَلُكَ أَهْلُ شَبَا وَرُودُسَ وَتُجَّارُ تَرْشِيشَ وَكُلُّ قُرَاهَا؛ أَقَادِمٌ أَنْتَ لِلاسْتِيلاَءِ عَلَى الأَسْلاَبِ؟ هَلْ حَشَدْتَ جُيُوشَكَ لِنَهْبِ الْغَنَائِمِ وَلِحَمْلِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَأَخْذِ الْمَاشِيَةِ وَالْمُقْتَنَيَاتِ وَلِلسَّلْبِ الْعَظِيمِ؟ (حزقيال ٣٨)

ويقول الربُّ: إن جوج سوف يُقْبِل بجيوشه التي تغطِّي وجه الأرض من كثرتها، وأنه سوف يدمِّره أمام عيون بني إسرائيل المُبَخلقة من الرهبة، وأن هِزّة عظيمة سوف تصيب الأرض فترتعد منها جميع المخلوقات، وتندكُّ الجبال من قوّتها. ويقول الربُّ: إنه سوف يسلِّط جنودَه على بعضهم البعض فيقْتُل كلُّ منهم صاحبَه؛ وأنه من كثرة جثثهم يأتي وباء عظيم يقضي على بقيّتهم. ويقول الربّ أنه سوف يرسل عليهم مطرا جارفا يصاحبه برد عظيم، ثم يرسل عليهم من السماء نارا وكبريتا؛ فلا يُبْقي منهم أحدا: ١٤لِذَلِكَ تَنَبَّأْ
يَاابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِجُوجٍ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَمَا يَسْكُنُ شَعْبِي إِسْرَائِيلُ
آمِناً، أَلاَ تَعْلَمُ ذَلِكَ؟ ١٥وَتُقْبِلُ أَنْتَ مِنْ مَقَرِّكَ فِي أَقَاصِي الشِّمَالِ مَعَ جُيُوشٍ غَفِيرَةٍ، تُغَشِّي
الأَرْضَ؛ كُلُّهُمْ رَاكِبُو خَيْلٍ وَجَمْعٌ عَظِيمٌ وَجَيْشٌ كَثِيرٌ. ١٦وَتَزْحَفُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ
كَسَحَابَةٍ تُغَطِّي الأَرْضَ، أَنِّي فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ آتِي بِكَ إِلَى أَرْضِي لِكَيْ تَعْرِفَنِي الشُّعُوبُ
عِنْدَمَا تَتَجَلَّى قَدَاسَتِي حِينَ أُدَمِّرُكَ يَاجُوجُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ..... ١٨وَيَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَمَا يَزْحَفُ جُوجُ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَحْتَدِمُ غَضَبِي فِي وَجْهِي. ١٩وَفِي
خِضَمِّ غَيْرَتِي وَاتِّقَادِ سَخَطِي أَقُولُ: إِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَحْدُثُ هَزَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ،
٢٠فَيَرْتَعِشُ مِنْ حَضْرَتِي سَمَكُ الْبَحْرِ وَطُيُورُ السَّمَاءِ وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ وَجَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ الدَّابَّةِ
عَلَى الأَرْضِ، وَكُلُّ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْمَسْكُونَةِ، وَتَنْدَكُّ الْجِبَالُ وَتَسْقُطُ الْمَعَاقِلُ وَتَنْهَارُ
كُلُّ الأَسْوَارِ إِلَى الأَرْضِ. ٢١وَأُسَلِّطُ عَلَيْهِ السَّيْفَ فِي كُلِّ جِبَالِي يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَيَكُونُ
سَيْفُ كُلِّ رَجُلٍ ضِدَّ أَخِيهِ. ٢٢وَأَدِينُهُ بِالْوَبَاءِ وَبِالدَّمِ، وَأُمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جُيُوشِهِ وَعَلَى جُمُوعِ
حُلَفَائِهِ الْغَفِيرَةِ مَطَراً جَارِفاً وَبَرَداً عَظِيماً وَنَاراً وَكِبْرِيتاً. (حزقيال ٣٨)

يقول النصارى: إن جوج يرمُز لملك بَرْبَري متوحِّش ودموي في حروبه ضد شعب الله كما سيحدث في أيام النهاية؛ أيام ظهور ضد المسيح. ويقولون عن هؤلاء أنهم قبائل كانت تقطُن حول البحر الأسود وبحر قزوين. ويقولون: إن معظم الجيوش المذكورة في النبوءة قد اجتمعت فعلا متضامنين مع جيش أنطيوخس إبيفانيوس. ويرون أن هذه النبوءة تنطبق أولا على اليهود وعن قيام أعداء لهم بشن حروب ضدهم بعد أن يعودوا من السبي، وتنطبق ثانيا على الأيّام الأخيرة. ويفسّرون ذلك بأن اليهود بعد رجوعهم من السبي ثار عليهم أنطيوخس، وفي زمن الإيمان بالمسيح ثار على الكنيسة اليهود والوثنيّون.

دفن قتلى جوج

تقول النبوءة: إن الربّ سوف يصُبُّ نارا على بلاد جوج وعلى مواطن كل حلفائهم التي أتوا منها، فتقضي عليهم جميعا. وما إن يحدث ذلك؛ يخرج سكان مدن إسرائيل فيحرقون أسلحتهم، ويوقدون عليها النار سبع سنين لا شغل لهم غير ذلك؛ فلا زراعة ولا صناعة لأن حرارة النار تلفح كل مكان. ويقول الربُّ: إن شعب إسرائيل سوف يسلُب القتلى وينهبهم كما كانوا قد فعلوا بهم. ويقول الربُّ: إنه سوف يجعل في إسرائيل موضعا لدفن قتلى جوج سمّاه (وادي العابرين) المتّجه شرقا نحو البحر (الميت) ويسمّون الموضع (وادي جمهور جوج). ويقول الربُّ: إن دفنهم سوف يستغرق سبعة أشهر، وأن شعب إسرائيل سوف يخصّص رجالا يتجوّلون في الأرض ليدفنوا جثث الباقين حتى يطهّروا الأرض من دنسهم: ٦وَأَصُبُّ نَاراً عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى حُلَفَائِهِ السَّاكِنِينَ بِأَمَانٍ فِي الأَرْضِ السَّاحِلِيَّةِ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ..... ٩فَيَخْرُجُ سُكَّانُ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ وَيُحْرِقُونَ الأَسْلِحَةَ وَالْمَجَانَّ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِيَّ وَالسِّهَامَ وَالْحِرَابَ وَالرِّمَاحَ، وَيُوْقِدُونَ بِهَا النَّارَ سَبْعَ سِنِينَ. ١٠وَلاَ يَجْمَعُونَ مِنَ الْحَقْلِ قَضِيباً وَلاَ يَحْتَطِبُونَ مِنَ الْغَابِ، لأَنَّهُمْ يُوْقِدُونَ النَّارَ بِالسِّلاَحِ، وَيَنْهَبُونَ نَاهِبِيهِمْ وَيَسْلُبُونَ سَالِبِيهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. ١١وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَجْعَلُ لِجُوجَ مَوْضِعاً يُدْفَنُ فِيهِ فِي إِسْرَائِيلَ، هُوَ وَادِي الْعَابِرِينَ الْمُتَّجِهُ شَرْقاً نَحْوَ الْبَحْرِ (الْمَيِّتِ)، فَيَسُدُّ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْعَابِرِينَ إِذْ هُنَاكَ يَدْفِنُونَ جُوجاً وَسَائِرَ جُيُوشِهِ وَيَدْعُونَ الْمَوْضِعَ «وَادِي جُمْهُورِ جُوجٍ». ١٢وَيَقُومُ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ بِدَفْنِهِمْ طَوَالَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ تَطْهِيراً لِلأَرْضِ. ١٣وَيَتَوَلَّى كُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ دَفْنَهُمْ، وَيَكُونُ يَوْمُ تَمْجِيدِي يَوْماً مَشْهُوداً لَهُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: ١٤وَيُخَصِّصُونَ رِجَالاً يَتَجَوَّلُونَ دَائِماً فِي الأَرْضِ لِيَدْفِنُوا مَعَ الْعَابِرِينَ جُثَثَ الْبَاقِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ تَطْهِيراً لَهَا. وَبَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ يَسْتَكْشِفُونَهَا. ١٥فَيَجْتَازُ الْعَابِرُونَ فِيهَا، فَإِنْ عَثَرَ أَحَدٌ عَلَى عَظْمِ إِنْسَانٍ يُكَوِّمُ إِلَى جُوَارِهِ صُوَّةً إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الْعَابِرُونَ لِيَدْفِنُوهُ فِي وَادِي جُمْهُورِ جُوجٍ. ١٦وَيَكُونُ اسْمُ الْمَدِينَةِ هَمُونَةَ (أَيْ حَشْداً أَوْ جَمَاعَةً) وَهَكَذَا يُطَهِّرُونَ الأَرْضَ. (حزقيال ٣٩)

يقول النصارى: إن جبال إسرائيل تشير للكنيسة، وأن الله يسمح بأن يأتي العدُوّ على الكنيسة في هذا الوقت ليدفع الكنيسة للتوبة فلا تهلك. وأن ذلك قد يتحقّق في نهاية

الأيام فتحضر الجيوش إلى أورشليم التي تكون مؤمنة بضدّ المسيح، وتضرب هذه الجيوش أورشليم ولا يستطيع ضدُّ المسيح أن يُنقذ من آمن به ومن تبعه؛ ويتدخّل الله وينقذهم فيعرفوا المسيح الحقيقي ويؤمنوا به. ويقولون أن كثيرا من النبوءات تشير لإيمان إسرائيل في الأيام الأخيرة، وربما تكون هذه المعركة إثباتا لهم أن المسيح الذي صلبوه كان هو المسيح الحقيقي؛ وهذا من علامات نهاية العالم.

يأجوج ومأجوج في القرآن

ذو القَرنَين ويأجوج ومأجوج

يقول المولى عزّ وجلّ عن ذي القرنين: إنه قد سلك بجنوده من مشرق الأرض إلى مغربها، وإنه لقي في مسيره قوما يعيشون بين جبلين. ووجد أن هؤلاء القوم يعيشون في مأساة عظيمة؛ إذ يخرج عليهم من واد بين الجبلين قوم يفوقونهم قوّة وعددا وعتادا، يعيثون في أرضهم فسادا، ويستولون على أقواتهم، ويقتلون شبابهم، ويسبون نساءهم وأولادهم؛ وهم يأجوج ومأجوج. وكان الناس في حيرة شديدة من أمرهم، ولا يملكون حيلة لصدّ خطرهم عن ديارهم. ولمّا أقبل عليهم ذو القرنين؛ ورأوا فيه صلاحا ورغبة في مساعدتهم، طلبوا منه أن يبني لهم سدّا بين الجبلين؛ يحميهم من عدوان يأجوج ومأجوج عليهم، ويتّقون به شرّهم. وعرضوا عليه أن يدفعوا له كل ما يأمرهم به لقاء ذلك: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ (الكهف)

بنـاءُ السـدّ

أجابهم ذو القرنين بأنه سيفعل لهم ما يُعينه الله عليه؛ قربة لله، وطلب منهم أن يشاركوا في العمل بكلّ ما أوتوا من قوة؛ فأجابوه بالسمع والطاعة. وكان السدُّ الذي بنـاه ذو القرنين غاية في القوة والصلابة؛ لبِناتُه (قوالبه) هي الحديد المرصوص من سطح الأرض حتى قمتي الجبلين، ومِلاطُه (مونته) النُّحاس المذاب، وكان عائقا عظيما أمام قوم يأجوج ومأجوج؛ فلم يستطيعوا تسلُّقه لشدّة ملاسته (نعومة سطحه)، أو اعتلائه لعظم ارتفاعه: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الكهف)

ولمّا تمّ بناء السد قال ذو القرنين: إن ربّه قد أعانه على بنائه؛ رحمة منه بهؤلاء المستضعفين. وأنّه لمّا يأذن الله بخروج يأجوج ومأجوج، سوف يجعل هذا البناء الشامخ

يتهاوى وينهار، فيخرجون من محبسهم الذي جعله الله لهم حتى قرب قيام الساعة: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ (الكهف)

مَوْعِد خروج يأجوج وماجوج

قُرْب قيام الساعة يُفتح السدُّ الذي يحجز وراءه هؤلاء القوم، فينطلقون من محبسهم كالوحوش الضارية؛ يأكلون الأخضر واليابس من شرَهِهم، ويشربون كل ماء يصادفهم فلا يبقى شيء صالح للحياة في طريقهم. ويُحذِّر المولى جلّ شأنه الظالمين من عباده من هذا اليوم الذي اقترب: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الأنبياء)

تفسيــرات

قدّمنا فيما سبق تفسيرا للآيات الكريمات التي تناولت قصة يأجوج ومأجوج تفسيرا ظاهريا دون أي إسقاطات. وفيما يلي نتناول تفسيرها على ضوء أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التي صحّت في شأنهـا لنعرف من هم؟ وما هي صفاتهم؟ ومتى سيخرجون؟ من أجل تفصيل ما أجمله القرآن الكريم بشأنهم لمزيد من الإيضاح، ولتحقيق أكبر فائدة نرجوها من وراء بحثنا.

ورد في صحيح البخاري (كتاب الفتن باب قصة يأجوج ومأجوج) حدّثنا يحيىٰ بنُ بُكَيرٍ حدَّثنا الليثُ عن عُقيلٍ عن ابنِ شهابٍ عن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ أن زينبَ بنتَ أبي سلمةَ حدَّثَتْهُ عن أمِّ حبيبةَ بنتِ أبي سفيانَ عن زينب بنتِ جحشٍ رضيَ اللهُ عنهنَّ: «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخلَ عليها فَزِعاً يقول: لا إِلهَ إلاّ الله، ويلٌ للعَرب من شرٍّ قدِ اقتَرب، فُتح اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوج مثلُ هٰذهِ ـ وحَلَّقَ بإصبَعهِ الإبهامَ والتّي تَليها ـ فقالت زينبُ بنتُ جَحشٍ: فقلتُ يا رسولَ الله أنَهلِك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الخَبَث». والرسول الكريم في حديثه هذا يُحذِّر العرب من قُرْب خروج يأجوج ومأجوج من محبسهم خلف السدّ، وأنهم منذ بناه ذو القرنين وهم يحاولون خرقه ولا يتهاونون في ذلك.

وورد في سنن الترمذي وابن ماجه وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم ومسند أحمد عن أبي هريرة قال (قال رسول الله ﷺ: إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم (رئيسهم): ارجعوا فسنحفره غداً فيعيده الله أشدّ ما كان، حتى إذا بلغت مُدّتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً إن شاء الله تعالى (واستثنوا) فيعودون إليه وهو كهيئته يوم تركوه فيحفرونه، ويخرجون على الناس.....).

فهم يحفرون السدّ كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ويكون التعب قد هدّهم قالوا ارجعوا فنكمل الحفر غداً، ويرجعون فيعيد الله السد أشد ممّا كان؛ وهكذا دواليك. حتى إذا حان موعد بعثهم وخرجوا يحفرون السدّ كعادتهم. ولما كادوا أن يروا شعاع الشمس وقد بلغ منهم التعب مبلغه قالوا: نرجع غدا لنكمل الحفر إن شاء الله تعالى؛ وهم هنا قد قدّموا مشيئة الله على غير عادتهم في كل مرة، فيعودون فيرون السدّ محفورا كما تركوه بالأمس، فيكملون حفر السدِّ ويخرجون.

وقد ورد في وصفهم وغرابة أشكالهم الشيء الكثير تجنّبنا ذكره لعدم استئناسنا بمصادره، ونرى أنهم من بني البشر، وإن كان يغلُب على وصفهم بأنهم أكثر قوة، وأشدُّ طغيانا إلا أن لنا في عصرنا الحاضر وما سبقه من هم أكثر طغيانا وفسادا. وإن كان الله جلّ شأنه قد حبسهم، فإنما كان ذلك لحكمة أرادها. أما من يقولون بأنهم من أقوام يعيشون في أواسط آسيا فلا يستقيم مع ما ورد في القرآن الكريم عنهم.

والقول: بأن السدّ الذي يقبع خلفه يأجوج ومأجوج هو سد الصين العظيم؛ فإنه يتناقض تماما مع كونهم غير ظاهرين لنا كما يقول القرآن الكريم، وأن موعد خروجهم هو من علامات الساعة الكبرى. وهل يحجز سور الصين العظيم الصينيين خلفه لكي يحتاج إلى الانهيار كما يدّعي أصحابُ هذا الرأي؟ كما أنه شبه مهدم الآن والناس يروحون ويجيئون فوقه. والقول: بأنهم يعيشون في كوكب آخر غير معقول ويتناقض تماما مع كونهم بشرا مثلنا كما أخبر القرآن الكريم عنهم.

أما التفسيرات الرقمية لآيات القرآن التي تتناول الموضوع، وتربُط بينهم وبين بني إسرائيل في الوقت الحالي، وتقول أن تدمير اليهود في الأرض المحتلّة هو تدمير لهم؛ فهي غير مقنعة وتجانب الصواب.

حديث النوّاس بن سمعان رضي الله عنه

وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما رواه الإمام مسلم عن حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ما معناه أنهم حين يخرجون من وراء السد يمرّون على بحيرة طبرية فيشربون ماءها. وأنه من كثرتهم يخاف الناس منهم، ويتركون لهم الشوارع والطرقات، ويتحصّنون بالحصون. ويوحي المولى عز وجل لنبيّه عيسى عليه السلام أن يجمع المؤمنين إلى جبل الطور في سيناء. ولما يجدوا الأرض قد خلت من الناس يقولون متهلّلين لقد قتلنا أهل الأرض ولنقْتُل أهل السماء، ويوجّهون سهامهم نحو السماء فتعود ملطّخة بالدماء (فتنة من الله تعالى لهم) فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، وتكون فتنة عظيمة تعصف بأهل الأرض بعد فتنة الدجال.

ويلجأ الناس إلى عيسى عليه السلام لعلّه يخلّصهم منهم، فيدعو الله جلّ في علاه أن يخلّصهم، فيُسلّط الله جلّ شأنه عليهم النغف (دود صغير يكون في أنوف الإبل والغنم) فيهلكهم جميعا. ولما ينقطع حسُّهم يخرج من المؤمنين من يستطلع خبرهم ثم ينادي أبشروا فقد كفاكم الله شرّهم. وتكون الأرض قد امتلأت من نتنهم وجيفهم فيدعو عيسى عليه السلام الله جلّ في علاه أن يخلّصهم من جيفهم، فيُرْسِلُ المولى عزّ وجلّ طيرا عظيما تحمل أجسادهم وتلقي بها في البحر، ثم يرسل مطرا يغسل الأرض مما أصابها منهم حتى يتركها ملساء كالمرآة.

تعقيب

تقول التوراةُ عن يأجوج ومأجوج (جوج وماجوج): إنهم من مناطق روسيا وشرق تركيا وجنوب شرق رومانيا، وأنهم سوف يهاجمون بني إسرائيل بقوات لا قبل لهم بها، وأن الربّ سوف يقضي عليهم نيابة عن بني إسرائيل، وأنه سوف يجعلهم يقتلون بعضُهم بعضا، ومن يبقى منهم يقتله الوباء، ثم يرسل عليهم نارا وكبريتا فلا يبقي منهم أحدا. وتقول النبوءة: إن الرب سوف يصُبُّ على بلادهم وعلى مواطن كل حلفائهم نارا، فتقضي عليهم جميعا. وتقول النبوءة: إن سكان مدن إسرائيل سوف يحرقون أسلحتهم ويوقدون عليها النار سبع سنين، وأنهم سوف يسلبون القتلى وينهبوهم كما كانوا قد فعلوا بهم من قبل.

وأنا أتساءل هل بقي بعد كل هذا الحريق (نار وكبريت من السماء) أسلحة ليحرقونها، أو ممتلكات ليسلبونها، أو حتى أجساد ليدفنونها كما تدّعي النبوءة؟ ثم لماذا يحرقون أسلحتهم؟ أليس من الأوْلَى أن يُبْقوا عليها ليستعملوها إذا لزم الأمر، أو حتى ليتجنّبوا آثار حرقها وما ينجم عنه من إفساد للطبيعة، وإهلاك للبشر؟

ويبدو التناقض واضحا في قول التوراة: إن الربّ سوف يُرْسل عليهم مطرا جارفا يصاحبه برد عظيم، ثم يرسل عليهم من السماء نارا وكبريتا؛ فلا يُبْقي منهم أحدا. والأوْلى أن يرسل الربُّ النار والكبريت أولا ليقضي عليهم، ثم يرسل مطرا يمحو آثارهم من على وجه الأرض وينظِّفها من آثارهم.

أما قول النصارى: بأن هذه النبوءة تنطبق، أولا على اليهود وعن قيام أعداء لهم بشن حروب ضدهم بعد أن يعودوا من السبي، وتنطبق ثانيا على الأيام الأخيرة، فإنه يُعدُّ ازدواجية في تفسير النبوءة؛ فالنبوءة الصادقة، والتي تكون من عند الربِّ لا تُؤوَّل بأكثر من تأويل.

وقد ذكر القرآن الكريم عن يأجوج ومأجوج أنهم قوم يعيشون في معزل منذ أن بنى ذو القرنين السدّ الذي يحجزهم. وقد يكون في ذلك شيئا بعيدا عن تصوُّر العقل الذي لا يؤمن إلا بالمحسوسات، لكن بمقياس المعجزات لا شيء يخضع لمقياس العقل، ولا يُنْكر

المعجزات إلا كلُّ كافر بالرسل والنبوّات؛ وهذا يخالف اعتقادنا نحن المؤمنين بالله جلّ في علاه وبكل ما أخبر به في كتابه الكريم، أو على لسان نبيّه محمّدا عليه أفضل الصلاة وأجلُّ التسليم.

وقُرْب قيام الساعة يخرُج هؤلاء القوم بأعداد لا قبل لأحد بها، فيعيثون في الأرض فسادا، ويهربون من أمامهم كل من في طريقهم. ويكون خلاص الأرض منهم بدعوة عيسى عليه السلام؛ الذي يكون قد بُعِث، ويكون قد واجه الدجّال وقضى عليه، فيدعو الله جلّ في علاه ليخلِّصهم من شرِّهم؛ فيستجيب الله لدعائه، ويخلِّص الأرض منهم، وتعيش الأرض بعدها فترة من الرخاء والطمأنينة.

الفصل التاسع عشر

اليــوم الآخــر

الفصل التاسع عشر

اليوم الآخر اليوم الآخر في التوراة

نبوءة لأشعياء بتدمير الربّ للأرض

تقول النبوءة: إن الربَّ سوف يخرِّب أرض يهوذا، ويقلبها رأسا على عقب، ويشتِّت سُكّانها، وأن العقاب سيقع على الجميع؛ بارِّهم وفاجِرهم، غنيِّهم وفقيرهم؛ وذلك لأن الناس قد تعدُّوا على الشريعة، ونقضوا الفرائض، ونكثوا عهودهم مع الرب خالقهم إلا القليل منهم. وتقول النبوءة: إن ما يحدث ليهوذا سوف يحدث مثله لجميع أنحاء الأرض، وأنه من بين الخراب سوف تُسمع أصوات البقية الناجية تهتف بتمجيد الربِّ وتتغنّى بجلاله في أنحاء المعمورة، لكن غيرهم من الهالكين يفرّون هاربين من الرعب، فيقع من يقع منهم في الحفرة، ومن يتسلّق منهم أملا في النجاة يعيده الفخ إليها، ويهبط عليهم الهلاك من السماء، وتتزلزل الأرض من تحت أقدامهم. وتقول النبوءة: إن الربَّ في ذلك اليوم سوف يجمع الشياطين والمتجبِّرين من الإنس، ويزُجّ بهم في سجن مغلق إلى يوم العقاب.
وتقول النبوءة: إن القمر سوف يخفُتْ نوره، وأن الشمس سوف تنكسِف أمام مجد الربِّ
القدير الذي يتجلّى على جبل صهيون أمام شيوخ شعبه: هَا إِنَّ الرَّبَّ يُخْرِبُ أَرْضَ يَهُوذَا
وَيُقْفِرُهَا وَيَقْلِبُ وَجْهَهَا وَيُشَتِّتُ سُكَّانَهَا. ٢وَمَا يَقَعُ عَلَى الشَّعْبِ يَقَعُ عَلَى الْكَاهِنِ أَيْضاً،
وَالسَّيِّدُ كَالْعَبْدِ وَالسَّيِّدَةُ كَأَمَتِهَا وَالْبَائِعُ كَالْمُشْتَرِي، وَالْمُقْتَرِضُ كَالْمُقْرِضِ، وَالدَّائِنُ كَالْمَدْيُونِ.
٣وَيَحُلُّ الْخَرَابُ بِالأَرْضِ وَتُنْهَبُ نَهْباً، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْقَضَاءِ. ٤وَتَنُوحُ الأَرْضُ
وَتَذْوِي، وَتَضْنَى الْمَسْكُونَةُ وَتَذْبُلُ، وَيَحْزَنُ مَعَهَا عُظَمَاؤُهَا. ٥تَدَنَّسَتِ الأَرْضُ تَحْتَ سُكَّانِهَا،
لأَنَّهُمْ تَعَدَّوْا عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَنَقَضُوا الْفَرَائِضَ وَنَكَثُوا الْعَهْدَ الأَبَدِيَّ، ٦لِذَلِكَ الْتَهَمَتِ اللَّعْنَةُ
الأَرْضَ، وَعُوقِبَ أَهْلُهَا بِإِثْمِهِمْ، فَاحْتَرَقَ سُكَّانُ الأَرْضِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ سِوَى قِلَّةٍ. ٧قَدِ
انْتَحَبَتِ الْخَمْرَةُ، وَذَبُلَتِ الْكَرْمَةُ، وَأَنَّ جَمِيعُ ذَوِي الْقُلُوبِ الطَّرِبَةِ. ٨خَرَسَ طَرَبُ الدُّفُوفِ،
كَفَّ ضَجِيجُ الْمُبْتَهِجِينَ، وَصَمَتَ مَرَحُ الْعُودِ. ٩لاَ يَعُودُونَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ مَعَ الْغِنَاءِ، وَيَكُونُ
الْمُسْكِرُ مُرّاً لِشَارِبِيهِ. ١٠قَدْ تَدَمَّرَتْ مَدِينَةُ الْفَوْضَى، وَأُغْلِقَ كُلُّ بَيْتٍ، فَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى
الدُّخُولِ. ١١تَرْتَفِعُ صَرْخَةٌ فِي الأَزِقَّةِ طَلَباً لِلْخَمْرَةِ الْمَفْقُودَةِ. زَالَ كُلُّ فَرَحٍ، وَتَلاَشَى السُّرُورُ

مِنَ الأَرْضِ ١٢بَقِيَ الْخَرَابُ فِي الْمَدِينَةِ، وَتَحَطَّمَتِ الْبَوَّابَاتُ فَأَصْبَحَتْ رَدْماً. ١٣وَهَكَذَا
يَحْدُثُ فِي وَسَطِ الأَرْضِ بَيْنَ الأُمَمِ، فَيَكُونُونَ كَشَجَرَةِ زَيْتُونٍ نُفِضَتْ، أَوْ كَاللُّقَاطِ الْمُتَبَقِّي
بَعْدَ قِطَافِ الْعِنَبِ. ١٤هَؤُلاَءِ الْبَاقُونَ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ وَيَهْتِفُونَ بِفَرَحٍ، وَيَشْدُونَ مِنَ الْغَرْبِ
بِجَلاَلِ الرَّبِّ. ١٥لِذَلِكَ مَجِّدُوا الرَّبَّ فِي الْمَشْرِقِ، مَجِّدُوا اسْمَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ فِي جَزَائِرِ
الْبَحْرِ. ١٦مِنْ أَقَاصِي الْمَعْمُورَةِ سَمِعْنَا تَسَابِيحَ مَجْدٍ قَائِلَةً: «الْمَجْدُ لِلْبَارِّ». وَلَكِنِّي قُلْتُ: أَنَا
هَالِكٌ! أَنَا هَالِكٌ وَيْلٌ لِي لأَنَّ الْخَوَنَةَ يُمَارِسُونَ الْخِيَانَةَ. الْخَوَنَةَ يُمَارِسُونَ الْخِيَانَةَ. ١٧فَالرُّعْبُ
وَالْحُفْرَةُ وَالْفَخُّ عَلَيْكُمْ يَاسَاكِنِي الأَرْضِ. ١٨وَكُلُّ مَنْ يَهْرُبُ مِنْ صَوْتِ الرُّعْبِ يَقَعُ فِي
الْحُفْرَةِ، وَمَنْ يَتَسَلَّقُ الْحُفْرَةَ نَاجِياً يَعْلَقُ بِالْفَخِّ، لأَنَّ الْهَلاَكَ يَهْبِطُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَتَزَلْزَلُ
الأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ. ١٩فَالأَرْضُ مُتَصَدِّعَةٌ، وَالْمَسْكُونَةُ مُتَشَقِّقَةٌ وَمُتَزَلْزِلَةٌ. ٢٠تَتَرَنَّحُ
الأَرْضُ كَالسُّكَارَى، وَتَمَايَلَتْ كَخَيْمَةِ النَّاطُورِ وَنَاءَتْ تَحْتَ ثِقَلِ إِثْمِهَا فَتَهَاوَتْ وَلَمْ تَنْهَضْ.
٢١فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ الْمَلاَئِكَةَ السَّاقِطِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَالْمُلُوكَ الْمُتَغَطْرِسِينَ عَلَى
الأَرْضِ، ٢٢فَيُجْمَعُونَ مَعاً كَمَا يُجْمَعُ الأَسَارَى فِي الْجُبِّ، وَيُزَجُّونَ فِي سِجْنٍ مُغْلَقٍ، وَيَتِمُّ
عِقَابُهُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ عَدِيدَةٍ. ٢٣ثُمَّ يَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ، لأَنَّ الرَّبَّ الْقَدِيرَ يَمْلِكُ عَلَى
جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ، وَيَتَمَجَّدُ أَمَامَ شُيُوخِ شَعْبِهِ. (أشعياء ٢٤)

يقول النصارى: إن الربّ في هذه النبوءة يُخْلي الأرض ويُفْرغها وكأنه يعيد صياغتها من جديد، وأن هذا هو الخلاص الذي صنعه المسيح؛ فالأرض تشير للجسد الذي أُخذ منها، وتفريغ الأرض ثم تجديدها إشارة لما يحدث في المعمودية من موت الإنسان العتيق ليقوم الإنسان الجديد؛ الولادة الجديدة. ويقولون: إن سقوط الأرض وعدم نهوضها من جديد إشارة لنهايتها وزوالها لتقوم الأرض الجديدة والسماء الجديدة. وأما عن خجلان القمر وخزيان الشمس في هذا اليوم فيقولون أن هذا ما حدث يوم الصليب، وسيحدث في اليوم الأخير.

صفنيا ويوم الربّ

تقول نبوءة صفنيا: إن الربَّ سوف يمحو كل شيء على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطيور وسمك، وأنه سوف يقضي على الأشرار وكل أصنامهم. ويقول الربُّ:

إنه سوف يعاقب يهوذا وكل أهل أورشليم بسبب ارتدادهم عن طريق الربِّ، وإنه سوف يمحو كل أثر لعبادة البَعْل والشمس والقمر والكواكب. ويقول الربُّ: إن هذا اليوم قد اقترب، وإنه سوف يعاقب رؤساء الشعب وأبناء الملك (يوشيا) وكل من تشبه بالأجانب سواء في لباسهم أو عباداتهم؛ خاصّة هؤلاء الذين يقدّمون للهيكل من خبيث مكسبهم. ويقول الربُّ: إنه سوف يُسلِّط عليهم من لا يرحمهم، ويُحوِّل ديارهم إلى خرائب، ويملأ أركانها بدوي الانفجاريات والعويل والبكاء، ويقضي على أرزاقهم؛ فلا يجد التجّارُ ما يبيعونه أو يشترونه. كل ذلك من أجل أن يعرفوا أن الربَّ إذا أمْهَل فإنه لا يُهْمِل: هَذِهِ كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتِي أَوْحَى بِهَا إِلَى صَفَنْيَا بْنِ كُوشِي بْنِ جَدَلْيَا بْنِ أَمَرِيَا بْنِ حَزَقِيَّا، فِي عَهْدِ حُكْمِ يُوشِيَّا بْنِ آمُونَ مَلِكِ يَهُوذَا. ٢يَقُولُ الرَّبُّ: «سَأَمْحُو مَحْواً كُلَّ شَيْءٍ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. ٣أُبِيدُ الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَسَمَكَ الْبَحْرِ، وَأَقْضِي عَلَى الأَشْرَارِ وَمَعَاثِرِهِمْ، وَأَسْتَأْصِلُ الْبَشَرَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ: ٤أَمُدُّ يَدِي لأُعَاقِبَ يَهُوذَا وَكُلَّ أَهْلِ أُورُشَلِيمَ، وَأُفْنِي مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ بَقِيَّةَ عَبَدَةِ الْبَعْلِ، وَكُلَّ كَهَنَةِ الْوَثَنِ. ٥وَالَّذِينَ يَصْعَدُونَ إِلَى السُّطُوحِ لِلسُّجُودِ لِكَوَاكِبِ السَّمَاءِ، وَالَّذِينَ يَجْثُونَ عَابِدِينَ الرَّبَّ حَالِفِينَ بِاسْمِهِ، وَبِاسْمِ مَلْكُومَ أَيْضاً. ٦وَالَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ اتِّبَاعِ الرَّبِّ، وَالَّذِينَ كَفُّوا عَنْ طَلَبِهِ وَالْتِمَاسِهِ. ٧اصْمُتُوا فِي مَحْضَرِ السَّيِّدِ الرَّبِّ لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ بَاتَ وَشِيكاً. قَدْ أَعَدَّ الرَّبُّ ذَبِيحَةً وَقَدَّسَ مَدْعُوِّيهِ. ٨فَيَكُونُ فِي يَوْمِ ذَبِيحَةِ الرَّبِّ أَنِّي أُعَاقِبُ الرُّؤَسَاءَ وَأَبْنَاءَ الْمَلِكِ وَكُلَّ مَنْ يَرْتَدِي ثِيَاباً غَرِيبَةً وَثَنِيَّةً. ٩وَأُعَاقِبُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُلَّ الَّذِينَ يَقْفِزُونَ مِنْ فَوْقِ عَتَبَةِ الْهَيْكَلِ (عَلَى غِرَارِ كَهَنَةِ دَاجُونَ)، الَّذِينَ يَمْلأُونَ بَيْتَ سَيِّدِهِمْ جَوْراً وَنَهْباً. ١٠وَيَقُولُ الرَّبُّ: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَتَرَدَّدُ صَرْخَةٌ مِنْ بَابِ السَّمَكِ وَوَلْوَلَةٌ مِنَ الْحَيِّ الثَّانِي، وَيُدَوِّي صَوْتُ تَحْطِيمٍ فِي التِّلاَلِ. ١١وَلْوِلُوا يَاسُكَّانَ دَائِرَةِ السُّوقِ، لأَنَّ تُجَّارَكُمْ يَبِيدُونَ، وَكُلَّ الْمُتَاجِرِينَ بِالْفِضَّةِ قَدِ اسْتُؤْصِلُوا. ١٢فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أُفَتِّشُ أُورُشَلِيمَ بِمِصْبَاحٍ، وَأُعَاقِبُ النَّاسَ الْمُتَرَبِّعِينَ فَوْقَ قَاذُورَاتِهِمْ، الْقَائِلِينَ فِي قُلُوبِهِمْ: إِنَّ الرَّبَّ لاَ يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ. ١٣فَتُصْبِحُ ثَرْوَتُهُمْ غَنِيمَةً، وَبُيُوتُهُمْ خَرَاباً. يُشَيِّدُونَ بُيُوتاً وَلاَ يَسْكُنُونَ فِيهَا، وَيَغْرِسُونَ كُرُوماً وَلاَ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرِهَا. (صفنيا ١)

ويتابع صفنيا قوله: إن الربَّ يقول: إن هذا اليوم قريب جدّا، وإنه من أهواله سوف ترتعب الجبابرة، وسوف تترنّح المدن المنيعة، وتنهار الحصون والبروج الشامخة، ويسير الناس

فيه كالعُمْيان، وتُرى دماؤهم تنزف، ولحومهم تهترئ، وأن النهاية سوف تكون مباغتة لكل سكان المعمورة: ١٤إِنَّ يَوْمَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ قَرِيبٌ، وَشِيكٌ وَسَرِيعٌ جِدّاً. دَوِيُّ يَوْمِ الرَّبِّ مُخِيفٌ، فِيهِ يَصْرُخُ الْجَبَّارُ مُرْتَعِباً. ١٥يَوْمُ غَضَبٍ هُوَ ذَلِكَ الْيَوْمُ، يَوْمُ ضِيقٍ وَعَذَابٍ، يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمُ ظُلْمَةٍ وَاكْتِئَابٍ، يَوْمُ غُيُومٍ وَقَتَامٍ. ١٦يَوْمُ دَوِيِّ بُوقٍ وَصَيْحَةِ قِتَالٍ ضِدَّ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ وَالْبُرُوجِ الشَّامِخَةِ. ١٧فِيهِ أُضَايِقُ النَّاسَ فَيَمْشُونَ كَالْعُمْيِ، لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا بِحَقِّ الرَّبِّ، فَتَنْسَكِبُ دِمَاؤُهُمْ كَالتُّرَابِ، وَلَحْمُهُمْ يَتَنَاثَرُ كَالْجِلَّةِ. ١٨لاَ يُنْقِذُهُمْ ذَهَبُهُمْ وَلاَ فِضَّتُهُمْ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ، إِذْ بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُلْتَهَمُ كُلُّ الأَرْضِ، وَفِيهِ يَضَعُ نِهَايَةً مُبَاغِتَةً كَامِلَةً سَرِيعَةً لِكُلِّ سُكَّانِ الْمَعْمُورَةِ». (صفنيا ١)

دانيال والأيام الأخيرة

يقول الملاك ميخائيل لدانيال: إنّه في الأيام الأخيرة سيكون الناس في كرْب عظيم بسبب فتنة الدجّال، ومن يثبُتْ على دينه فسوف تُرى علامةُ ذلك على وجهه نورا يتلألأ، ومن كانوا يدعون الناس إلى الثبات على الحق تراهم مثل الكواكب الدُرِّيّة في بهائها، ولن ينجو من فتنته إلا من كتب الله لهم النجاة. ويقول عن اليوم الآخر أن الأموات سوف يقومون من تحت التراب للحساب؛ فمنهم من يكون جزاؤه حياة أبدية كريمة، وبعضهم يكون جزاؤه حياة الذلّ والعار. وقال أن رموز هذا السفر ستكون غامضة، ولن تتّضح للناس إلا قُرْب النهاية: «وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْمَلاَكُ مِيخَائِيلُ حَارِسُ شَعْبِكَ، وَذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَثِيلٌ مُنْذُ أَنْ وُجِدَتْ أُمَّةٌ حَتَّى ذَلِكَ الزَّمَانِ. غَيْرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ اسْمُهُ مُدَوَّناً فِي الْكِتَابِ مِنْ شَعْبِكَ يَنْجُو فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. ٢وَيَسْتَيْقِظُ كَثِيرُونَ مِنَ الأَمْوَاتِ الْمَدْفُونِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ، بَعْضُهُمْ لِيَنَالُوا الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ وَبَعْضُهُمْ لِيُسَامُوا ذُلَّ الْعَارِ وَالازْدِرَاءِ إِلَى الأَبَدِ. ٣وَيُضِيءُ الْحُكَمَاءُ (أَيْ شَعْبُ اللهِ) كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ يَشِعُّونَ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى مَدَى الدَّهْرِ. ٤أَمَّا أَنْتَ يَادَانِيآلُ فَاكْتُمِ الْكَلاَمَ، وَاخْتِمْ عَلَى الْكِتَابِ إِلَى مِيعَادِ النِّهَايَةِ. وَكَثِيرُونَ يَطُوفُونَ فِي الأَرْضِ وَتَزْدَادُ الْمَعْرِفَةُ». (دانيال ١٢)

ويقول دانيال: إنه رأى ملاكين غير الملاك ميخائيل يقف كل منهما على ضِفّة من ضِفّتي النهر، وأنه سمع أحدَهما يسأل الآخر (الملاك جبرائيل) متى ينقضي زمن هذه

الأحداث العجيبة؟ فيجيبه: ينقضي بعد ثلاث سنوات ونصف، بعد أن يكون قد تمّ تشتيت قوة الشعب المُقدّس. وأن الفترة التي سيسود فيها الدجال هي (١٢٩٠) يوما، وهنيئا لمن يصبر حتى نهاية الـ (١٣٣٥) يوما حتى يأتي المخلِّص: ٥ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَا دَانِيآلَ فَإِذَا بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ وَقَفَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى ضِفَّةٍ مِنْ ضِفَّتَي النَّهْرِ. ٦سَأَلَ أَحَدُهُمَا الرَّجُلَ اللاَّبِسَ الْكَتَّانِ الْوَاقِفَ عَلَى مِيَاهِ النَّهْرِ: «مَتَى يَنْقَضِي زَمَنُ هَذِهِ الأَحْدَاثِ الْعَجِيبَةِ؟». ٧فَسَمِعْتُ الرَّجُلَ اللاَّبِسَ الْكَتَّانِ الْوَاقِفَ فَوْقَ مِيَاهِ النَّهْرِ يَقُولُ، بَعْدَ أَنْ رَفَعَ يَدَيْهِ نَحْوَ السَّمَاوَاتِ مُقْسِماً بِالْحَيِّ إِلَى الأَبَدِ: «تَنْقَضِي هَذِهِ الْعَجَائِبُ بَعْدَ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ وَنِصْفٍ، حِينَ يَتِمُّ تَشْتِيتُ قُوَّةِ الشَّعْبِ الْمُقَدَّسِ». ٨فَسَمِعْتُ مَا قَالَهُ وَلَكِنَّنِي لَمْ أَفْهَمْ، فَسَأَلْتُ: «يَاسَيِّدِي مَا هِيَ آخِرُ هَذِهِ؟» ٩فَأَجَابَ: «اذْهَبْ يَادَانِيآلُ لأَنَّ الْكَلِمَاتِ مَكْتُومَةٌ وَمَخْتُومَةٌ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ. ١٠كَثِيرُونَ يَتَطَهَّرُونَ وَيَتَنَقَّوْنَ وَيُمَحَّصُونَ بِالتَّجَارِبِ، أَمَّا الأَشْرَارُ فَيَرْتَكِبُونَ شَرّاً وَلاَ يَفْهَمُونَ. إِنَّمَا ذَوُو الْفِطْنَةِ يُدْرِكُونَ. ١١أَمَّا الْفَتْرَةُ مَا بَيْنَ إِزَالَةِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَإِقَامَةِ رِجْسِ الْمُخَرِّبِ، فَهِيَ أَلْفٌ وَمِئَتَانِ وَتِسْعُونَ يَوْماً. ١٢فَطُوبَى لِمَنْ يَنْتَظِرُ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الأَلْفِ وَالثَّلاَثِ مِئَةٍ وَالْخَمْسَةِ وَالثَّلاَثِينَ يَوْماً. ١٣وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ إِلَى آخِرَتِكَ فَتَسْتَرِيحَ، ثُمَّ تَقُومَ فِي نِهَايَةِ الأَيَّامِ لِتُثَابَ بِمَا قُسِمَ لَكَ». فَهِيَ أَلْفٌ وَمِئَتَانِ وَتِسْعُونَ يَوْماً. (دانيال ١٢)

يقرأ النصارى عبارة ثلاث سنوات ونصف بأنها زمان وزمانان ونصف زمان، ويفسِّرونها بأنّها الوقت الذي يراه الله مناسبا. ويقولون: إن هذا الإصحاح يُسمَّى إصحاح القيامة العامة، وأنه ينبئ بأحداث نهاية الأيام والقيامة؛ التي فيها سيظهر ملكوت الله بصورته الكاملة. وأنه مع ظهور الدجال ستكون أيام ضيق يقول عنها المسيح لو لم تقصُر تلك الأيام لم يخلُص جسد، وأن الضيق سيكون ناشئا من أن شعب المسيح لن يقبل سمة الوحش؛ وبذلك لن يستطيع أحد أن يبيع أو يشتري، وأن الضيق سيكون في صورة اضطهاد جسدي يصل للاستشهاد. وسيُرْسل الله شاهدين؛ إيليا وأخنوخ ضد هذا الوحش (الدجال) ليحارباه ويفسدا أعماله ضد شعب الله.

ويقولون عن مدة الـ (١٢٩٠) يوما: إنها المدة التي يُبْطل فيها الوحش العبادة وإقامة الشعائر الدينية. ويقولون عن مدة الـ (١٣٣٥) يوما: إنها موعد المجيء الثاني للمسيح عليه السلام.

زكريّا ويوم الربّ

يقول زكريّا: إن الربَّ قد أخبره عن ذلك اليوم أن الأمم سوف تتكالب على أورشليم لتحاربها؛ فتُسْلَب المدينة، وتُنْهَب البيوت، وتُغْتَصب النساء، ويُسْبَى نصفُ أهلها، ويبقى النصفُ الآخر إلى أن يأتي الربُّ ليحارب عدوَّهم؛ فينشقُّ جبلُ الزيتون الممتدُّ أمام أورشليم إلى شطرين، ويتمخّض عن طريق يهرب منه المؤمنون إلى حيث الأمان، ثم يأتي الربُّ في جمع من الملائكة. وفي ذلك اليوم يتلاشى النور، ولا يكون نهار ولا ليل؛ بل نـور متواصل، ولا برد ولا صقيع، ولا يعرف نهايته إلا الله. وفي ذلك اليوم يتدفّق نهران من أورشليم، أحدُهما يتجّه نحو البحر الشرقي (البحر الميت)، والآخر نحو البحر الغربي (البحر الأبيض المتوسط) طوال الصيف والشتاء: انْظُرُوا هَا هُوَ يَوْمٌ مُقْبِلٌ لِلرَّبِّ، يُقْسَمُ فِيهِ مَا سُلِبَ مِنْكُمْ فِي وَسَطِكُمْ. ٢لأَنِّي أَجْمَعُ جَمِيعَ الأُمَمِ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِتُحَارِبَهَا، فَتُؤْخَذُ الْمَدِينَةُ وَتُنْهَبُ الْبُيُوتُ وَتُغْتَصَبُ النِّسَاءُ وَيُسْبَى نِصْفُ أَهْلِهَا إِلَى الْمَنْفَى. إِنَّمَا لاَ يَنْقَرِضُ بَقِيَّةُ الشَّعْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ. ٣وَلاَ يَلْبَثُ أَنْ يَهُبَّ الرَّبُّ لِيُحَارِبَ تِلْكَ الأُمَمَ، كَمَا كَانَ يُحَارِبُ فِي يَوْمِ الْقِتَالِ. ٤وَتَقِفُ قَدَمَاهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ الْمُمْتَدِّ أَمَامَ أُورُشَلِيمَ بِاتِّجَاهِ الشَّرْقِ، فَيَنْشَقُّ جَبَلُ الزَّيْتُونِ إِلَى شَطْرَيْنِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ عَنْ وَادٍ عَظِيمٍ جِدّاً، فَيَتَرَاجَعُ نِصْفُ الْجَبَلِ إِلَى الشِّمَالِ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ نَحْوَ الْجَنُوبِ. ٥وَيَهْرُبُونَ مِنْ خِلاَلِ وَادِي جِبَالِي الْمُمْتَدِّ إِلَى آصَلَ. تَهْرُبُونَ كَمَا هَرَبْتُمْ مِنَ الزَّلْزَلَةِ فِي أَيَّامِ حُكْمِ عُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، وَيَأْتِي الرَّبُّ إِلَهِي فِي مَوْكِبٍ مِنْ جَمِيعِ قِدِّيسِيهِ. ٦فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَلاَشَى نُورٌ وَلاَ يَكُونُ بَرْدٌ وَلاَ صَقِيعٌ. ٧وَيَكُونُ يَوْمٌ مُتَوَاصِلٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الرَّبِّ، لاَ نَهَارَ فِيهِ وَلاَ لَيْلَ، إِذْ يَغْمُرُ النَّهَارُ سَاعَاتِ الْمَسَاءِ. ٨فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَجْرِي مِيَاهٌ حَيَّةٌ مِنْ أُورُشَلِيمَ، يَصُبُّ نِصْفُهَا فِي الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ، وَنِصْفُهَا الآخَرُ فِي الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ طَوَالَ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ. ٩وَيَمْلِكُ الرَّبُّ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَبٌّ وَاحِدٌ لاَ يُذْكَرُ سِوَى اسْمِهِ. (زكريا ١٤)

ويتابع زكريا قوله: إنه في ذلك اليوم تتحوّل الأرض كلُّها إلى سهْل مُنْبسط، أما أورشليم فتبقى شامخة البنيان، آهلة بالسكان؛ فلن يصيبها ما أصاب العالم من دمار، أما بقيّة الشعوب فسوف تتهرّأ لحومهم، وتتآكل عيونهم، وتتلف ألسنتهم، وترتعد أوصالهـم،

ويقتلون بعضهم بعضا، ويصيب خيولهم وبغالهم وسائر بهائمهم ما يصيبهم. وفي ذلك اليوم يدافع أبناءُ يهوذا عن مدينتهم أورشليم؛ فيغنمون ثروات الأمم المحيطة. وفي ذلك اليوم يصعد الناجون من الأمم التي كانت تعادي أورشليم ليعبدوا الربّ ويحتفلوا بعيد المظال (من أعياد اليهود ويستمر لمدّة سبعة أيام): ١٠وَتَتَحَوَّلُ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ جَبْعَ شِمَالاً إِلَى رَمُّونَ جَنُوباً، إِلَى سَهْلٍ كَسَهْلِ عَرَبَةَ. أَمَّا أُورُشَلِيمُ فَلاَ تَبْرَحُ شَامِخَةً فِي مَوْقِعِهَا الْمُمْتَدِّ مِنْ بَوَّابَةِ بَنْيَامِينَ حَتَّى الْبَوَّابَةِ الأُولَى وَإِلَى بَوَّابَةِ الزَّوَايَا، وَمِنْ بُرْجِ حَنَنْئِيلَ إِلَى مَعَاصِرِ خَمْرِ الْمَلِكِ. ١١وَتُصْبِحُ آهِلَةً إِذْ لَنْ يَحُلَّ بِهَا دَمَارٌ ثَانِيَةً، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ آمِنَةً. ١٢وَهَذَا هُوَ الْبَلاَءُ الَّذِي يُعَاقِبُ بِهِ الرَّبُّ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ: تَتَهَرَّأُ لُحُومُهُمْ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَتَتَآكَلُ عُيُونُهُمْ فِي أَوْقَابِهَا، وَتَتْلَفُ أَلْسِنَتُهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ. ١٣فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُلْقِي الرَّبُّ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى تَرْتَفِعَ يَدُ الرَّجُلِ ضِدَّ يَدِ رَفِيقِهِ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَيَهْلِكَانِ مَعاً. ١٤وَيُحَارِبُ أَبْنَاءُ يَهُوذَا أَيْضاً دِفَاعاً عَنْ أُورُشَلِيمَ، وَيَغْنَمُونَ ثَرَوَاتٍ مِنَ الأُمَمِ الْمُحِيطَةِ بِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَأَثْوَابٍ، بِوَفْرَةٍ عَظِيمَةٍ. ١٥وَيُصِيبُ بَلاَءٌ مُمَاثِلٌ الْخُيُولَ وَالْبِغَالَ وَالْجِمَالَ وَالْحَمِيرَ وَسَائِرَ الْبَهَائِمِ الْمَوْجُودَةِ دَاخِلَ هَذِهِ الْمُعَسْكَرَاتِ. ١٦فَيَصْعَدُ النَّاجُونَ مِنَ الأُمَمِ الَّتِي تَأَلَّبَتْ عَلَى أُورُشَلِيمَ، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ لِيَعْبُدُوا الْمَلِكَ الرَّبَّ الْقَدِيرَ وَيَحْتَفِلُوا بِعِيدِ الْمَظَالِّ. (زكريا ١٤)

ويتابع زكريا قوله: إن من يتقاعس من الأمم عن الصعود إلى أورشليم للسجود لربّ إسرائيل، فسوف يمتنع المطر عن الهطول على ديارهم، وحتى أهل مصر إن تقاعسوا فسوف يصيبهم ما أصاب غيرهم. وفي ذلك اليوم تُوقف الخيول لخدمة بيت الرب، وتكون القدور مشاعا بين الجميع يستخدمها كل من أراد، ولا تكون هناك تجارة بعد اليوم فالكل صار ملكا للربّ القدير: ١٧وَإِنْ تَقَاعَسَتْ أَيَّةُ عَشِيرَةٍ مِنْ عَشَائِرِ أُمَمِ الأَرْضِ عَنِ الصُّعُودِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِتَسْجُدَ لِلْمَلِكِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ، يَمْتَنِعُ الْمَطَرُ عَنِ الْهُطُولِ عَلَى دِيَارِهِمْ. ١٨وَإِنْ أَبَى أَهْلُ مِصْرَ الصُّعُودَ لِلاشْتِرَاكِ فِي الاحْتِفَالِ، يَحُلُّ بِهِم الْبَلاَءُ الَّذِي يُعَاقِبُ بِهِ الرَّبُّ الأُمَمَ الَّتِي لاَ تَجِيءُ لِلاحْتِفَالِ بِعِيدِ الْمَظَالِّ. ١٩هَذَا هُوَ عِقَابُ مِصْرَ وَعِقَابُ سَائِرِ الشُّعُوبِ الَّتِي تَأْبَى الْمَجِيءَ لِلاحْتِفَالِ بِعِيدِ الْمَظَالِّ. ٢٠وَيُنْقَشُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى أَجْرَاسِ الْخَيْلِ: «قُدْسٌ لِلرَّبِّ». وَتَكُونُ الْقُدُورُ فِي الْهَيْكَلِ مُقَدَّسَةً كَالْمَنَاضِحِ الَّتِي أَمَامَ الْمَذْبَحِ. ٢١بَلْ يَكُونُ كُلُّ قِدْرٍ

فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي يَهُوذَا مُقَدَّساً لِلرَّبِّ الْقَدِيرِ، فَيُصْبِحُ فِي وُسْعِ الْمُقَرِّبِينَ أَنْ يَأْتُوا وَيَسْتَخْدِمُوا مَا يَشَاؤُونَ مِنْهَا، لِيَطْبُخُوا فِيهَا لَحْمَ الذَّبِيحَةِ. وَلاَ يَبْقَى فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ تُجَّارٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. (زكريا ١٤)

يقول النصارى في تفسير: يأتي الربُّ وجميع القديسين أنها إشارة إلى مجيء المسيح الثاني مع ملائكته وقديسيه.

نبوءة ليوئيل عن يوم الربِّ العظيم

يقول الربُّ: إنه سوف يس}كُب روحه على جميع بني إسرائيل؛ فيصيرون أنبياء وحكماء. ويقول الربُّ عن هذا اليوم أنه سوف يحارب الناسُ بعضُهم بعضا؛ فتمتلئ الأرض بالدماء المسفوكة، وتتصاعد أعمدة الدخان من جراء الحرائق المضطرمة، وتنكسف الشمس، وينخسف القمر. ويتوعّد الربُّ غير بني إسرائيل بالهلاك إن هم لم يؤمنوا بما آمنت به بنو إسرائيل، ويلجأون إلى جبل صهيون وإلى أورشليم طلبا للنجاة من هول
هذا اليوم: ٢٨ثُمَّ أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ أَبْنَاؤُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاماً وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى.
٢٩وَأَسْكُبُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَيْضاً رُوحِي عَلَى الْعَبِيدِ وَالإِمَاءِ.
٣٠وَأُجْرِي آيَاتٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، دَماً وَنَاراً وَأَعْمِدَةَ دُخَانٍ.
٣١وَتَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظَلاَمٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ، قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْمُخِيفِ.
٣٢إِنَّمَا كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ، لأَنَّ النَّجَاةَ تَكُونُ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ، إِذْ يَكُونُ بَيْنَ النَّاجِينَ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ. (يوئيل ٢)

نبوءة ليوئيل عن دينونة الأمم

يقول الربُّ: إنه عندما يرُدُّ سبي بني إسرائيل إلى إسرائيل، فإنه سوف يجمع جميع الأمم والشعوب في وادي القضاء قرب أورشليم ويحاكمهم على ما فعلوه بشعبه، ويقول: إن هؤلاء قد شتّتوا شعبه، واقتسموا أرضه، وتاجروا بغلمانه. ويتوعّدُ الربُّ مدن صور وصيدا وسائل أقاليم فلسطين بأن يكون مصيرهم كمصير ما فعلوه ببني إسرائيل، ويقول: إنهم استولوا على ذهب معبد الربِّ وفضته ونقلوها إلى هياكل عبادتهم، وباعوا بني إسرائيل

إلى الإغريق ليُبْعِدوهم عن ديارهم. ويقول الرب: إنه مهما كانت قوة هؤلاء الشعوب وإمكانياتهم واستعداداتهم لحرب شعبه فسوف يجمعهم الربُّ في وادي القضاء ليقضي عليهم جميعا. ويقول الربُّ عن هذا اليوم أن الشمس والقمر سوف يُظلمان، وتكُفّ الكواكب عن الظهر، وأن الربَّ سوف يغضب غضبة ترتجف من هولها السماوات والأرض، وأنه سوف يكون حصنا وملجأ لبني إسرائيل؛ يحميهم من جميع الأعداء: لأَنَّهُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، وَفِي ذَلِكَ
الْحِينِ عِنْدَمَا أَرُدُّ سَبْيَ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ، ٢أَجْمَعُ الأُمَمَ كُلَّهَا وَأُحْضِرُهُمْ إِلَى وَادِي يَهُوشَافَاطَ،
وَأُحَاكِمُهُمْ هُنَاكَ مِنْ أَجْلِ شَعْبِي وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُمْ شَتَّتُوهُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَاقْتَسَمُوا
أَرْضِي. ٣وَأَلْقَوْا الْقُرْعَةَ عَلَى شَعْبِي فَقَايَضُوا الزَّانِيَةَ بِالصَّبِيِّ، وَبَاعُوا الصَّبِيَّةَ لِقَاءَ شُرْبَةِ خَمْرٍ.
٤مَاذَا لَدَيْكُمْ ضِدِّي يَاصُورُ وَصِيْدُونُ وَسَائِرَ أَقَالِيمِ فِلِسْطِينَ؟ أَتُجَازُونَنِي عَلَى أَمْرٍ أَتَيْتُهُ؟ أَمْ
تَسْعَوْنَ لإِيذَائِي؟ إِنِّي أُنْزِلُ الْعِقَابَ عَلَى رُؤُوسِكُمْ بَغْتَةً وَسَرِيعاً. ٥لأَنَّكُمْ قَدِ اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى
ذَهَبِي وَفِضَّتِي، وَنَقَلْتُمْ نَفَائِسِي إِلَى هَيَاكِلِكُمْ. ٦وَبِعْتُمْ يَهُوذَا وَأَبْنَاءَ أُورُشَلِيمَ إِلَى الأَغَارِقَةِ
لِتُبْعِدُوهُمْ عَنْ تُخُومِ أَرْضِهِمْ. ٧وَهَا أَنَا الآنَ أُنْهِضُهُمْ مِنَ الْمَوْضِعِ حَيْثُ بِعْتُمُوهُمْ، وَأَرُدُّ عَلَى
رُؤُوسِكُمْ سُوءَ أَعْمَالِكُمْ. ٨وَأَبِيعُ أَبْنَاءَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ بِأَيْدِي أَبْنَاءِ يَهُوذَا، فَيَبِيعُونَهُمْ بِدَوْرِهِمْ
إِلَى السَّبَئِيِّينَ، إِلَى أُمَّةٍ بَعِيدَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَصْدَرَ قَضَاءَهُ. ٩نَادُوا بِهَذَا بَيْنَ الأُمَمِ، وَتَأَهَّبُوا
لِلْحَرْبِ. أُحْشُدُوا أَبْطَالَكُمْ. لِيَتَقَدَّمْ وَيَصْعَدْ جَمِيعُ رِجَالِ الْقِتَالِ. ١٠أُطْرِقُوا سِكَكَ مَحَارِيثِكُمْ
وَحَوِّلُوهَا إِلَى سُيُوفٍ، وَمَنَاجِلَكُمْ إِلَى رِمَاحٍ، وَلْيَقُلِ الضَّعِيفُ: إِنَّنِي جَبَّارٌ قِتَالٍ! ١١أَسْرِعُوا
وَتَعَالَوْا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يَا كُلَّ الأُمَمِ، وَاجْتَمِعُوا هُنَاكَ، وَأَنْزِلْ يَارَبُّ مُحَارِبِيكَ. ١٢لِتَنْهَضِ
الأُمَمُ وَتُقْبِلْ إِلَى وَادِي الْقَضَاءِ لأَنَّنِي هُنَاكَ أَجْلِسُ لأَدِينَ الشُّعُوبَ الْمُتَوَافِدَةَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.
١٣اِحْمِلُوا الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصِيدَ قَدْ نَضَجَ. تَعَالَوْا وَدُوسُوا فَإِنَّ مِعْصَرَةَ الْخَمْرِ قَدِ امْتَلأَتْ،
وَالْحِيَاضَ فَاضَتْ بِكَثْرَةِ شَرِّهِمْ. ١٤جَمَاهِيرُ جَمَاهِيرُ مُتَزَاحِمَةٌ فِي وَادِي الْقَضَاءِ، لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ
قَرِيبٌ فِي وَادِي الْقَضَاءِ. ١٥قَدْ أَظْلَمَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَكَفَّتِ الْكَوَاكِبُ عَنِ الضِّيَاءِ.
١٦يَزْأَرُ الرَّبُّ فِي صِهْيَوْنَ، وَيُجَلْجِلُ بِصَوْتِهِ مِنْ أُورُشَلِيمَ فَتَرْجُفُ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؛
لَكِنَّ الرَّبَّ يَكُونُ مَلْجَأً لِشَعْبِهِ، وَحِصْناً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. (يوئيل ٣)

ويقول الربُّ: إن كل ذلك من أجل أن يُدْرك بنو إسرائيل أن الربَّ هو إلههم فلا يعبدون غيره، ويقدِّسون هيكله، ويمنعون الغرباء من دخول أورشليم حتى لا يدنِّسوها؛

وعندئذ يسود السلام جبالهم ووديانهم، ويعُمّ الخير جميع أرجائهم، ويشِعّ نور الإيمان من
هيكل الربّ، وتصبح مصر خرابا، وأدوم قفرا موحشا بسبب ما أنزلوه من ظلم بأبناء
يهوذا. أما بنو إسرائيل فيسكنون الأرض إلى الأبد: ١٧ فَتُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ
السَّاكِنُ فِي صِهْيَوْنَ جَبَلِي الْمُقَدَّسِ، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مُقَدَّسَةً وَلاَ يَجْتَازُ فِيهَا الْغُرَبَاءُ أَبَداً.
١٨ وَتَقْطُرُ الْجِبَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَمْرَةً عَذْبَةً، وَتَفِيضُ التِّلاَلُ بِاللَّبَنِ وَجَمِيعُ يَنَابِيعِ يَهُوذَا تَتَدَفَّقُ
مَاءً، وَيَخْرُجُ يَنْبُوعٌ مِنْ هَيْكَلِ الرَّبِّ يَرْوِي وَادِي السَّنْطِ، ١٩ وَتُصْبِحُ مِصْرُ خَرَاباً، وَأَدُومُ قَفْراً
مُوْحِشاً لِفَرْطِ مَا أَنْزَلُوهُ مِنْ ظُلْمٍ بِأَبْنَاءِ يَهُوذَا، وَلأَنَّهُمْ سَفَكُوا دَماً بَرِيئاً فِي دِيَارِهِمْ. ٢٠ أَمَّا
يَهُوذَا فَإِنَّهُ يَسْكُنُ الأَرْضَ إِلَى الأَبَدِ، وَتَعْمُرُ أُورُشَلِيمُ مَدَى الأَجْيَالِ. ٢١ وَأُزَكِّي دَمَهُمُ الَّذِي
لَمْ أُبَرِّئْهُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَسْكُنُ فِي صِهْيَوْنَ. (يوئيل ٣)

اليوم الآخر في القرآن

التحذير من يوم القيامة

يتعجَّبُ المولى عزّ وجلّ من هؤلاء الكافرين المُعْرضين عن الإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام، ويسأل مستهزئا هل ينتظرون حتى تأتي ملائكة الموت فتقبض أرواحهم ! أو يأتيهم عذاب منه ينزل بساحتهم ! أو تأتيهم علامات الساعة الكبرى ! وهي علامات لو أتت لن ينفعهم الإيمان وقتها، ولن ينفعهم عمل صالح يعملونه كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأنعام)

ويُحذِّر المولى جلّ شأنه جميع خلْقه من هول يوم القيامة، ويقول عن هذا اليوم العظيم أن الناس سوف يبْعثون من قبورهم كالفراش الهائم من شِدّة هلعهم وحيرتهم، وأن الجبال الراسيات سوف تتناثر ذراتها فتبدو كالقطن الذي انتفش وتمزقت أجزاؤه ولم يعد متماسكا كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ (القارعة)

وفي هذا اليوم ينفُخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى (نفخة الفزع) فيتزلزل كل شيء ويرتجف، ثم ينفخ الثانية (نفخة الصعق) فتموت جميع الأحياء على وجه الأرض كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ ﴾ (النازعات)

ويقول المولى عزّ وجلّ عمّن كذّبوا بالساعة وأنكروا قيامها: إنّه قد أعدّ لهم نارا مستعرة شديدة الإحراق. وأن هذه النار تعرف أصحابها، وتترقّب مجيئهم؛ فإذا رأتهم وهم بعيدون قبل أن يُحشروا فيها تتلظّى غيظا، وتزأر وهي تراهم ولازالوا بعيدين عنها كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الفرقان)

ويحذر المولى عزّ وجلّ الكفّار من يوم القيامة الذي سوف يأتيهم دون سابق إنذار، وأنه يومها سوف يكون الأخلاّء في الدنيا أعداءا؛ إلا المتقين منهم كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزخرف)

موعد يوم القيامة

يقول المولى عزّ وجلّ عن يوم القيامة: إنه قادم لا شكّ فيه، رغم أن أكثر الناس لا يصدّقون ذلك وينكرونه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (غافر)

ويقول المولى عزّ وجلّ: إن ليوم القيامة وقتا محدّدا لا يعلمُه إلا الله. وفي هذا اليوم يُنفخ في الصور فتقوم الخلائق من قبورها إلى المحشر جماعات جماعات، وتتشقّق السماء فتصير أبوابا مُشْرعة (مفتوحة على مصراعيها)، وتسير الجبال من أماكنها حتى تنمحي كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (النبأ)

يسأل المكذّبون بالساعة رسول الله عن موعدها، فيقول له الله جلّ في علاه: وماذا يفيدهم معرفة موعدها؟ إن موعدها عندي أنا، وما أنت إلا نذير لمن يخاف الآخرة فيعمل لها، أما هؤلاء فلن يفيدهم ذلك، ويوم تقوم الساعة ويُبْعثون من رقدتهم سوف يتعجّبون من قيامها بهذه السرعة التي لم يكونوا ينتظرونها كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ (النازعات)

لما سُئِل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن موعد قيام الساعة؛ وكانوا يعتقدون أنه يعلمه، أمره ربُّه جلّ شأنه أن يقول للناس أن علمها عنده ولا يعلمه إلا هو، وأنها ستأتيهم فجأة، وسوف يكون لمجيئها وقع شديد على السماوات والأرض. وأن مجيئها سيكون مباغتا وسريعا كلمح البصر كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ

﴿ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الأعراف)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (النحل)

علامات لقرب قيام الساعة

يتعجّب المولى عزّ وجلّ من هؤلاء المنكرين للبعث، ويسألهم ماذا ينتظرون ليؤمنوا وقد جاءتهم بعضُ أشراط الساعة؛ ومنها بعثة محمّد عليه الصلاة والسلام، وانشقاق القمر؟ ويسأل كيف يكون حالهم حينما تأتيهم الساعة بغتة وهم ولا يشعرون؛ وهو أعلم بحالهم كما في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ (محمد)

ويقول الله جلّ في علاه عن يوم القيامة: إنه قد اقترب، وأن انشقاق القمر الذي رأوه بأعينهم هو من علاماتها كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ (القمر) وكان كفّار قريش ينكرون نبوّة الرسول عليه الصلاة والسلام ويجادلونه جدلا بالغا، وذات يوم طلبوا منه على سبيل التعجيز أن يأتيهم بآية تُثبت صدق نبوّته، فأوحى الله إليه أن يشير إلى القمر في كبد السماء، فانفلق القمر فلقتين؛ فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان. ورغم مشاهدتهم لتلك المعجزة وانبهارهم بها؛ إلا أن معظمهم ظلّ على تكذيبه وعناده.

ومن علامات الساعة الكبرى خروج الدابّة. وبظهور الدابّة يكون الناس قد بلغوا من الكفر كل مبلغ، وينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويصبح المؤمنون قلة لا وزن لها. وتُكلّم الدابةُ الناس وتوبّخهم، وتضع على جبهة المؤمن علامة تُميّزه، وكذلك الكافر؛ حتى يتعارف الناس بالعلامات التي على جباههم كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (النمل)

وقُرْب قيام الساعة ينفتح السدُّ عن يأجوج ومأجوج، فيخرجون إلى الناس في كثرة هائلة، وهمجيّة مرعبة، وسرعة طاغية؛ فيقهرون الناس ولا يقدر أحد على صدّهم، ويفسدون في الأرض إفسادا عظيما كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأنبياء)

مصير الأرض والسماء في يوم القيامة

في يوم القيامة يطوي الله جلّ في علاه السماء على سعتها كما يطوى الكاتب الورقة بأصابعه، فيعود الكون إلى هيئته التي كان عليها قبل الهيئة التي عرفناه عليها كما في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الأنبياء) ويؤكّد المولى وقوع ذلك كما وعد جلّ شأنه.

لم يُحسن المشركون تقديرهم لعظمة لله جل شأنه؛ بأن عبدوا معه غيره. ولو علموا كيف يكون حال السماوات والأرض يوم القيامة وهنّ مطويات بيمينه، وفي قبضته وتحت سلطانه؛ لما أشركوا به غيره كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزمر)

لن يُخلف الله وعده رسله بالاقتصاص من أعدائهم في يوم القيامة، فهو عزيز؛ لا يُقْهر، ومنتقم من كل مُتَكبِّر ومُتَجَبِّر. وفي هذا اليوم العظيم، لن تكون الأرض كما هي، ولا السماوات، بل ستبدّل الأرض فتصير صعيدا أبيضا نقيا مستويا لا نتوء فيه، يصطفّ عليه البشر جميعا في مواجهة الله الواحد الأحد؛ وياله من يوم يُحشر فيه الناس حفاة عراة، وقد ألجمهم العرق كل بقدر ما عمله من سوء كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم)

وفي يوم القيامة تَرْتَجِفُ الأرض رجْفة عظيمة تَرْتَجِفُ لها الجبال؛ فتتحوّل إلى حبّات رمل غير متماسكة كما في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ (المزمل)

يُقسم الله جلّ في علاه لنبيّه محمّدا عليه الصلاة والسلام أن عذابه بالكفّار واقع في يوم القيامة ولن يمنعهم أحد منه، وويْل لهم من هذا اليوم. وقال عن علامات يوم القيامة: إن السماء التي هي مُحْكمة الصُّنع، بديعة الخَلْق؛ سوف يتغيَّر حالُها، وتضطرب حركتُها اضطرابا شديدا، وأن الجبال الراسيات سوف تزول من على وجه الأرض كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (النمل)

مصير الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة

يقول المكذّبون بيوم القيامة مستهزئين: متى هو؟ ويجيب الله جلّ في علاه بأن أبصارهم يومها سوف تنظر بدهشة إلى الشمس والقمر وقد ذهب نورهما وتلاشيا. عندها يدرك الإنسان أن لا مفرّ و لا مهرب كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾ (القيامة)

ومن علامات يوم القيامة أن تُطْمس النجوم فلا يُرى لها نور، وتُنسف الجبال فلا يكون لها أثر على وجه الأرض، وتتشقّق السماوات ويتصدّع بنيانها كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ (المرسلات)

حال الخلق قُبَيْل قيام الساعة

إذا حان وقت قيام الساعة، رُجَّت الأرض وزُلْزِلت زلزالا عظيما؛ تذهل من هوله المُرضِعة عن رضيعها، ولا تقدر الحامل أن تحافظ على جنينها في بطنها، ويظهر الناس كأنهم سكارى من خمر أو مسكر؛ وما هم كذلك، لكنّه الخوف من عذاب الله أن يقع بهم كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج)

مصير جميع المخلوقات يوم القيامة

يقول المولى عزّ وجلّ: إنّ كلّ ما على الأرض مرجعه إليه، وإنّ كلّ حي سوف يجري عليه قضاءُ الموت، وأن لا مهرب منه جلّ شأنه إلا إليه. وأنّه سوف يبعث الأموات من قبورهم يوم تقوم الساعة للحساب. ويقول جل شأنه أنه لا بقاء ولا دوام إلا لوجهه المتصف بكل صفات العظمة وصفات الكرم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (مريم)، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن)

ومن مشاهد يوم القيامة أن الشمس والنجوم تزول من جوِّ السماء، والجبال تصير هباء منثورا. وأمام هذه الآيات الكونية ترتعب وتنذهل جميع الخلائق على وجه الأرض من إنس وجِنّ وحيوان وطير؛ فلا يهتمُّ الناس بشيء كانوا يهتمُّون به قبلا من شئون حياتهم؛ كعشار الإبل التي كانت مصدرا كبيرا من مصادر رزقهم، وتتجمّع جميع الوحوش والكواسر في صعيد واحد لا يبالي أحدُهم بالآخر، وتأتي الجن فتقول سوف نذهب ونأتيكم بالخبر؛ فيجدون البحار قد صارت مياهُها نارا فلا يقدرون على شيء مما أرادوا كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾ (التكوير)

البعثُ بعد الموت

في يوم القيامة ينادي إسرافيل أيّتُها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركُنّ أن تجتمعن للحساب، ثم ينفُخ في الصور فيُنْزِل الله جلّ شأنه مطرا من السماء تنبُت به أجساد الموتى كما تنبت البذور في تراب الأرض إذا نزل عليها الماء، ويسرعون إلى أرض المحشر كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (ق)

كما يُنْزل المولى جلّ شأنه الماء من السماء بقدر حاجة الأرض، فيُنْبِت به الزرع، ويُدِرّ به الضرع، فسوف يكون البعثُ بعد الموت كذلك كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِى

نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الزخرف)، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ (ق)

مصير المخلوقات بعد البَعْث

في يوم القيامة تتبدّل الأرضُ غير الأرض، وتزول السماوات، ويتجلى الله عزّ وجلّ من عليائه في ظُلَل من الغمام وحوله ملائكته الكرام؛ ليفصل بين العباد، وتوضع الموازين، وتُنشر الدواوين (المدوّن فيها أعمال العباد) ويحاسَبُ الناسُ على أعمالهم، ويكون مآلهم وفقا لها؛ إن خيرا فإلى الجنة، وإن شرّا فإلى النار؛ إلا من رَحِمَ الله جلّ في علاه كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ (البقرة)، وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفجر)، وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء)

وفي هذا اليوم العظيم (يوم البعث) تجتمع جميع الخلائق من لدن آدم حتى آخر نسمة وُلِدت في الحياة الدنيا؛ حيث يبعث الله الناس من قبورهم في يوم لا يعلمه إلا هو، وهو محدّد ومعلوم عنده لا يتأخّر ولا يتقدّم. وفي هذا اليوم يقف أمين الوحي جبريل عليه السلام في خشوع وقد اصطفّت خلفه الملائكة الكرام صامتين في رهبة لا يتكلّمون إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى، وإذا أذن لهم بالكلام لا يقولون إلا الحقَّ؛ لأن هذا هو يوم الحقّ ولا شيء غيرُه كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ (آل عمران)، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (النبأ)

وفي يوم القيامة يغضب الله جلّ شأنـه على المجرمين، ويؤنّبهم على عبادتهم للشيطان، ويأمر ملائكته بالزجّ بهم في نار جهنم جزاء كفرهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ ... هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ ﴾ (يس)

تعقيب

يقول أشعياء: إن الربَّ سوف يُخرِّب الأرض، ويقلبها رأسا على عقب، ويشتِّت سكّانها. ويقول أن الناجين سوف يهتفون بتمجيد الرب، وأن الهالكين سوف يُزجُّ بهم في سجن مغلق إلى يوم العقاب، وأن القمر سوف يخفُت نوره، وأن الشمس سوف تنكسف أمام مجد الربِّ؛ الذي سوف يتجلّى على جبل صهيون أمام شيوخ شعبه.

والتساؤل الملحُّ هو إن كان أشعياء قد تنبّأ باليوم الآخر، وبأن الناجين هم بنو إسرائيل دون غيرهم؛ فهل يكون هناك يوم آخر لعقاب هؤلاء الذين زُجَّ بهم في سجن مغلق؟ لو صحّ ذلك، لصار هناك يومان لنهاية العالم لا يوم واحد. وإن كانت نهايتهم هذا السجن المغلق فهي والله نهاية غير صائبة، فأين الحساب؟ وأين الثواب والعقاب؟

أما قول النصارى: بأن الربّ في هذه النبوءة يُخلي الأرض ويُفْرغها وكأنه يعيد صياغتها من جديد، وتشبيه ذلك بما تحدثه المعمودية من موت للإنسان العتيق وولادته من جديد فهو قول مستغرب. فإذا كانت المعمودية تجري على الطفل الذي لم يكن قد تدنّس بأي خطيئة بعد، فما معنى أي يكون الطفلُ إنسانا عتيقا ثم تجدِّده المعمودية؟

أما خجلان القمر وخزيان الشمس يوم صلب المسيح فلا معنى له، لأن الذي صُلب هو الشخص الذي وشَى بالمسيح لدى الرومان، فكان جزاؤه الصلب؛ وليس من المنطقي أن تحدث لصلبه أي معجزة كهاتين المعجزتين.

ويتحدّث صفنيا عن يوم الربِّ فيقول: إن الربَّ سوف يمحو كل شيء على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطيْر وسمك، وأنه سوف يقضي على الأشرار وكل أصنامهم. وأنه سوف يعاقب يهوذا وكل أهل أورشليم، وأنه سوف يُسلِّط عليهم من لا يرحمهم من أجل أن يعرفوا أن الرب إذا أمهل فإنه لا يُهمِل. ويقول عن الناس في هذا اليوم: إنهم سوف يسيرون كالعميان، ودماؤهم تنزف، ولحمهم يهترئ، وأن النهاية سوف تكون مباغتة لكل سكان المعمورة.

وحسب النبوءة فإن الربَّ سوف يمحو كل شيء من على وجه الأرض، فمن بقي إذا ليتّعظ؟ والنبوءة تتكلم عن يهوذا وسكان أورشليم، فهل سيكونون هم كل سكان الأرض وحدهم في ذلك اليوم المزعوم؟

يُخبر الملاكُ ميخائيل دانيالَ عن أحداث اليوم الآخر، وعن فتنة الدجّال، وعمّن كتب الله لهم النجاة من فتنته، ويقول أن من ينجو من فتنة الدجّال سوف يتلألأ وجهُه نورا، ويقول: إن الأموات سوف يقومون من تحت التراب (الموت) للحساب، وأن منهم من يكون جزاؤه حياة أبدية كريمة، وبعضهم يكون جزاؤه حياة الذلِّ والعار.

والقرآن يؤكد أن الأموات سوف يُبعثون للحساب، ثم إلى جنّة أو نار. أما التوراة فتقول أنّهم سيحيون، وسكتت عن ذكر أين ستكون هذه الحياة، وما إذا كانت حياة بالجسد أم بالروح. والأدهى من ذلك أن الخلائق الذين سينجون من فتنة الدجال سوف يستمرّون في الحياة دون أن تصيبهم مصيبةُ الموت؛ التي هي قدرُ جميع المخلوقات. فهل هناك من لا يموت سوى خالق الموت والحياة؟

وعلى النقيض من ذلك نجد أن النصارى يرون في ذلك أنه القيامة العامة التي سوف يُرسِل الله كلا من إيليا وأخنوخ لمقاومة الدجال وقهره تمهيدا للمجيء الثاني المسيح.

كما أخبر الربُّ زكريّا عن يوم آخر، يتلاشى فيه نور الكواكب، وتتحوّل الأرض كلُّها إلى سهل منبسط، ويقْتُل فيه جميعُ الشعوب من غير بني إسرائيل بعضُهم بعضا، ويغنمون هم (أي بنو إسرائيل) ثروات جميع الأمم، ويأتي جميع الشعوب إلى أورشليم للسجود لربِّ إسرائيل.

وما سبق هو وصف مشوّش ليوم من أيام الأرض، شابته بعض الشطحات؛ مثل تلاشي نور الكواكب، وتحوُّل الأرض إلى سهل منبسط. والغريب فيه هو ما ذُكر من أن جميع الشعوب سوف يقتُل بعضُهم بعضا، فهل يبقى منهم من يأتي إلى أورشليم للسجود لربِّ إسرائيل.

وحتى النصارى يرون في مقولة: يأتي الربُّ وجميع القديسين أنها إشارة إلى المجيء الثاني للسيد المسيح مع ملائكته وقدِّيسيه، وهذا لا يستقيم مع سياق النص.

ويقول الربُّ ليوئيل عن اليوم الآخر: إن جميع بني إسرائيل سيصيرون فيه أنبياء وحكماء، وإن بقيّة الناس سوف يحاربُ بعضُهم بعضا، وإن الدماء ستغطّي وجه الأرض، وإن السماء ستمتلئ بالدخان، وإن الشمس ستنكسف، وإن القمر سينخسف، وإن على جميع الناس أن يلجأوا إلى جبل صهيون طلبا للنجاة.

والله إنه ليوم عجيب يختزل العالم كلّه في بقعة ضئيلة من الأرض تُسمّى جبل صهيون، وشعب لا وزن له يصيرون جميعا أنبياء وحكماء. فأين الحساب والميزان لمعرفة المحسن والمسيء؟ وأين الجنّة والنّار والثّواب والعقاب؟ ولمّا يقْتُلُ الناسُ بعضُهم بعضا فمن يبقى ليلجأ إلى الجبل المزعوم للنجاة؟

ويقول الربُّ ليوئيل عن اليوم الآخر: إنه عندما يرُدّ سبي بني إسرائيل إلى إسرائيل، فإنه سوف يجمع جميع الأمم والشعوب في وادي القضاء قرب أورشليم ويحاكمهم على ما فعلوه بشعبه. ويقول الربُّ: إنه سوف يغضب غضبة ترتجف من هولها السماوات والأرض، وإنه سوف يكون حصنا وملجأ لبني إسرائيل يحميهم من جميع الأعداء. كل ذلك من أجل أن يدرك بنو إسرائيل أن الرب هو إلههم فلا يعبدون غيره، ويمنعون الغرباء من دخول أورشليم حتى لا يدنسوها. ويقول الرب: إن الخير سوف يعُمّ جميع أرجائهم، وأن الخراب سوف يعُمّ ما حولهم؛ وخصّ بالذكر مصر وأدوم.

والتناقض واضح بين قول الرب ليوئيل عن اليوم الآخر في (الإصحاحين الثاني والثالث من سفر يوئيل) ففي (الإصحاح الثاني) لا قضاء ولا حساب، وفي (الإصحاح الثالث) هناك وادي القضاء. وفي (الإصحاح الثاني) يقول الربُّ: إنه على جميع الأمم أن تلجأ إلى جبل صهيون للنجاة من هول هذا اليوم، وفي (الإصحاح الثالث) يقول الرب: إنه على بني إسرائيل أن يمنعوا الغرباء من دخول أورشليم حتى لا يدنّسوها.

القول: بأن يعُمّ الخير جميع أرجاء إسرائيل والخراب ما حولهم؛ يعني أن الحياة الدنيا لا نهاية لها، وأن بني إسرائيل سوف يحيون وحدهم حياة أبدية ويفنى جميع من في الكون. أما أن يكون الربُّ حصنا وملجأ لبني إسرائيل من جميع الأعداء، فلنا أن نتساءل ضد أي أعداء وقد أهلك الربُّ جميع من حولهم؟

أما حَضر جميع الأرض بمصر وأدوم، فيدُلّ على ضيق أفق كاتب النص الذي لا يرى من الدنيا سوى هذه المساحة الضيّقة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حقد دفين في صدره ضد هذين الشعبين.

وفي القرآن الكريم يحذِّر المولى عزّ وجلّ من اليوم الآخر، ويذكُر آيات وعلامات تنبئ بمجيئه، ويقدِّم أوصافا محدَّدة لهذا اليوم، وأخفى الله جلّ شأنه موعده؛ فلا يعلمه إلا هو وحده. وإخفاءُ موعده هو أكبر حافز لجميع الخلق للعمل الصالح اتقاء ليوم لا نعلم متى هو، وتحقُّق بعضِ علاماته ينبئ بقرب وقوعه.

فمن علاماته التي تحقّقت بعثةُ نبيّ الله محمّدا عليه الصلاة والسلام، وانشقاق القمر كمعجزة مؤيِّدة لصدق نُبُوَّته.

ومن علاماته الكبرى؛ أي الأقرب ليوم القيامة خروج الدابّة، وانفتاح السدِّ الذي يحجز يأجوج ومأجوج، وغيرها من علامات أخبر عنها رسول الله محمّدا صلى الله عليه وسلم وسكتُّ عنها التزاما مني بمادّتي البحث وهما التوراة والقرآن، ولم أشأ أن أخوض فيما حوتْهُ السنة المُشرَّفة من أخبارها؛ وهو كثير.

ومن مقدِّماته، نفخةُ الفَزَعُ التي تُزَلْزِلُ كلَّ شيء، ثم نفخة الصعق التي تموت من جرائها جميع الأحياء، ثم نفخة القيام التي تؤذن بعودة الحياة لجميع الأموات.

ومن مقدِّماته انسحاق السماوات على سعتها وعظمتها، وطيِّها بيد المولى عزّ وجلّ؛ فلا شمس ولا قمر ولا نجوم، وزوال الجبال الشامخات، وتبدُّل حال الأرض؛ فتصيرُ صفحة بيضاء نقية مستوية لاستيعاب جميع المخلوقات على سطحها.

وفي هذا اليوم تُحْشر جميعُ الخلائق للحساب، ويتجلّى المولى عزّ وجلّ ليفصل بين المخلوقات من إنس وجِنّ وحيوان، وتُفْتح السجلاّت، وتُوفّى كلُّ نفس ما عملت؛ لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب.

الفصل العشرون

الجنّـــة

الفصل العشرون: الجنّة

الجنّة في التوراة

جنّة عدن

بعد أن أكمل الربُّ خلق السماوات والأرض بكل ما فيها، خلق آدم، وأقام له جنّة في شرقي عدن ووضعه فيها، واستنبت له فيها كل شجرة بهيّة المنظر لذيذة المأكل، وغرس في وسطها شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشرّ، وحذّر آدم من الأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ حتى لا يموت: وَهَكَذَا اكْتَمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ بِكُلِّ مَا فِيهَا..... ٧ثُمَّ
جَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً.
٨وَأَقَامَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي شَرْقِيِّ عَدْنٍ وَوَضَعَ فِيهَا آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. ٩وَاستَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلَهُ
مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ بَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ، وَلَذِيذَةٍ لِلأَكْلِ، وَغَرَسَ أَيضاً شَجَرَةَ الْحَيَاةِ، وَشَجَرَةَ
مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي وَسَطِ الجنّة..... ١٥وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ
لِيَفْلَحَهَا وَيَعْتَنِيَ بِهَا. ١٦وَأَمَرَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: «كُلْ مَا تَشَاءُ مِنْ جَمِيعِ أَشْجَارِ الجنّة،
١٧وَلَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لأَنَّكَ حِينَ تَأْكُلُ مِنْهَا حَتْماً تَمُوت».
(التكوين ٢)

لم يرد اسم الجنّة في التوراة ولا وصف لها سوى ما سبق ذكره عن جنّة آدم، والثواب والعقاب كما أوردته التوراة هو دنيوي؛ يقع في الدنيا ولا مكان آخر لمثل ذلك. وكلمة (فردوس) في قاموس التوراة تشير إلى المكان الذي رتّبه الله لمعيشة الإنسان قبل سقوطه، ووضع في وسطه شجرة الحياة (جنة آدم). وأُطْلقت الكلمة فيما بعد على البساتين في قصور الملوك.

أما كلمة (جنّات) فهي بساتين مُعدّة للانشراح والملذات، مثل جنات الملك سليمان، وكان دخولها ممنوعا على الغرباء.

والتلمود قد أشار إلى الجنّة، فقال عن مساحتها أنها تكبُر المعمورة بستّين مرة. أما عن نعيمها، فقال أنه ليس مثل نعيم الأرض؛ لأنه لا أكل فيها ولا شراب ولا زواج ولا تناسل

ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة ولا حسد بين النفوس، بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاج ويستمتع برونق السكينة.

ويقول النصارى: إن الثواب في الجنّة من نور الله، وأنه لا معنى فيها لأي من متع الدنيا المادية.

الجنّة في القرآن

الجنّة حقّ

يقول المولى عزّ وجلّ: إنه قد أعدّ للمؤمنين من عباده جنات تجري من تحتها الأنهار كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (النساء)

والجنّة هي دار الخلود، فلا موت فيها ولا انتهاء مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (هود)، لما كانت مشيئة الله أن يُعذِّب عصاة المسلمين في النّار حتى يتطهّروا من ذنوبهم التي وقعت منهم في الدنيا، فإنّهم يخرجون منها بعد انتهاء عقوبتهم إلى الجنّة ليخلُدوا فيها ولا يخرجوا منها كمن سبقهم من إخوانهم المؤمنين؛ وهم المقصودون بقوله جلّ شأنه (إلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ).

وتُقرّب الجنّة للمُتّقين من عباد الله فرحة بمقدمهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ق)، يقول لهم ملائكة الجنّة إن ما ترونه من النعيم هو ما وعد الله به عباده الأوّابين الطائعين له خشية منه ولم يروه، الحافظين لعهده باتّباع أوامره واجتناب نواهيه. ويقولون لهم أدخلوا الجنّة وابشروا بالسلامة من العذاب والهموم والأكدار، خالدين فيها فلا موت ولا فناء، متنعّمين بكل خيراتها، وزيادة في التنعيم تنظرون إلى وجه الله الكريم؛ وهذا هو غاية التكريم.

وصفُ الجنّة

إن الله لا يضيع أجر من أحْسَنَ عملا. وقد أعدّ الله للأتقياء من عباده حياة الخُلْدِ في جنّات لا ينقطع نعيمها، ولا يُكدِّر صفوَها نزاع ولا شقاق، ويعُمُّهم فيها سلامُ القول وسلامُ العمل؛ ووعدُ الله لا يُردُّ ولا يتبدّل كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ



عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الفرقان)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الكهف)، وقوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (إبراهيم) ، وقد زيّن الله جلّ في علاه هذه الجنّات بأنهار تجري من تحتها، وجعل لباسَ أهلها فيها من الحرير؛ ما رَقّ منه وما غلُظَ، وجعل لونه أخضرا جميلا؛ وهو اللون الغالب على كل ما في الجنّة. وجعل حُلِيّهم أساور الذهب التي حُرِّمت على ذكورهم في الدنيا. وهيّأ لهم من الأسِرَّة التي يتكِئون عليها في مجالسهم، ما يجعلهم ينعمون بها ولا يملّون منها.

ولمن خاف مقام الله جلّ في علاه وأطاعه؛ جنّتان لا جنّة واحدة؛ فيهما من النعيم ما لا يوصف؛ خضرة وارفة، ومياه جارية، وفاكهة شهيّة؛ قريبة المنال بحيث لا يتكبّد طالبُها أيّة مشقة في الحصول عليها. وفيها الفُرُش الوثيرة المبطّنة بالحرير، والحور العين اللائي يقصُرن نظرهُنّ وفكرهُنّ على أزواجهنّ؛ وقد خُلِقْن له، ولم يسبقه إليهنّ أحد، وكأنّهنّ الياقوت والمرجان من حسنِهنّ وجمالِهنّ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ... ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ... فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ... فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ... مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ... فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ... كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الرحمن)

وبعد الحساب يتمتّع أصحابُ الجنّة بنعيمها، وبزوجاتهم من أهل الدنيا ومن الحور العين، ويأكلون من فاكهتها، وكلُّ ما تتمنّاه أنفسهم من طعام يجدونه بين أيديهم. ويزداد نعيمهم برضى الرب عليهم، وتفضُّلِه عليهم بالسلام كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يس)

أمّا المؤمنون الذين أخلصوا عبادتهم لله فلهم جزاء أعظم؛ جنّات فيها نعيم دائم، وطعام لا ينقطع، وفواكه تشتهيها الأنفس. وشرابهم فيها خمر؛ ليست كخمر الدنيا كريهة

المنظر وتُضيّع عقل من يعاقرها (يداوم على شرابها)، لكنها بيضاء كالحليب في لونها، لذيذة في طعمها؛ تُقدّم لهم في كئوس من الفضة بهيّة المنظر. وتتودّد إليهم فيها زوجاتُهم من الحور العين اللائي لا يرفعن أبصارهُنّ لغير أزواجِهِنّ من شِدَّةِ حيائِهِنَّ، وهُنّ في بياضهِنّ كالبيضة التي حُفِظت في عشها لم تمـسـها يد، ولم يشوّه بياضها غبار كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الصافات)

وفي الجنّة يكون الشجر وارف الظلال، والمياه وفيرة، ولباسهم فيها من الحرير، ويجلسون بعضُهم في مقابل بعض، مستمتعين بأزواجهم من الحور العين، ويأتيهم الغلمان بما لذّ وطاب من فاكهة الجنّة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الدخان) وقد جعلها الله جلّ في علاه للمؤمنين المُتّقين لغضبه؛ فقد أنجاهم من جهنّم، وجعل مصيرهم إلى الجنّة؛ آمنين فيها من العذاب، وغير مهدّدين بالموت.

من أسماء الجنّة

الجنّة: يقول المولى عز جل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ (النساء)، وهي جزاء المؤمنين في حياتهم الآخرة. والجنّة هي الاسم العام الشامل لكلّ أنواع الجِنان التي هيّأها الله جلّ شأنُه لعباده المُتّقين.

الدّار الآخرة: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص)، وهو اسم من أسماء الجنّة التي جعلها الله للمُتّقين من عباده، الذين لم يتجبّروا على خلْقه بظلم أو عدوان، ولم يُفسدوا في الأرض بارتكاب الفواحش وما نهى الله عنه.

جنّات النّعيم: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف)، وهو اسم جامع لجميع الجنّات لما تضمّنته من أنواع النعيم الظاهر والباطن، وكانت ستكون منزلا ومستقرّا لأهل الكتاب لو أنّهم آمنوا به واتقوا غضبه عليهم.

جنّات عدْن: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾ (مريم)، وهو اسم وصفة من صفات الجنّة التي وعد الله بها عباده المؤمنين لتكون لهم مستقرّا لحياتهم الآخرة، وموطنا دائما لا يبرحونه.

جنّة الخُلْد: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الفرقان)، وهو اسم وصفة من صفات الجنّة التي وعد الله بها عباده المتقين، وسوف ينالونها حتما، ولا يرحلون عنها أبدا.

دار السلام: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (يونس)، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ (مريم)، وهو اسم من أسماء الجنّة التي يدعو الله المؤمنين من عباده إلى عمل كل ما يوصلهم إليها ليسلموا فيها من كل بليّة أو مكروه. وفيها لا يسمع ساكنوها إلا حُلْو الكلام، وتسليم الله جلّ شأنُه وملائكتُه الكرام عليهم.

دار المتّقين: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ ...لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (النحل)، وهو اسم وصفة للجنة التي وعد الله بها المحسنين من عباده، المُتّقين لغضبه، وهي خير من كل دور الدنيا.

دار المُقامة: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فاطر)، وهو اسم وصفة للجنة التي يفرح بها أصحابُها حين يدخلونها، ويحمدون الله أن أكرمهم بدخولها، وأبعد عن قلوبهم الحزن الذي كان سينالهم لو أنّهم حُرِموا منها. ويقولون عنها: إنها دار المقامة؛ فلا نوم فيها ولا فتور، بل يقظة دائمة ونشاط لا يتوقّفْ.

المَيْمنة: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾ (الواقعة)، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ (البلد)، وقد جعلها الله جلّ شأنه للذين آمنوا به وبرسله، وكانوا يتواصوْن فيما بينهم بالصبر على أحوال إخوانهم المؤمنين، والرحمة بهم.

الحُسنَى: يقول عزّ وجلّ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (يونس)، ويقول عزّ وجلّ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الكهف)، وقد جعلها الله جلّ شأنه للذين أحسنوا العمل في الدنيا، وجعل جزاءهم فيها البِشْر الدائم، وطلاقة المُحَيّا، ويُسْر العيش؛ فلا تكاليف ولا مسئوليات. ولا غَرْوَ فهي دار الجزاء لا العمل.

درجاتُ الجنّة وغُرَفُها

أهل الجنّة متفاضلون فيها بحسب منازلهم ودرجاتهم كما في قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (آل عمران)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ (طه) ومن درجاتها:

الفِرْدَوْس: من درجات الجنّة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الكهف)، وهو درجات، ويقع في أعلى الجنّة. وقد جعله الله مستقرّا لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة في حياته الدنيا. والخلود هو سمة الحياة في الجنّة عموما، ومن يدخلها لا يرغب في الخروج منها، ولا في التحوُّل عنها لغيرها؛ من لذّة ما يلقاه فيها من نعيم.

والفردوس الأعلى تحت عرش الرحمن جلّ جلالُه، ومنه تخرج أنهار الجنّة الأربعة الرئيسية: نهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ونهر الماء. وأعلى مقام في الفردوس الأعلى هو مقام الوسيلة، وهو مقام رسول الله محمّدا صلّى الله عليه وسلّم، ثم غُرَفُ أهل علّيّين، وهي قصور متعددة الأدوار تجرى من تحتها الأنهار، وهي منزلة الأنبياء والشهداء. ثم باقي الدرجات وهي مائة.

جنّة المأوى: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ (النجم)، وسدرةُ المُنتهي شجرة عظيمة في السماء السابعة، عندها ينتهي علمُ جميع الخلائق والملائكة؛ فلا يتجاوزُها أحد، ولا يعلم ما وراءها إلا الله عزّ وجلّ، وعندها جنة المأوى التي يأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء.

الغرفة: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الفرقان)، وهذه الدرجة العظيمة هي لهؤلاء المؤمنين بالله حقّ الإيمان، الذين عصموا أنفسهم وأهليهم من الوقوع في المعاصي، ونشّأوا أولادهم على التمسُّك بطاعة الله والعمل على مرضاته، وقاموا بأمر الدعوة لدين الله الحقّ، وصبروا وصابروا على ذلك.

المَقامُ الأمين: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الدخان)، هو موضع يأمن فيه نازله من كل مكروه، وتحيطه فيه جنّات كثيرة الأشجار، متنوِّعة الثمار والعيون.

مَقْعد صِدْق: يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر)، هو موضع يأنس فيه نازله بقربه من ملك الملوك جلّ شأنه، وينعم فيه بجنات تجري من تحتها الأنهار.

أنهارُ الجنّة وعيونُها

جعل الله جلّ في علاه في الجنّة أنهارا كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (النساء)، وهذه الأنهار تُزيد الجنّة بهاء، وتُوفّر لأهلها مزيدا من الراحة والإنشراح. وأنهار الجنّة جارية بلا توقُّف، وهي تحت غرف أهل الجنّة وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في قصور ذوي الجاه في الدنيا. وأنهار الجنّة تتفجّر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أدنى درجاتها.

ولا تقتصر أنهار الجنّة على أنهار الماء فقط كما في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ...(١٥) ﴾ (محمد)، فمن فضل الله وكرمه أن جعل اللبن والخمر والعسل تجري في أنهار لا تجفّ، ولا يتوقّف جريانُها، ولا يتغيّر طعمُها فتأباه النفس.

ومن أنهارها نهر (الكوثر) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢) ﴾ (الكوثر)، وهو الحوضُ الذي منحه الله جلّ شأنه لرسوله محمّدا عليه الصلاة والسلام؛ ليسقي منه المسلمين فى الموقف يوم القيامة شربة لا يظمأون بعدها أبدا.

ومن عيون الجنّة (تسنيم) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴾ (المطفّفين)، وهي عين في أعلى الجنّة يشرب منها المقرّبون من مولاهم جلّ شأنه شرابا خالصا مصفّى.

ومن عيون الجنّة (سلسبيل) كما في قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) ﴾ (الإنسان)، وهي عين يشرب منها الأبرار شرابا عذبا صافيا، سهل البلْع، مستساغ الطعْم؛ وقد مُزِج بالزنْجبيل الذي نُزِعَتْ منه لذعته المعهودة في زنْجبيل الدنيا؛ فيكون طعمه أحلى وأشهى.

خَزَنَةُ الجنّة

هم الملائكة المكلَّفون بالجنّة كما في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) ﴾ (الزمر)، وهم الذين يقومون على شئونها، ويكونون في خدمة أهلها. وهم في هذه الآية يرحّبون بالقادمين عليها من المؤمنين، ويحيُّونهم بأحسن تحية.

طعام أهل الجنّة وشرابهم

من طعام أهل الجنّة (الفاكهة) كما في قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) ﴾ (الرحمن)، وفاكهة الجنّة تأتي على صنفين، صنف ممّن عُرِف في الدنيا، وصنف لم تره عينٌ من قبل. ولمّا يتذوّق المتزوّق طعم هذا الذي عرفه في الدنيا يتعجّب من حلاوته ولذّة مذاقه،

ولمّا يذوق الصنْف الذي لم يعرفه يزداد عجبُه. وهنا تتجلّى حكمة الله من جعل فاكهة الجنة صنْفين.

ولم تقتصر فاكهة الجنّة على أنواعٍ بعينها، أو أعداد بقدْرها، أو مواسم بذاتها؛ بل جعلها الله كثيرة بلا حصر، دائمة بلا انقطاع، مُتاحة لطالبها بلا حجر (حجز) ولا ستر (إخفاء) كما في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الواقعة)

ومن فواكه الجنّة (العنب) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ (النبأ)

ومن فواكه الجنّة (النّخل والرمّان) كما في قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الرحمن)

ومن فواكه الجنّة (الموز) كما في قوله تعالى: ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الواقعة)، وموز الجنّة ثمره كثير، ومهيّأ للراغبين في كل وقت وحين.

ومع الفاكهة يُقدّم الشراب كما في قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ﴾ (ص)

ومن شراب أهل الجنّة (الخمْر) كما في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الصافات)، وقوله تعالى: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الطور)، ويطوف خدمُ الجنّة على أهل الجنّة بكأسِ الخمْر وقد أتوا بها من نهر جارٍ من أنهار الجنّة. وهذه الخمْر بيضاء نقيّة لا تشوبها شائبة، يتلذّذ بها شاربوها، فهي لا تُسْكرهم ولا تغتال عقولهم فتُفْسِد عليهم حلاوة مذاقها، أو يصيبهم منها ما يصيب الناس إذا شربوا خمر الدنيا من صداع رأس ووجع بطن وهلوسات وخلافه. كما أنهم من حلاوتها لا يملّون شربها.

ومن خمْر الجنّة ما هو ممْزوج بالكافور كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ (الإنسان)، وهو نوع من الطيب يُعطي رائحة طيبة؛ تزيد النفس انشراحا مع كل رشفة من الكأس.

ومن خمر الجنّة ما هو ممزوج بالمسك كما في قوله تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (المطفّفين)، وهي تُقدّم لشاربيها في أكواب مختومة، لم يفُضُّها (يفتح غطاءها) أحد قبلهم؛ دلالة على نفاستها وخصوصيّتِها بالنسبة لشاربيها، كما أن رائحة المسك تفوح منها إذا انتهى الشارب من شربها؛ فهي حلوة الطعم طيبة الرائحة.

وأشرِبة الجنّة لا تُسْكِر ولا تُصَدِّع ولا تُذْهِب العقل، بل تفيض على شاربها سرورا ونشوة لا يعرفها مدمنو الشراب من أهل الدنيا. كما أن مزج الشراب بالكافور الذي يعطيه من البرْد وطيب الرائحة، ومزجه بالزنجبيل الذي يعطيه من الحرارة وحلاوة النكهة، يجعل لاجتماعهما معا أو مجيء أحدهما بعد الآخر أجمل الأثر في نفس الشارب.

ومن طعام أهل الجنّة (لحم الطيْر) كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الواقعة)، فلا يقتصر طعام أهل الجنّة على الفاكهة فقط بل يُقدّم لهم لحمُ الطيْر، وهو أشهى أنواع اللحوم. وما يشتهونه من طير يجدونه بين أيديهم جاهزا للأكل مطهيّا كما يحبّون.

والطعام والشراب في الجنّة لا ينْتُج عنه ما ينْتُج عن طعام وشراب الدنيا من بول وغائط وعرق وغيره، بل تخرج من أهل الجنّة كرشْح المسك. فالجنّة دار خالصة من الأذى، وأهلُها مُطهّرون من أوشاب أهل الدنيا.

أشجارُ الجنّة وثمارها

من أشجار الجنّة (شجرة السِدْر) كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الواقعة)، والسدْر هو شجر النبَق. وهو في الدنيا يكون له شوك، لكنّه في الجنّة منزوع شوكه؛ فلا يؤذي طالبه أو الراغب فيه.

وسِدْرة المنتهى هي أعظم أشجار الجنّة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ (النجم)، وسدْرة المنتهى هي شجرة عظيمة تحت عرش الرحمن، يغشاها نور الله فتتلألأ وتزداد بهاء. وقد رآها

رسول الله عليه الصلاة والسلام في رحلة المعراج، ووقف عندها ليأنس بالحديث إلى مولاه جلّ في علاه.

وأشجار الجنّة دائمة العطاء كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الرعد)، فهي دائمة الإثمار، وظلُّها لا ينقطع، وفواكهها كثيرة العدد، كثيرة التنوُّع، لا تنقطع ولا تمتنع على طالبيها.

وثمارها قريبة لا يصعُب نيلُها، ومذلّلة يسهُل قطافُها كما في قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الرحمن)

وعن ثمار الجنّة ورد قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة)، تأتي الملائكةُ أهل الجنّة بثمار الجنّة، فإذا قُدِّم لهم مرةً ثانية يقولون للملائكة أليس هذا الذي أتيتمونا به من قبل؟ فتقول الملائكة: كلاّ فاللونُ واحدٌ، والطعم مختلف. وهكذا في كل مرة.

ومن الجدير ذكرُه أن خيرات الجنّة ليس لها من خيرات الدنيا سوى الإسم فقط، أما الشكل واللون والطعم والرائحة فلا وجه للمقارنة.

الحور العِين ونساء الجنّة

لأهل الجنّة زوجات ورد ذكرُهُنّ في قوله تعالى: ﴿ ...وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة)، يصف المولى سبحانه وتعالى زوجات أهل الجنّة بأنّهنّ طاهرات الخَلْق؛ فلا يعترِيهن ما يعتري النساء في الدنيا من أمور الجسد كالحيض وخلافه، وطاهرات الأخلاق؛ إذ يُحسنّ التبعُّل (التودُّد وإظهار الحب) لأزواجهنّ.

وفي قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الدخان)، وقوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الرحمن)، فهُنّ الحور (البيض) العِينُ (واسعات الأعين) قد حبسْن أنفُسَهُنّ في خيامِهِنّ فلا يراهُنّ غير أزواجِهِنّ من فرط حبِّهِنّ لهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) ﴾ (الواقعة)، فهُنّ الحور العين (سوادُ عيونهن شديدُ السواد، وبياضُها ناصعُ البياض؛ فيهما حور)؛ وهذا يضيف إلى جمال العين تألقا وبهاءا. وهنّ من فرط جمالِهِنّ كاللؤلؤ المصان في حِرْزِه؛ فلا يُكدّره شيء من غبار أو غيره.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) ﴾ (الواقعة)، يصف المولى سبحانه وتعالى حال نساء الدنيا في الجنّة بأنهنّ سوف يُبعثن خلْقا آخر في غاية الحسنْ؛ فالعجوز ترجع شابة، والقبيحة ترجع جميلة، وكلُّهُنّ يرجِعْن عذارى، وكلما آتاهُنّ أزواجُهُنّ وجدوهُنّ أبكارا. ومن صفاتهن كذلك أنهُنّ متساوون في جمال الخِلْقة وفي العمر، وقد جُبِلن (تطبّعن) على حب أزواجهِنّ والتودُّد إليهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٥٦) ﴾ (الرحمن)، يصفهُنّ المولى عزّ وجلّ بأنّهُنّ قاصرات الطرف؛ فلا ينْظُرْن لغير أزواجِهِنّ، ولم تُنْكح الواحدة لأحد قبل زوجها، بل خُلِقَتْ له وحده وذلك في حال الحور العين، أو مُخَصّصة له وحده في حال نساء الدنيا.

وفي قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥٨) ﴾ (الرحمن)، يصفهُنّ المولى عزّ وجلّ بأنّهُنّ كالياقوت في صفائه، والمرجان في بياضه؛ وكلها جواهر كريمة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) ﴾ (النبأ)، يصفهُنّ المولى عزّ وجلّ بأنّهُنّ نواهد (بارزات الصدر) دليلا على فرْط أنوثتهن، وفي سن واحدة فلا تفضُل إحداهُنّ غيرها في العمر.

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) ﴾ (الزخرف)، أنّه إذا دخل المؤمن الجنّة فإن زوجته من أهل الدنيا إذا كانت من أهل الجنّة فإنها تكون زوجته في الجنّة، وتكون المرأة مع آخر زوج لها.

الولْدان المخلّدون

من فضل الله على أهل الجنّة أن جعل لهم من يقوم على خدمتهم كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) ﴾ (الطور)، وكما في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ ﴾ (الإنسان)، وهم يأتمرون بأمرهم، ويسارعون إلى مرضاتهم. وجعل الله جلّ شأنه لهؤلاء الغلمان من جمال الخِلْقة ما يجعل الناظر إليهم يراهم كأنهم اللؤلؤ الذي يصونه صاحبه ليظل منظره جميلا مُبْهجا. وقد خلقهم الله خلقا جديدا كخلق الحور العين، وجعلهم جميعا في سِنٍّ واحدة وهيئة واحدة؛ فلا يكبرون ولا تتغيّر هيأتهم.

سِعَةُ الجنّة

الجنّة أكبر حجما، وأعظم سعة من السماوات والأرض كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ (آل عمران)، هذا عرضُها الذي لا يمكن قياسه، فما بالُنا بطولها !!

من أسباب دخول الجنّة

أول أسباب دخول الجنّة هو رحمة الله تعالى، وثانيها هو الإيمان وما يترتّبُ عليه من الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ...٢٥ ﴾ (البقرة)، فعملُ العبْد في دنياه إن كان صالحا، وفي مرضاة الله جلّ في علاه؛ يكون من أسباب دخوله الجنّة.

وثالثها إخلاص العبادة لله كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ ﴾ (الصافات)، فهؤلاء ينجيهم الله من كيْد الشيطان، ويُدْخلهم جنات يتنعّمون فيها بما كتبه الله لهم من رزق طيب وحُسْن معاملة.

ورابعها الصبر وحسن التوكُّل على الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢ ﴾ (النحل)، فالصبر على الأذى، والهجرة في سبيل الله؛ من موجبات الجنّة.

وخامسها الاستقامة على الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الأحقاف)، فالإيمان بالله جلّ شأنه، والإستقامة على طريقه؛ تجعل العبْد في أمن من الخوف والحزن في حياته الدنيا، وتكون سببا من أسباب دخول الجنّة.

نعيم أهل الجنّة

يقول المولى عزّ وجلَّ عن حال آدم عليه السلام في الجنّة قبل أن يُطْرد منها: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ (طه)، فلا إحساس بجوع أو عُري أو عطش أو حَرٍّ. وهذا الحال لا يختص به آدم وزوجه دون غيرهما، وإنما هو حال أهل الجنّة جميعا. فتنعُّم أهل الجنّة بالكسوة ليس عن عُري يخجلون منه، وأكْلهم ليس عن جوع، وشُرْبهم ليس عن ظمأ، وتطيُّبهم ليس عن رائحة كريهة تَعْرِض لهم، وإنما هي لذّات أنعم الله بها عليهم في حياتهم الدنيا، فزادهم عليها في الآخرة.

آنية الجنّة

آنية الجنّة من الذهب والفضة كما في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ...﴿٧١﴾ ﴾ (الزخرف)، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الإنسان)، يوزِّع خدمُ الجنّة على أهل الجنّة طعامهم في صحون من ذهب وفضة، وشرابهم في أكواب كأنها الفضة في بياضها، رقيقة شفافة كأنها الزجاج في صفائها؛ بحيث يُرى ما بداخلها. ومن عجيب صُنْع الله جلّ في علاه أن جعل ما تحويه هذه الآنية من طعام أو شراب على قدْر الحاجة لا يزيد ولا ينقص؛ مما يجعل ذلك ألذُّ وأشهى.

تزاوُر أهل الجنّة

أهل الجنّة يتزاورون فيما بينهم كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (الصافات)، تذكر الآياتُ تلك الجماعات التي تقابلت في الجنّة، وتحادثت عن بعض ذكرياتها في الدنيا، وعن هذا القرين الذي كان يُنْكر البعث والدار الآخرة.

فَرش الجنّة

الجنّة مؤثّثة ومفروشة بأحسن الفرش وأبهاه كما في قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ (الغاشية)، فسُرر (أسرّة) الجنّة على عُلُوّها وارتفاع أكنافها (جوانبها) تتواضع وتتمايل ناحية أرض الجنّة كلما أراد صاحبُها أن يرتقيها أو أن ينزل عنها.

وقوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ (الواقعة)، فهذه السرر المرفوعة يناسبها فُرُش مرفوعة من حيث الفخامة والسمو.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ... ﴿٢٠﴾﴾ (الطور)، فسُرُر الجنّة قد صُفّت في صفوف لا نهاية لها، وتنوّعت في أشكالها وأحجامها ليختار منها أهلُ الجنّة ما يشاءون وما تشتهيه أنفُسُهم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ (الواقعة)، فالسُرُر قد صُنِعَتْ من قضبان من ذهب خالص مرصّع بالدرّ والياقوت.

وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الواقعة)، فإن أهل الجنّة يجلسون مضطجعين منعّمين، بعضهم قبالة بعض لا يتدابرون (لا يعطي أحدهم ظهره للآخر) من فرْط أُنْسهم وانشراحهم ببعضهم.

أما عن فرْش الجنّة فيقول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ (الغاشية)، فالمخدّات والمساند قد صُفّت على تلك الأسِرّة لتُشعِر أصحاب الجنّة بمزيد من الراحة والاسترخاء. أما البُسُطْ والسجاجيد فقد ملأت المكان لتطؤها القدم بدِعَةْ واستمتاع.

أما عن المادة التي صُنِعَتْ منها تلك الفُرُش فيقول المولى عزّ وجلّ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ... مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ (الرحمن)، فالسطح غير الظاهر من فَرْش الجنّة من حرير سميك المظهر، أما ظاهرها فهو من حرير رقيق المظهر، ناعم الملمس، أخضر اللون؛ وهو اللون السائد في الجنّة. أما البُسط فهي من الحرير الموشى بخيوط الذهب في أشكال بديعة تُبهج النفس وتسُرّ الخاطر.

لباس أهل الجنّة وزينتهم

ولباس أهل الجنّة هو الحرير، وحليُّهم هي أساور من ذهب ولؤلؤ كما في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ...﴿٣١﴾ ﴾ (الكهف)، وكما في قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (فاطر)، لمّا كان اللؤلؤ والذهب من أنفس المعادن وأحبِّها إلى النّفْس، فقد جعلها الله حُليٌّ أهل الجنّة رجالهم ونساؤهم. كذلك جعل الله الحرير رقيقه وسميكه لباس أهل الجنّة؛ فهو ألْيَن على الجسم وأحلى وأجمل شكلا. وزاده الله بهاء بأن جعل لونه أخضرا تستريح له النفس، وتأنس به العين.

تعقيب

مما ورد في التوراة نجد أن الجنّة لا وجود لها، فالثواب والعقاب عند أهل التوراة يقع في الحياة الدنيا. وجنّة آدم كانت في الدنيا كما ذكرت التوراة، وجمهور المسلمين يقول بتلك المقولة أيضا. إلا أن جنّة اليوم الآخر في القرآن الكريم تختلف عن جنّة آدم، فجنّة آدم لم تكن سوى نموذج أبدعه الله جلّ شأنه ليكون معبرا لآدم عليه السلام إلى الحياة الدنيا التي خُلِق أصلا من أجلها.

أما ما ورد في التلمود عن الجنّة فهو مجرّد تخيُّلات وشطحات فكرية لا وحي فيها ولا شيئا من واقعية، وهو خليط من أفكار فلسفية سبقهم إليها بعضُ أصحاب الديانات الوثنية التي كانت سائدة وقت كتابتهم له.

أما وصْفُ القرآن الكريم للجنّة فهو وصف مُسْهب، دقيق، واضح لا لبس فيه. ولا غرو فهو وصف الخالق جلّ شأنه الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى. والمسلمون مأمورون بتصديق كل ما أخبر به المولى جلّ شأنه عن الجنّة، وما أوحى به إلى نبيّه محمّدا عليه الصلاة والسلام من خبرها؛ فنعيم الجنّة حقّ، وأنهارها حقّ، وطعامها حقّ، وشرابها حقّ، وفرشُها حقّ، والحور العين حقّ، والولدان المخلّدون حقّ. وخيرات الجنّة ليس لها من مثلها في الدنيا سوى الاسم فقط.

وقد جعل الله الجنّة جزاءا وفاقا للمؤمنين من عباده؛ الذين أخلصوا دينهم لله، وعبدوه حقّ عبادته، ولم يشرِكوا بها شيئا، ونزّهوه عن الزوجة وعن الولد وعن كل ما لا يليق بجلاله وقيّوميّته.

الفصل الحادي والعشرون

النّــــــار

الفصل الحادي والعشرون: النّــار

النّار حـقّ

ما من أحد إلا وسيورَدُ على النار كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم)، يقول المولى عزّ وجل مخاطبا جميع خَلْقِه؛ مؤمنين وغير مؤمنين أنّهم سوف يُعرضون جميعا على النار، فمن كان من أهلها سقط فيها من على الصراط جاثيا على ركبتيه، ومن كان من غير أهلها نجّاه الله جل في علاه من حرّها.

أهـل النّـار

النار هي مصير كل كافِر بالله جلّ شأنه، ومكذِّب بآياته كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (البقرة)، وقد صفُهم الله جلّ في علاه بأنهم أصحابُ النار؛ إشارة إلى أنهم لن يبْرحوها، وأكّد ذلك قوله جلّ شأنه أنهم فيها خالدون، وقانا الله وعباده المؤمنين من حرّها.

وفي يوم القيامة يدخل المؤمون الجنّة وفودا وجماعات، ويساق المجرمون إلى نار جهنّم عطْشى لا يجدون فيها رِيّا (ما يروي ظمأهم) كما قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ (مريم)

ومن كان من أصحاب النار يقودُه المَلَكُ الموكّلُ به إلى الباب المخصّص له من أبواب جهنّم كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ق)، وما إن يصل به المَلَكُ إلى خازن النار يسلّمه له، ويوصيه أن يعذّبه عذابـا شديدا لشركه بالله جلّ في علاه، وتقاعُسِه عن عمل الخير، وعدوانه على حرمات الله.

خلود الكافرين في النار

خلود الكافرين في النار يؤكّده قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (المائدة)، فمن هول ما يلاقيه هؤلاء من العذاب

يجأرون بالشكوى؛ يريدون الخروج ممّا هم فيه، فيقال لهم لا خروج ولا نهاية لعذابكم الذي كتبه الله عليكم.

ولما ييأس هؤلاء من الخروج من النّار يطلبون من زبانيتها أن يسألوا الله أن يخفّف عنهم العذاب كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ (غافر)، يتمنّى هؤلاء أن يخفّف الله عنهم العذاب ولو ليوم واحد ولكن لا مجيب.

والخلود في النار حقّ على هؤلاء الذين كفروا بالله في الدنيا، وساءت أعمالهم كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (هود)، ويَسْتثني المولى سبحانه وتعالى من الخلود في النار العصاةَ من الموحّدين بعد انقضاء المُدّة التي حكم الله بها عليهم في النار لتطهيرهم من الذنوب فيخرجون منها إلى الجنّة؛ ويالروعة الموقف من جحيم لا يوصف إلى جنة عرضها السموات والأرض.

أبواب النار

للنار سبعة أبواب كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الحجر)، وأبوابها بعضُها فوق بعض، والباب التالي أشدُّ حرّا ممّا قبله، وكل باب مخصص لفئة من أهل النار.

وأبواب جهنّم قبل ورود من كتب الله عليهم دخولها تكون مُغْلقة، ولا تُفْتح إلا لاستقبالهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ...﴿٧١﴾ ﴾ (الزمر)، وغلقُ أبواب جهنّم منذ خلقها الله يزيد من شدة حرِّها.

ولمّا يدخل أهلُ النّارِ النّارَ تُغلق أبوابُها، ويُحْكم غلقُها كما في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البلد)، وإحكام غلق الأبواب يزيد من عذابهم في سعيرها.

وبِغَلْقِ أبواب جهنّم على من فيها، تحوطهم النّار كخيمة محكمة القُفْل كما في قوله تعالى: ﴿ ...إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف)، وهذا مما يزيد من همّهم وغمّهم، وجفاف حلوقهم من شِدّة العطش.

صنوف من العذاب في النّار

لَمّا كانت مناطق الإحساس والشعور تنتشر على الجلد، ومن أجل أن يدوم عذاب الكافرين بنار جهنّم، فإن الله يبدِّل جلودهم المحترقة؛ التي ماتت فيها مواطن الشعور، بجلود غيرها. وهكذا دواليك حتى يظلّوا في عذاب دائم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (النساء)

ومن هول ما يكابده أصحابُ النّار من الحرّ والعطش، يطلبون من أصحاب الجنّة بعض الماء الذي يروي ظمأهم وبعضا من الخيرات التي رزقهم الله بها، فيردّون عليهم أن الله قد حرّمها على الكافرين، وأنها خالصة للمؤمنين كما قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأعراف)

وفي هذا اليوم العصيب؛ نرى الكفّار الذين لجّوا في كفرهم وعنادهم، قد قُيِّدوا إلى بعضهم بالسلاسل جماعات جماعات؛ كلّ حسب جُرْمه، وغُطّيت أجسادُهم بنحاس منصهر فصار لهم كالثياب، وتلفح وجوهَهم النارُ كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ (إبراهيم)، فالنار تحوطهم ويصل لهيبها إلى كل ذرة من ذراة كيانهم.

ومن هول العذاب الذي يناله الكفّارُ في نار جهنّم؛ أن تُفصّل لهم ثياب من نار تكسوهم ولا يستطيعون نزعها عن أجسادهم، ويُصبُّ من فوق رؤوسهم الماء المغْلي؛ فتنصهر من حرارته جلودهم وما في بطونهم، ويحرُسُهم ملائكة غلاظ الخلقة شداد القوّة؛

في أيديهم عِصيّ غليظة من الحديد يمنعونهم من الخروج منها ليستمر عذابهم ولا ينقطع، ويتوعدونهم بالمزيد كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحج)

ويُؤمر زبانية جهنّم بأن يأخذوا بغلظة من هو أكثر تجبُّرا إلى وسط الجحيم، ويصبّون فوق رأسه من حمم جهنّم؛ وهم يقولون له ذق العذاب الأليم يامن كنت تتجبّر على خلق الله، وتدّعي العزة والمنعة في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الدخان)

ويساقُ الكافرون إلى النار سوقا كما في قوله تعالى ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (غافر)، وحين يساقون إلى النار، يُربطون من أعناقهم بأطواق متّصلة بسلاسل يسحبُهُم منها الزبانية ليطوفوا بهم في ماء يغلي من حرارة جهنّم، ثم إلى حمم النّار المتّقدة ليصطلوا بلهيبها، وهكذا دواليك؛ ألوان ودرجات من التلظّي بالنار لا تنتهي ولا تتوقف.

والنار هي الظِلُّ الذي يظلِّل أهل النار كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الزمر)، وكما هو في عُرْف الناس في الحياة الدنيا أنّهم يلجأون إلى الظل هربا من حرارة الشمس. ونكاية بأهل النّار جعل الله ظلّهم فيها هو النار، فهي تُحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، ومن جميع جوانبهم؛ فلا مهرب منها ولا نجاة.

وصف جهنم

تأكل كلَّ من يُلقى فيها، وتلفح الجلودَ بحرِّ نارها كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المُدّثّر)

وتنطلق منها ألسنة اللهب إلى ارتفاع شاهق كأنّها قصر بالغ العلُوّ، ونارها سوداء كريهة المنظر، ينطلق منها دخان مُظْلم كثيف، يتفرّع إلى اتجاهات ثلاثة؛ لا يجد فيه الكافر ظلاً يستظل به من حرّها، ولا يجد فيه حماية من لهيبها كما في قوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المرسلات)

مـادّةُ النّـار

يُخوّف المولى جلّ شأنُه من نار جهنم بقوله تعالى: ﴿ ...فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة)، وللتدليل على عِظَم نارها وشِدّة حرّها أن جعل المولى عزّ وجلّ الحجارة وأجساد الكافرين وقودا لها. والوقود هو ما يُلقي في النار لإضرامها كالحطب ونحوه، ووقود جهنّم هم الداخلون إليها، فكلما دخلها فوج تأجّجت وازداد سعيرها.

دركـات النّـار

الدرْك في لغة العرب هو كل ما نزل، بعكس الدرَج والذي يشير إلى كل ما طلع وتعالى. والنّـار دركـات، وقد جعل المولى عزّ وجلّ المنافقين في أسفل دركاتها كمـا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (النساء)، وأسفل دركات النار هي أشدُّها سعيرا، وأعظمُها إيذاء. ولأن المنافقين هم الأشدُّ ضررا والأسوأ طويّة؛ فكان هذا جزاؤهم.

من أسمـاء النّـار

سَقَـرْ: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (القمر)، وقوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (المدثر)، وقد جعلها الله عقابا للكفّار الذين قال عنهم سبحانه وتعالى أنهم ضالّون غيرُ مهتدين في الدنيا، ومعذّبون بالنار في الآخرة. والعجيب أنهم يصفون أنفسهم بأنّهم لم

يعبدوا الله حق عبادته، وأنّهم لم يعطفوا على المساكين من خلقه، وأنّهم كانوا يخوضون في أعراض الناس، وأنّهم كانوا منكرين ليوم البعث؛ فكان هذا جزاؤهم.

سَعير: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (الأحزاب)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الفتح)، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ (الفرقان)، وقد جعلها الله للكافرين به جلّ شأنه، وغير المصدِّقين برسوله محمّدا عليه الصلاة والسلام، والمُنكرين للبعث.

الهاوية: كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (القارعة)، وقد جعلها الله جلّ شأنه لمن خفّت موازين حسناته يوم الحساب.

الحُطَمة: كما في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ﴾ (الهُمزة)، وقد جعلها الله جلّ شأنه لكل من يعيب الناس ويغتابُهم، ويطعن في أعراضهم أو يلمزهم سراً بعينه أو حاجبه، وكل من يحرص على جمع المال من حِلّه ومن غير حِلّه ولا يؤدّي حقّ الله فيه من زكاة وصدقات.

لَظَى: كما في قوله تعالى ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ (المعارج)، فنيرانها شديدة الالتهاب تنزع من شدة حرارتها جلدة الرأس. وجلدة الرأس هي أشد أجزاء الجسم حساسية وتأثُّرا بنارها.

المَشْأمة: كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ﴾ (الواقعة)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البلد)، فنارها تُطْبق على الكافرين إطباقا.

طعام أهل النار وشرابهم

الزقّوم: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الدخان)، وقوله تعالى ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ

﴿ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ...﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الصافات)، فالزقّوم هو طعام أهل النار ليس لهم طعام غيرُه، وهو كالنحاس المذاب الذي يجعل ما في البطن يغلي من شِدّة حرارته. والزقّوم هو ثمار شجرة أنبتها الله جل شأنه في قَعْر جنهم، وتتفرع فيها. وشبه الله ثمارها كأنه رءوس الشياطين لقبحها وبشاعة منظرها ومخبرها. ولّما كان الناس لم يروْها كما لم يروا الشياطين لكنهم درجوا على وصف الشياطين بكل ما هو قبيح فقد شبّهها المولى عزّ وجلّ بهم كذلك ليتصوّر الناس بخيالهم القاصر مدى قبحها. ومن شِدّة جوع أهل النار فإنهم يأكلون منها ملء بطونهم. ولّما يغلبهم العطش يسقيهم الزبانية من الحميم؛ وهو ماء شديد الحرارة فيختلط بما أكلوه من الزقّوم؛ فيكون طعامهما مزيجا من مرارة الزقوم، وحرارة الحميم؛ إمعانا في عذابهم.

الغِسْلين: كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الحاقة)، والغِسْلين هو خلاصة ما يسيل من أجسام أهل النّار المشويّة بنار جهنّم، والكافر لا يجد صديقا يدفع عنه العذاب أو يقدِّم له طعاما غيره.

الضَريع: كما في قولـه تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾ (الغاشية)، والضَريع هو نبات سام قاتل، شائك، خبيث الطعم، لا يستشيغونه ولا تستفيد منه أجسامُهم.

المُهْل: كما قوله تعالى: ﴿ ...وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف)، وهو شراب أهل النار، فهم يستغيثون من مرارة الزقوم وحرارة الحميم، فتغيثهم الزبانية بالمُهْل، وهو كالنحاس المذاب أو عكر الزيت المغلي، فيشوي وجوههم قبل أن يصل إلى أحشائهم.

وشراب أهل النار يأتيهم من عين آنية كما قوله تعالى ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ ﴾ (الغاشية)، وهي عين بلغت حرارة مياهها النهاية في درجة الغليان.

خزنة النار

يقوم على أمر النّار ملائكة؛ خلْقُهم عظيم، وبأسُهم شديد كما في قوله تعالى: ﴿ ...عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم)، وهم الزبانية؛ غِلاظُ القلوب، أشِدَّاء في أداء مُهِمَّتِهم التي خلقهم الله من أجلها؛ وهي تعذيب أهل النار، لا يعصون أمر الله بحالٍ من الأحوال، وينفِّذون الأمر بدون إِمهال ولا تأخير. وسمّاهم القرآن الكريم خزنة جهنم.

وعدد هؤلاء الملائكة تسعة عشر كما في قوله تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ (المُدّثّر)، وهم ملائكة ولكن بطبيعة غير طبيعة الملائكة الأخر، وقد خصّهم الله جلّ شأنه بالقوّة التي تمكّنهم من القيام بمهمتهم خير قيام. وقد استهان كفّار قريش بعددهم وقالوا جهلا أنه يمكنهم مدافعتهم (مغالبتهم) وممانعتهم، وقاسوا الأمر بمقياسهم البشري.

تعقيب

قدّم القرآن الكريم وصفا شاملا جامعا للنار التي هي مثوى الكافرين يوم الدين. والمسلم يؤمن إيمانا لا لبس فيه ولا تلكّؤ بحقيقة النار كما وصفها الله جلّ شأنه، وكما أخبر عنها نبيُّه محمدا صلّى الله عليه وسلّم بما أوحى به الله إليه من خبرها.

والمسلم يأْخُذ مأْخَذ الجد تحذير المولى عزّ وجلّ من حرِّ نارها، ويسأله جلّ شأنه أن ينجيه من عذابها الذي لا يقدر عليه أحد، ولا يطيقه كائن من كان.

وخلود الكافرين في النار حقّ لا مراء فيه، ونجاتهم من عذابها مَحْضُ افتراء؛ فهم أهلها، وأجسادُهم وقودا لها، وزبانيتها لا يغفلون عنهم طرفة عين ليذيقوهم المزيد من عذابها؛ وهم يقومون بهمتهم خير قيام.

أما التوراة فلم تذْكر شيئا عن النار، ولا عن مصير الخلائق يوم تنتهي الحياة الدنيا؛ فالحياة الدنيا عند اليهود لا نهاية لها. وهم يرون أن جميع الناس سوف ينتهون إلى الفناء، ويبقى هم فقط يتمتّعون بالحياة أبدا على وجه الأرض. أيُعقل هذا؟

الفصل الثاني والعشرون

خاتمـــــة

الفصل الثاني والعشرون: خاتمة

قدّمت التوراةُ الربَّ بصفات بشرية، وجسّدَته وشكّلَته بأشكال مادّية، وأنْزلته منْزلة دونيّة لا تليق بذاته ولا بصفاته العليّة. وتارة تُطْلِق عليه مسمّى الربِّ، وتارة ملاك الربِّ أو ملاك الله أو ربَّ الجنود وغيرها. ومن هنا نجد تضاربا كبيرا في فهم ذاته وكنيته جلّ شأنه كما تقدِّمه التوراة.

وعلاقةُ الربِّ ببني إسرائيل علاقة مضطربة؛ فهو يسامح ويعفو وقتما يحبّون، وإن هدّدهم أو توّعدهم؛ فسرعان ما يتراجع عن تهديده ووعيده. ويتكرّر ذلك كثيرا مهما كانت أخطاؤهم. بخلاف ذلك نجد علاقةَ الربِّ بغيرهم من الأمم تتّسِم بالعداء الدائم، والتهديد بالويْل والثبور وعظائم الأمور. ويعلِّلون سبب غضب الربِّ على جميع الأمم بأنه هو عداء تلك الأمم لبني إسرائيل.

ويصف القرآن الكريم الله جلّ شأنه بأجلِّ الصفات، ويناديه بأحسن الأسماء، وينزِّهه عن كل نقْص أو عيْب، ويتسامى به عن الشريك والولد.

وذكرت التوراة عن الملائكة أنهم يتشكّلون في هيئة غير هيأتهم، ويمارسون أفعال البشر كالأكل والشرب والحاجة إلى النوم وغيرها. ولا ينفي القرآن الكريم عن الملائكة خاصّيّة التشكُّل، لكنه ينفي عنهم أي صفة من صفات الخلق مثل التي ذكرتها التوراة، وأنهم بتشكُّلهم تتغيَّر هيأتُهم فقط ولا تتغيّر طبيعتُهم.

وتقول التوراة أن الشيطان من الملائكة، ويقول القرآن: إنه من الجِنّ؛ ويُدلِّل على ذلك بأن كلاّ من الصنْفين خُلِق من مادة غير المادة التي خُلِق منها الآخر، ولكلٍّ منهما دور يختلف عن الآخر.

وذكرت التوراة أن الربَّ قد وعد بني إسرائيل بالأرض والذرية عن طريق كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى عليهم السلام، ولم تتحقّق تلك الوعود إلا جزئيا في عهد يشوع؛ وهذا يتناقض مع كونها وعودا ربّانية، فكيف لربٍّ لا يفي بما وعد. وهذا ينْزع صفة القداسة عن تلك الوعود، ويشكِّك في نسبتها إلى الربِّ.

ذكرت التوراة عن إسماعيل أنه سيكون في حالة حرب دائمة مع جيرانه، ومتحدّيا لجميع إخوته، كما ذكرت أن الربَّ قد وعد أن يقيم عهده مع إسحاق وذرِّيَّته من بعده؛ عهدا أبديّا. وهذا يؤكِّد نهج التوراة في قَصْرِ كلِّ الصفات الحميدة على ذرِّيَّة إبراهيم عليه السلام من جهة يعقوب، لقصرها عليهم هم؛ بني إسرائيل.

ورد في سفر التكوين أن يعقوب أخبر أبناءه بما سيحصل لهم في مُسْتقبل حياتهم، كما ورد في سفر التثنية أن موسى قد دعا لأسباط بني إسرائيل بدعوات جاءت متناقضة في كثير منها مع ما ورد على لسان يعقوب. كما أن تنبؤات يعقوب عامة - لو صحت عنه - فإنها لا تعدو كونها أمنيات أب لأبنائه؛ بدليل أن معظمها لم يتحقّق، وبعضُها قد تحقّق عكسه.

وقدّمت التوراة تأييد الربِّ لبني إسرائيل بأنه قضيّة مسلّم بها؛ بصرف النظر عن كونهم يسيرون في طريقه أم يبتعدون، بل يعفو عنهم ولا يجْعلهم يتحمّلون حتى مجرّد شعورهم بأي ندم على أخطائهم. فأين مبدأ الثواب والعقاب إذا؟ ألا يستعملونه هم فيما بينهم في حياتهم الدنيا؟

كما صوّرت التوراة تأييد الربِّ لهم بصورة مبالغ فيها جدّا، ونصره لهم دون أي ضوابط تتعلّق بالتزامهم بشريعته أو بعدهم عنها.

وفي أكثر من موضع تبشِّر التوراة بني إسرائيل بأن جبل الهيكل سوف يكون قبلة لجميع الأمم، وأن قبيلة يهوذا سوف تسود على ما عداها من شعوب الأرض. كما تُبشِّر التوراة بني إسرائيل بنور الرب يشرق على أرضهم، ويخيِّم الظلام على غيرهم، وبثروات الدنيا تأتي إليهم محمولة على أكتاف غيرهم، والجميع يخطبون وُدّهم، ويتمنّون لو كانوا عبيدا لهم. وما هي إلا أمنيّات لم ولن يتحقّق منها شيء؛ فهم لا يبشِّرون بدين، ولا يدْعون لمعتقد، ومنطق القوَّة المُطْلقة لا يحقق شيئا من ذلك؛ فالناس قد تطأطئ الرءوس تحت سيف القهر لبعض الوقت وليس للأبد.

وبشّرت التوراة بني إسرائيل بمَلِك من ذرية يعقوب يجمع شتاتهم بعد السبي، ويدوم مُلكُه ولا ينقطع، وبانتصارهم على جميع الأمم. ويرى النصارى في ذلك نبوءة بعودة المسيح

الثانية، وانتصار المسيحية في آخر الزمان. وأيُّهما نصدِّق، وكلاهما مؤمن بالتوراة وبقدسيَّتها وبعدم تحريفها؟

وأفاضت التوراة في ذكر إفساد بني إسرائيل، وتحذير أنبيائهم لهم من مغبّة ذلك؛ لكنهم لم يرتدعوا، وانغمسوا جميعهم في الضلال حكّاما ومحكومين، وعامّة ورجال دين. وازداد ضلالهم بعبادة الأصنام وتقديسها، فأي بركة يستحقونها؟

وقد أكّد القرآن الكريم على علوِّ بني إسرائيل مرّتين، وانقضاء مُلْكِهم بسبب إفسادهم وبُعْدهم عن شرع الله في كل مرة من المرتين. وذكر القرآن الكريم أنه بعد الإفساد الأول سوف يُرْسل عليهم عدوّا ينكِّل بهم تنكيلا شديدا، ثم يعلو شأْنهم مرة ثانية ويُفْسدون، وتعود الكرّةُ عليهم. وهذا ما حدث بعد الإفساد الأول حيث سبوا إلى بابل، وخرّب العدوُّ ديارهم وهيكلهم.

وسوف يتكرّر ذلك في الإفساد الثاني (الحالي) إن شاء الله تعالى؛ فما يحدث في فلسطين حاليا (بعد نكبة ١٩٤٨م) هو الإفساد المشار إليه. وقد يعلوا شأنهم مرّات عديدة بعد هذه المرة، لكن دوام علوِّهم مرهون بصلاحهم حتى الجولة الأخيرة التي تسبق قيام الساعة؛ وهي من علامات الساعة الكبرى.

ومما ذكرته التوراة أن الربَّ كثيرا ما توعَّد بني إسرائيل بأشدِّ العقاب؛ كأن يحرق أرضهم بالكبريت كما فعل بسدوم وعمورة إن هم عصوه. ويعصونه، ويبالغون في المعصية، ولا ينفِّذ الربُّ ما توعَّدهم به. وفي أحيان كثيرة يتوعَّدهم بأشدِّ العقاب، وسرعان ما يعود فيحْنو عليهم بقوله أن عذابهم لن يطول، وأنه إنما يعذِّبهم لينقِّيهم ويعيدهم إلى الإيمان به وتصديقه؛ بل ويُعْلن ألمه وندمه على ما سيفعله بهم، ويتمنّى لو أنه لم يفعل. أيعقل هذا؟ فلو كانت مواقف الربِّ هذه صادرة عن أحد من البشر، لوصفوه بصفات لا تليق !!!

تقدِّم التوراةُ الربَّ على أنه أكثر عطفا على سبط يهوذا منه على غيره من الأسباط. وهم بذلك لم يكتفوا بإبعاد غير بني إسرائيل من محبّة الربِّ، بل قصروها على سبط واحد فقط من أسباط بني إسرائيل هو يهوذا، وبقيّةُ الأسباط استُبْعِدت تماما؛ حتى أنه لم يُذْكر

فيمن عاد من السبي سوى من كانوا من سبط يهوذا فقط ، فأين بقيّةُ الأسباط إذا؟ إنها العنصريّة المقيتة، والتقوقُعْ المُفْرِطْ.

تبرِّر التوراة خنوع بني إسرائيل وذلَّتِهم أمام البابليين بأن إرميا أخبرهم أن الرب يأمرهم أن يخضعوا لِمَلِكْ بابل؛ لأن مشيئة الربِّ هي أن يُسْبوا إلى بابل ليعودوا أكثر إيمانا وأحسن حالا.

والسؤال الملح هو هل يعود لهم إيمانهم في أرْض التسْبي والذُلِّ والمهانة؟ ومن أين تأتيهم القوة في ظل العبودية؟ ويتأكّد التناقُض بقول التوراة أن من سيعودون من السبي قليلون؛ لأن الربّ قضى بفناء الذين بقوا منهم في أرض العدو.

ومن مبالغات التوراة قول الربِّ: بأنه سوف يرُدّ سبْي بني إسرائيل، ويجعل منهم قوّة لا تُقْهر، ويكثِّرهم كرمال البحر، ويوحِّدهم تحت قيادة ملك واحد، ويبيد أعداءهم ومن سبَوْهم. وهذا لم يتحقّق على إطلاقه.

وردت في التوراة تفاصيل بناء الهيكل ومقاساته بصورة تُبْعِد النصّ عن كونه نصّا دينيا يُتعبّد به، وهل يعقل أن يهتم الربُّ بمثل هذه الأمور الدنيوية؟ والعجيب أن يعلن الربُّ عزاءه لهم بسبب تواضع الهيكل المزمع إعادة بنائه، وهذا يتعارض مع تفاصيل البناء المقدّمة من الربِّ كما يزعمون. ويجعلنا نتساءل عن مدى أهمِّية ذكر تلك التفاصيل، ونتشكَّك في كونها من الربِّ.

أما قول التوراة: بأن الربَّ سوف يُجْبِر الأمم على أن تجلب نفائسها لبناء الهيكل، فيؤكِّد التضارب في كل ما قيل من ناحية إعادة بناء الهيكل.

أما قول التوراة: أن الربَّ قد أمر كورش ملك فارس بأن يبْني الهيكل، فيتعارض مع توقُّف إعادة بناء الهيكل وتعثُّره طوال فترة حكم كورش وما بعدها.

لم تقتصر نبوءات التوراة على شخصيّات فقط، لكنها تناولت دولا وشعوبا نالت مملكتي آشور وبابل وملوكهما القدر الأكبر منها، فقد قال أشعياء: إن الربَّ سوف يعاقب ملك آشور على غروره وتجبُّره، وإن بريق مجده لن يصمُد أمام شعاع نور بني إسرائيل ونار

ربِّ بني إسرائيل. ولم تسمِّي النبوءة الملك المقصود لنحكم إن كانت قد تحققت أم لا، كما أن العلاقة السببية التي أوردتها النبوءة بين أفول نجم ملك آشور وعُلُوِّ شأن بني إسرائيل غير صحيحة ولم تتحقّق.

طلب إرميا من بني إسرائيل الاستسلام لنبوخذناصر ملك بابل؛ وهذا والله أمر مُستهجن في حال شعب يتبجّحون بمدى قُوّته، وبتأييد الربِّ له من غير حدود.

حدّد إرميا دوام مملكة بابل بحياة نبوخذناصر وابنه وحفيد له ليتطابق ذلك مع ما ذكره دانيال عن بَيْلْشَاصَّر آخر ملوك بابل كما تقول التوراة والأصابع التي رآها تكتب على الجدار كلمات مبهمة.

حُلْم ملك بابل نَبُوخَذْنَاصَّر وقول دانيال: إن الربَّ قد أعلمه بالحلم (الذي لم يخبر ملك بابل به أحدا) وألهمه بتفسيره، والتمثال العجيب وما حدث له؛ أمر لا يوحي بنبوءة أو إلهام، لكن يُشْبه حكايات أمنا الغولة والشاطر حسن التي كنا نسمعها من جداتنا. ومفسّرو التوراة معذورون؛ لأن قصدهم هو إثبات صحة النص التوراتي الذي بين يديهم وتربّوا على أنه مقدّس.

لم تقتصر نبوءات التوراة على عداء بني إسرائيل المفرط ضد آشور وبابل، بل شملت أيضا عداءهم ضد جميع الأمم حولهم؛ فقد نال العمونيّون والمؤابيّون وأهل جبل سعير نصيبهم من هذا العداء. فهم يتوعّدونهم، والربُّ ينتقم وهم يتفرّجون؛ والسبب في كل الأحوال هو عداوة هذه الشعوب لبني إسرائيل، وبنو إسرائيل كأنهم لم يخطئوا في حقِّ أحد من جيرانهم أبدا، أو يستولوا على ديارهم.

وشذّ عن ذلك قليلا قول عاموس: إن الربَّ سوف ينتقم من المؤابيين لأن ملكهم أمر بنبش قبْر ملك أدوم وحرق عظامه. هل تصدق هذا؟ فحسب النهج الذي انتهجته التوراة لا يُعْقل أن ينتقم الربُّ من عدوّ لبني إسرائيل لأنه انتهك حرمة عدّو من أعدائهم.

عدّدت التوراة أنواعا من الهلاك يصيب الربُّ به أعداء بني إسرائيل؛ منها الإبادة لشعوبهم ، والحرق بالنار والكبريت لدورهم وممتلكاتهم. ولم يذكر التاريخ شيئا من ذلك

يكون قد حصل للمنطقة بأسرها خلال فترة النبوءات أو ما بعدها، ولم تتكرّر واقعة سدوم وعمورة كما تردَّد في التوراة أن مثلها سيقع على تلك الشعوب.

ونالت مصر هي الأخرى نصيبها من نبوءات التوراة؛ كأن يقْتُل المصريّون بعضُهم بعضا، ويكون في مصر خمس مدن تدين باليهودية، وهذا لم يتحقق منه شيء البتة.

ونالت دمشْقُ هي الأخرى نصيبها من نبوءات التوراة، فقد تنبأ أشعياء بأن اسمها سوف ينقرض، والغريب أنه قال نفس الشيء عن مملكة إسرائيل. وزالت مملكة إسرائيل وبقيت دمشْقُ؛ فهل تحقّق نصف النبوءة وبقي النصف الآخر؟

والأكثر غرابة أنه تنبأ بنجاة قلّة من بني إسرائيل، لكن العائدين من السبي كانوا قلّة من مملكة يهوذا، ولم يُذْكر بينهم أحدُ من مملكة إسرائيل.

وأتعجب من قول إرميا: إن دمشق كانت مثار فرح الربِّ وإعجابه، وأتساءل عن سبب فرح الربِّ وإعجابه بهم؛ وهم على غير وفاق مع الربِّ كما تؤكِّد التوراة.

ورغم أن مدينة صور قد نالها نصيب من النبوءات إلا أن قول أشعياء أنها بعد خراب سبعين سنة سوف يعود لها مجْدُها وبهاؤها، وتصبح تجارتُها مصدر فخر للربِّ يثير سؤالا هو على أي أساس يُعْطي الربُّ ويمنع، ويعاقب ويعفو؟ كما أن التاريخ لم يُثْبت ذلك. ويؤكد دهشتنا تنبؤ حزقيال بأن نبوخذناصر ملك بابل سوف يمحوها ولا يبقي لها أثر.

ولم تسْلم مدينة صيْدا من نبوءات التوراة، فقد توعّدها الربُّ بالهلاك حتى يريح بني إسرائيل من شرِّهم عندما يعودون من السبْي. ياله من ربٍّ رحيم بشعب لا يرحم، ولا عجب فهو ربُّهم وحدهم، وقد خلقهم من نُطْفة غير النُّطْفة التي خلق منها بقيّة خلقه.

ونالت مدن فلسطينية وقبائل عربية نصيبا من نبوءات التوراة، وتوعّدهم الربُّ بالويل والثبور وعظائم الأمور هم وحلفاؤهم. وقد قام ثلاثة من متنبئيهم بتوعُّدهم؛ كل منهم بمثل صاحبه من الهلاك وربّما أشدُّ وعلى يد أعداء ثلاثة هم الآشوريين والمصريين والبابليين. والمدن المذكورة هي مدن صغيرة، وإمكانياتها محدودة، فكيف لها أن تنْهَض بعد كلِّ نكْبة من تلك النكبات الثلاث؟ سؤال يحتاج إلى إجابة.

ونالت فارس بدورها نصيبا من نبوءات التوراة، فقد توعّدهُم الربُّ على لسان إرميا أن يفنيهم، وأنه سوف يردُّ سبْيهم، وأنه سوف ينصُب عرشه في أرضهم. وهي أمور متضاربة ومتضادة ولا تتفق مع وقائع التاريخ.

لوحظ في النبوءات نمطا تشخيصيا غريبا كأن يمشي أشعياء حافيا مدة ثلاث سنوات، وهو أمر مُسْتهجن بصفته صادر عن الربّ، فالربُّ لا يحتاج لمثل تلك الوسائل التي قد تفيد في حالة المسرح أو السينما.

لوحظ أن معظم المُسمّيات التي ورد ذكرها في التوراة تبدو حديثة مقارنة بالفترة الزمنية التي تشير إليها، وذكر أسماء ملوك بعينهم يُبْعد النصّ عن كونه نبوءة؛ فالنبوءات عموما يغلُب عليها الرمز والإيحاء.

كما لوحظ أن معظم الإشارات التاريخية مفصّلة على أحداث وقعت مع شيء من التحوير يجعلها تشير إلى المستقبل.

كما لوحظ نهجا نمطيّا في التوراة هو تكرار عبارة ليدركوا أنني الرب أو أنه الرب حسب موقعها في النص، وهي تأتي عادة بعد دمار وهلاك هؤلاء الذين وُجّهت لهم العقوبة. وهذا لا يعطي للعقوبة أي معنى بعد أن فني من أُرسلت إليه العقوبة ليتّعِظ بها.

كما لوحظ أن معظم النبوءات تُخْبِر عن وقائع معيّنة سوف تحدُث، ولا يُثْبت التاريخ حدوثها؛ مثل قول حزقيال أن الربَّ قد كافأ نبوخذناصر ملك بابل بخيرات مصر تعويضا له عن فشله في الاستيلاء على صور، وقوله: إن خراب مصر سوف يكون على يده.

كما لوحظ في تفسير النصارى لبعض النبوءات بأكثر من تفسير، وهذا يتنافى مع كونها نبوءات من الربّ.

إن علامات الأيام الأخيرة عند اليهود مُشوّشة لا معالم ملموسة لها، كما نرى في مصير كل أعداء بني إسرائيل الذين أسموهم (الغلف) والذين قال عنهم حزقيال: إنهم سوف يدفنون في الجب.

كما لوحظ أن مسألة الظلمة التي تسود، والزلزلة تأتي في أحوال كثيرة لا علاقة لها باليوم الآخر.

ولوحظ أن انتقام الربِّ كما تذكر التوراة مُهْلك ومدمِّر، ومن توعّدَهُم الربُّ لا يندثرون ولا يفنون كما فني بنو إسرائيل وذابوا في الأمم التي آوتهم وأحسنت إليهم، لكن ذلك لم يجعلهم يتخلّون عن عنصريّتِهم المتأصِّلة.

أغلب النبوءات جاءت في صورة رؤى وأحلام، وحوت شخوصا وأشكالا غريبة، وقدّمت تفاصيل متشابكة ومشوّشة. ولم يسلم الربُّ جلّ شأنه من التصوير، وكذلك ملائكته الكرام. ولم تقف النبوءة عند حدود التوقُّع، لكن فسَّرت وأوَّلت كذلك وكأنّنا أمام مسرحيّة يحرص مؤلِّفُها على أن لا يُسْدل الستارُ قبل أن تنتهي إلى النهايـة التي يرضى عنها الجمهور. والجمهور هنا هو بنو إسرائيل.

وبعض النبوءات يختمها صاحبُها بأنّه قد أُمِر بكتمانها، ونسي أن يقول: إنه قد أُمِر فيما بعد بالبوح بها، وإلا لما قدّمتها لنا التوراة على لسانه أو بخط يده كما يدّعون.

ومن نبوءة لدانيال يقول أن الربَّ أراد أن يُطْلعه على ما سيحدُثْ لمملكة فارس، كأن الرب يستسمحه؛ وهذا لا يستقيم مع جلال الربِّ وقدسيَّتِه.

إن ما قاله الملاك جبرائيل لدانيال عن مستقبل ممالك الفرس واليونان والرومان ومسمّياتها وتفاصيل ما سيأتي عليها من أحداث، يصعب استيعابه على إنسان مستيقظ وفي أشدِّ حالات الانتباه، فكيف بمن عايشها وهو نائم؟ ومتى سجّلها؟ وهل ضمن أنه لم يُسقِط شيئا منها أو يضيف عليها؟

أما قول النصارى: إن إصحاحات دانيال من العاشر حتى الثاني عشر هي نبوءة واحدة أظهرها الله لمصلحة الكنيسة، وأنها أتت بصورة واضحة وكلمات محدّدة كمن يقُصُّ تاريخا قد حدث أو يحكي حكاية قد رآها؛ يدعوني أن أضيف أن من كتب النصَّ لا يحكي حكاية قد رآها، لكنه يقصُّ تاريخا، ويسرُد وقائع.

لوحظ أن النبوءات التي وردت عن أشخاص بعيْنهم في التوراة يأتي تأويلها في الإصحاح الذي يلي الإصحاح الذي ذكر النبوءة أو بعده بقليل كما في حالة عالي الكاهن

والملك شاول والملك داود ورجل الله والغلام المريض والملك يربعام والملك بعشا والملك آخاب. وهذا يؤكِّد ما قلناه سابقا من أن النصّ يقدِّم سردا لأحداث لا تنبّؤا.

ولوحظ التناقض في بعض النبوءات كما في حالة الملك يهوآحاز الذي وعده الربُّ على لسان إرميا بأن يظل المُلك فيه وفي ذريته، ثم يُنبئه أنه سوف يموت في منفاه، ويذكر سفر الملوك الثاني أنه مات في الأسر. وهذا يؤكد أن سفر إرميا قد كتبه أكثر من شخص، وفي أوقات متباعدة. ونفس الملاحظة في حالة الملك يهوياقيم، والملك يهوياكين.

ولوحظ تخبُّطا في أسماء الأشخاص، وتشابها وتضاربا في كنياتها (ألقابها) يشكِّك في مصداقيّتِها؛ كما في حالة الملك صدقيا الذي قيل أنه عم يهوياكين في سفر الملوك الثاني، وأنه أخوه في سفر أخبار الأيام الثاني. فأيُّهما نصدِّق؟

وقد أخبر القرآن الكريم بأحداث سوف تقع لأشخاص بعينهم، وقد وقعت كما أخبر بها القرآن، ولم ينْفِ أحد من الكفّار وقوعها؛ وقد كانوا متربِّصين بالمسلمين ورسولهم الكريم، ويتمنّون له هفْوة أو سقْطة.

خصَّ الله ذاته العليّة بعلم الغيب، وأخبر في كتابه الكريم أن علمه محيط بكل شيء من أفعال العباد وأقوالهم من قبل أن يخلُق الخلْق، وأن كل ما يجري على المخلوقات جميعها من إنس وجن وحيوان ونبات وجماد مسجَّل في اللّوح المحفوظ، وأنه يجري كما هو مسجَّل بلا تغيير أو تبديل أو تحويل. وهذا من تمام قدرة الله جلّ شأنه التي يؤكدها القرآن الكريم، ولا يتنافى ذلك مع إطلاعه لبعض خلقه على بعض غيبه.

كما خصَّ الله ذاته العليّة بتقدير أعمار الناس، فلم يجعل الحياة تسير على وتيرة واحدة، ولم يجعل للموت سنّا أو ظرفا أو سببا بعينه، بل جعله الحاضر الغائب؛ نتوقّعه في أي وقت، ويأتينا بلا استئذان؛ وربّما بمقدِّمات كحادث أو خلافُه.

وجعل المولى عزّ وجلّ للكون سننا يسير بمقتضاها، فلا الشمس تُدْرِك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون بتقدير منه جلّ شأنه؛ وتدبيره لا يدانيه تدبير. أما الإنسانَ فقد جعله مخيّرا، وجعل مصيره بعد انقضاء الأجل إما إلى جنّة أم إلى نار. والفيصل في ذلك هو إتباعه لشرع الله الذي أرسل به رسله أو انحرافه عنه.

وجاءت المبشِّرات في القرآن الكريم محفِّزة للمسلمين على تحمُّل أذى المشركين، ومؤذِنَة بتأييد الله لهم، وبقرب ظهورهم على عدوِّهم. وقد تحقّق لهم ذلك.

وكان إخبار الله جلّ شأنه لنبيّه بما يحيكه المشركون والمنافقون واليهود من مكائد له وللمسلمين هو بمثابة دعم وتأييد له ﷺ، وكان له أكبر الأثر في تحقيق النصر على هؤلاء جميعا.

وكان إخبار المولى عزّ وجلّ لرسوله الكريم عن أمور غيبية كحياة البرزخ، وخروج الدابة، ويأجوج ومأجوج وغيرها؛ هو من أجل إشباع بعض حاجات النفس إلى معرفة أمور غيبيّة قد يتصوَّرُها البعض بصورة خارجة عن ضوابط الشرع، وكذلك من أجل الموعظة والاعتبار بما فيها.

وتقول التوراة عن جوج وماجوج: إنهم قوم يأتون من مناطق روسيا وشرق تركيا وجنوب شرق رومانيا، وخصّت رئيس روسيا بهذه التسمية. وهم بهذه الصفة أناس عاديون لا يختلفون عن غيرهم من بني البشر، ولا يتّفِق ذلك مع ما ذكره القرآن الكريم من أنهم أناس غير عاديين، سواء من ناحية الشكل أم ناحية الطباع. ولا عجب وهم قوم قد حُجِزوا بأمر الله وراء السور الذي بناه ذو القرنين لحكمة أرادها الله، وإلى وقت هو أقرب إلى يوم القيامة كعلامة من علاماتها الكبرى. وقد يستبْعد المشكِّكون وجود هؤلاء القوم أصلا؛ متعلِّلين بالتقدُّم العلمي الهائل في مجال الرصد والتصوير الذي تقوم به الطائرات والصواريخ صبح مساء، لكننا كمسلمين نؤمن بوجودهم كحقيقة أخبر بها المولى عز وجلّ في قرآنه الكريم وعلى لسانه نبيِّه ﷺ. والمعجزات لا تقاس بمقياس العقل أو المنطق أو المحسوس.

وتقول التوراة عن نهايتهم: إنهم سوف يقتلون بعضُهم بعضا، ومن ينْجُ من القتل منهم يفْتك به الوباء، ومن يُخْطِئه الوباء يرسل عليه الرّبُّ نارا وكبريتا فلا يبقي منهم أحدا. وتقول التوراة أن بلادهم هي الأخرى سوف تعاقب بنار الربِّ. إذا هي نار الربِّ تترصّدهم سواء في أرض المواجهة مع بني إسرائيل أو في أوطانهم التي أتوا منها، فهل يبقى منهم شيء لنار بني إسرائيل التي يقولون أنهم سوف يوقدونها على أسلحتهم سبع سنين؟

وما تقوله التوراة عن سلب للقتلى يؤكّد بشريّة النص، وتلفيقه من قبل أناس لا يتمتّعون بسعة الأفق والمخيّلة التي يتمتع بها مؤلفو النصوص الأدبية والمسرحية، وأنهم يكتبون ما يخطُر ببالهم، وما تُمليه عليهم أحقادهم دون إمعان الفكر، وتخيُّل مكان وجو الحدث الذي يكتبون عنه.

وصفة يأجوج ومأجوج كما هو مستقرّ لدى المسلمين، ونهايتهم بدعوة عيسى عليه السلام، وتنظيف الأرض منهم بمطر ينزل من السماء؛ ليعود الناس لممارسة حياتهم حتى قيام الساعة؛ هي أكثر مصداقية وانسجاما مع طبائع الأمور. فلو كانت نهايتهم بالنار والكبريت من عند الرب، ونار من عند بني إسرائيل؛ فإن سطح الأرض يخرب، وهواءها يفسد، ولا تصلح حياة بني إسرائيل ولا لغيرهم.

لم تذكر التوراة شيئا محدّدا ومفهوما عن اليوم الآخر، فحسب أشعياء أن الربَّ سوف يخرِّب الأرض، ويقلبها رأسا على عقب، ويشتِّت سكانها، ويزُجّ بالهالكين في سجن مغلق إلى يوم العقاب.

ويقول صفنيا: إن الربَّ سوف يمحو كل شيء على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطيور وسمك، وأن النهاية سوف تكون مباغتة لكل سكان المعمورة. والسؤال الذي يفرض نفسه هو هل يتكلّم صفنيا عن اليوم الآخر الذي يؤذن بنهاية العالم أم عن يوم آخر غير هذا؟ وبالقياس فإن يوما كهذا سوف يتكرّر كثيرا حسب زعمهم؟ وهذا يؤكِّد مدى ما هم فيه من تشوُّش وغموض فيما يتعلق بهذا اليوم.

ويقول دانيال عن اليوم الآخر: إن الأموات سوف يقومون من تحت التراب للحساب، وأن منهم من يكون جزاؤه حياة أبدية كريمة، وبعضهم يكون جزاؤه حياة الذلّ والعار. ويقول زكريا عن اليوم الآخر أن الأرض سوف تتحوّل إلى سهل منبسط، ويقْتُل الناسُ من غير بني إسرائيل بعضُهم بعضا، ويغنم بنو إسرائيل ثرواتهم. إذا هو الحساب والثواب والعقاب على وجه الأرض، وحياة كحياتنا؛ ولا آخرة، ولا جنّة ولا نار، ولا أحد غير بني إسرائيل.

ويقول يوئيل عن اليوم الآخر: إن جميع بني إسرائيل سيصيرون أنبياء وحكماء، وإن بقيّة الناس سوف يحارب بعضُهم بعضا، وإن الدماء ستغطّي وجه الأرض، وإن السماء ستمتلئ بالدخان، وإن الشمس ستنكسف، وإن القمر سينخسف. وهذا يوم يتفق في ملامحه مع أيام من سبقوه، لكنّه زاد عليهم أن جميع بني إسرائيل سيصيرون أنبياء وحكماء، والسؤال هو لمن سيتنبأون وقد صاروا جميعا أنبياء؟ ومن سيستفيد من حكمتهم وهم جميعا حكماء ولا أحد فيهم يفتقد الحكمة؛ لأنه قد استقرّ العرف على أن يكون في الناس سفهاء، ويكون فيهم حكماء، وإن تفاوتت النسبة بين الفئتين.

وحدّد يوئيل موعد اليوم الآخر بقوله أنه عندما يرُدّ الربُّ سبْي بني إسرائيل، وقال: إن الربَّ سوف يجمع الأمم والشعوب في وادي القضاء ويحاكمهم على ما فعلوه ببني إسرائيل. وقد ردّ الربُّ سبي بني إسرائيل حسب التوراة، ولم يتحقّق شيء مما تمنّاه يوئيل لغيرهم من الأمم والشعوب، بل زالوا هم وبقي غيرُهم.

وفي القرآن الكريم أخبر المولى عزّ وجلّ عن اليوم الآخر، وذكر آيات وعلامات تنبئ بمجيئه فصّلها رسول الله عليه الصلاة والسلام في أحاديث عديدة. وقد تجنّبت ذكرها التزاما مني بمصادر البحث التي حدّدتُها بالتوراة والقرآن الكريم، وأرجو أن يكون عذري مقبولا، ولا يكون في ذلك مَنْقصة لما قمتُ به؛ والله من وراء القصد.

ومن العلامات التي استخلصناها من القرآن الكريم وسبق ذكرُها؛ بعثةُ نبيّ الله محمّدا عليه الصلاة والسلام، وانشقاق القمر، وخروج الدابّة، ويأجوج ومأجوج؛ وهو غيض من فيض.

ومن مقدِّمات هذا اليوم العظيم؛ نفخةُ الفَزَعْ، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة القيام، وانسحاق السماوات بما فيها، وتبدُّل حال الأرض، وحشر الخلائق من إنس وجن وحيوان للحساب، ونصب الميزان، وفتح السجلاّت، وسوْق الناس إلى مصيرهم المحتوم؛ إما إلى جنة نسأل المولى عز وجل أن نكون من أصحابها، وإما إلى نار وقانا الله جلّ في علاه من سعيرها.

لم يرِدْ أيُّ ذكر للجنّة في التوراة. والثواب والعقاب عند اليهود يكون في الحياة الدنيا لغير اليهود. أما في القرآن الكريم فقد ذُكِرَتْ الجنة، ووُصِفَتْ وصفا لا لبس فيه ولا تشويش. وخيرات الجنّة ليس لها من مثيلاتها في الدنيا سوى الاسم فقط، وقد جعلها الله جزاء لهذه الفئة من عباده، المؤمنين بوحدانيته، المنزِّهين لذاته عن الشريك والولد.

ولم يرد أي ذكر للنّار في التوراة؛ فحياة اليهود في الدنيا مُمْتدّة لا نهاية لها، وغيرُهم يموت ولا يُبْعث لأن الموت في تقديرهم هو غضب من الله عليهم ولا يستحقون البعث لمواصلة الحياة مرة أخرى، أما موتاهم هم فيبعثون؛ ليواصلوا الحياة الدنيا مرة أخرى، وهذا والله اعتقاد فاسد وباطل.

أما القرآن الكريم فقد وصف لنا النار وحال المُعذّبين فيها، وجعلها الله عزّ وجلّ عقابا للعصاة من عباده من جميع خلقه، وجعل بقاءهم فيها مؤبّدا لا نهاية له.

المراجـــع

١. القرآن الكريم

٢. التـــوراة

٣. تفسير القرآن العظيم، العلامة إسماعيل بن كثير الدمشقي - دار إحياء التراث العربي

٤. تفسير الجلالين، الشيخ جلال الدين السيوطي و الشيخ جلال الدين المحلي

٥. معجم البلدان، الرحّالة ياقوت الحموي - دار صادر

٦. تفسير الكتاب المقدس، الأب أنطونيوس فكري - كنيسة السيدة العذراء بالفجالة

٧. بعض مؤلفات الأستاذ هشام طلبة، باحث في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

٨. زوال إسرائيل عام ٢٠٢٢ نبوءة أم صدف رقمية، الأستاذ بسام جرار

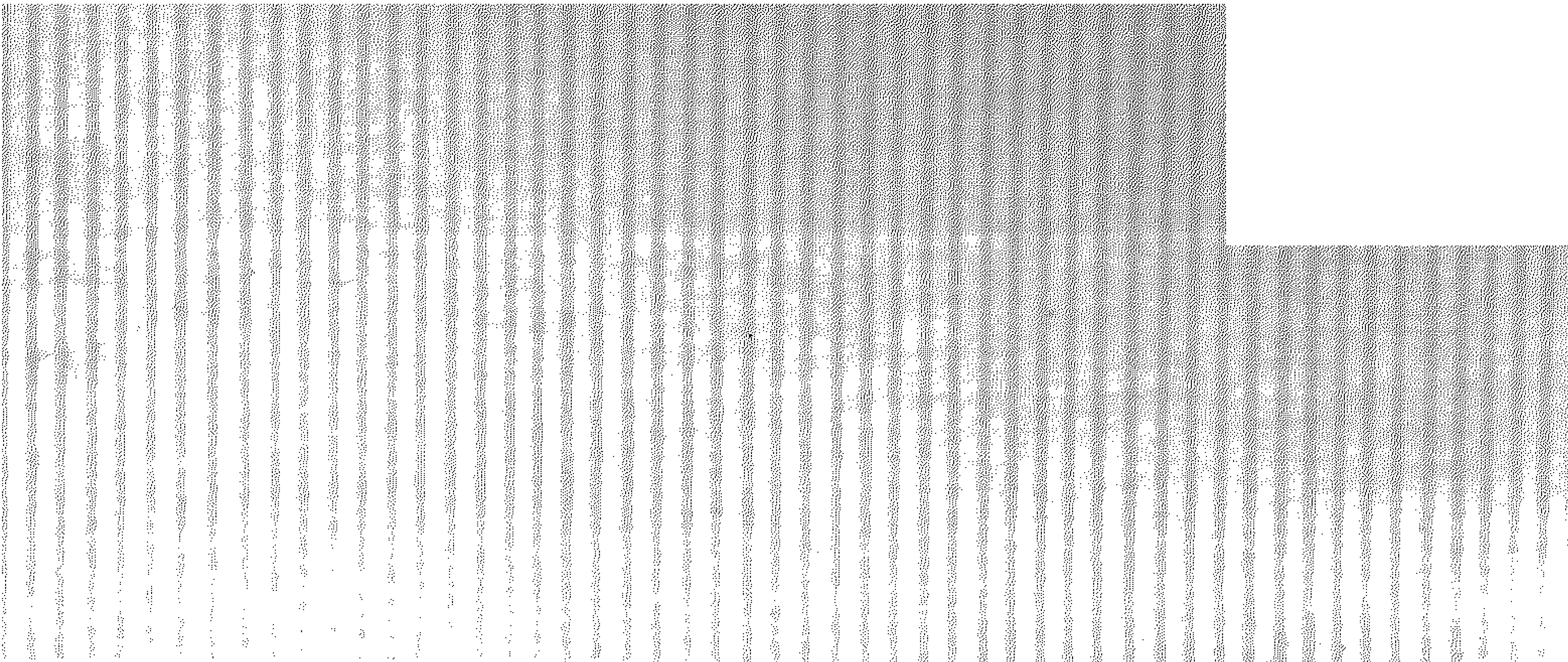
٩. في ظلال القرآن، الشيخ سيد قطب

١٠. أسماء الله في سفر التكوين، القس رياض قسيس

١١. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الدكتور عبد الوهاب المسيري

فهرس المحتويات

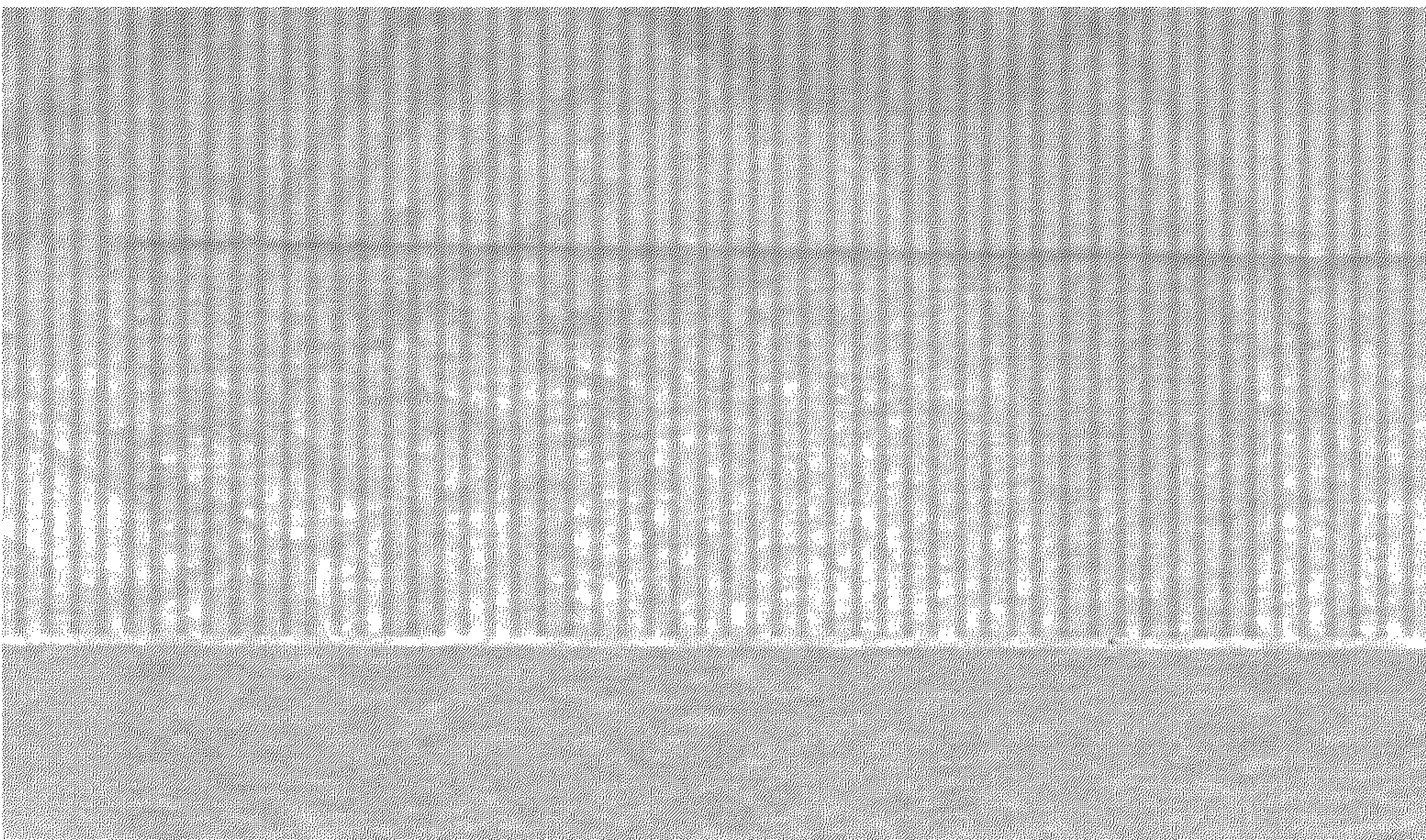
رقم الإيداع	٢٠١٠ / ١٧٨٣٧

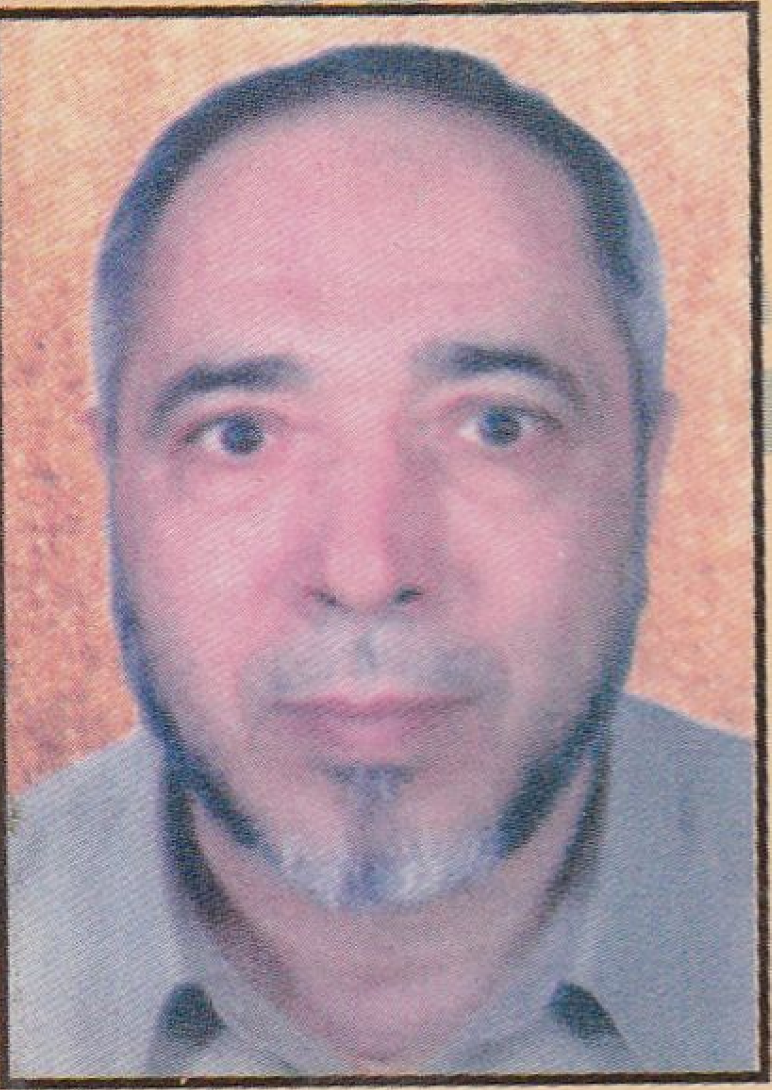




دار الفكر العربي

للطباعة والنشر والتوزيع





نبوءات وغيبيات
من وحي القرآن والتوراة

كتاب (نبوءات وغيبيات من وحْي القرآن والتوراة) الذي بين يدي القارئ الكريم، هو خلاصة أبحاثنا المتعلِّقة بمادة النبوءات والأمور الغيبية التي ورد ذكرها في كل من القرآن والتوراة، ومنهجي هو تقديم النصِّ كما ورد في المصدرين المذكورين وتفسيره وتأويله من قبل أتباع الديانتين بهدف إبراز أوجه التشابه أو الاختلاف أو التناقض فيما بين تناول كل من المصْدرين ومفهوم أتباعهما لهذا النّص، ثم تقديم رأينا مُدعَما بالحُجّة والدليل. علما بأنني تناولت كذلك تأويلات النصارى لبعض تلك النصوص بحكم أن التوراة هي من كتبهم المقدسة ويطلقون عليها اسم (العهد القديم) كما هو معلوم. وهذا الكتاب هو الثالث في سلسلة نتاج أبحاثي على القرآن والتوراة؛ والتي تم نشرها مبْتدئا بكتاب (نشأة كل من الدولتين اليهودية والإسلامية حقائق ونتائج) الذي تناولت فيه نشأة كل من الدولتين، والأسس والمبادئ التي كانت مستقرّة لدى الرُّوّاد الأُوَلْ الذين حملوا على أكتافهم مسئولية تحقيق تلك النشأة في بداياتها. وكتابي الثاني هو (متماثلات ومتناقضات من وحي القرآن والتوراة) الذي تناولت فيه ما ورد في التوراة والقرآن من مسائل وأمور وشخص... جراء المقارنة بين تناوُل كلٍّ من المصدرين لها، ومن ثم قُمت بالتعليق عليها م... ه أو التضاد فيما بينها. وقد حاولت جاهدا أن أتجنّب أية فرقعات أو همزات ... إلى أي من أتباع الديانات الثلاث، والله من وراء القصد.





I.S.B.N. 977-10-2624-0
تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث